تاريخ المصريين

٢٤٤

المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية

من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى

(٢١-٥٦٧ هـ / ٦٤٢-١١٧١م)

د. أحمد عبد اللطيف حنفى

الجزء الأول

الدراسة السياسية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تاريخ المصريين (٢٤٤)

تصدر عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب



المغاربة والأندلسيون
فى
مصر الإسلامية

من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى
(٢١ـ ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١ م)

الجزء الأول
الدراسة السياسية

د. أحمد عبد اللطيف حنفى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥

الاشراف الفنى :

محمـود الجـزار

تقـــديم

يسرنى أن أقـــدم للقـــارىء الكـــريم هذا الكتاب المهم عن « المغاربة والأندلسيون فى مصر الاســـلامية » ، للدكتور احمـــد عبد اللطيف حنفى محمد ، وهو فى الأصل رسالة علمية حصل بها صاحبها على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة طنطا .

وقد تعرض الباحث للفظ المغرب فى العصر الاسلامى ، وهو اللفظ الذى كان يطلق على الجناح الغربى لدولة الاسلام بالمقابلة بالشرق ، ويشمل كل ما يلى مصر غرباً حتى المحيط الأطلسى .

ويتسع مدلول لفظ المغرب عند كتاب المسلمين ليشمل كذلك الأندلس (أسبانيا والبرتغال حالياً) قبل انفصـــاله عـــن حـــكم الاسلام ، وقد يتسع أيضاً ليشمل صقلية (فى جنوب ايطاليا) وكل بقعة حل بها المسلمون فى أوروبا الغربية ، فهناك المغرب الأفريقى ، وهناك المغرب الأندلسى . ولهذا ، فان كلمة مغرب ، أو مغاربـــة تعنى أيضاً الأندلس وأهله .

ولطول الرسالة رأينا نشرها فى جزءين ، الجزء الأول وتعرض لدراسة الدور السياسى للمغاربة والأندلسيون فى مصر ، من عصر الولاة حتى نهاية الحكم الأخشيدى ، ثم طوال العصر الفاطمى . بينما عنى الجزء الثانى بمعالجة دورهم فى مناحى الحضارة الاخرى

بمصر ، من نظم حكم وادارة ، وقد عالج أيضاً دورهم فى الجوانب الاقتصادية ، والاجتماعية ، وفى العلــوم والفنــون . وقد أنهى الباحث دراسته بخاتمة أكد فيها على استمرار انفتاح المغاربــة على مصر بشكل جعلها بحق « باب المغرب » الى المشرق الاسلامى .

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة المهمة القــارىء المتخصص والقارىء المثقف .

والله ولى التوفيق

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

« المقـــدمة »

أهمية الموضوع مع عرض لاهم مصادر البحث ومراجعه

يتناول البحث الذى نحن بصدده ، دراسة الوجود المغربى فى مصر الاسلامية خلال خمسة قرون ونصف ، وبالتحديد منذ بداية حكم الولاة المسلمين سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) حتى نهاية الدولــة الفاطمية فى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) . وهو فى مجمله ، محاولة قصد بها القاء الضوء على الوجهة المغربية لمصر وبيــان تطــور الأحداث المتعلقة بها . وذلك فى مقابل اتجاه ــ يكاد يكون نمطيا ــ عنى أصحابه بدراسة وجهتها المشرقية ، كامتداد طبيعى لاستمرار ارتباط مصر بمركز الخلافة فى المشرق .

وقد نجزت هذه الدراسة فى قسمين ، يسبقهمــا تمهيــد ، وتليهما خاتمة ثم قائمة بالمصادر والمراجع :

اما التمهيد ، فقد تم خلاله بيان المقصود بلفظ المغــرب ، والمغاربة واسباب وجودهم بمصر ، ولمحة تاريخية عن بدايــة أنفتاحهم على مصر ، والمراحل الزمنية الواجب اتباعها عند دراسة الدور المغربى فى مصر الاسلامية على وجه العموم .

وأما القسمان ، فقد اختص أولهما ــ ببابيه وفصوله الأربعة ــ بدراسة الدور السياسى للمغاربة والأندلسيين فى مصر ، من عصر الولاة حتى نهاية الحكم الاخشيدى ، ثم طوال العصر الفاطمى . بينما عنى القسم الآخر ــ الذى يدور فى بابين وخمسة فصول ــ بمعالجة دورهم فى مناحى الحضارة الأخرى بمصر ، من نظم حكم وادارة وفى الجوانب الاقتصادية ، والاجتماعية وفى العلوم والفنون .

وقد احتوت الخاتمة ، على النتائج التى أمكن التوصل اليها ، والتى كان ابرزها التأكيد على استمرار انفتاح المغاربة على مصر بشكل جعلها بحق « باب المغرب » .

وبالنسبة للمصادر والمراجع التى أمكن الافادة منها ، فيمكن تقسيميها على النحو التالى :

اولا : المصادر الأدبية :

وتأتى فى مقدمتها كتب التاريخ ، المحلى منها بصفة خاصة ، التى اهتمت بدراسة تاريخ مصر والمغرب خلال الفترة موضع الدراسة . ثم كتب الطبقات (التراجم) التى خصصها أصحابها لدراسة سير وأخبار المبرزين من رجال هذه المرحلة الزمنية فى ضروب شتى من المعرفة السائدة آنذاك . وهناك كتب الجغرافية والرحلات ، ذات الفضل فى اعطاء صورة حية عن المكان والزمان اللذين ندرسهما .

١ ــ كتب التاريخ :

اول هذه المجموعة كتاب « فتوح مصر والمغرب والاندلس » لصاحبه عبد الرحمن بن عبد الحكم المصرى (المتوفى سنة ٢٥٧ هـ /

٨٧١ م) ، أحد أفراد أسرة بنى عبد الحكم ذات الباع الطويل فى دراسات الحديث والفقه المالكى بمصر خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين . ويعد هذا الكتاب من أقدم ما وصلنا عن تاريخ مصر الاسلامية . وقد عنى المستشرق تشارلس س . تورى بنشره وتحقيقه فى سنة ١٩٢٠ م (بمطبعة بريل بمدينة ليدن) ، وصدر بعنوان « فتوح مصر وأخبارها » . ثم أعاد الأستاذ عبد المنعم عامر (فى سنة ١٩٦١ م) تحقيق ودراسة الجزء التاريخى من هذا الكتاب ، تحت عنوان « فتوح مصر والمغرب » . وترجع اهمية هذا الكتاب ، بجانب كونه من أقدم ما وصلنا فى هذا المجال ، الى أنه كان يمثل مرحلة هامة من مراحل تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين نحو الاقليمية . وبالنسبة لموضوع البحث ، فتبرز اهمية هذا الكتاب فى أنه أمدنا ببعض المعلومات عن المغاربة المنتشرين فى صحراء مصر الغربية وبخاصة بربر لواتة سكان اقليم برقة وموقفهم من حركة الفتح الاسلامى . كما انه حوى اشارة سريعة الى أول تاريخ رسمى لقدوم جماعة من البربر الى مدينة الفسطاط للتتلمذ على أحد علماء مصر ، وذلك عقب الفتح مباشرة (١) .

ويلى ذلك ، كتاب « فتوح البلدان » لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) . وقد نشر هذا الكتاب عدة مرات اهمها نشرة دى غويه الذى نشره كاملا فى ثلاثة أقسام (من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٦٦ م) . ومنها نشرة الدكتور صلاح الدين المنجد فى ثلاثة أقسام (سنة ١٩٥٦ م) . وهذه الأخيرة كان المعول على قسمها الأول فى ذكر أحداث فتح مصر ، وبخاصة فتح النوبة وعلاقة ذلك بفتح الواحات والتعامل مع القوى اللواتية الموجودة هناك .

ثم كتاب « ولاة مصر وقضاتها » لأبى عمر محمد بن يوسف ابن يعقوب الكندى (ت حوالى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) . وقد قام

على نشر هذا الكتاب ـ بقسميه ـ المستشرق رفن جست (ببيروت سنة ١٩٠٨ م) ، وضم اليه كتاب « رفع الاصر عن قضاة مصر » لابن حجر العسقلانى (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) . وأعاد الدكتور حسين نصار تحقيق القسم الخاص بولاة مصر من الكتاب (فى سنة ١٩٥٩ م) . ورغم أن هذا الكتاب يعد من كتب الطبقات من حيث اختصاصه بالترجمة لولاة مصر وقضاتهما ، الا انه ـ وبخاصة القسم الخاص بالولاة ـ قد احتوى على معلومات على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لموضوع البحث ، سواء فيما يتعلق بالمغاربة المنتشرين فى صحراء مصر الغربية أو الوافدين . مثال ذلك : انه انفرد بذكر الدور الذى لعبه بربر الواحات أثناء ثورة دحية بن مصعب الأموى على الحكم العباسى بمصر (٢) . كما ان الكندى أرخ بدقة لظهور غزاة البحر الاندلسيين أمام ساحل مدينة الاسكندرية على نحو نفى به اللبس الذى علق بهم عن كونهم أهل قرطبة الذين شاركوا فى ثورة الربض الشهيرة بالاندلس (٣) .

وتعد مؤلفات أبى محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق المصرى (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) على جانب كبير من الأهمية ، مثل الجزء الخاص بسيرة خلفاء الإخشيد حتى الفتح الفاطمى لمصر ، والذى جعله ابن زولاق تتمة لكتاب ولاة مصر للكندى الذى كان قد توقف فى تاليفه عند نهاية سيرة محمد بن طغج الإخشيد . وكذلك المؤلف الخاص بأحوال مصر تحت حكم الدولة الإخشيدية ، والذى جعله تحت عنوان « العيون الدعج فى حل دولة بنى طغج » . وهذا البيان الاخير ضمه ابن سعيد الاندلسى (المتوفى سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) فى القسم الخاص بمصر بعنوان الاكليل فى حلى النيل من مؤلفه الكبير « المغرب فى حلى المغرب » الذى قام على نشر الجزء الأول

منه الدكاترة زكى محمد حسن وسيدة اسماعيل كاشف وشوقى ضيف (فى سنة ١٩٥٣ م) . كما أعاد الدكتور حسين نصار نشر الجزء الخاص بالقاهرة ضمن دراسته للقسم الثانى الخاص بمصر من كتاب ابن سعيد ، وجعله تحت عنوان «النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » (سنة ١٩٧٠ م) . وعلى ذكر مؤلف ابن سعيد القيم « المغرب فى حلى المغرب » فقد أفاد الباحث كذلك من تحقيق الدكتور شوقى ضيف للقسم الخاص بالمغرب والاندلس من هذا الكتاب ، والذى صدر فى جزئين (طبعة القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٥٥م) .

وهناك كتاب « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » الذى على الرغم من أنه فى عداد كتب الطبقات والتراجم من حيث اختصاصه بسير آباء الكنيسة المصرية ، الا انه فى مجمله عبارة عن موسوعة شاملة للأحداث المحلية التى شهدتها مصر منذ دخول المسيحية اليها وحتى العصر الحديث . وقد شارك فى تدوين هذه الموسوعة أكثر من واحد من رجال الدين المسيحى المصريين ، غير انها نسبت لساويرس بن المقفع أسقف مدينة الاشمونين من أعمال مصر الوسطى . أما عن ساويرس فقد ولد حوالى سنة ٩١٥ م (٣٠٣ هـ) من والد لقب بالمقفع ومعناه المنكس الراس دائما أو من كانت يده بها رعشة . وكان كاتبا ماهرا فى الدولة الاخشيدية ثم ترك مركزه ليعيش حياة الرهبنة حتى اختير أسقفا لكنيسة الاشمونين . وقد عاصر ساويرس الفتح الفاطمى لمصر ، وكان يحضر مع بطريرك النصارى فى لقاءاته مع الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ووزيره يعقوب بن كلس (٤) . وقد أشار ساويرس الى أنه جمع سير البطاركة السابقين على عصره من مؤلفات كانت موجودة ببعض أديرة مصر ، ثم اضاف اليها تراجم مستفيضة عن الآباء المعاصرين له . ويمتاز مؤلف ساويرس بأنه يبين — منذ فتح العرب لمصر — وجهة نظر المسيحيين والرهبان المصريين نحو الحكومات الاسلامية ،

ونحو اخوانهم من المصريين المسلمين (٥) . وبالنسبة لموضـوع البحث ، فقد أمدنا هذا المصدر بمعلومات دقيقة عن استيلاء غـزاة البحر الاندلسيين على مدينة الاسكندرية وكيفية تعاملهم مع أهالى المدينة (٦) . واسهب كذلك فى الحديث عن المغاربة المنتشرين فى صحراء مصر الغربية وتتبع عمليات الشغب التى قاموا بها ، خاصة فى أرض البحيرة ، منذ القرن الثالث الهجرى (ق ٩ م) حتى احداث الشدة العظمى التى شهدتهـا مصر أثناء خـلافة المستنصر بالله الفاطمى (٧) . وقد صدر هذا الكتاب فى أكثر من طبعة ، منها نشرة المستشرق افتس (Evetts) التى صـدرت بعنوان سير الآبـاء البطاركة أو « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » ضمن مجموعـة (Patrologia Orientalis) أى كتابات « أباء الكنيسة فى الشرق »، وذلك فى الاجزاء التى نشرت من هذه المجموعة بباريس : الجزء الأول سنة ١٩٠٧ ، والجزء الخامس سنة ١٩١٠ ، والجزء العاشر سنة ١٩١٥ . ومن هذه الطبعات كذلك ، نشرة جمعيـة الآثار القبطية بمصر التى صدرت باشراف الأساتذة يسى عبد المسـيح وازولد برمستر والدكتور عزيز سوريال عطية . وهذه النشرة الأخيرة كان المعول على المجلد الثـانى منها بأجزائه الثلاثة (الجزء الأول فى القاهرة سنة ١٩٤٣ ، والثانى ١٩٤٨ ، والثالث ١٩٥٩ م)، والجزء الأول من المجلد الثالث (سنة ١٩٦٨ م) . واخيراً التحقيق الذى قام به الراهب صموئيل السريانى بعنوان « تاريخ البطاركة » فى طبعة خاصة صدرت للدارسين بمعهد الدراسات القبطية بمصر (سنة ١٩٨٤ م) ، واقتصر خلاله على استعراض سير الآباء الأول حتى البطريرك يوسف أويوساب الذى يشغل العدد ٥٢ من آباء الكنيسة المصرية .

وتجدر الاشارة الى كتابين هامين ساهما فى تغطيـة بعض الأحداث السياسية التى شهدتها مصر اخريات العصر الفاطمى ،

أولهما كتاب « الاعتبار » أو حياة اسامة بن منقذ لصاحبه اسامة ابن منقذ الشيزرى (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ثم كتاب « النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية » للشاعر عمارة اليمى (المتوفى بمصر سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) . ووجه الأهمية هنا ، فى ان كلا المؤلفين قد عايش الأحداث المدونة بكتابه عن الأوضاع السياسية المتشابكة خلال الفترة الأخيرة من عمر الدولة الفاطمية ، كما ان الاثنين قد قدر لهما أن يصنعا بعض أحداث هذه الفترة لاسيما فيما يتعلق بالمغاربة الموالين للفاطميين والتيار الآخر من المغاربة المستقرين فى نواحى غرب مصر . وقد قام على نشر كتاب « الاعتبار » الأستاذ فيليب حتى بمطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة ، فى سنة ١٩٣٠ . بينما نشر كتاب « النكت العصرية » بواسطة المستشرق هرتويج درنبرج بمدينة شالون الفرنسية سنة ١٨٩٧ م .

وقد احتلت مؤلفات المقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ /١٤٤١م) اهمية خاصة فى هذا البحث ، لاسيما الموسوعة التى أفردها لتأريخ الوجود الفاطمى بمصر تحت عنوان « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » . وهى الموسوعة التى قام على نشرها فون هيوجو بونز فى سنة ١٩٠٩ م (بمدينة ليبزج) ثم أعقبها نشرة د. جمال الدين الشيال (القاهرة سنة ١٩٤٨ م) . وذلك قبل أن تأخذ شكلها النهائى فى الاجزاء الثلاثة التى أصدرتها لجنة احياء التراث بالقاهرة ، وقد قام د. الشيال باعادة نشر وتحقيق الجزء الاول منها (فى سنة ١٩٦٧ م) وتابع د. محمد حلمى محمد أحمد نشر وتحقيق الجزئين الثانى والثالث (سنتى ١٩٧١ — ١٩٧٢ م) . وهذه الموسوعة بحق عماد ما كتب عن تاريخ مصر الفاطمية ، لأن المقريزى افاد فى كتابتها من المؤلفات السابقة على عهده ، مثل كتاب « أخبار مصر » لصاحبه أبى عبيد الله محمد بن عبيد الله المسبحى

(الذى عاصر كل من الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله وابنه الظاهر لاعزاز دين الله ، وكان مقربا منهما الى حين وفاته) . وهذا الكتاب الأخير كان صاحبه المسبحى قد أفرده لدراسة تاريخ مصر الفاطمية حتى عصره ، ثم فقد فى معظمه وبقى منه فقط الجزء الأربعون المختص بأحداث سنتي ٤١٤ هـ و ٤١٥ هـ . وقد نشره وليم ج ميلورد فى سنة ١٩٨٠ م . ومثل كتاب « أخبار مصر » لمحمد بن على بن يوسف المعروف بابن ميسر (المتوفى سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) الذى وصلنا جزؤه الثانى فقط بتحقيق هنرى ماسيه (مطبوعات المعهد العلمى الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩١٩ م)(٨) .

ومن مؤلفات المقريزى التى لا غنى عنها كذلك ، كتاب « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » المعروف « بالخطط » الذى ظهر فى اكثر من طبعة ، منها الطبعة التى ظهرت بتحقيق د. محمد مصطفى زيادة فى ثلاثة أجزاء (مطبوعات دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ م) . وهو كتاب يعني بدراسة طبوغرافية القاهرة من حارات ودروب وازقة ، مع سرد الأحداث التاريخية الخاصة بكل موضع . ولهذا فقد تعددت جوانب الافادة من هذا المصدر بشكل يصعب حصرها .

هذا بالاضافة الى سلسلة مؤلفات المقريزى الأخرى ، مثل كتاب « اغاثة الأمة بكشف الغمة » الذى القى الضوء على أمور الاقتصاد والمجتمع بمصر من خلال استعراض الازمات الاقتصادية التى ألمت بالبلاد طوال تاريخها الاسلامى حتى زمن المقريزى . وقد قام على نشره د. محمد مصطفى زيادة ود. جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٥٧ م) . وكتاب « البيان والاعراب عما نزل بأرض مصر من الاعراب » الذى تصدى لدراسة القبائل العربية بفروعها المختلفة التى سكنت مصر منذ الفتح الاسلامى . وقد افرد المقريزى — فى هذا المؤلف — قسما خاصا تحدث فيه عن قبائل لواتة وهوارة

البربرية المنتشرين في نواحي غرب مصر باعتبارهم من العرب كما كان شائعا آنذاك ، وحدد أماكن استقرارهم بدقـــة في عمق ديار مصر حتى الصعيد . وقد قام د. عبد المجيد عابدين على نشر هذا الكتاب (سنة ١٩٦١ م) ، والحق به دراسة عن تاريخ العروبـــة في وادى النيل .

ولا شك أن المقريزى قد أفاد عند كتابة مؤلفـــه « البيـــان والإعراب » بما كتبه أبو العباس احمد بن على المعروف بالقلقشندى نسبة الى مدينة قلقشندة من أعمال القليوبية (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) في هذا المجال ، بعنوان « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عـــرب الزمان » وهو الكتاب الذى قام على نشره وتحقيقه الأستاذ ابراهيم الابيارى ضمن مطبوعات دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م .

ويعد كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لصاحبه أبى المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (المتوفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) من المصادر الهامة في تاريخ مصر الاسلامية ، اذ هو عبارة عن دراسة حولية لتاريخ مصر الاسلامية منذ الفتح حتى عصر المؤلف . ولهذا كان عليه المعول في تأكيد بعض الأحداث الخاصة بالدور المغربى في مصر ، والتى وردت متناثرة في بعض المصادر الأخرى السابقة على زمن ابن تغرى بردى . وقـــد تم الاعتماد على النشرة التى أصدرتها دار الكتب المصرية في ١٦ جزءا ابتداء من سنة ١٩٢٩ م . وبخاصة الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ .

وفي مقابل ذلك ، هناك كتاب « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لصاحبه ابن عذارى المراكشى (كان حيا سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) الذى يؤرخ للمغرب والاندلس منذ الفتح العربى حتى أواخر القرن السابع الهجرى (ق ١٣ م) (٩) . وتبرز أهمية هذا

المصدر فى احتوائه على معلومات تتعلق بالوجود المغربى فى مصر خلال العصر الفاطمى بخاصة وذلك على هامش الحديث عن العلاقات فيما بين الفاطميين — بمصر — ونوابهم فى حكم ولاية افريقية ، بنى زيرى الصنهاجيين . مثال ذلك ما اورده ابن عذارى عن اهتمام الخليفة العزيز بالله باحضار بعض فرسان صنهاجة الأشداء الى مصر كى يوازن بهم النفوذ المتزايد للفرق العسكرية المغربية الموجودة بمصر آنذاك (١٠) . وكذلك اشارته الى بعض الممارسات الاقتصادية لاعوان حاكم مدينة المهدية ، وكذا اعوان حاكم مدينة بجاية ، اثناء وجود الفريقين بمدينة الاسكندرية ، واهتمام افراد كل فريق بالعمل لصالح اميرهم على حساب الآخر (١١) . وقد احتل هذا المصدر اهمية خاصة لدى المختصين بدراسة تاريخ المغرب والاندلس ، ولهذا ظهر فى اكثر من نشرة ، كان منها النشرة التى صدرت طبعتها الثانية فى اربعة اجزاء ، فى سنة ١٩٨٠ م (بواسطة دار الثقافة ببيروت) . وقام المستشرقان الفرنسيان ليفى بروفنسال وجورج كولان على نشر الأجزاء الثلاثة الأول عن تاريخ المغرب والاندلس ، كل على حدة ، منذ الفتح الاسلامى حتى قيام دولة المرابطين فى المغرب وعبورهم الى الاندلس . واختتم الدكتور احسان عباس هذه الموسوعة بجزء رابع عن تاريخ المغرب والاندلس اثناء حكم المرابطين .

وهناك كتاب « العبر وديوان المبتدا والخبر » لصاحبه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) الذى يعد اساسا لدراسة تاريخ المغرب ، وبخاصة الاجزاء ٤ ، ٦ ، ٧ التى عالجت الأوضاع الخاصة بقبائل البربر وأماكن استيطانهم ببلاد المغرب، وذكر تاريخهم منذ الفتح العربى . وقد تم الاعتماد على نسخة الكتاب التى طبعت بالقاهرة فى سبعة اجزاء (مطبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م) ، وطبعة أخرى صدرت فى بيروت (دار

الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ م) . أما المقدمة الشهيرة التى جعلها ابن خلدون فاتحة كتابه العبر ــ والتى هى بمثابة الجزء الأول من هذا المؤلف الضخم ــ فقد أفادت فى جوانب شتى من هذا البحث لاسيما فى القاء الضوء على أنواع العلوم والمعارف السائدة آنذاك ، بشكل جعلها مفتاحا للدراسة الثقافية التى حواها هذا البحث . وقد تم الاعتماد فى دراسة هذه المقدمة على التحقيق الذى قام به الدكتور على عبد الواحد وافى ، وظهرت طبعته الثالثة فى ثلاثة أجزاء (دار نهضة مصر بالقاهرة ، سنة ١٩٨١ م) .

٢ ــ كتب الطبقات (التراجم) :

ويأتى على رأس هذه القائمة ، تلك التى اختصت بذكر علماء وفقهاء أهل المغرب والأندلس وأبرزت مختلف الأنشطة التى قاموا بها أثناء خروجهم إلى المشرق لتأدية فريضة الحج . وأولها كتاب « طبقات علماء افريقية » لكل من أبى العرب التميمى (٣٣٣ هـ/٩٤٥ م) ومعاصره الخشنى (٣٦١ هـ/٩٧٧ م) . وقد نشرهما معا الأستاذ محمد بن أبى شنب (الجزائر ١٩١٤ م) فى ستة أجزاء متوالية ، ثلاثة لأبى العرب ، وثلاثة للخشنى ، وألحق بهما جزءا سابعا لأبى العرب باسم « طبقات علماء تونس » ورتب أجزاء هذه المجموعة على التوالى .

وثانيهما كتاب المالكى (توفى بعد سنة ١٠٦١/٤٥٣ م) المسمى « رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم » . وهو يقع فى ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول نشره الدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥١ م) ، ويبدأ بتاريخ الفتح ثم بطبقات الصحابة فالتابعين الذين دخلوا إفريقية . فطبقات

أصحاب مالك بن أنس طبقة اثر طبقة وينتهى بسنة ٣٠٠ هـ(٩١٢م) . والجزء الثانى مازال مخطوطا ، وتوجد منه خمس نسخ بدار الكتب المصرية بأرقام ٧١٦٨ ح ، ٦٣٥٠ ح ، ٩٤٤٦ ح ، ٤٨٥٢ تاريخ ١١٦ تاريخ . أما الجزء الثالث فهو مفقود(١٢) .

وثالثها كتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك » لصاحبه القاضى عياض (٥٤٤ هـ/١١٥٠ م) . وهو مرتب على مقدمة وعشر طبقات . وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى مجلدين بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٣ تاريخ ، وقد تم نسخها بمعرفة دار الكتب فى أربعة مجلدات تحت رقم ٩٦٧٣ ح . وتوجد كذلك نسخة مطبوعة من هذا الكتاب (٤ أجزاء فى مجلدين) نشرها الدكتور أحمد بكير محمود ببيروت (دار مكتبة الحياة سنة ١٩٦٨ م) ، وهى النسخة التى أشار دكتور محمد عبد المولى الى خلوها من تراجم عديدة لاسيما فى الجزء الثالث من المجلد الثانى ، رغم أنها موجودة بالمخطوط(١٣) .

ثم كتاب الدباغ (٦٩٩ هـ/١٢٩٩ م) المسمى « معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان » الذى ذيله وعقب على رواياته ابن ناجى التنوخى القيروانى (٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) . وقد تم الاعتماد على نسخة الكتاب التى صدرت مطبوعة فى ٤ أجزاء بمجلدين ، بواسطة المطبعة العربية التونسية سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) .

وهناك كتب الطبقات التى صنفت تحت عنوان « المكتبة الأندلسية » ونذكر منها : كتاب « أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم » لمؤلف مجهول ، الذى قام على نشره المستشرق الأسبانى امليو لافونتى الكنترا فى سنة ١٨٦٧ م ، واعاد الأستاذ ابراهيم الابيارى تحقيقه فى سنة ١٩٨١ م (دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى) وجعله على رأس

سلسلة المكتبة الأندلسية ، باعتباره — وكتاب « تاريخ افتتاح الأندلس » لابن القوطية — تمهيداً لهذه المجموعة . وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات دقيقة عن قافلة الحج التى ضمت أبا اليسر الرياضى أول جاسوس شيعى حاول ممارسة الدعوة بمصر أثناء حكم الامير أحمد بن طولون ، وكذلك عن رفاقه فى الرحلة الذين أضيروا بسببه(١٤) .

ثم سلسلة علماء الأندلس التى أولها كتاب « تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس » لابن الفرضى (٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م) ، الذى قام السيد عزت العطار الحسينى (فى سنة ١٩٥٤ م) على نشره فى جزئين . وكتاب « الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم » الذى جعله صاحبه ابن بشكوال (٥٧٨ هـ/١١٨٢ م) تتمة لكتاب ابن الفرضى . وقد تم الرجوع الى نسخة « كتاب الصلة » التى قام على نشرها السيد عزت العطار الحسينى فى جزئين (مكتبة المثنى ببغداد والخانجى بالقاهرة سنة ١٩٥٥ م) . وكذلك كتاب « التكملة لكتاب الصلة » لصاحبه ابن الابار (المتوفى سنة ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م) الذى اتم كتاب الصلة لابن بشكوال . وقد قام أيضا على طبع هذا الكتاب السيد عزت العطار الحسينى فى ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٩٥٦ م) .

وعلى ذكر ابن الابار ، فهناك كتابه المسمى « الحلة السيراء » الذى قام على نشره وتحقيقه الدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٦٣ م) . وهو كتاب من نوع التراجم العامة التى افردت للنابهين من اهل الأندلس فى مختلف التخصصات . وقد احتوى الجزء الأول على تراجم أهل المئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، وضم الثانى تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة ومن لم يؤثر عنهم شعر .

والى جانب تكملة ابن الأبار ، هناك أيضا كتاب « صلة الصلة » الذى جعله صاحبه أبو جعفر احمد بن الزبير (المتوفى سنة ٧٠٨ هـ/١٣٠٨ م) ذيلا للصلة البشكوالية فى تراجم أعلام الأندلس . وقد قام المستشرق ليفى بروفنسال على نشر وتحقيق القسم الأخير من هذا الكتاب ، والذى يبدأ بحرف العين وصدر بواسطة معهد العلوم العليا المغربية بالرباط سنة ١٩٣٧ م .

ويعنينا كذلك كتاب الحميدى (المتوفى سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م) « جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس » ، وكتاب الضبى (المتوفى سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م) بعنوان « بغية الملتمس فى تاريخ علماء الأندلس » وكتاب ابن فرحون (٧٩٩ هـ/١٣٩٦ م) المسمى « الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب » الذى ذيله بابا التنبكتى (١٠٣٦ هـ / ١٦٢٧ م) بكتابه « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ، واخيرا كتاب المقرى التلمسانى (١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) المعروف باسم « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » الذى حوى بين أجزائه تراجم عديدة لمن رحل من اهل الأندلس الى المشرق والعكس .

ومن نماذج كتب الطبقات الأخرى التى افادت فى جوانب شتى من هذه الدراسة ، كتاب الزبيدى الاشبيلى (المتوفى سنة ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩ م) المسمى « طبقات النحويين واللغويين » الذى اقتبس القفطى المصرى (٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) معظمه فى كتابه « انباه الرواة على أنباه النحاة » . وكتاب ابن جلجل الأندلسى (مات بعد سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) المعروف باسم « طبقات الأطباء والحكماء » الذى صار عمادا لكتاب ابن أبى أصيبعة (المتوفى سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٧٠ م) المسمى « عيون الانباء فى طبقات الأطباء » . وهناك كتاب ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) « وفيات الأعيان

وأنبـاء أبنـاء الزمـان » الذى لا غنى عنه أبدا لدراسى التـاريخ الاسلامى .

ورغم غرابة المنهج الذى سلكه شمس الدين بن الزيات المصرى (المتوفى سنة ٨١٤ هـ/١٤١١ م) فى تأليف كتابه « الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة » ، فان له أهمية بالنسبة لهذا البحث ؛ اذ انه أثناء استعراضه طبوغرافية منطقة المدافن المحيطة بالفسطاط ــ والمعروفة بالقرافتين الصـغرى والكبرى ــ تعرض باسهاب للحديث عن ذى النون المصرى (رائد علم التصوف بمصر والمدفون بالقرافة الصغرى سنة ٢٤٥ هـ/٨٥٩ م) وذكر نصـا طويلا عن احدى مأثورات ذى النون فى الوعظ . ووجه الأهمية هنا فى ان هذه الموعظـة ـ **والتى لوحظ أنها بمثابة أصـل نظرية ذى النون فى المقامات والأحوال والحب الالهى** ـ قد أكد ابن الزيات أن ذا النون قد أخذها عن استاذه المغربى أبى على شقران (المتوفى حوالى سنة ١٨٦ هـ/٨٠٢ م)(١٥) . وقد تعددت كذلك جوانب الافادة من هذا المصـدر فى أكثر من وجه ، ستتضح كلها على صفحـات القسم الخاص بالعلوم والفنون . وقد تم الرجوع الى نسخة هـذا الكتاب التى ظهرت مطبوعة بالأوفسـت بواسطة مكتبة المثنى ببغداد .

وفى كتابه « غاية النهاية فى طبقات القراء » تفرد ابن الجزرى (المتوفى سنة ٨٣٣ هـ / ٢٩ ــ ١٤٣٠ م) بذكر تراجم للعديد من علماء القراءات والتفسير المغاربة والأندلسيين ، الذين تصادف أن أقاموا بمصر بعض الوقت .

وآخر النماذج التى شـكلت أهمية خاصـة فى هذا البحث من كتب الطبقات ، مؤلفات السيوطى (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) وبخاصة كتاب « حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة » الذى احتوى فى قسم كبير منه على تراجم عديدة للنابهين بمصـر فى كافة التخصصات . وهؤلاء كانوا اما أساتذة لأجيال الوافدين الى مصر

من المغاربة والأندلسيين ، وادا مشـــاركين لهم فى التتلمذ على آخرين ممن تزعموا مدرســـة مصر الاسلامية خــلال تلك الفترة .
وكتاب « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » الذى تفرد بذكر مشاهير علماء اللغـــة فى كـــافة الانحاء ، وعـــد محصـــلة لكتابى « طبقات النحويين » للزبيدى « وانباه الرواة » للقفطى ، مع اضافات اخرى عظيمة القيمة بالنسبة للعصر المملوكى .

٣ ـ كتب الجغــــرافية والرحـــــلات :

واقدم هذه المجموعة بالنسبة للبحث ، كتاب « البلدان » لليعقوبى (المتوفى سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥ م) الذى احتوى على معلومات قيمة عن الســـاحل الشمالى الغربى لمصـــر وســـكانه من العرب والبربر . وقد تم الاعتماد على نسخة الكتاب الملحقة بآخر كتاب الأعـــلاق النفيسة لابن رسته والتى قـــام على نشرها المستشرق دى غويه ضـــمن مجموعة المكتبة الجغـــرافية العربية (المجلد السابع ، ليدن ١٨٩٢ م) .

وكتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة (المتوفى حـــوالى سنة ٣٠٠ هـ/٩١٢ م) ، ثم كتاب الاصطخرى (المتوفى ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) المسمى « مسالك الممالك » الذى طالعه الرحالة والجغرافى ابن حوقل الموصلى (المتوفى سنة ٣٦٧ هـ/٩٧٧ م) واعتمد عليه فى تدوين كتابه « المسالك والممالك » المعروف اكثر باسم « صورة الأرض » . وتبدو اهمية كتاب « صورة الأرض » بالنسبة لهذا البحث فى أكثر من وجه : فمؤلفه ابن حوقل كان معـــاصراً للأحداث التى وردت فى هذا الكتاب . كما أن اشتهاره كأحـــد عيون الدولة الفاطمية جعل كتاباته عن مصر ـ وغيرها ـ تبدو وكأنها تحـــوى رسالة موجهة للحكم الفاطمى . واخيراً ، فان المعلومات التى انفرد ابن حوقل بذكرها فى مؤلفه عن الواحات ، آنذاك ، ومن جكلها

من أفراد أسـرة آل عبدون اللواتيين وعلاقتهم بالسلطة المركزية فى العاصمة وكيفية استقبالهم له أثناء زيارته للمنطقة (حوالى سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م) كل ذلك قد ساهم فى اعطاء صـورة متكاملـة عن اقليم الواحات وعن سكانه سواء فى الناحية السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية وحتى الثقافيـة ونظم الحكم والادارة السائدة خلال هذه الفترة .

ويضارع كتاب ابن حوقل أهمية بالنسبة للجزء الخاص بارض الواحات خلال الفترة موضـع الدراسـة ، ويسبقه فى الترتيب الزمنى كتاب المسـعودى (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) المسمى « مروج الذهب ومعادن الجوهر » . اذ ان المسـعودى ـ بجـانب المعلومات التى أوردها عن اقتصاديات الواحات ـ قد اشار الى اعتلاء أحد اللواتيين ، من غير أسـرة آل عبدون ، حكم الاقليم بشكل أفاد كثيرا فى معالجة الأحداث السياسية التى شهدتهـا المنطقة آنذاك(١٦) .

وهناك كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » للمقدسى البشـارى (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م) الذى زار مصـر والمغرب وكان شـاهد عيان على الأحداث التى حواها مؤلفه . وقد ذكر المقدسى انه تلقى بالفسطاط قواعد القراءات على الأستاذ ابى الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبى نزيل مصر وعالم القراآت بها حتى وفاته فى سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٩ م)(١٧) .

ثم كتاب « المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب » للبكرى الأونبى (٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م) ، وهو جزء من كتاب « المسـالك والممالك » للمؤلف الذى قام على نشـره البارون دى سـلان بالجزائر سنة ١٨٥٧ م . وهو كتاب عظيم القيمة من حيث احتوائه على دراسة وصفية دقيقـة لجغرافية بلاد المغرب واقاليمه ، مع

استعراض الاحداث التاريخية المتعلقة ببعض هذه المواضيع .
وقد ضم هذا الكتاب وصفاً تحليليا لاقليم الواحات بمصر ، والطرق الصحراوية التى تربط بين وحداته مع معلومات غنية عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة هناك . وقد اعتمد البكرى فى ايرادها على روايات المعاصرين له من أهل المغرب والأندلس الذين زاروا المنطقة مثل محمد بن سعيد الازدى الصفاقسى الذى توغل فى ناحية « بهنسة الواح » من أعمال الواحة الداخلة ، وشاهد هناك احتفال النصارى بأحد أعيادهم(١٨) .

وكتاب « الاستبصار فى عجائب الأمصار » لمراكشي مجهول الاسم (وان كان يظن أنه أبو الفضل جعفر بن محمد بن على بن طاهر بن تميم المعروف بابن محشرة ٥٤١ — ٥٩٨ هـ / ١١٤٦ — ١٢٠١ م) . وهو الكتاب الذى جمع مشاهدات صاحبه أثناء مروره بمصر فى طريقه لأداء فريضة الحج . وقد قام الدكتور سعد زغلول عبد الحميد على نشر أحد أجزاء هذا الكتاب الخاص بوصف مكة والمدينة المنورة ومصر وبلاد المغرب (مطبوعات جامعة الاسكندرية سنة ١٩٥٨ م) .

ومن الكتب الجغرافية التى لا غنى عنها لدارسى تاريخ مصر والمغرب خلال العصور الاسلامية ، كتاب الشريف الادريسى (المتوفى سنة ٥٦٤ هـ/٦٨ — ١١٦٩ م) المسمى « نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق » . وهو عبارة عن موسوعة جغرافية فى وصف الأرض أتمها الادريسى فى سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) بناء على طلب رجار الثانى ملك صقلية . وقد عنى المستشرق دى غويه بدراسة هذه الموسوعة واستخرج منها الأجزاء الخاصة بالمغرب والسودان ومصر والأندلس فى كتاب سماه « صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » (مطبوعات مدينة ليدن سنة ١٨٦٤ م) .

ومن كتب الرحلات التى أفاد منها الباحث ، كتاب السفر او « سفرنامة » للرحالة الفارسى الشهير ناصر خسرو (٤٨١ هـ/ ١٠٠٨ م) الذى نقله الى العربية الدكتور يحيى الخشاب (القاهرة ١٩٤٥ م) . ويمتاز هذا المؤلف بأن صاحبه ناصر خسرو كان شاهد عيان على الأحداث التى عاصرها بمصر وقت زيارته لها ، واقامته بها فى ضيافة الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (من سنة ٤٣٩ هـ الى سنة ٤٤٢ هـ/١٠٤٧ - ١٠٥٠ م . غير أن تشيعه للمذهب الفاطمى جعله يبالغ كثيراً فى رواياته عن مدى ثراء مصر الفاطمية وقوتها آنذاك .

وفى مقابل ذلك هناك العديد من الرحالة المغاربة والأندلسيين الذين زاروا مصر فى طريقهم لاداء فريضة الحج ودونوا مشاهداتهم فى مؤلفات حوت الكثير عن الوجود المغربى بمصر آنذاك . ومن اقدم واشهر هؤلاء الرحالة ابن جبير الأندلسى الذى حج على أيام صلاح الدين الأيوبى (عن طريق البحر) لأول مرة ثم اتبع ذلك بحجتين ، زار خلالهما مصر وأقام ببعض مدنها كالاسكندرية والفسطاط . ووصفها وصفا دقيقا يدل على دقة الملاحظة . وفى آخر مرة مات ابن جبير بالاسكندرية سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) ودفن بها .

وبعد ابن جبير ، يأتى العيدرى (رحلته سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م) ، وابن رشيد السبتى الذى رحل الى المشرق سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) وسمى رحلته « ملء العيبة فى ما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة » ، وابن بطوطة (بدء رحلته الى المشرق فى سنة ٧٢٥ هـ والعودة فى سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٢٥ - ١٣٤٩ م) ، ثم البلوى (رحلته فى سنة ٧٣٧ هـ/١٣٣٦ م) وغيرهم ممن تعد مشاهداتهم اساسا لدراسة الوجود المغربى بمصر خلال العصرين الأيوبى والمملوكى .

ثانيا ــ المراجـــــع :

يمكن تصـــنيف هذه القائمة الى مراجع ذات فائدة عامة ، واخرى ذات أهمية خاصة :

ا ــ أما مراجع النوع الأول : فهى الدراسـات والبحوث التى تخصصت فى تاريخ مصر والمغرب خلال الفترة موضـــع الدراسة . وفى مقدمتها مؤلفات د. سيدة اسماعيل كاشف عن تاريخ مصر الاسلامية فى عصر الولاة وفى عصر الاخشيديين . وكتاب المستشرق الفريد بتلر عن « فتح العرب لمصر » الذى ترجمه الى العربية الأستاذ محمد فريد أبو حديد . والدراســـة التى أعدتها د . حورية عبده سـلام عن « علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربى حتى انتقال الفاطميين الى مصر » . وكتابات د . عبد الله خورشيد البرى عن « القبائل العربية فى مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة » « والقرآن وعلومه فى مصر » خلال نفس الفترة .

وكذلك المؤلفات التى عالجت تاريخ الدولة الفاطمية بمصر ، مثل كتابات د . حسن ابراهيم حسن عن « تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب » وعن « الخليفة الفاطمى المعز لدين الله » . وكتاب الدكتور عطية مصطفى مشرفة عن « نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين » . ثم مجموعة الدكتور عبد المنعم ماجد عن « نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر » « والامام المستنصر بالله » وكتاب « الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه » الذى كتبه د . ماجد ردا على كتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان عن « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » . وأيضا مؤلفات الدكتور جمال الدين سرور التى منها « الدولة الفاطمية فى مصر » و « سياسة الفاطميين الخارجية » .

ثم مجموعة الكتب التى أفردت لدراسة الأدب بمصر ، والتى منها كتاب الدكتور محمد كامل حسين عن « أدب مصر الفاطمية » وكتاب الدكتور عبد اللطيف حمزة عن « الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول » ، وكتاب « الأدب العامى فى مصر فى العصر المملوكى » لأحمد صادق الجمال ودراسة الأستاذ عبده اسماعيل الطهطاوى عن « اللغة العربية فى مصر من الفتح العربى حتى أواخر القرن السادس الهجرى » ، ورسالة الدكتوراه التى قدمتها د . سهام مصطفى أبو زيد عن « الدعوة الاسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر » .

ومن مراجع هذا النوع ، ذات الفائدة العامة بالنسبة للبحث ، تلك التى عالجت تاريخ المغرب الاسلامى ، مثل كتابات الدكتور حسين مؤنس عن « فتح العرب للمغرب » و «فجر الأندلس» و«معالم تاريخ المغرب والاندلس » والدكتور سعد زغلول عبد الحميد عن « تاريخ المغرب العربى » والدكتور أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ومقاله عن « سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس » . والدكتور محمود على مكى فى مقاله عن « التشيع فى الاندلس » . والدكتور السيد عبد العزيز سالم « تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى » « وتاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس » . والدراسة التى قام بها الدكتور محمد أحمد عبد المولى فى حلقتين عن القوى السنية فى المغرب منذ الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية ، ومن قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيرية . وأيضا : دراسات الدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق عن دولة الاغالبة وسياستهم الخارجية ، والاستاذ صالح مصطفى مفتاح عن برقة وطرابلس من الفتح العربى حتى انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر . والاستاذ محمد على دبوز عن تاريخ المغرب الكبير فى عصوره المختلفة ، والاستاذ أحمد صفر عن مدنية المغرب العربى فى التاريخ . وكتابات بعض

المستشرقين عن المغرب والأندلس ، مثل مؤلف الأستاذ آنخل جنثاليث بالنثيا عن « تاريخ الفكر الأندلسى » ، « وتاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين » للمؤرخ الألمانى يوسف أشباخ ، « والإسلام فى المغرب والاندلس » للأستاذ ليفى بروفنسال ، و « الفن الاسلامى فى أسبانيا » للأستاذ مانويل جوميث مورينو .

٢ ـ أما الدراسات والأبحاث التى شكلت أهمية خاصة بالنسبة لهذا البحث ، ففى مقدمتها كتب الفنون بصفة عامة مثل مجموعة الدكتور زكى محمد حسن التى منها « فنون الاسلام » وكتابات الدكتور احمد فكرى عن فنون البناء والزخرفة ، مثل موسوعة مساجد القاهرة ومدارسها (بأجزائها الثلاثة) ومقالة عن العمارة فى الاندلس . وكتاب « فى مصر الاسلامية » الذى قام على اخراجه د . زكى محمد حسن وآخرون . وموسوعة « القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها » التى شارك فى تأليفها د . حسن الباشا وآخرون . وكتابات الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق عن « الفنون الزخرفية فى مصر قبل الفاطميين » وعن « الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس » ، وكتاب الدكتور فريد شافعى عن « العمارة الاسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها » .

وقد احتوت قائمة كتب الفنون على مقالات وبحوث غاية فى الأهمية بالنسبة للبحث ، منها : مقال الأستاذ حسن عبد الوهاب عن « الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة » . والبحثان اللذان نشرهما الدكتور فريد شافعى باللغة الانجليزية بعنوان :
West Islamic Influences on Architecture in Egypt. And An early Fatimid mihrab in the mosque of Ibn Tulun.

ثم مجموعة أبحاث الدكتور السيد عبد العزيز سـالم عن « المآذن المصرية » وعن « التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الاسلامية » ودراسته عن «العمارة الاسلامية فى الأندلس وتطورها» وكذلك البحث الذى صدر له باللغة الإسبانية بعنوان :

De nuevo sobre la influencia de al-Andalus en el arte musulman de Egipto.

ووجه الأهمية بالنسبة لهذه المقالات والدراسـات ، انها عالجت بتفصيل دقيق الجزء الخاص بالدور الذى لعبه المغاربـة والأندلسيون بمصر فى مجالات فنون البناء والزخرفة .

وهنـاك ايضا الدراسـات المتعلقة بدور المغاربة والأندلسيين عامة ـ واليهود منهم بصفة خاصة ـ فى تجارة الكارم العـالمية فيما بين الشـرق والغرب . وهى الدراسـات التى ألقت الضوء على وجود بعض هؤلاء التجار فى مصر . وأهم هـذه الدراسـات مجموعة أبحاث المستشرق جوايتيين (Goitein S.D.) عن وثائق الجنيزة . وهى وثائق خطية كثيرة وجدت فى منطقة مصر القديمة ، وعرفت لعلماء الغرب فى القرن التاسـع عشر ووزعت على مكتبات أوروبا . وكلمة جنيزة (Geniza) عبرية مشـتقة من الكلمة الفارسـية (جنك) بمعنى خزانة . وكانت هذه الوثائق ـ قبل اكتشـافها ـ محفوظة فى حجرة خصصت للأوراق المهملة التى ورد فيها اسم الله حتى لا يدنس . وذلك فى المعبد اليهودى بالفسطاط ، ووجد بعض آخر من هذه الوثائق فى جبانة البسـاتين القريبة من المعبد ، وأطلق على المجموعتين اسم وثائق جنيزة القاهرة . ويرجع تاريخ معظم هذه الوثائق ـ التى تتكون فى غالبيتها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم ـ الى القرنين الرابع والسابع الهجريين، وقليل منها يرجع الى فترة متقدمة من القرن الرابع الهجرى . ومن الصعوبة بمكان تقدير العدد الحقيقى لوثائق الجنيزة ذات الصفة

الوثائقية ، وان كان من المحتمل ان يبلغ عددها حوالى ١٠ آلاف وثيقة . منها حوالى ٧ آلاف وثيقة كاملة الى حد ما ، نستطيع أن نعتبرها وثائق تاريخية . وقد كتبت غالبية هذه الأوراق باللغة العربية، ولكن بحروف عبرية . وهى تعكس لنا الحالة الاجتماعية والاقتصادية لبلدان البحر المتوسط والمشرق ، اذ تحوى خطابات وقوائم حسابات ، وموارد مالية وضرائبية متنوعة ، وايجارات دور وحوانيت ، واثمان سلع ومتاجر مختلفة ، وسجلات قضائية وإيصالات وعقود وايجارات وزواج وطلاق ورهن وقرض ومقايضة ومشاركة ، ووصايا وهبات وعتق ، وفتاوى فقهية ، ووصفات علاجية طبية وسحر وشعوذة . ولا يوجد اختلاف كبير بين وثيقة تجارية أو رسالة شخصية ، ففى رسائل التهنئة أو التعزية نجد فقرات كثيرة خاصة بامور مالية أو اخبار عائلية أو نصائح وتعليمات متنوعة(١٩) . وقد قام الاستاذ جوايتيين بدراسات كثيرة على هذه الوثائق ووضع لها مفتاحا فى كتابه :

(Atentative bibliography of Geniza Documents, Paris, 1964).

ومن هذه الأبحاث ، مقال
From the mediterranean to India
المنشور فى مجلة (Speculum) عدد ٢٩ أبريل ١٩٥٤ ، رقم ٢ جزء ١ . ومقال :

Letters and Documents on the India trade In the Medieval times

المنشور فى مجلة (I.C.) جزء ٣٧ رقم ٣ ، شهر يولية ١٩٦٣ . وكتابه Studies in Islamic History and Institutions المنشور فى ليدن ١٩٦٨ ، وهو الكتاب الذى قام الدكتور عطية القوصى على

ترجمته بعنوان : « دراسات فى التاريخ الاسلامى والنظم الاسلامية» (الكويت ١٩٨٠) وكتاب
A mediterranean Society of the High Middle Ages
الذى صدر فى أربعة أجزاء (نيويورك ١٩٦٧ م) .

وكذلك كتاب الأستاذ لين بول (Lane-Poole Stanley) عن قائمة العملات العربية الأثرية المحفوظة بالمكتبة الخديوية بالقاهرة بعنوان :
(Catalogue of the Collection of Arabic Coins)
(لندن ١٨٩٧ م) . فقد حوى بعض الاشارات عن عملات عثر عليها فى مصر ، يرجع تاريخها الى سنوات ٢٠٠ هـ — ٢٠٥ هـ (٨١٥ — ٨٢٠ م) ، وقد ضرب عليها عبارات « مصر — المغرب » بما يدل على نشاط حركة التجارة فيما بين الاقليمين آنذاك .

وأخيرا ، هناك بعض المقالات ذات الأهمية البالغة فى معالجة بعض جوانب البحث الذى نحن بصدده ، منها : الدراسة التى قام بها الدكتور أحمد مختار العبادى عن « دور المغاربة فى الحروب الصليبية فى المشرق العربى » وهو ما يخدم الدور المغربى فى عصور الأيوبيين والمماليك . ومقال الدكتور سعد زغلول عبد الحميد عن « الأثر المغربى والاندلسى فى المجتمع السكندرى » الذى أفاد فى جوانب كثيرة من منهجيات البحث ، لاسيما فيما يتعلق بالمراحل الزمنية الثلاث الواجب اتباعها عند دراسة الدور المغربى فى مصر على وجه العموم . هذا غير متفرقات أخرى عديدة أفادت فى القاء الضوء على الدور المغربى بمصر من جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهناك أيضا الدراسة التى قام بها

الدكتور محمد عيسى الحريرى عن « بعض علماء الاندلس فى مصر » التى صدرت ضمن ندوة التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة (المجلد الثانى ١٩٨٢ م) . ودراسة الدكتور محمد بركات البيلى عن « مدرسة مصر الدينية وصلتها بالأندلس » ومقال « جمهورية اندلسية بالاسكندرية » للأستاذ صديق شيبوب الذى عد من اقدم الدراسات التى عالجت بعض مظاهر الوجود المغربى الاندلسى فى مصر .

الهـــــوامش

(١) انظر فى ذلك : ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق تشارلس س . نورى ، مطبعة بريل ، ايدن ١٩٢٠ م ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ وملاحظة رقم ١٨ للمحقق .

(٢) الكندى : ولاة مصر ، تحقيق د. حسين نصار ، بيروت ١٩٥٩ صفحة ١٥٣ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٨٣ . وسيلى تفصيل ذلك فى موضعه .

(٤) انظر فى ذلك : مقدمة تحقيق « تاريخ البطاركة » للأنبا ساويرس ، اعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانى . مطبوعات معهد الدراسات القبطية بمصر سنة ١٩٨٤ ، ص ٤ .

(٥) د. سيدة اسماعيل كاشف : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس ابن المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومى ، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد التاسع والعاشر ، سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ، صفحة ١٠ وما بعدها .

(٦) ساويرس : تاريخ البطاركة (تحقيق صموئيل السريانى) ، ص ٢١٢ وما بعدها .

(٧) المصدر نفسه : ص ٢٥٣ . وراجع : د. سيدة كاشف : المرجع السابق ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٨) انظر فى ذلك آخر كتاب اخبار مصر لابن ميسر ، حيث توقيع المقريزى بما يفيد انه هو الذى نسخ الكتاب .

(٩) راجع الدراسة الببليوجرافية القيمة عن هذا الكتاب ، عند : دكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، مؤسسة شباب

الجامعة بالاسكندرية ، سنة ١٩٨٢ ، ص ١٤ ـ ١٧ ، ودكتور محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيرية ، جزآن ، ط ١ ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ٢٤ ـ ٣١ ٠

(١٠) انظر فى ذلك : ابن عذارى : البيان المغرب ، ح ١ تحقيق ليفى بروفنسال وجورج كولان طبعة ٢ ، دار الثقافة بيروت ، سنة ١٩٨٠ ، صفحة ٢٣٨ ٠

(١١) المصدر نفسه والجزء : ص ٣١٢ ـ ٣١٣ ٠

(١٢) د٠ محمد عبد المولى : القوى السنية ، ج ١ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ٠

(١٣) المرجع نفسه والجزء ، ص ٤٥ ، وانظر هامش رقم (٣) الموجود بصفحة ٤٥ ـ ٤٦ حيث نماذج لهذه التراجم التى خلا منها الكتاب المطبوع ٠

(١٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى ، سنة ١٩٨١ ، ص ١٢٩ ـ ١٣١ ٠

(١٥) انظر فى ذلك : ابن الزيات : الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، مكتبة المثنى ببغداد (د ٠ ت ٠) ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ ٠

(١٦) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، أربعة أجزاء ، الطبعة الرابعة ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٦٤ ، ج ٢ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ٠

(١٧) انظر فى ذلك : المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق دى غويه ، مطبعة بريل بليدن ، سنة ١٩٠٦ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

(١٨) راجع : البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر البارون دى سلان الجزائر سنة ١٨٥٧ م ، ص ١٤ ـ ١٥ ٠

(١٩) عن ذلك راجع : د٠ عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٤ ـ ١٥ هامش رقم (١) ، ود٠ حسنين محمد ربيع : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ، مقال فى موسوعة دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول « مصادر تاريخ الجزيرة العربية » ، الجزء الثانى ، الرياض ١٩٧٩ ، ص ١٣٢ ـ ١٤٤ ٠

« المدخـــل »

الوجود المغربى فى مصر واسبابه

أولا : التعريف بالمغرب :

ـ اقســـــامه

ـ ســـــكانه

ثانيا : ماهية الوجود المغربى فى مصر

ثالثا : أسباب الوجود المغربى فى مصر

رابعا : تاريخ الوجود المغربى فى مصر :

ـ قبل الفتح الاسلامى

ـ مراحله الزمنية

اولا — التعريف بالمغرب :

يطلق لفظ المغرب فى العصر الاسلامى على الجناح الغربى لدولة الاسلام بالمقابلة بالمشرق . ويشمل كل ما يلى مصر غربا ، حتى المحيط الأطلسى . وتنتظمه اربعة اقسام سياسية ، هى برقة وطرابلس ، ثم المغرب الادنى أو افريقية ، ثم المغرب الاوسط ، فالمغرب الاقصى . ويتمثل هذا التقسيم حاليا فى دول : ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمملكة المغربية ، وموريتانيا .

ويتسع مدلول لفظ المغرب عند كتاب المسلمين ليشمل كذلك الاندلس (أسبانيا والبرتغال حاليا) ، قبل انفصاله عن حكم الاسلام . وقد يتسع ايضا ليشمل صقلية (فى جنوب ايطاليا) وكل بقعة حل بها المسلمون فى أوروبا الغربية ، فهناك المغرب الإفريقى ، وهناك المغرب الاندلسى . ولهذا ، فان كلمة مغرب ، أو مغاربة تعنى ايضا الأندلس وأهله(1) .

وبالنسبة لاقليمى برقة وطرابلس ، فقد كان كل منهما منفصل سياسيا عن الآخر ، اذ كانت برقة تابعة لمصر ، أما طرابلس فكانت أحيانا تدخل فى نطاق المغرب الأدنى وأحيانا أخرى مستقلة . وأما المغرب الأدنى (أو افريقية) ، فكانت قاعدته مدينة القيروان ، وسمى أدنى لقربه من بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز والشام . وكان يمتد من طرابلس شرقا حتى بجاية أو تاهرت غربا . وقاعدة المغرب الأوسط تلمسان ، ويمتد من تاهرت حتى وادى ملوية وجبال تازا غربا . وكان المغرب الأقصى يمتد من وادى ملوية

وجبال تازا شـرقا الى البحر المحيط (المحيط الأطلسى) غربا ، ومن البحر الرومى (المتوسط) شمالا الى جبال درن جنوبـا . وقاعـدته مدينـة فاس ثم مراكش . وقد سـمى أقصى لأنه أبعد الأقسـام السياسـية للمغرب الافريقي عن دار الخـلافة . أما الاندلس ، فيضـم اجزاء كبيرة من شـبه جزيرة ايبيريا والجزر الشـرقية المواجهة لها والمعروفة حاليا بجزر البليار ، وهى : ميورقة ، ومنورقة ، ويابسة(٢) .

هذا الاتجاه فى فهم مدلول لفظ المغرب ، اتجـاه قـديم عند الجغرافيين المسلمين . ففى القرن الرابع الهجرى (١٠ م) نجد ابن حوقل يجعل حدود المغرب من مصر الى طنجة(٣) . والمقدسى يجعلها من مصر الى السوس الأقصى وجزيرة صقلية والأندلس(٤) . والغالب أن السبب فى جعل مصر من المغرب ، هو أن المغرب ــ ابان فترة الفتح ــ كان تابعا لوالى مصر ، كما كانت الاندلس تابعة لوالى مصر فى عصر الولاة . وبالمثل ، فان سبب اضـافة صقلية الى المغرب هو فتحها أيام الأغالبة أوائل القرن الثالث الهجرى (٩ م) وتبعيتها لولايتهم ثم لولاية الفاطميين من بعدهم(٥) .

وقد اسـتمر رأى المقدسى ، هو المعمول به حتى زمن ابن سعيد الاندلسى فى القرن السابع الهجرى (١٣ م) الذى كان يرى أن مصـر من المغرب(٦) . وفى القرن الثامن الهجرى وأوائل تاليه (٩ هـ/١٥ م) سـلخ ابن خلدون مصر وبرقة والأندلس وصقلية ، من المغرب ، بعد ان سقطت صقلية فى أيدى النورمان (٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م) ، وآذنت شمس الاسلام فى الاندلس بمغيب . وذكر ان العرف الجارى ــ فى زمنه ــ بالنسبة لمفهوم المغرب « لا يدخل فيه مصر ولا برقة وانما يختص بطرابلس وما وراءها الى جهة المغرب »(٧) .

وقبل قدوم العرب الى المغرب ، كان سكانه ينقسمون الى ثلاث طوائف ، هى : **الروم البيزنطيون ، والآفارق أو الأفارقة** (وهم أخلاط المستعمرين القدامى من أغريق وفينيقيين وروما‌ن ووندال ، مع من دخل في خدمتهم من أهل البلاد الأصليين) ، **والبربر** سكان البلاد الوطنيون(٨) .

أما البربر ، فقد عرفهم العرب بهذا الاسم من خلال الروم البيزنطيين غير أنهم لم يقصدوا المعنى الجارح لهذه التسمية ، والذى يعنى الشعوب الجاهلية أو الهمجية ، على اعتبار أنهم خارجون عن نطاق الحضارة الرومانية . ولكن قصدوا المعنى الآخر الذى يمجد مقاومة أهل المغرب للحكم الرومانى وعدم انصياعهم للحضارة الرومانية(٩) . وبعيدا عن اختلاف النسابة والمؤرخين في تحديد أصول البربر ، يمكن القول بأنهم - « أمة عظيمة قد ملأت ما بين برقة والبحر المحيط (الاطلسى) شرقا وغربا ، وما بين بلاد السودان والبحر الرومى (المتوسط) جنوبا وشمالا »(١٠) .

ويفترق البربر - اجتماعيا - الى مجموعتين : بربر البرانس (نسبة الى برنس بن بر) وهم سكان المدر أو الحضر ، والبربر البتر (نسبة الى مادغيس الأبتر) وهم سكان الوبر أو البادية .

(أ) ويضم البربر البرانس عشر قبائل ، وهى أوربة ، وصنهاجة ، وكتامة ، ومصمودة ، وعجيسة ، وأوريغة ، وازداجة ، ولمطة ، وهسكورة ، وجزولة (كزولة) . وتنقسم هذه الأصول الكبيرة الى فروع صغيرة ، فمن **صنهاجة** : بلكانة ، ما بين المغرب الأوسط وافريقية وهم أهل مدر ، ولمتونة ، ومسوفة ، وجدالة (كدالة) بالصحراء وهم أهل وبر . والى بلكانة ينتسب بنوزيرى ، والى لمتونة ينتسب الملثمون (المرابطون) . ومن **كتامة** : التى

امتدت ديارها من حدود جبل اوراس جنوبا الى ساحل البحر ما بين بجانة وبونة (عنابة حاليا) شمالا : ملوسة ، واجانة ، وفشمان (غسمان) ، ولطاية (أطاية أو لطانة) ، ومسالتة ، ولهيصة ، وجميلة (جيملة) . ومن أفخاذها المشهورة : بنوسكتان ، وملوسة ، ودنهاجة (ديهاجة) ، ومعاذ . ومن صمودة : غمارة فى منطقة الريف ، وبرغواطة فى منطقة تامسنا ، ودكالة جنوبى وادى أم الربيع ، ورجراجة على وادى تنسيفت ، واهل جبل درن اصحاب الموحدين وهم : هنتانة ، وتينمل ، وهرغة ، وكنفيسة ، وكدميوه ، وهزوجة ، ووريكة ايلان (ويقال لها ايضا هيلانة) وهزميرة ، وغيرهم . **ومن اوريغة** : هوارة .

(ب) ويضم البربر البتر اربع قبائل ، هى : ضريسة (ضرى) ، ونفوسة ، واداسة ، وبنولواى (لواتة) . وتنقسم هذه الأصول الكبيرة ايضا الى فروع صغيرة : **فمن ضريسة** : مكناسة ، وزناتة ، وزواوة ، وتمزيت . ومن مكناسة : بنو مدرار ، وبنو ابى العافية . ومن زناتة : جراوة ، ومغراوة ، وبنو يفرن ،وبنو مدين . ومن بطون زناتة كذلك : بنو وطاس ، وبنو زيان ، وكومية . ومن تمزيت : مطماطة ، ومطغرة (مدغرة ، ومضغرة أيضا) ، وصدينة ، ومغيلة ، وملزوزة ، ومديونة . **ومن لواته** : مزاتة ، وسدراتة ، ونفزاو (نفزة) . ومن نفزاو : سماتة (تكتب سوماتة ، وسماطة) ، وورغجومة .

وقد انتشرت هذه القبائل البترية فى السهول المرتفعة والمنخفضة وعلى الهضاب الممتدة من طرابلس الى تازا . كما سكنت فى اقاليم النخيل الممتدة من غدامس الى السوس الأقصى، وكان أفرادها يؤلفون اغلبية سكان القرى الصحراوية . وكذلك توجد بطون بترية فى اقاليم التل قرب طرابلس ، وفى داخل سهول افريقية ، وعلى سفوح جبل أوراس . فقبيلة نفوسه كانت تنزل

بجبل نفوسة الواقع جنوب طرابلس ، ونزلت مطماطة فى اقليم الجريد بتونس ، وزنانة فى المغرب الأوسط وعلى سفوح أوراس(١١) .

وقد عاش **سكان الأندلس** ـ قبل الفتح ـ فى شكل طبقات ثلاثة هى : الطبقة العليا المكونة من الملك والنبلاء وهم من القوط الغربيين الذين هاجروا الى شبه الجزيرة فى القرن الخامس الميلادى . ومن انضم اليهم من النبلاء الرومان . والطبقة الدنيا وهى خليط من السكان القدامى لشبه الجزيرة الأيبيرية من الكلت ، والأيبيريين ، والفينيقيين الذين كانوا يؤلفون السواد الأعظم من الشعب الاسبانى آنذاك . الى جانب طبقة رجال الدين والتجار والزراع وصغار الملاك الذين كانوا يمثلون الطبقة الوسطى فى المجتمع الاسبانى قبل الفتح الاسلامى . وقد أقام اليهود فى شكل طبقة كبيرة العدد وسيطر افرادها على الاقتصاد الأسبانى قبل الفتح(١٢) .

ونتج عن دخول المسلمين العرب للمغرب والأندلس أن تغيرت الخريطة الثقافية والاجتماعية للمنطقة ، بمعنى أن تلك البلاد قد اصطبغت بالصبغة الاسلامية العربية . وقد أوجز الدكتور مؤنس فى وصف تلك النقلة ، فقال : « ان الكثير من سكان المنطقة قد اسلموا وانضموا الى جيوش الاسلام وأصبحت لهم بذلك كل حقوق العرب المجاهدين فى سبيل الاسلام . وانتقلت الى المغرب جماعات من العرب ، واستقرت فى نواحيها واختلطت بأهلها وصاهرتها . وبدأت تظهر أجيال مسلمة من المستعربين (أو المولدين) ، تتطلع الى أن يكون لها نصيب فى ادارة البلاد . ثم ان العرب شرعوا فى اتخاذ قواعد اسلامية فى المناطق التى فتحوها ، تحولت فيما بعد الى مراكز اشعاع اسلامى (مثل القيروان وقرطبة) وقامت فى مساجدها حلقات الدراسات الاسلامية . وبدأ الجو الثقافى العام فى البلاد يتغير بتأثير الاسلام

والعربية . وقد كانت هذه القواعد الاســلامية بتنظيماتها المدنية والاجتماعية الجديدة نقطة بداية لتغير عام فى أوضاع المدن المغربية كلها . فهذه البلاد لم تعرف قبل العرب الا المدن الاغريقية والرومانية والقرى البربرية التى تتكدس فيها المبانى . ولما جاء العرب بهذا الطراز الجديد من المدن الاسلامية ، اخذت الكثير من قرى المغرب تتحول الى مدن اسلامية ذات جاليات عربية وجماعات اســلامية ، ومساجد ومكاتب لتدريس العربية ونشر قواعد الاسلام »(١٣) .

وكانت النتيجة أن ظهرت أجيال من العرب البلديين من نسل الفاتحين أثرت بغير شـك فى سـكان هذه البلاد وتأثرت بهم ، حتى ان قبائل البربر - على سـبيل المثـال - « نسـوا رطانة الأعاجم ، وتكلموا بلغات (كذا بالنص) العرب ، وتحلوا بشعارهم فى جميع أحوالهم »(١٤) .

ثانياً - ماهية الوجود المغربى فى مصر :

نعنى بالوجود المغربى فى مصر ، كل من قدر له أن يوجد فى مصر - خلال الفترة موضع الدراسة - من سكان المغرب الاسلامى بوحداته السياسية المعروفة آنذاك . وهؤلاء قد انتظمتهم تيارات ثلاث ، سبق بعضها بعضا فى الظهور بمصر ، وطغى بعضها على بعض ثم عاد الى انحساره مرة أخرى .

وتتمثل هذه التيارات فيما يعرف بجماعات المغاربة المستقرين فى نواحى غرب مصر (فى البحيرة وبرقة والواحات) ، وجمـوع المغاربة المصاحبين للوجود الفاطمى بمصر من فروع قبائل البربر المختلفة ، وأخيراً جماعات الحجاج والدارسين وأصحاب الحـرف المغاربة والأندلسيين ، الذين استمروا فى الوفود الى مصر طوال العصور الوسطى الاسلامية وحتى يومنا هذا .

١ ـ المغاربة المستقرون فى نواحى غرب مصر :

وهم من فروع لواتة وهوارة وزناتة ونفوسة الذين كانت لهم الغلبة العددية فى منطقة الحدود الغربية لمصر مع ليبيا ، سـواء فى برقة وعلى طول الســاحل الشــمالى الغربى لمصر حتى أرض البحيرة ، أم فى الواحات . وساعد على ذلك تداخل الحدود فيما بين أراضى المنطقة التى امتدت بشــكل طبيعى دونما فواصـل أو عقبات . ولا ننسى أن أرض برقة كانت تعد امتدادا جيويا لديار مصر ، وغدا فتحهـا ـ هى وطرابلس ـ على يد عمرو بن العاص من الأعمال المتممة للفتح الاسلامى فى مصر(١٥) .

ـ ففى اقليم برقة وحتى مدينة تاورغة ـ آخـر حـد برقة غربا ـ استقرت قبيلة لواته البترية بأعداد كبيرة جعلت من هذه المنطقة فعلا ، « أول المغرب » . رغم تبعيتها الادارية لمصر(١٦) . والى جانب فروع لواته عاشت فروع أخرى من قبيلة هوارة ، مثل بنى خطاب ملوك زويلة ـ احدى ضـواحى برقة ـ ومن قبيلة نفوسة التى استقرت بعض بطونها فى مدينة صغيرة « كانت هنالك قبل الفتح »(١٧) .

ـ وقد انتشـرت كذلك فروع قبيلة لواتة على طول الساحل الشــمالى الغربى لمصر حتى مشــارف الاسكندرية : فحول مدينة الحنية نزل « قوم من مزاتة ولواتة »(١٨) . وفى المنطقة المعروفة بخرائب القوم استقر من « قبائل لواته نحو الف بيت »(١٩) . وفى كورتى لوبية ومراقية ـ اللتين كانتا تشـغلان القسم الشـرقى لإقليم برقة ـ استقرت فروع لواتة من « مزاتة ، وماصلة ، وزنارة ومصعوبة ، ومراوة ، ومطيطة ، ومفرطة ، وزكودة »(٢٠) .

ـ ولعلها كذلك كانت من فروع لواته ، تلك التجمعـــات البربرية التى استقرت فى ناحية البحيرة خلال القرن الثالث الهجرى (ق ٩ م) ، وأكد الكندى انها كانت لها الغلبة العددية بين سكان تلك الناحية آنذاك(٢١) .

ـ اما فى الواحات فقد اشار ابن حوقل صــراحة الى انها كانت « مذ أول ما فتحها المسلمون فى أيدى آل عبدون ، ومرجعهم الى حى من لواتة قبيل من البربر ملوك هذه الناحية »(٢٢) . وقد تعدى نفوذ هذه القبيلة كل التقسيمات الادارية لاقليم الواحات ، مثل الواحة الداخلة ، والواحة الخارجة وواحة الفرفرون (الفرافرة حاليا) ، وبهنسة الواح ـ وهى غير مدينة البهنسة بصعيد مصر ـ وواحة سنترية (سيوة حاليا)(٢٣) .

٢ ـ جموع المغاربة المصاحبين للوجود الفاطمى فى مصر :

كان للفاطميين اثر لا ينكر فى هجرة أعداد كثيرة من قبائل البربر الى مصر . ذلك انهم اعتمدوا فى تأسيس دولتهم بالمغرب على هؤلاء البربر ، وبخاصـــة كتامة البرانسية . فكان من الطبيعى ان تنتقل جموع منهم الى مصر بانتقال الفاطميين اليها . وهؤلاء كانوا من الكثرة بحيث شــكلوا مجتمعا جديدا حظى افراده بكافة الامتيازات التى اهلتهم للعب الدور الأول على مسرح الأحداث خلال فترات طويلة من عمر الخلافة الفاطمية بمصر .

٣ ـ جماعات الحجـاج والدارسـين ، وأصحاب الحرف المغاربـة والأندلسـيين :

وهؤلاء يعزى وجودهم فى مصر الاسلامية الى نجاح الفاتحين من المسلمين العرب فى الامتزاج بسكـان المغـرب والأنـدلس وتعريبهم ثقافيا ، أو ما عرف بالفتح الحضـارى لنواحى المغرب

والاندلس . وهم كانوا من الكثرة بحيث يصعب حصرهم وكذا أماكن استقرارهم بمصر . ويكفى القول بأن جميع مدن مصر وقراها كانت تشهد ـ فى جميع الأوقات ـ واحدا أو أكثر من هؤلاء الوافدين الذين شاركوا أيضا فى شتى مناحى الحياة بمصر .

ثالثا ـ اسباب الوجود المغربى فى مصر :

١ ـ أسباب جغرافية :

تتمثل فى وحدة امتداد صحراء مصر الغربية مع الأراضى الليبية دونما فواصل أو عقبات ، والتى كانت سببا فى تداخل مناطق سكنى فروع لواتة وهوارة وزنانة ونفوسة هنا وهناك . وذلك « منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها » حسب تعبير ابن خلدون(٢٤) .

٢ ـ اسباب سياسية :

اذ نتج عن اضطراب الأوضاع السياسية فى المغرب الاسلامى ان شهدت مصر هجرات فردية أو جماعية على حد سواء من المغرب أو الاندلس :

ـ فكان استيلاء البحريين الاندلسيين على مدينة الاسكندرية (٢٠٠ ـ ٢١٢ هـ/٨١٥ ـ ٨٢٧ م) حلقة من حلقات الصراع البحرى من أجل السيطرة على الحوض الشرقى للبحر المتوسط بين البحرية الاندلسية الناشئة وبين البحرية البيزنطية(٢٥) .

ـ ولجأ الأمير زيادة الله الثالث ، آخر حكام الأغالبة فى افريقية ، الى مصر ببقايا جنده سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) ، فرارا من زحف الفاطميين على القيروان ، عاصمة الدولة الأغلبية(٢٦) .

ـــ وصحب انتقال الفاطميين الى مصر سنة ٣٥٨ هـ(٩٦٩ م) نزوح أعداد كبيرة من البربر ـــ الذين كانوا يمثلون جيش الفتح الفاطمى ـــ الى مصر واستقرارهم فيها .

ـــ كذلك لجأ الى مصر كل من الحسن بن كنون ـــ آخر حكام الادارسة بالمغرب الأقصى(٢٧) ـــ ويحيى بن على بن حمدون الأندلسى(٢٨) ، يدفع كل منهما دوافع خاصة .

ـــ ومع اشتداد حركة الاسترداد المسيحى لأراضى الأندلس الاسلامية ـــ عقب سقوط مدينة طليطلة الاسلامية سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) ـــ ازداد وفود الأندلسيين الى مصر التى كانت مركزا لحركة الجهاد العام ضد الصليبيين فى المشرق زمن الدولة الأيوبية ، ثم المملوكية(٢٩) .

٣ ـــ أسباب ثقافية :

نتج عن اقبال البربر وسكان الأندلس على اعتناق الاسلام أن ازدادت رغبتهم فى التعرف على تعاليم هذا الدين ، خاصة ان المصادر التى كانوا يستقون منها تعاليم الاسلام لم تعد كافية . وقد تمثلت هذه المصادر فى جيل التابعين من العرب المصاحبين لجيش الفتح ، والذين استقروا فى تلك البلاد ، وجماعات العلماء الذين أوفدتهم الحكومة الأموية الى المغرب لتعليم البربر أصول الدين الاسلامى ، فضلا عن سياسة الولاة الخاصة بانشاء المساجد فى انحاء البلاد . وقد ظهر الخطر حينما اضطر الراغبون فى الاسلام من اهل المغرب الى اللجوء الى العرب المستقرين فى افريقية أو الوافدين اليها للاقامة فيها أو العبور الى الأندلس . ذلك ان الكثير من هؤلاء العرب كانوا من خصوم البيت الأموى الذين اسخطتهم سياسته ، أو انهزموا امامه فى الحروب الكثيرة التى دارت

بين الأمويين وخصومهم من الخوارج والشيعة أو من المنهزمين في حروب العصبيات . اذ اغتنم هؤلاء الفرصة فى توجيه من التف حولهم من اهل المغرب الوجهة السياسية التى أرادوا . فجعلوا يبثون فى نفوس من اجتمع اليهم — من البربر خاصة — بذور الخلاف والخروج على الدولة ، ويلقنونهم عقائد الشيعة المتطرفة والخارجية الثائرة . وكانت النتيجة ان أخذ الاسلام فى بعض نواحى المغرب يجرى فى اتجاهات خطرة كادت تخرجه عن أن يكون اسلاماً(٣٠) .

لم يعد كافيا — اذا — الاعتماد على تلك المصادر ، فكانت الرحلة الى المشرق حيث كانت أصول الاسلام الصحيحة تدرس فى مكة والمدينة المنورة ، وفى نواحى العراق والشام ومصر ، على أيدى بقية الصحابة ونفر من فقهاء التابعين . فضلا عن ثمرة تلك الرحلة ، وهى أداء فريضة الحج لتكتمل بذلك أركان الاسلام بالنسبة لهم . وصار من المعتاد لسكان المغرب الاسلامى أن تكون لهم تلك الرحلة الى المشرق حيث كانوا يمرون على مصر فى طريق الذهاب والعودة .

وثمة عوامل ساعدت على استمرار هذه الرحلة العلمية : فالى جانب انها كانت وسيلة لتعلم الدين الصحيح وتجنب الزيغ ، واداء فريضة الحج ، فقد كانت بمثابة عملية تعبدية يقوم بها الناس احتسابا لوجه الله تعالى والتماس المغفرة منه على ما ارتكبوه من معاص وآثام(٣١) . هذا فضلا عن ان هؤلاء المرتحلين كانوا محل حفاوة وترحاب اينما ساروا ، مما كان فيه الغناء عن متاعب الرحلة . ولهذا وجه ابن جبير نداءه الى بنى وطنه بالجد فى طلب الرحلة ، قائلا : « .. فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل الى هذه البلاد ، ويتغرب فى طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات

كثيرة . فاولها فراغ البال من امر المعيشة ، وهو اكبر الاعوان واهمها »(٣٢) .

ومن الملاحظ ان تمسك المغاربة والاندلسيين بالرحلة الى المشــرق كان شديدا ، حتى صارت قاعدة بالنسبة لهم ، يتضح ذلك من كتب الطبقات والتراجم التى انفردت برصد تلك الرحلة . والذي يشذ عن هذه القاعدة تشير اليه تلك المصادر ، فيما يشبه الاستهجان ، بانه « لم تكن له رحلة » . وليس ادل على ذلك من اتهام ابن جبير للمخالفين لندائه بالتقصير والعجز ، وذلك فى قوله : « ولا عذر للمقصر الا من يدين بالعجز والتسويف ، فذلك من لا يتوجه هذا الخطاب عليه »(٣٣) .

٤ ــ اســباب اقتصــادية :

نتج عن اختلاف الموارد الاقتصادية فى كل من مصــر وبلاد المغرب ان قامت حركة تبادل تجارى بين شعوب المنطقة . وساعد على ذلك وقوع المنطقة على طريق التجـــارة العالمية بين الشرق والغرب ، الأمر الذى ادى الى وفود اعداد كبيرة من أهل المغرب والاندلس الى مصر للمشاركة فى حركة التجارة تلك .

ــ كما كان من الطبيعى أن يمارس المغاربة والاندلســيون المرتحلون الى المشرق للحج والاستزادة فى علوم الشرع الاسلامى ، بعض الحرف للحصول على زاد الطريق . ووضح هذا من انتساب العديد منهم ــ الصوفية والزهاد وأهل الورع والدين منهم بصفة خاصــة ــ الى الحرف التى مارسوها حتى يتجنبوا الســلطة ولا يغلبوا على حكم من أحكام الله ان صاروا عمالا للدولة . ومن هذه الحرف : النعال ، والبزاز ، والحبال ، والحداد ، والفخار ، وغيرها مما سيلى الاشارة اليه فى حينه .

ـ كذلك حتمت ظروف البيئة الصحراوية على أهل البداوة من بربر لواتة وهوارة وزناتة ونفوسة ـ سكان الصحراء الغربية ـ أن ينتقلوا خلال مواسم الجفاف الى منتجعات مصر الغنية فى الوادى والدلتا ، حيث كانوا يحملون معهم منتجات بيئتهم ، مثل : ملح الشب ، والملبوسات ، والمـأكولات وغيرها .

رابعا : تاريخ الوجود المغربى :

انفتح المغاربة على مصر منذ فترات تاريخيـة موغلـة فى القدم • وعرفهم المصريون القدماء باسم الليبو الذين سكنوا منطقة ليبيا الحالية ، وطغى نفوذهم على أراضى الصحراء الغربية فى مصر(٣٤) . وقد كثرت الاشارات عن ارتباط شعب الليبو هذا ـ بقبائله المختلفة ـ بالمصريين القدماء من خلال علاقات عديدة بدت عدائية فى معظم حالاتها • وتغلغلوا خـلالها فى عمق الأرض المصرية حتى الدلتا ومصر الوسطى • وصار من المعتاد أن يستخدم حكام مصر من الفراعنة عناصر منهم للخدمة فى الجيش المصرى كمرتزقة ، مع السماح لهم بالعديد من الامتيازات • ووصل الأمر ذروته حينما قدر لبعض هذه العناصر أن تستولى على الحكم فى مصر ، ابان فترات الضعف • فأسسوا ما عرف فى تاريخ مصر الفرعونية بالاسرتين الثانية والعشرين والثالثـة والعشـرين ، اللتين حكمتا مصر قرابة قرنين من الزمان(٣٥) .

ولعل وقوع كل من مصر والمغرب على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، كان من أسباب استمرار سكان المغرب فى الاتصال بمصر خلال العصور التالية ، كجزء من مشاركتهم فى حركة التجارة تلك(٣٦) .

كما ان الأحداث السياسية التى شهدتها المنطقة قبل مجىء العرب ، كان لها بعض الأثر فى دعم الوجود المغربى فى مصر •

من ذلك ما ذكر عن تسيير حاكم ولاية افريقية البيزنطي — المدعو هرقل — لأحد قادته — ويدعى نيكيتاس — على رأس جيش من بربر شمال افريقية الى مصر للاستيلاء عليها ، كي يستخدمها ورقة رابحة تساعده في ثورته على الامبراطور البيزنطي فوكاس (٦٠٢ م — ٦٠٩ م) • وقد نجح هذا القائد في الاستيلاء على مدينة الاسكندرية ، وذلك فيما بين سنتي ٦٠٨ و ٦٠٩ م(٣٧) •

أما في خلال العصر الاسلامي ، فيمكن القول بأن الوجود المغربي في مصر — بتياراته الثلاثة — وما نتج عنه من تأثيرات شتى في مختلف نواحي الحياة بمصر ، قد مر بثلاث مراحل زمنية(٣٨) :

الأولى : تشمل القرون الثلاثة الأولى من الفتح الاسلامي حتى سقوط مصر في أيدي الفاطميين سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) :

وقد اتسم الوجود المغربي خلالها بالبطء في تأثيراته لطغيان التأثير المشرقي الاسلامي العربي ، الذي كان تياره الحضاري يسير تجاه المغرب والاندلس • وبعبارة أخرى ، كان المغرب الاسلامي آنذاك في مرحلة اعادة صياغته حضاريا على أيدي العرب المسلمين •

وانعكس هذا على جماعات المغاربة من بربر لواتة وهوارة وزناتة ونفوسة المستقرين في صحراء مصر الغربية الذين عاشوا حياتهم الخاصة ، غير ميالين للاشتراك في الأحداث التي سادت العاصمة • وكذلك على جماعات الحجاج والدارسين المغاربة والأندلسيين الذين تأخر وفودهم الى مصر الى قرب انتصاف القرن الثاني الهجري (ق ٨م) •

ومن معالم هذه الفترة كذلك ان الفاطميين — بعد اقامة دولتهم بالمغرب فى سنة ٢٩٦هـ (٩٠٩ م) — قد سعوا لبسط سيطرتهم على مصر ، وذلك من خلال أعوانهم الذين انتشروا فى انحاء البلاد منذ مطلع القرن الرابع الهجرى (ق ١٠ م) . كما ان الصراع الدائر بين الفاطميين — بالمغرب — والأمويين — بالأندلس — قد انتقلت رحاه الى مصر ، بعد ان سعى الأمويون — من خلال وافديهم الأندلسيين — فى القيام بدعايات مضادة لدعايات الفاطميين الشيعة .

الثانية : وتشمل الوجود الفاطمى فى مصر حتى سقوط دولتهم في سنة ٥٧٦هـ (١١٧١ م) :

وتمثل هذه الفترة ذروة الوجود المغربى فى مصر ، ذلك أن الفاطميين عملوا من ناحيتهم على اعلاء شأن المغاربة أعوانهم على حساب الطوائف الأخرى . ومن ناحية أخرى فان الهجرات البربرية الجديدة التى شهدتها صحراء مصر الغربية — خلال هذه الفترة — قد دفعت بالعناصر اللواتية القديمة للتحرك صوب الشرق ، حيث سكنت أرض الدلتا ومصر الوسطى . الأمر الذى عد تدعيما للوجود المغربى فى عمق الديار المصرية .

كذلك فان التطور الحضارى الذى انتاب المغرب الاسلامى — آنذاك — قد انعكس على جماعات الوافدين الى مصر من الحجاج والدارسين المغاربة والأندلسيين الذين ازداد انتاجهم الأدبى والمادى ، وهو ما عبر عنه دكتور سعد زغلول بقوله : « فكان من الطبيعى أن يكون مسار التيار الحضارى متوازيا مع مساق التيار السياسى الفاطمى من المغرب الى المشرق » وذلك كنتيجة طبيعية لأن «عواصم المغرب والأندلس قد اشتدت سواعدها حضاريا وسياسيا ، فى القيروان ، وقرطبة ، واشبيلية ، وفاس »(٣٩) .

الثالثة : وتشمل القرون الثلاثة الأخيرة والنصف قرن التى تعادل دولتى الأيوبيين والمماليك :

ومن ابرز معالم هذه الفترة ، ذلك التيار الحضارى « الذى حمله المهاجرون الأندلسيون ـ الذين اضطـروا الى الجــلاء عن ديارهم أمام عنف الهجوم الأسبانى ـ وغمروا به سواحل المغرب وبعض دواخله من مراكش الى تونس ، ووصلوا به الى مصـــر وشواطىء الاسكندرية »(٤٠) .

ويبدو لنا ان ذلك المد كان بمثابة التعويض عن انحسار الدور المغربى لجماعات الموالين للفاطميين ، والذى اقترن بسقوط الخلافة الفاطمة في مصر . بينما استمر التغلغل الاجتماعى لبربر المنطقة الغربية في عمق ديار مصر ، بتأثير الهجرات البربرية الجديدة التى شهدتها المنطقة خلال هذه الفترة كذلك(٤١) . مما أدى الى صبغها تماما بصبغة مغربية متعربة ، لايزال اثرها ملحوظا حتى يومنا هذا .

والخلاصة ، اننا عند دراستنا للدور المغربى فى مصر خلال عصورها الاسلامية ، فعلينا أن نراعى تيارته الثلاث والتفاعل الذى حـدث فيمـا بينهـا خـلال المراحـل الزمنيـة سابقـة الذكر . **وسنقتصر فى دراستنا ـ هذه ـ على معالجة الدور المغربى فى مصر الاسلامية خلال المرحلتين الأوليين ، على اعتبار انهما تشكلان معـا مرحلة طبيعية واحدة . على أن تتم معالجة الفترة الأخيرة فى دراسة أخرى قائمة بذاتها .**

الهـوامش

(١) انظر فى ذلك : د• سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، جزآن ، منشأة المعارف بالاسـكندرية ، سنة ١٩٧٩ ، جـ ١ ، ص ٦١ – ٦٣ ، ود• حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ط ١ ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٩ – ٢٣ ، ود• السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٤٠ – ٤١ ، ود• أحمد مختار العبادى : – فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية (د • ت •) ، ص ١١ – ١٢• ، ود• محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب من الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٧٧ ، ص ١ – ٢ هامش رقم ١ •

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ ، جـ ٦ ، ص ٩٨ – ١٠١ • وراجع : ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج • س • كولان وليفى بروفنسال ، ط ٢ ، دار الثقافة ببيروت لبنان ١٩٨٠ ، جـ ١ ، ص ٥ – ٦ ، وجـ ٢ ، ص ٢ – ٣ • وانظر مادة « أندلس » فى دائرة معارف الشعب ، بقلم الدكتور / السيد عبد العزيز سالم ، سلسلة كتاب الشعب ، الكتاب الثانى ، مطابع الشعب بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩ ص ٣ – ٦ •

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، القسم الأول من الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ليدن ١٩٣٨ ، ص ٦٠ •

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٦٧ ، ص ٢١٦ •

(٥) راجع فى ذلك : الكندى : ولاة مصر ، تحقيق د• حسين نصار ، دار صادر بيروت ١٩٥٩ ، ص ٦١ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥ ، جـ٢

ص ٢٣ ، وابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، المطبعة الكبرى بالقاهرة ١٢٩٠ هجرية ج ٦ ، ص ٥٦ .

(٦) ابن سعيد الأندلسى : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ من القسم الخاص بمصر تحقيق د. زكي محمد حسن وآخرين ، القاهرة ١٩٥٣ ، المقدمة ص ٦ ، وتحقيق د. شوقى ضيف ط ١ ، ج ٢ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٥ ، المقدمة . ويلاحظ أن ابن جبير (المتوفى فى سنة ٦١٤ هـ ١٢١٧ م) قد أكثر من استخدام لفظة « المغاربة » على كل من وجدهم بالمشرق سواء من أهل شمال افريقية أم الأندلس . فهو يقول مثلا عن الوقف الذى أوقفه السلطان نور الدين محمود على فقراء المغاربة المقيمين بدمشق : « ... واخبرنى أحد المغاربة الدين كانوا ينظرون فيه (أى فى الوقف) ، وهو أبو الحسن على بن سردال الجيانى ، المعروف بالأسود ، ان هذا الوقف المغربى ... » مع ملاحظة ان جيان ، من الكور المشهورة بشبه جزيرة الأندلس . راجع : ابن جبير : الرحلة طبعة دار الشعب بتقديم د. محمد مصطفى زيادة (د . ت .) ص ١٩٩ وصفحات أخرى .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ١٠١ .

(٨) عن الأفارقة واستقرارهم فى أماكن مثل سرت ، ومنستير عثمان ، انظر : البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، نشر دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ ص ٥ . وراجع : د. حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى عصر الولاة ، ط ١ ، مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٣ ، ود. سعد زغلول : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٩ ، ود. سالم : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٩) د. سعد زغلول : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(١٠) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٠١ ـ ١٠٣ ، السلاوى الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، القاهرة ١٣١٢ هـ ، ج ١ ، ص ٣١ .

(١١) عن قبائل البربر وأقسامها ، وأماكن استقرارها ، انظر : ابن خلدون : العبر (طبعة دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٨) ، ج ٦ ص ٢٢٩ وما بعدها عن البربر البتر ، وص ٢٨٢ وما بعدها عن البربر البرانس . وعلى سبيل الاختصار ، راجع : السلاوى : الاستقصا ، ج ١ ، ص ٣١ ود. سعد زغلول : تاريخ المغرب ، ج ١ ، ص ٨٤ و ٨٦ ـ ٨٧ ، ودكتور سالم : تاريخ المغرب ، ص ٤٧ ـ ٥٣ .

(١٢) راجع : د· سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٦١ ، ص ٦٢ ـ ٦٥ ، ود· العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥١ ـ ٥٢ وانظر : د· محمد بحر عبد المجيد : اليهود فى الأندلس ، المكتبة الثقافية العدد ٢٣٧ ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ ـ ١٧ ·

(١٣) د· مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ·

(١٤) ابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، ج ٦ ، ص ٣ وص ١٠٣ ـ ١٠٤ · وراجع : د· خورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٤١ ·

(١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، نشر تشارلس س · تورى ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٢٠ ، ص ١٧٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، نشر وتحقيق د· صلاح الدين المنجد ، فى ثلاثة أقسام ، القاهرة ١٩٥٦ ، القسم الأول ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، الكندى : ولاة مصر ، ص ٣٣ ·

(١٦) يشير اليعقوبى (المتوفى فى سنة ٢٩٢ هـ ، ٩٠٥ م) الى أن مدينة الرمادة ـ من عمل كورة لوبية التى كانت تشكل مع مراقية القسم الشرقى لاقليم برقة ـ هى « أول منازل البربر » · انظر فى ذلك : كتاب البلدان ، ملحق بآخر كتاب الأعلاق النفيسة لابن رستة ، تحقيق دى غويه ، ليدن ١٨٩٢ ، ص ٣٤٢ · وراجع أيضا : د· سعد زغلول : تاريخ المغرب ج ١ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ ·

(١٧) اليعقوبى : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٦ ، ابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، ج ٦ ، ص ١٤٣ ·

(١٨) الحنية مدينة ساحلية كانت تقع على مقربة من الاسكندرية ، حتى كان يطلق عليها باب الاسكندرية · انظر : البكرى : المغرب ، ص ٣ ·

(١٩) المصدر نفسه : ص ٤ ·

(٢٠) اليعقوبى : ص ٣٣٩ و ٣٤٢ ـ ٣٤٣ · وراجع : د· عبد القادر أحمد طليمات : سكان ليبيا عند اليعقوبى ، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ١٦ سنة ١٩٦٩ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٨ ·

(٢١) الكندى : ولاه مصر ، ص ٢٦٦ ·

(٢٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٣ ــ ١٥٤ ٠

(٢٣) المصدر نفسه : ص ١٥٤ ــ ١٥٥ ، البكرى : المغرب ، ص ١٤ ــ ١٥ ؛ وعن الواحات وكيفية نطق مسميات اقسامها الادارية كما هو مثبت بالمتن راجع : مراكشى مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار (القسم الخاص بوصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب) ، نشر وتعليق د٠ سعد زغلول عبد الحميد ، مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ١٤٧ ــ ١٤٨ ، والادريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهه المشتاق فى اختراق الآفاق) ، نشر وتحقيق دى غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٦٤ ، ص ٤١ ــ ٤٤ ٠

وانظر : د٠ عبد العال عبد المنعم الشامى : مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموى ، ط ١ ، كلية الآداب جامعة الكويت ، الكويت ١٩٨١ ، صفحة ٦١ ــ ٦٢ ٠

(٢٤) ابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، جـ ٦ ، ص ١٠٦ ٠ وراجع : اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٤٢ حيث يصف مزاته وغيرها من بطون البربر ، سكان مدينة الرمادة بأنهم « من العجم القدم » ٠

(٢٥) الكندى : ولاة مصر ، ص ١٨٣ ، ود٠ عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، نسخة مصورة عن الطبعة الثانية مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ١٣٤ ــ ١٣٨ ٠

(٢٦) الكندى : المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ ٠

(٢٧) لمؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى ، نشر وتصحيح ليفى بروفنسال ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ١٩٣٤ ، جـ ١ ، ص ١٤ وص ١٩ ــ ٢٠ ٠

(٢٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ ٠

(٢٩) د٠ عبد العزيز سالم : بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الاسلامية ، مقال بمجلة « المجلة » ، عدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٥٧ ، ص ٨٩ ٠

(٣٠) د٠ حسين مؤنس : مقدمة تحقيق رياض النفوس للمالكى ، جـ ١ ، ط ١ ، لجنة الجامعيين لنشر العلم ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٨ م ٠

(٣١) يذكر فى هذا الصدد ان سبب قيام ابن جبير برحلته الى المشرق ، كان تكفيرا عن شربه الخمر ٠ انظر : ابن سعيد الأندلسى : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د٠ شوقى ضيف ، جـ ٢ ، ص ٣٨٤ ٠

(٣٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٠٠ ٠

(٣٣) المصدر نفسه والصفحة ٠

(٣٤) راجع فى ذلك : د٠ عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول « مصر والعراق » ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٦٠ ٠ حيث يعرف شعب الليبو على أنه خليط من قبائل عديدة كانت تتمثل فى (التحنو والتمحو) الذين سماهم « أهل الصحراء الغربية الأقدمين » ، وفئات أخرى عديدة من شعوب البحر ، مثل : المشاوش ، والتورشا ، واللوكى ، والربو أو الريبو ، وغيرهم الذين نزلوا سواحل ليبيا منذ أواخر القرن ١٣ ق٠م وما بعده ٠

(٣٥) المرجع نفسه : صفحات ٧٩ و ١٢٨ و ١٣٤ و ٢٣٦ — ٢٣٨ و ٢٦٠ — ٢٦٤ ٠ ولمزيد من التفصيل انظر : د٠ زينب محمود عبد العال : مصر وليبيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الحديثة ١٠٨٠ ق٠م) ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات الافريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٥ ، صفحات المقدمة أ ، ب ، وص ١٩ وما بعدها ٠ وأيضا : أحمد صفر : مدنية المغرب العربى فى التاريخ ، جزآن ، طبعة تونس ١٩٥٩ ، جـ ١ ، ص ٤٦ — ٤٩ ، ودكتور رشيد الناضورى : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ العصور القديمة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٥ ٠

(٣٦) ويذكر فى هذا الشأن الدور الذى قام به اليهود الرازانية — الذين انتشروا فى نواحى غرب أوربا ، وفى أسبانيا وشمال افريقية — فى تجارة الشرق قبل قيام الدولة الاسلامية بمائتين وخمسين سنة ٠ والذى ربما كان يحوى اشارة ضمنية الى اشتراك غيرهم من سكان المغرب فى هذه التجارة ٠ عن ذلك انظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ويليه كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة ابن جعفر ، تحقيق دى غويه ، طبعة بريل ، ليدن ١٨٨٩ ، ص ١٥٣ — ١٥٤ ٠ وراجع : آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية د٠ محمد عبد الهادى أبو ريده ، ط ٣ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ ، جـ ١ ، ص ٣١٢ — ٣١٣ ، ود٠ عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٣٢ — ٣٣ ٠ وانظر كذلك : (د٠ رشيد الناضورى : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ — ٢٣٨) حيث الاشارة الى تفوق البحرية القرطاجية فى حوض البحر المتوسط ، ومحاولاتهم مع الفرس والمصريين القدماء

من أجل اكتشاف الساحل الافريقي الشرقي وامكان الدوران حول القارة الافريقية من الشرق الى الغرب •

(٣٧) راجع في ذلك : الفريد بتلر : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٣١ ـ ٣٣ • وانظر : د• حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، مطبوعات لجنة الجامعيين لنشر العلم ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٣٥ ، ود• سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، ود• سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٤٥ •

(٣٨) د• سعد زغلول عبد الحميد : الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري ، مقال في كتاب مجتمع الاسكندرية عبر العصور ، مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص ٢١١ ـ ٢١٢ مع ملاحظة أن هناك بعض التصرف فيما اقترضه د• سعد بشأن التقسيمات الزمنية لمراحل التأثير والتأثر الحضاري فيما بين المشرق والمغرب الاسلاميين • وذلك لأن الأمر هنا يتعلق بمصر وبالوجود المغربي فيها وليس بالاسكندرية وحدها

(٣٩) د• سعد زغلول : المرجع السابق ، ٢١٢ •

(٤٠) المرجع نفسه والصفحة •

(٤١) عن استقرار بربر لواته في الفيوم ، طوال العهد الأيوبي ، انظر : النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ، طبعة دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١٤ • وعن نزوح بربر هوارة الى صعيد مصر ، للاقامة هناك بدلا من ساحل مصر الشمالي الغربي ، زمن الظاهر برقوق المملوكي ، انظر : المقريزي : البيان والاعراب عما نزل بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق د• عبد المجيد عابدين ، مع دراسة من تاريخ العروبة في وادي النيل ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٥٨ •

القســم الأول

« الدور السياسى للمغاربة والأندلسيين »

البـــاب الأول :

« المغاربة والأندلسيون فى مصر من عصر الولاة حتى نهـــاية الحكم الإخشيدى »

البـــاب الثانى :

« المغاربة والأندلسيون فى مصر فى العصر الفاطمى »

البــــاب الأول

« المغاربة والأندلسيون فى مصر
من عصر الولاة حتى نهاية الحكم الإخشيدى »
(٢١ ـ ٣٥٨هـ / ٦٤٢ ـ ٩٦٩ م)

الفصــل الأول : ـ

« المغاربة والأندلسيون فى مصر فى عصر الولاة »

الفصــل الثانى : ـ

« المغاربة والأندلسيون فى مصر فى عصر الدولتين الطولونيــة والإخشيدية »

الفصـــل الأول

« المغاربة والأندلسيون فى مصر
فى عصـــر الـــولاة »
(٢١ ـ ٢٥٤ هـ / ٦٤٢ ـ ٨٦٨م)

ـ تمهيـــد •

ـ مع المغاربة المنتشرين فى صحراء مصر الغربية :

١ ـ أيام الفتح ونزوعهم نحو الاستقلال •

٢ ـ الفكر الخارجى فى مصر ورسوخه بينهم •

ـ مع المغاربة الوافدين :

١ ـ مراسلة أبى الخطاب الاباضى للقاضى غوث •

٢ ـ مراسلة الامام عبد الوهاب الرستمى لشـــعيب المصرى •

٣ ـ رسالة الامام ادريس الأول الى المصريين •

٤ ـ غزاة البحر الأندلسيون فى الاسكندرية •

٥ ـ أثر قيام دولة الاغالبة بافريقية على الوافديـن الى مصر •

ـ فى البحيرة •

اقتصر الوجود المغربى فى مصر خـلال هذه الفترة على جماعات الحجاج والدارسين المغاربة والأندلسيين ، وعلى جموع المغاربة المنتشرين فى صحراء مصر الغربية من بربر لواتة وهوارة وزناتة ونفوسة .

وبالنسبة لجماعات الحجاج والدارسين المغاربة والأندلسيين فقد كان من الطبيعى أن يتأخر وفودهم الى مصر ـ وبالتالى تأخر دورهم الذى لعبوه على مسرح الحياة السياسية بمصر ـ طوال مرحلة الفتح الاسـلامى للمغرب والفترة التى تلت ذلك ، حتى بدايات تعبير المنطقة عن نفسها سياسيا من خلال الدول المستقلة التى قامت هناك (ابتداء من العقد الثالث للقرن الثانى الهجرى فصاعدا = منتصف القرن الثامن الميلادى) • ويرجع السـبب فى ذلك الى ان الشخصية المغربية بمفاهيمها الاسـلامية كـانت ما تزال فى طور التكوين •

والحق ان مصر كان لها ـ بحكم موقعها القريب من المنطقة ـ دورها الكبير فى انماء هذه الشخصية ، وذلك من خـلال جـوانب ثلاث تمثلت فى : استمرار خروج حمـلات فتح المغرب من أرض مصر منذ ايام عمرو بن العاص • وفى خضوع المغرب من الناحية الادارية ، لوالى مصر منذ أيام مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر (٤٧ ـ ٦٢ هـ = ٦٦٧ ـ ٦٨١م) الذى « جمع له الصلاة والخراج والمغرب »(١) . وأخيرا فى الدور الهام الذى لعبته خزانة مصر سواء فى تجهيز حملات فتح المغرب(٢) ، أو فى المعونة المالية

السنوية التى كانت تقدم لولاة المغرب ، كى تعينهم على مواجهة أعباء الحكم ، والتى بلغ مقدارها مائة الف دينار سنويا(٣) .

كذلك الحال بالنسبة لشبه جزيرة الأندلس التى ظلت تابعة لولاة المغرب أثناء الفتح ـ الذى بدأ فى سنة ٩١ هـ (٧١٠ م) ـ حتى استقلالها سياسيا عن خلافة بغداد سنة ١٣٨هـ (٧٥٦م) حينما نجح الأمير الأموى عبد الرحمن بنمعاوية فى تأسيس امارة أموية بالأندلس . وقد وضح ارتباط الجميع ـ آنذاك ـ بمصر فى اثناء ولاية عبيد الله بن الحبحاب ، مولى سلول ، على ولاية المغرب (١١٦ ـ ١٢٣ هـ = ٧٣٤ ـ ٧٤١ م) الذى قال عنه ابن عذارى : « ان الحال تناهت به الى ولاية مصر وافريقية والأندلس والمغرب كله » . فقد كان مشرفا على خراج مصر منذ سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) ، وخرج منها الى ولاية المغرب سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) بعد أن استخلف ابنه القاسم على خراج مصر ، ثم نراه يستعمل على طنجة ابنه اسماعيل ، وعلى الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى(٤) .

وقد اختلفت الحال بالنسبة لجماعات المغاربة المنتشرين فى صحراء مصر الغربية (سواء فى برقة وعلى طول الساحل الشمالى الغربى لمصر حتى أرض البحيرة ، أو فى الواحات) من بربر لواته وهوارة وزناتة ونفوسة ، الذين كانوا ـ بحكم اقامتهم فى أرض مصر ـ أسبق الى الاحتكاك بالفاتحين المسلمين . اذ من الثابت ان عمرو بن العاص اتجه مباشرة ـ عقب فراغه من فتح الاسكندرية ـ الى برقة فاستولى عليها ، ثم تابع زحفه غربا حيث لم يجد صعوبة كبيرة فى التغلب على سرت ولبدة وطرابلس وصبرة(٥) .

وقد كانت بادرة طيبة تلك التى قام بها بربر لواته ـ سكان مدينة برقة ـ حينما رحبوا بالوجود الاسلامى الجديد ، واذعنوا لشروط الصلح التى عقدها معهم عمرو ، وانتظموا فى اداء الجزية

المفروضة عليهم دون أن ينتظروا حضور عمال الخراج(٦) . ثم بان لنا صدق نواياهم من خلال وفودهم التى حضرت الى مدينة الفسطاط معلنة اسلامها ، وقد التقى بعضهم بعمرو بن العاص(٧) ، وبعضهم الآخر بالقاضى كعب بن يسار بن ضنة العبسى (الذى استقضاه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب على مصر خلال شهور من سنة ٢٣ هـ = ٤٣ / ٦٤٤ م)(٨) . بل انهم ارتضوا ـ طواعية منهم ـ أن يقدموا بعض صغارهم ضمن الجزية السنوية المفروضة عليهم(٩) . ولاشك ان الدعايات الحسنة التى راجت عن الاسلام وعن تسامح المسلمين فى تعاملهم مع سكان البلاد التى دخلوها ، كانت سببا فى تصرف بربر برقة على هذا النحو .

ويفهم ضمنا ان بربر البحيرة ـ من لواتة كذلك ـ كانوا قد فعلوا قريبا من ذلك . يدلنا على هذا خلو المصادر التى عالجت احداث فتح مصر من اية اشارة الى انهم كانوا ضمن عناصر القبط والروم الذين قاوموا عمرو بن العاص عند الكريون ـ من قرى البحيرة ـ اثناء مسيره لفتح الاسكندرية(١٠) .

وبالنسبة لبربر لواتة المقيمين فى الواحات ، فكان من الطبيعى الا يبدأ احتكاكهم بالمجتمع الاسلامى الجديد فى مصر الا مع تمام عمليات فتح جنوب مصر . الأمر الذى نرجح أنه حدث اثناء ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، القرشى العامرى على مصر (٢٥ ـ ٣٥ هـ / ٦٤٥ ـ ٦٥٥ م) لأنه كان أول الولاة المسلمين الذين أبدوا اهتماما كبيرا بمنطقة النوبة . اذ يذكر عنه انه « غزا غزوة الاساود حتى بلغ دمقلة (وهى دنقلة الآن) وذلك فى سنة احدى وثلاثين (٦٥١م) .. فقاتلهم قتالا شديدا »(١١) . ويبدو ان ابن أبى سرح ـ بعد أن عاين بنفسه مدى شراسة البجاة أو البجة ، سكان النوبة(١٢) ـ لم يشأ ان يترك هذه المنطقة النائية

دون التعامل مع القوى الأخرى القريبة على نحو يوفر للوجــود الاسلامى هناك بعض الامان · فكانت الاتفاقية التى يفهم من اشارة ابن حوقل الى انها عقدت مع آل عبدون اللواتيين حكام الواحات « مذ أول ما فتحها المسلمون »(١٣) . وتدلنا نصــوص هــذه الاتفاقية على أن آل عبدون قد رحبوا بالفتح الاســلامى واعلنوا دخولهم فى الاسلام ، وابدوا تفهما فى أمر مدافعة خطر البجــة . وعليه فقد استمروا فى حكم المنطقة ، وسمح لهم بالحصول على خراج وجزية النصارى المقيمين في الواحات ، على أن يؤدوا باقى خراج المنطقة الى خزانة الفسطاط(١٤) ·

وليس من شك فى انها كانت نتائج طيبة تلك التى تمخضت عن الاحتكاكات الأولية بين هذه الجماعات البربرية وبين الفاتحين المسلمين · غير اننا نلاحظ ان هويتهم السياسية قد بدأت تتجه ــ بعد ذلك ــ وجهة اخرى نحو الاستقلال عن سلطان حكومة الفسطاط، وساعد على ذلك ظروفهم الخاصة كمجتمعات بدوية لم يعتد افرادها حياة الاستقرار أو الخضوع طويلا لحكومة واحدة ، وكذا الغلبة العددية التى باتت معقودة لهم بصفة دائمة على من عداهـــم من سكان صحراء مصر الغربية(١٥) . ثم ان الموقع الجغرافى للمنطقة قد باعد بينهم وبين العاصمة ، فى الوقت الذى ظلوا فيه على اتصال ببنى عمومتهم بربر شمال افريقية وبالمؤثرات الى ســادت هنــاك طوال فترة الفتح الاسلامى(١٦) · وأخـــيرا فــان اعتنــاق هذه الجماعات البربرية **للمذهب الخارجي** ــ المخــالف لمذهب حــكومة الفسطاط ــ قد باعد بينهم وبين الدخول فى الطاعة المباشرة لهذه الحكومة ·

وترجــع معرفــة بربر المنطقــة الغربيــــة لمصــر بفــكرة « الخروج » ــ أى الثورة على الحكم الجائر ــ واتخــاذهم ذلك مذهبا سياسيا لهم فى تعاملهم مع حكومة الفسطاط الى أيـــام

الفتنة الكبرى التي أودت بحياة الخليفة الراشد عثمان بن عفان (ذى الحجة سنة ٢٣ هـ - ذى الحجة سنة ٣٥ هـ / نوفمبر ٦٤٣ م - يونية ٦٥٦م) . اذ كانت أرض البحيرة وبرقة مسرحا لسلسلة من المعارك التى قام بها الخارجون على حكومة الفسطاط بزعامة معاوية ابن حديج الكندى طلبا للثأر من قتلة عثمان(١٧) . وعلى الرغم من أن امر هؤلاء الثوار قد انتهى بخروجهم الى الشام فى ولاية محمد ابن أبى بكر الصديق (رمضان ٣٧ هـ - صفر ٣٨ هـ / فبراير - يولية ٦٥٨م) حيث لحقوا بمعاوية بن ابى سفيان - رأس البيت الأموى المطالب بدم عثمان - (ورغم هذا) فهناك اشارة الى قيام أهل برقة - التى لم يدخلها جاب للخراج منذ الفتح - من بربر لواتة وهوارة خاصة ، بثورة على والى مصر عمرو بن العاص (الذى ولى مصر للمرة الثانية ربيع الأول سنة ٣٨هـ - شوال سنة ٤٣هـ / أغسطس ٦٥٨ م - يناير ٦٦٤ م) . فعقد عمرو بن العاص لعقبة بن نافع وشريك بن سمى على رأس عدة جيوش اخضعت الثائرين وذلك فى سنة ٤٣هـ (آخر سنة ٦٦٣م)(١٨) . ويمكن لنا ان نفسر ثورة بربر برقة هذه ، على انها كانت صدى لخروج معاوية بن حديج على الحكم بالفسطاط ، فقد ذكر الكندى ان معاوية « مضى حتى بلغ برقة ، ثم رجع الى الاسكندرية »(١٩) .

ثم بدأ المذهب الخارجى يتبلور شيئا فشيئا فى مصر نتيجة وفود بعض علماء الخوارج الى مصر ، فى طريقهم الى المغرب فرارا من ضغط الدولة الأموية فى مركز الخلافة . ومعلوم ان انتشار هذه الآراء الخارجية فى نواحى مصر جعل سكانها يميلون الى الخروج على حكومة الفسطاط ، وتأييد الثائرين على الخلافة . وقد وضح هذا عندما ثار عبد الله بن الزبير (٦٣ - ٧٣هـ = ٦٨٣ - ٦٩٢م) على الخلافة الأموية ، فى وقت كان أهل مصر حانقين على متولى أمر مصر سعيد بن يزيد من قبل الخليفة الأموى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (٦٠ - ٦٤ هـ = ٦٨٠ -

٦٨٣ م) ، اذ « قامت الخوارج الذين بمصر فى امــره واظهروا دعوته (أى دعوة ابن الزبير) » . وذلك انهم « كانوا يحسبونه على مذهبهم » . مما شجع ابن الزبير على ان يبعث الى مصر باحد انصاره ويدعى عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهرى ، كى يلى منصب الولاية فى مصر بدلا من سعيد بن يزيد ، « فقدمها فى طائفة من الخوارج » وذلك فى شهر شعبان سنة ٦٤هـ (ابريل ٦٨٤م) . واستمر الخوارج — من أهل مصر — فى تأييدهم دعوة ابن الزبير ، والتفوا حول عبد الرحمن بن جحدم الى ان دخل مصر الخليفة الأموى مروان بن الحكم (تولى الخلافة فى شهر ذى القعدة سنة ٦٤ هـ = يولية ٦٨٤ م) على رأس جيوشه وتمكن من القضاء على انصار ابن الزبير بمصر ، فى شهر جمادى الأولى سـنة ٦٥ هـ (ديسمبر ٦٨٤م)(٢٠) .

كذلك وضح تغلغل المذهب الخارجى فى مدينة الاسـكندرية عندما ثار نفر من الخوارج بزعامة المهاجر بن ابى المثنى التجيبى فى الاسكندرية على والى مصر قرة بن شريك العبسـى (٩٠ — ٩٦هـ = ٧٠٩ — ٧١٥م) . وانتهزوا فرصة زيارته للمدينة فى سنة ٩١ هـ (٧١٠م) فدبروا مؤامرة لقتله . الا أن الوالى نجا بفضل أحد جواسيسه ، الذى أخبره بتفاصيل المؤامرة ، وتمكن من الفتك بهم(٢١) . ويرى د. سعـد زغلول ان هـذه الحركـة الخارجية — التى يعتبرها نواة الحركة الخارجية المغربية — كانت تلقى عطفا من أهل الاسكندرية ، بل من أهل مصر عامة استنادا الى رواية الكندى التى تشير الى كراهيتهم لهـذا الجـاسوس — ويدعى أبا سليمان — الذى نقل للوالى تفاصيل المؤامرة(٢٢) .

والرأى ان هذا التأييد الذى حظى به خوارج الاسـكندرية انما كان مقتصرا على أهل الاسكندرية فقط ، اذ شهد القرن الثانى الهجرى (٨م) انحسـارا للمذهب الخارجى عن العاصـمة

ـ الفسطاط ـ ومعظم مدن مصر القريبة منها . والدليل على ذلك اشارة الكندى الى ان اهالى الفسطاط استنكروا معارضة وهيب اليحصبى لسياسة والى مصر الوليد بن رفاعة الفهمى (١٠٩ ـ ١١٧هـ = ٧٢٧ ـ ٧٣٥م) المتعاطفة مع نصارى مصر ، وخروجه عليه سنة ١١٧هـ (٧٣٥م) · وقالوا للوالى : « انما هو داف دف علينا (اى قادم قدم علينا) لاعلم لنا به · وقد كان ابليس مع الملائكة ، فعصى ، فلم يؤاخذهم الله بمعصيته » . وراحوا يوبخون وهيب ، قائلين : « اين صلاتك ياوهيب ؟ »(٢٣) ·

واذا كان المذهب الخارجي فى مصر قد بدأ ينحسر عن الفسطاط ومدن مصر القريبة منها خلال القرن الثانى الهجرى(٨م) الا انه فشا بين بربر المنطقة الغربية لمصر (فى برقة والبحيرة والواحات) ، ولكن بدرجات متفاوتة .

فنراه واضحا فى اقليم **برقة** بسبب اتصال البربر هناك باخوانهم بربر طرابلس . وظهر هذا واضحا أثناء ثورة قام بها أهل برقة فى سنة ١٤٣ هـ (٧٦٠ م) امتدادا لثورة أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الاباضى بطرابلس (١٤٠ ـ ١٤٤ هـ = ٧٥٧ ـ ٧٦١ م) · واضطر والى مصر ـ آنذاك ـ حميد بن قحطبة (١٤٣ ـ ١٤٤ هـ = ٧٦٠ ـ ٧٦١م) الى الخروج بنفسه على رأس قواته لاخماد هذه الفتنة حتى لا تؤثر على عمليات القتال الدائرة فى طرابلس والتى كان يقوم بها والى مصر السابق محمد بن الأشعث الخزاعى ووالى افريقية (أو المغرب الأدنى) آنذاك (١٤٤ ـ ١٤٨ هـ = ٧٦١ ـ ٧٦٥م) لردع ثورة ابى الخطاب(٢٤) . ولعل هذا كان سببا فى اقدام والى مصر يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة (١٤٤ ـ ١٥٢ هـ = ٧٦١ ـ ٧٦٩ م على ضم برقة نهائيا الى مصر ، فى سنة ١٤٨ هـ

(٧٦٥م) ، كى يتسنى لولاة مصر مراقبة ثورات اهلها المستمرة عن طريق شمالهم على المدينة(٢٥) • على ان هذا الاجراء الأخير لم يقض تماما على شغب أهل برقة الذين استمروا فى ثوراتهم على الحكم المصرى ، كما حدث فى سنتى ١٦٤هـ (٧٨١م) و١٧٢ هـ (٧٨٨م)(٢٦) . وفى سنة ٢١٦هـ (٨٣١م)(٢٧) •

ولما كانت **أرض البحيرة** أقرب تلك المناطق الى سلطان العاصمة اذ كانت تقع على الطريق بين الفسطاط والاسكندرية ، وهو طريق كثيرا ما سار فيه ولاة مصر بحملاتهم الى مدينة الاسكندرية لأسباب شتى ، فكان من الطبيعى أن تقل آثار النزعة الخارجية لدى بربر البحيرة خلال تلك الفترة •

بينما دلت الاحداث التى شهدتها مصر - وبخاصة أرض الصعيد - خلال العقد السادس من القرن الثانى الهجرى (العقد الثامن من القرن الثامن الميلادى) على مدى تغلغل الفكر الخارجى فى وجدان **بربر الواحات** . اذ حدث فى سنة ١٦٥ هـ (٧٨٢ م) ان ثار أحد الأمويين ، واسمه دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، بصعيد مصر على حكم العباسيين ، ودعا لنفسه بالخلافة • واستطاع ان يمتلك عامة الصعيد وعزم على الاستيلاء على الفسطاط . الا ان امره آل الى زوال عندما سير الخليفة العباسى المهدى (١٥٨ - ١٦٩ هـ = ٧٧٥ - ٧٨٥م) ، قائده الفضل بن صالح بن على العباسى الى مصر على رأس عسكر عظيم العدد ، وعهد له بولاية مصر ، وذلك فى آخر المحرم من سنة ١٦٩ هـ (اغسطس ٧٨٥ م) من أجل القضاء على ثورة دحية . وسرعان ما لحقت الهزائم بقوات دحية عند قرية بويط (قرب بوصير من أعمال بنى سويف الآن) • فاضطر دحية الى الفرار فى طائفة من جنده ، وسلك طريق الواحات . وندع الكندى يكمل

باقى الرواية : « .. فبعث الى أهلها يدعوهم للقيام معه . وكانوا من المسألة (كذا بالنص)(٢٨) . والبربر يتدينون بالشراية (يريد مذهب الخوارج) فقالوا : لا نقاتل الا مع أهل دعوتنا . فبعث اليهم دحية : انا على مذهبكم . فخرجوا اليه وقاتلوا معه يوم الدير . واقبل عبد الله بن على فى جمع كثير بعثه الفضل بن صالح . فخرج اليه دحية فى أهل الواحات ، فهزموا عبد الله بن على ... » ، ثم « وجد (أى حزن) أهل الواحات على دحية فى اثارته العرب على الموالى ، وتقديمهم على البربر . فقالوا له : هذا ظلم ، والاسلام واحد ولسنا نقاتل معك حتى نمتحنك بالبراءة من عثمان (أى بتكفيره) فامتنع دحية . فانصرفوا عنه وتركوه . فعاد عبد الله بن على ، لما علم انصرافهم عنه . فحاربهم .. وكانت نعم أم ولد دحية تقاتل قتالا شديدا »(٢٩) .

هكذا صراحة اشار بربر الوحات الى عقيدتهم (الشراية ، أى الخارجية) ، واشترطوا على دحية أن يكون على مذهبهم كى ينضموا اليه ، مما اضطره الى موافقتهم حتى انضموا الى جانبه . فتمكن بواسطتهم من كسب جولتين امام جيوش الخلافة العباسية التى سيرها له والى مصر الفضل بن صالح . وكانت احدى الموقعتين تسمى « بيوم الدير » التى يبدو أن انتصارهم فيها كان باهراً حتى ان شاعراً من أصحاب دحية تغنى به قائلا :

فلا ترجعى يا نعم عن جيش ظالم
يقود جيوش الظالمين ويجنب

وكرى بنا طردا على كل سانح
الينا بمنايا الكافرين تقرب

كيوم لنا لازلت انكر يومنا
« بفاو » ويوم فى « بويط » عصبصب

ويـوم باعلـى « الديـر » كانت نحوسـه
على فيئـة الفضـل بن صالح تتعب(٣٠)

ومن الواضح ان قائد الجيش العباسى المنهزم - عبد الله بن على - قد تنبه الى ان هؤلاء البربر هم مصدر قوة دحية · فعمد الى الايقاع بينهم ، وذلك باثارة هؤلاء الخوارج على حليفهم الأموى الذى مارس كأسلافه سياسة التعصب للعرب على حساب الموالى ، والبربر منهم . فجر عبد الله - اذن - قضية حساسة بالنسبة للبربر ، ووقف يترقب نتيجة محاولته . وسرعان ما تبين للبربر صدق مزاعم القائد عبد الله ، فحزنوا وراجعوا دحيـة فى أحد آرائهم المذهبية الذى ينص على تكفير قريبه الخليفة عثمان فرفض ، فانفضوا عنه . وادرك عبد الله بن على - حينئذ - نجاح محاولته ، فعاد بقواته الى دحية وطائفة الجند الباقية معه بعد تجرده من مصدر قوته اثر انسحاب البربر من معسكره. وكان الموقف صعبا بالنسبة لدحية وطائفته ، حتى ان نساءهم اضطررن لخوض القتال بانفسهن · وانتهى الأمر بهزيمتهم جميعا ، واسر دحيـة وسيق الى الفسطاط ، حيث ضربت عنقه وصلب . وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٦٩هـ (يناير ٧٨٧م)(٣١) ·

ومن الغريب أن والى مصر الفضـل بن صالح العباسى لم يتخـذ اجراء ما بشـأن معاقبـة بربر الواحـات الذين سـاعدوا دحية فى ثورته . مما يوحى بأن حكومة الفسطاط - ان لم تكـن الخلافة العباسية ذاتها - كانت على علم بمدى خطورة وضعهم فى هذه المنطقة النائية ·

وينقلنا الحديث عن الفكر الخارجى فى مصر ، خلال هذه الفترة (منتصف القرن الثانى الهجرى = الربع الأخير من القرن

الثامن الميلادى) ، الى ذكر حادثتين كان لهما علاقة بالتطورات التى كانت قد انتابت المغرب آنذاك .

وتتمثل اولاهما فيما ذكره الكندى عن عــزل قــاضى مصر غوث بن سليمان فى سنة ١٤٤هـ (٧٦١م) لاتهامه بمكاتبة الثائر أبى الخطاب الاباضى . وقد ورد بشأنه خطاب من الخليفة المنصور العباسى (١٣٦ – ١٥٨ هـ = ٧٥٤ – ٧٧٥م) الى والــى مصر حينئذ — يزيد بن حاتم — يأمره فيه بحبس القاضى ، « فحبس » . **وكان المبعوث الخاص – من قبل أبى الخطاب – للقاء القاضى غوث بمصر ، رجلا بربريا من قبيلة لفوسة البترية يدعى ربيعة النفوسى .** ويلاحظ أن أبا الخطاب كان حريصاً على بــدء المراسلة مع القاضى غوث ، يدلنا على هذا اعتراف رسوله ربيعــه الذى قال : « أنا حملت كتاب أبى الخطاب الاباضى من افريقية الى غوث ، وحملت كتاب غوث الى ابى الخطاب »(٣٢) . ورغم الغموض الذى اكتنف طبيعة هذه المراسلات الا انها لم تخرج عن كونها استشارات فى المذهب . ولا نستبعد ان تكون ثمة محادثات ذات طابع سياسى قد دارت على هامش هذه الاستشارات بين ربيعه النفوسى وبين علماء الاباضية الذين دلت القرائن على انهم ربما كانوا مستترين فى بعض نواحى مصر(٣٣) . وان صح هذا الافتراض الاخير ، فان أمر استشارة القاضى غوث كان مجرد حجة أو واجهــة لســتر طبيعة المهمة السياسية التى اوفد ربيعة من اجلها الى مصــر ، بمعنى ان القاضى غوث لم يكن ضالعا فى هذا الأمر ، والا فمــا تفسير القرار الذى صدر بتبرئة ساحته من هذه التهمة وعودتــه الى منصبه من جديد ، فى سنة ١٦٧ هـ (٧٨٣ م) حيث ظل قاضيا على البلاد حتى وفاته فى سنة ١٦٨ هـ (٧٨٤م)(٣٤) .

اما الثانية فتتمثل فيما شاع عن اهتمام الامام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم ، امام الخوارج الاباضية فى تاهــرت

بالمغرب الاوسط(١٦٨ ـ ٢١١هـ = ٧٨٤ ـ ٨٢٦م) ، باستشارة علماء المذهب فى المشرق ـ فى مصر ومكه على وجه الخصوص ـ في مسألتى : « شرط الحكم بمشورة جماعة معلومة ، وجواز امامة من يوجد أعلم منه » • حدث ذلك عندما واجه الامام عبد الوهاب معارضه قوية من جماعة النكار او النكارية وزعيمهم يزيد بن فندين الذى انكر على الامام أحقيته فى الحكم ، وطلب ان تشكل جماعة للرأى يرجع الامام اليها فى احكامه أو ان يعتزل الامام الحكم • ورغم ان زعماء أهل الدعوة فى مكة قد حكموا ببطلان الشرط وبجواز امامة العالم مع وجود من هو أعلم منه ، الا ان رأس الجماعة فى مصر ـ شعيب بن المعرف ـ رأى أن يستغل الموقف لصالحه الشخصى • فقرر المسير الى تاهرت « للنظر فى المسألة على مسرح الاحداث » وجد فى السير مع نفر من اصحابه ، طمعا فى الامارة • حتى حكى عنهم انهم « وصلوا من مصر الى تاهرت فى عشرين يوما » ، رغم معارضة مشايخ المذهب بمصر الذين نهوه عن الخروج الى تاهرت ، قائلين : « تقدم الى بلد اختلف أهلها ! ؟ » .

وقد انتهى الحال بشعيب وجماعته فى تاهرت الى الانضمام لصفوف المعارضة مع ابن فندين وأصحابه • مما حدا بالامام عبد الوهاب الى تسمية هؤلاء « بالشعيبية ـ الذين عرفوا بالشغبية والملحدة ، والنكاثه لادخالهم فى الاسلام الشغب » • وحمل عليهم هو وأنصاره حملات عديده أسفرت عن مصرع ابن فندين وتشتيت أنصاره فى البلاد ، بينما ظل شعيب يظهر الخلاف للامام فى المنطقة الواقعة بين طرابلس وجبل نفوسه وينشر دعوته المناهضة لامامة عبد الوهاب بين الحجاج العائدين من المشرق ، حتى كرهه أهل الدعوة بالحجاز « الذين تبرأوا من شعيب وجماعته(٣٥) •

وثمة ظاهرات أخرى لها علاقة كذلك بالتطورات التى كانت قد انتابت المغرب خلال هذه الفترة ، ونعنى بها الدول المستقلة التى

قامت هناك ابتداء من العقد الثالث من القرن الثانى الهجرى مساعدا (منتصف القرن الثامن الميلادى) ، منها : ما قيل عن الرسالة التى وجهها الامام ادريس الأول بن عبد الله بن الحسن رأس دولة الادراسة بالمغرب الاقصى (١٧٢ ـ ١٧٥هـ = ٧٨٨ ـ ٧٩١م) ، الى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل اهل البيت النبوى الذى ينتمى اليه ويصف التضحيات الغالية التى بذلوها فى سبيل حقهم الشرعى الموروث عن الرسول — ﷺ — ويطالبهم بتأييده ومساندته • وذلك فى اطار محاولات الادراسة توحيد العالم الاسلامى تحت قيادتهم استنادا الى اصلهم الشريف وشرعيتهم فى الحكم(٣٦) • ومعلوم ان مسألة أحقية أهل البيت النبوى الشريف فى الحكم لاقت رواجا بين أهل مصر الذين تعاطفوا مع العلويين ـ منهم خاصة ـ نتيجة ما نزل بهم من محن واضطهادات . وقد لمس الامام ادريس الاول بنفسه هذا الشعور اثناء مروره بمصر فى طريقه الى المغرب فرارا من محاولات العباسيين قتله ، وما كان من مساعدة صاحب البريد بها — واضح مولى صالح بن منصور الحميرى — اياه ، والتستر عليه حتى خرج من مصر سالما . وقد دفع واضح حياته ثمنا لذلك(٣٧) . الا ان الأمر كان مجرد تعاطف فقط من جانب المصريين تجاه العلويين ، ولم يوفر النجاح لثوراتهم التى قاموا بها فى مصر من أجل الانتزاء بها عن سلطان الخلافة العباسية(٣٨) •

ومنها حادثة استيلاء البحريين الأندلسيين على مدينة الاسكندرية واقامتهم فيها من شهر ذى الحجة سنة ٢٠٠هـ الى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ (يوليه ٨١٦ م/يونية ٨٢٧ م) • والتى يفهم من رواية الكندى انها كانت بمثابة حادث عرضى طرأ على مخططات غزاة البحر هؤلاء اثناء صراعهم مع البيزنطيين فى مراكزهم البحرية فى حوض البحر المتوسط • ذلك انهم — على ما يبدو —

كانوا قد اعتادوا ان ينزلوا بساحل المدينة اثر كل غزوة « ليبتاعوا ما يصلحهم » وربما كذلك استعدادا لغزوة تالية(٣٩) · غير انهم ظهروا ــ فى هذه المرة ــ فى شكل المغتصبين نتيجة الاستقبال غير الودى الذى قوبلوا به .

ففى بداية الأمر ، وعلى وجه التحديد خلال شهر رجب من سنة ١٩٩ هجرية (فبراير ٨١٥م) ، استقرت مراكب هؤلاء الأندلسيين ــ وعددها أربعون مركبا تحمل خمسة آلاف رجل على الكثر تقدير(٤٠) ــ فى المنطقة الساحلية التى تواجه الآن محطة الرمل ليقضوا الشتاء كالمعتاد(٤١) · الا ان اضطراب الأمر فى الاسكندرية جعل حاكمها حديج بن عبد الواحد بن محمد يرفض السماح بدخولهم المدينة والاكتفاء فقط بخروج الأهالى اليهم فى زوارقهم ليبتاعوا منهم(٤٢) . وكان مبعث هذا الاضطراب فى المدينة كثرة تغيير حكامها واضطراب العرب المقيمين بالاسكندرية وضواحيها من لخم وبنى مدلج(٤٣) .

وحقيقة الأمر فان هذه القلاقل التى عانتها المدينة كانت صدى لحالة الفوضى التى سادت مصر والعالم الاسلامى بالمشرق ، اثر النزاع الذى نشب بين الخليفة العباسى الأمين (١٩٣ ــ ١٩٨هـ / ٨٠٨ ــ ٨١٣م) واخيه المأمون وانتهى بمقتل الأمين واعتلاء المأمون الخلافة (١٩٨ ــ ٢١٨ هـ / ٨١٣ ــ ٨٣٣ م) . وقد استغلت طائفة البحريين الأندلسيين تلك الفوضى ، ودخلوا طرفا فى النزاع · ذلك أن المطلب بن عبد الله الخزاعى ــ الوالى على مصر (محرم سنة ١٩٩ هـ ــ آخر شعبان سنة ٢٠٠ هـ = اغسطس سنة ٨١٤ م ــ مارس ٨١٦ م) ــ كان قد استبدل عمر بن عبد الملك بن محمد الحديجى السكونى المعروف بعمر بن هلال ، بالفضل بن عبد الله ــ اخى الوالى ــ على الحكم فى الاسكندرية فى شهر شوال

سنة ١٩٩ هـ (مايو ٨١٥ م) بعد ولاية عمر بن هلال عليها مدة ثلاثة اشهر فقط • وربما كان ذلك لأنه لم يحسن حكم المدينة ولم يستطع القضاء على شغب القبائل العربية الضاربة فى أطراف الاسكندرية(٤٤) • فحقد عمر بن هلال – الحاكم المعزول – على الوالى ، وتحالف مع ثائر آخر فى تنيس هو عبد العزيز بن الوزير الجروى الجذامى ، الذى كان طامعا فى امارة الفسطاط(٤٥) . فكتب اليه الجروى يأمره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء له بها ، وان يخرج الفضل بن عبد الله منها • ولم يكن فى استطاعة ابن هلال ان يقوم وحده بهذا العمل الجرىء ، فاستعان بجماعة البحريين الأندلسيين هؤلاء الذين لم يترددوا فى مساعدته فى محاولة لرد اعتبارهم بعد ان اهان أحد الاهالى واحدا منهم بأن رمى وجهه بفضلات احدى الذبائح(٤٦) •

وبفضل مساعدة الأندلسيين لابن هلال ، نجح فى اخراج الفضل بن عبد الله من المدينة ودعا فيها للجروى . ولكن أهل الاسكندرية استاءوا من تدخل الاندلسيين ، فهاجموهم واشتبكوا معهم فى معركة انتهت بهزيمة الاندلسيين وعودتهم الى مراكبهم بعد ان قتل نفر منهم . ورد أهل المدينة واليهم الشرعى الفضل بن عبد الله(٤٧) •

وفى تلك الاثناء حدث بمدينة الفسطاط ان تمكن السرى بن الحكم ، أحد قادة الجند الخراسانيين بمصر – من الوصول الى حكم مصر باجماع الجند عليه ، وذلك فى مستهل شهر رمضان سنة ٢٠٠ هـ (ابريل ٨١٦ م)(٤٨) . وهنا سنحت الفرصة لابن هلال – من جديد – ان يتغلب على الاسكندرية مستغلا القلاقل واضطراب الجند فى الفسطاط ، فهاجم واليها أبا بكر بن جناده المعافرى – من قبل والى مصر المعزول عبد المطلب الخزاعى – وأخرجه منها ودعا

للجروى بها . وعند ذلك تهيا للاندلسـيين المجال للنزول بأرض الاسكندرية والاقامة فى برها بدلامن البقاء فى سفنهم . فاقبلوا الى ابن هلال حليفهم القديم . ولكن هذا الوضع أثار حفيظة الأهالى ، مما اضطر ابن هلال الى اخراج الاندلسيين عن المدينة ، والحقهم بمراكبهم « فاضطغنوا ذلك عليه »(٤٩) .

وتخلل ذلك ظهور طائفة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بمدينة الاسكندرية ويعارضون الحاكم ابن هـلال ، وقـد سموا انفسهم « الصوفية » وتولى الزعامة عليهم رجل يقـال لـه ابو عبد الرحمن الصـوفى . فكـان من الطبيعى ان يتمالف هؤلاء الصوفية مع الاندلسيين ، لاشتراكهم معهم فى معاداة ابن هلال والسخط عليه . واجتذب الصوفية كذلك عرب لخـم الـذين كـانوا اعـز من فى ناحيـة الاسكندريـة ، كمـا كانت لهـم إطماعهم الخاصة ايضا(٥٠) . وعزم الحلفاء على ازاحة ابـن هلال فتجمعت حشودهم حتى بلغت زهاء عشرة آلاف رجل وحاصروا ابن هلال فى قصره . فسلم نفسـه هو ، وأخوه محمد ، وابنـاء عمه : ابو هبيره الحارث ، وعبد الله البطال ، وحديج ، الواحـد بعد الآخر ، حيث تلقفتهم سيوف المتحالفين وقتلوهـم فى شهر ذى القعدة سنة ٢٠٠هـ (يونية ٨١٦م)(٥١) .

واذا كان الحلفاء قد اتفقوا على خلـع ابن هلال الا انهـم اختلفوا على اى فريق منهم يتولى الحكم فى الاسكندرية بعد ذلك . فتنازع اللخميون مع الاندلسيين نزاعا أدى الى قيام الحرب بينهما فاشتبك اللخميون بقيادة رباح بن قرة مع الأندلسيين ، فانهـزم اللخميون ودخل الاندلسيون الاسكندرية عنوة فى ذى الحجة من سنة ٢٠٠ هـ (يولية ٨١٦ م) ، فولوا عليها أبا عبد الرحمن الصوفى . وفى عهده ساد الفساد وكثر القتل والنهب ، فاضطر الأندلسيون

الى عزله وولوا رجلا منهم يعرف بالكنانى(٥٢) ٠ وعندئذ تدخل عرب بنى مدلج ، وكانوا يقيمون بظاهر الاسكندرية ، اذ خافوا ان يستقل الأندلسيون بالمدينة ، فهاجموا الأندلسيين ، ولكنهم منوا بهزيمة نكراء ترتب عليها ان أصبح الاندلسيون يتحكمون فى مصير الاسكندرية ٠ فنفوا بنى مدلج عن المدينة وانفردوا بحكمها(٥٣) ٠

دانت الاسكندرية — اذن — لسلطان البحريين الأندلسيين دون منازع منذ ذلك الحين (مطلع سنة ٢٠١هـ / اغسطس ٨١٦م)، واستمر هذا الوضع حتى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ (يونية ٨٢٧ م) . ورغم صمت المراجع عن وصف طبيعة الوجود الأندلسى بالاسكندرية وغير ذلك من أنماط الحياة التى كانوا يحيونها خلال هذه الفترة ، **الا أننا يمكن تصور ذلك من خلال الآتى :**

— ان تعاملاتهم مع أهالى الاسكندرية قد اتسمت بالشدة ، وذلك بحكم طبيعتهم الجافة كرجال بحر وغزاة ٠ وقد وضح هذا من خلال وصف احد المصريين لهم بانهم مبعث فساد وخطر على المدينة ، وذلك فى قوله « انى على الاسكندرية من اربعين مركبا — مسلمين وليسوا بمسلمين — تأتى على آخر الصيف ، أخوف منى عليها من الروم » ٠ ولما استنكر السامع مقولته ، محقرا من شأنهم ، نهره قائلا : « اسكت ، ويلك ! منها وممن يكون فيها ، يكون خراب الاسكندرية وما حولها »(٥٤) .

مما دفع بأهل المدينة الى الثورة عليهم غير مرة ، ولكن الاندلسيين تمكنوا من اخماد ثورة السكندريين « وبذلوا السيف فيهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، وسطوا بهم سطوة منكرة » (٥٥) . ويذكر الأستاذ صديق شيبوب ان هذه المحن قد ألمت « بالمسلمين والنصارى واليهود من سكان الاسكندرية على السواء ، وان أحياء

بأكملها قد احرقت . مما أجبر بطريرك النصـــارى مرقس الثانى (كذا بالنص ولعله البطريرك يعقوب خليفته)(٥٦) على الهرب من المدينة ، واللجوء الى شرق الدلتا حيـث كان الاقبـــاط كثيرى العدد . واتصل بعبد العزيز الجروى الثائر بتلك المنطقة ، وشكا اليه حالة الاسكندرية وفساد الحكم فيها . وقيل ان البطريرك قضى نحبه متأثراً بما شاهده فيها » (٥٧) .

ـ أن نظام الحكم الذى اتبعه الاندلسيون فيما بينهم كان أقرب الى النظام الجمهورى ، وقد اتضح ذلك عندما ولوا الكنانى عليهم بطريق الاختيار . واستمروا محافظين على هذا التقليد ، حتى ان آخر من ولى عليهم قبيل خروجهم من الاسكندرية وهـــو أبو حفص عمر بن شعيب البلوطى ، كان بطريق الاختيار أيضا(٥٨) .

ـ أنهم اتبعوا مع حكومة الفسطاط سياسة متأرجحة قوامها اعلان الولاء للمتغلب من الثائرين على البلاد ، وذلك من أجـــل الحفاظ على المكاسب التى حققوها بالاسكندرية . ففـى بدايــة انفرادهم بحكم الاسكندرية قبلوا وساطة السرى بن الحـكم ـــ المتغلب على الفسطاط ـ من أجل ارجاع بنى مدلج الى منازلهم ، واذنوا لهم بالعودة ، حتى يستمر السرى فى موقفه المتخاذل من استيلائهم على المدينة(٥٩) . وعندما سار عبد العزيز الجروى الى الاسكندرية سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) واحكم الحصار حول المدينة ، دعا له الأندلسيون وانصاعوا لحكم نائبه معاوية بن عبد الواحـــد الحديجى ، وكان نفوذ السرى فى ذلك الوقت قد تدرج بعـــد ان شغب عليه الجند الخراسانى بمدينة الفسطاط(٦٠) . وعقب خروج الجروى من الاسكندرية مباشرة لحرب السرى بن الحـــكم ، قـــام الاندلسيون بخلع عامل الجروى على المدينـة وطـــردوه منها ، ودعوا للسرى . وظلوا على هذا الحال من تذبذب الولاء للجروى

والسرى ، الى أن توفى الأول اثر اصابته بحجر المنجنيق وهو مقيم على حصارهم بالاسكندرية ، فى شهر صفر سنة ٢٠٥هـ (اغسطس سنة ٨٢٠م) ، وتوفى الثانى بعده بثلاثة أشهر ، فى شهر جمادى الأولى (نوفمبر) السنة . واذ ذاك قدر للاندلسيين الانفراد نهائيا بحكم الاسكندرية دونما متاعب من حكومة الفسطاط التى تنازع عليها أفراد من أسرتى السرى والجروى . حتى انتهى هذا الوضع الشاذ سنة ٢١١ هجرية (٨٢٦م) عندما خلص أمر الفسطاط لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، مولى خزاعة وقائد جيش الخليفة المأمون العباسى(٦١) .

ونستطيع القول بأن هؤلاء البحريين الأندلسيين قد مارسوا نشاطا بحريا ضد المراكز البيزنطية المنتشرة فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط خلال فترة استيلائهم على الاسكندرية ، تحقيقاً لهدفهم الرئيسى من وجودهم بتلك المنطقة . يدلنا على هذا وصف ساويرس لهم بأنهم « اقاموا على هذه القضية (يعنى العادة) من مصر الى جزائر الروم ينهبون ويجيبون (كذا بالنص) السبى الى الاسكندرية ، ويبيعونهم كالعبيد . »(٦٢) . ويبدو أن هؤلاء الاندلسيين قد اختصوا جزيرة اقريطش (كريت) بنصيب كبير من حملاتهم البحرية . فيشير د. سالم الى انهم « بعثوا على اقريطش فى سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م) عشر سفن أو عشرين ، عادت بكثير من الاسرى والغنائم ، بعد ان عرفت المكان معرفة دقيقة »(٦٣) .

وكان من الضرورى أن ينتهى هذا الوضع الشاذ الذى أمست مصر فيه اثناء فترة الصراع بين الأمين والمأمون وماتلاها من انشغال المأمون بالقضاء على الفتن الداخلية التى واجهته ، سيما بعد أن استتب له أمر المشرق . فأسند المأمون هذه المهمة الى قائده

عبد الله بن طاهر بن الحسين الذى أقبل الى مصر سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) ، فتلقاه على بن عبد العزيز الجروى ـ الثائر بتنيس ـ « بالأموال والانزال وانضم اليه » ونجح عبد الله بن طاهر اخيرا فى اخضاع عبيد الله بن السرى بن الحكم ـ المتغلب على الفسطاط ـ وآلت اليه ولاية مصر فى شهر ربيع الأول سنة ٢١١ هـ (يونية ٨٢٦ م) (٦٤) . ثم عزم عبد الله بن طاهر على المسير الى الاسكندرية لطرد الأندلسيين من المدينة ، فبعث على مقدمة جيشه العباس وهاشم من قواد خراسان فى مستهل صفر سنة ٢١٢ هـ (مايو ٨٢٧م) . ثم ادركهما فى شهر ربيع الأول (يونية) حيث نزل على حصن المدينة وحاصرها « بضع عشرة ليلة » فاستسلمت وخرج اليه أهلها بالأمان . فاسقط فى يد الأندلسيين وطلبوا المصالحة ، فوافقهم ابن طاهر على ذلك شرط الجلاء عن الاسكندرية الى « حيث أحبوا » دون ان يأخذوا فى مراكبهم « أحداً من مصر ولا عبداً ولا آبقا » ، فاذا خالفوا هذا الاتفاق حلت دماؤهم . وعلى الرغم من أن ابن طاهر بعث من فتش على الاندلسيين مراكبهم ووجد فيها جمعا من الذين اشترط عليهم الا يخرجوا ، الا انه لم ينزل بهم عقوبة المخالفة ، بل رجع عن أمره باحراق مراكبهم(٦٥) . وهكذا ابحر الأندلسيون من الاسكندرية فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ (يونية ٨٢٧ م) يقودهم زعيمهم أبو حفص عمر بن شعيب البلوطى ، المعروف بابن الغليظ أو بالغليظ ، من أهل قرية بطروج من عمل فحص البلوط المجاور لمدينة قرطبة ، الذى كان من الطبيعى ان يختار جزيرة اقريطش منزلا لرفاقه ، لسابق معرفتهم بها خلال مدة تغلبهم على الاسكندرية(٦٦) .

مما سبق يتضح لنا الآتى :

١ ـ انهم جماعات من البحريين من أهل الساحل الشرقى لشبه جزيرة الأندلس صنعتهم الغزو البحرى للسواحل الافرنجية

وجزر البحر المتوسط التابعة للبيزنطيين • ولا مجال هنا للخلط بين ظهورهم على هذا النحو أمام ساحل الاسكندرية ـ أثر غزوة قاموا بها على أحد المراكز البحرية البيزنطية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ـ وبين بعض الثورات التى شهدتها بعض المدن الأندلسية قريبا من ذلك الوقت ، خاصة ثورة الربض الشهيرة فى قرطبة على أيام الأمير الأموى الحكم بن هشام (١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ/ ٧٩٦ ـ ٨٢٢ م)(٦٧) •

٢ ـ وعلى الرغم من أن جماعات البحريين هؤلاء قد اشتركوا ـ فى بعض الأحيان ـ فى خدمة الدولة الأموية بالأندلس ، مقابل أرزاق معلومة ، الا انهم فى مغامرتهم هذه المرة لم يكونوا يعملون لحساب حكومة قرطبة • وقد وضح هذا من خلال دخولهم فى فلك الخلافة العباسية التى كانت تسيطر على الشرق الأدنى الاسلامى بما فيه مصر وافريقية • ونتج عن هذا ان اقريطش أصبحت فى التقسيم الادارى للدولة العباسية اقليما تابعا لمصر(٦٨) •

ويستنتج د• سعد زغلول من هذا ان خروج الأندلسيين من الاسكندرية الى اقريطش سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) انما تم بمعرفة الخلافة العباسية « أو تحت اشرافها » ، فى الوقت الذى كان الأغالبة ـ نواب العباسيين فى ولاية افريقية ـ يقومون فيه بغزو جزيرة صقلية التابعة للدولة البيزنطية « حتى تتم مفاجأة الروم فى جبهتين دفعة واحدة »(٦٩) • وقد يؤكد صحة هذا الاستنتاج ما رواه ابن الأبار عن تفاصيل خروج الأندلسيين من الاسكندرية من أن عبد الله بن طاهر قد « صالحهم على التخلى عنها على مال بذله لهم »(٧٠) • وهو ما يعد تفسيرا مقبولا لخروجهم من الاسكندرية بغير مقاومة كبيرة ، اذ ان الروايات لا تشير الى أى صعوبة فى اخراجهم من المدينة سوى حصار ابن طاهر لهم لمدة

« بضع عشرة ليلة »(٧١) ، مع انهم أناس طاب لهم المقام بالمدينة طيلة احدى عشرة سنة وأربعة اشهر(٧٢) •

٣ ــ وكان استيلاء البحريين الأندلسيين على مدينة الاسكندرية من قبيل التطورات غير المحسوبة التى ترتبت على ظهورهم أمام ساحل الاسكندرية قبيل شهر رجب سنة ١٩٩ هـ (فبراير ٨١٥ م) « ليبتاعوا ما يصلحهم » فى فترة كانت الاضطرابات تسود الاسكندرية ومصر كلها نتيجة للقلاقل التى سادت المشرق الاسلامى كله خلال فترة الصراع بين الأمين والمأمون • كما انها كانت حادثة فرعية غير ذات مضامين سياسية بعيدة تؤثر ــ بشكل أو بآخر ــ على العلاقات بين المجتمعات الاسلامية حول البحر المتوسط • وقد بدا هذا واضحا بعد خروج الأندلسيين من الاسكندرية واستيلائهم على جزيرة اقريطش التابعة للدولة البيزنطية ، وهو ما عد تصحيحا لمسار حركة هؤلاء الغزاه البحريين • فقد استمر التعاون بين مسلمى اقريطش ــ من البحريين هؤلاء ــ وبين مصر والشام التابعتين لحكومة بغداد العباسية من أجل القيام بعملياتهم البحرية ضد المراكز البحرية البيزنطية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، حتى سقطت الجزيرة نهائيا فى أيدى البيزنطيين فى محرم سنة ٣٥٠ هـ (مارس ٩٦١ م) من حكم الامبراطور رومانوس الثانى (٩٥٩ ــ ٩٦٣ م = ٣٤٨ ــ ٣٥٢ هـ)(٧٣) •

واخيراً فقد تخلل هذه الفترة ــ وبالتحديد فى سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) ــ قيام دولة الأغالبة فى حكم ولاية افريقية ، معلنة بذلك نهاية الفترة التى لعبت فيها مصر دورها الهام فى حماية النفوذ العباسى فى المغرب ، أو بعبارة أخرى انتهاء مرحلة وصاية مصر على المغرب • ورغم ما كان يعنيه هذا من بعض

الحساسية التى كان من المنتظر أن تخيم على جو العلاقات بين الدولتين خاصة ان الأغالبة الأوائل سعوا الى تاكيد استقلال دولتهم ليس فقط عن مصر بل أيضا عن الخلافة العباسية ذاتها(٧٤) ، فان شيئا من ذلك لم يحدث . على العكس تميزت العلاقات بين الدولتين ـ عامة ـ بطابع الود ، وحسبنا عدم حدوث ثمة ما يشير الى عداء صريح بين ولاة مصر العباسيين وبين حكام القيروان • ولم لا ؟ وابراهيم بن الأغلب ـ رأس الأسرة الأغلبية ـ نفسه (١٨٤ ـ ١٩٦ هـ = ٨٠٠ ـ ٨١٢ م) قد اقام فى بداية حياته بمصر وتلقى العلم على علمائها ، وخاصة الليث بن سعد فقيه مصر العظيم الذى اهداه جاريته جلاجل أم ولده زيادة الله(٧٥) • وكذلك أخوه عبد الله بن الأغلب الذى آثر الاقامة بمصر مع ابنيه ـ وكان احدهما يدعى محمد والآخر ابراهيم • وقد أستمرت اقامة عبد الله الذى وصف بانه « كان ذا نعمة عظيمة » ، بمصر حتى وفاته ، فارتحل ابناه الى افريقية(٧٦) • وقد حرص والى مصر السرى بن الحكم (أثناء ولايته الثانية ٢٠١ هـ حتى وفاته ٢٠٥ هـ = ٨١٧/١٦ ـ ٨٢٠ م) على ايواء الأغلب بن ابراهيم ابن الأغلب الذى لجأ الى مصر مع ابنى أخيه عبد الله : محمد وابراهيم ، فرارا من بطش الأمير الأغلبى الحاكم زيادة الله الأول بن ابراهيم (٢٠١ ـ ٢٢٣ هـ = ٨١٧ ـ ٨٣٨ م) ، ولم يحاول أن يستغل وجودهم بمصر فى شىء . بل ان السرى سمح لهم بالعودة الى القيروان ، بعد أن أرسل الأمير زيادة الله يستعطف أخاه الأغلب ويطالب عودته • ولم نسمع عنهم خلال اقامتهم بمصر شيئا ، وبعد عودتهم الى القيروان . فقط صار الأغلب مقربا من أخيه زيادة الله مكرما عنده ، حتى آل اليه حكم الأغالبة بعد وفاة زيادة الله(٧٧) •

وقد انعكست هذه العلاقات الودية على أوضـاع الوافدين الى مصر ابتداء من منتصف القرن الثانى الهجـرى ، على وجـه التقريب (الربع الأخير من القرن الثامن الميلادى) . اذ تمتعـوا بقسط كبير من الحرية أتاح لهم مباشرة شـئون حياتهم فى سهولة ويسر • فانتشروا فى مدن مصر وقراها يتدارسـون علوم الدين فيما بينهم وبين علماء مصر ، ومارس بعضهم حرفا عديدة من أجل كسب العيش ، وعاش بعضهم كجماعـات لها كيانها الخاص فى الأماكن التى خصصت لايواء الغرباء وعابرى السبيل الطارئين على البلاد • كما سنبين فيما بعد •

هـذا ، ونود الاشارة — قبل أن نختم الحـديث عن هـذا العصر — الى ان الاضطرابات التى غدت دلتا مصر مباءة بهـا ، خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجرى (٩ م)(٧٨) ، قد أتاحت الفرصـة لاعداد البربر المقيمين فى **أرض البحيرة** خاصـة ، كى يبدأوا فى ممارسـة هواية ، سيتضح فيما بعد انهـا كانت أثيرة لديهم الا وهى القيام ببعض الاغارات على الممتلكات المجاورة ، مستغلين فى ذلك انشغال ولاة الفسطاط بمعالجة الفتن الناشبة •

واول مثال على ذلك يسوقه لنا ساويرس فى معرض حديثه عن جهـود البطريرك يعقوب (٨١٠ ـ ٨٢١ م = ١٩٥/١٩٦ هـ ٢٠٦ هـ) لمحو آثار المحنـة التى تعرض لها نصـارى البحـيرة « لأن البربر كانـوا قد نهبوا جميع أموالهم ، وهدموا البيع ، وأحرقوا القلالى (هى المذابح التى توضـع فيها القرابين والنذور بقاعات الكنائس) بالنار » • حدث هذا بينمـا كان الصراع فى مدينة الاسكندرية على أشـده بين غزاة البحر الأندلسيين وأهل المدينة ، وكان النزاع محتدما بين الجروى الثائر بتنيس والسرى بن الحكم المتغلب على الفسطاط(٧٩) •

ولعل بربر البحيرة هؤلاء كانوا بين « الموالى » الذين انضووا - مع جيرانهم نصارى المنطقة - تحت زعامة جابر بن الوليد المدلجى ، من بنى الهجيم بن عثوارة بن عمرو بن مدلج ، فى ثورته بناحية الاسكندرية على حكومة الفسطاط ، ابتداء من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٢ هـ (ابريل ٨٦٦ م) حتى انتهى أمره فى شهر رجب سنة ٢٥٣ هـ (يولية ٨٦٧ م) . ويدعونا الى القول بذلك ان أرض البحيرة جميعها - من تخوم الاسكندرية شمالا حتى مشارف الفيوم جنوبا - كانت مسرحا للعمليات العسكرية التى قام بها الثوار(٨٠) . وهى أمور سنجد لها أمثلة أخرى أكثر وضوحا فى الفترات التالية .

الهـوامش

(١) الكندى : ولاة مصر ، ص ٦١ • ورغم أن هذه التبعية الادارية قد انتهت أثر تعيين محمد بن يزيد القرشى بالولاء ، واليا على المغرب فى سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) ، فان المغرب ظل مرتبطا بمصر بعلاقة أخرى ادارية تمثلت فى أن بعض ولاة المغرب كانوا ولاة سابقين على مصر • مثلما حدث مع بشر بن صفوان الكلبى ، الذى ولى أمر المغرب فى سنة ١٠٣ هـ (٧٢١ م) ، وكان قبل ذلك واليا على مصر فى سنة ١٠١ هـ (٧١٩ م) • انظر : (المصدر نفسه : ص ٩١ ـ ٩٢) •

(٢) مثال ذلك ما حدث عند خروج القائد حسان بن النعمان على رأس حملة عسكرية الى افريقية سنة ٧٤ هـ (٦٩٣ م) ، فقد قال له الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ ـ ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) « انى قد أطلقت يدك فى أموال مصر فاعط من معك ، ومن ورد عليك ، واعط الناس ، واخرج الى بلاد أفريقية على بركة الله وعونه » • انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٤ •

(٣) وقد استمرت هذه المعونة المالية تخرج من مصر الى المغرب حتى تنازل عنها ابراهيم بن الأغلب ـ رأس الأسرة الأغلبية ـ عند توليه الحكم فى ولايه افريقية سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) • عن ذلك انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ص ٥٦ ، وابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، ج ٦ ، ص ١٩٦ •

(٤) الكندى : ولاة مصر ، ص ٩٥ و ٩٦ و ٩٨ ، وابن عذارى : البيان ، ج ١ ، صفحة ٥١ ، وج ٢ ، ص ٣٩ • وانظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق د• حسين مؤنس ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨ ، ترجمة رقم ١٨٢ • وراجع : د• سعد زغلول : تاريخ المغرب ، ج ١ ، صفحة ١٧٨ وهامش رقم ٩٨ •

(٥) د٠ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٦ ـ ٦٢ ٠

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٠ ، والبلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الأول ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، والكندى : ولاة مصر ، ص ٣٣ ٠

(٧) د٠ مؤنس : المرجع السابق ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ٠

(٨) راجع : ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ مع ملاحظة هامش تحقيق رقم ١٨ ، والكندى : ولاة مصر وقضاتها ، تحقيق رفن جست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ ، الجزء الأول من كتاب القضاة ، ص ٣٠٥ ، وهامش تحقيق رقم ٢ ٠ وسيلى الحديث عن هذه اللقاءات بشىء من التفصيل فى الفصل الثقافى ٠

(٩) عن قصة بيع الأبناء التى أقرها عمرو بن العاص مع أهل برقة ، انظر : ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، والبلادرى : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، والبكرى : المغرب ، ص ٤ ـ ٥ ٠ ولمزيد من التفصيل ، راجع : د٠ محمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب ، ص ٦ ـ ٩ ٠ وسيلى الحديث عن هذه السياسة وعن بعض ثمارها فى الفصل الثقافى ٠

(١٠) انظر فى ذلك : البلادرى : ص ٢٥٩ ٠ وراجع كذلك مقولة ابن عبد الحكم (فتوح مصر والمغرب ، القسم التاريخى ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨) عن مدى اليسر الذى تخلل أحداث فتح الفيوم ، وكيف أن أهلها ـ الدين سبق الاشارة الى أن كان بينهم لواتيون ـ « لم يكن عندهم قتال ، والقوا بأيديهم »

(١١) الكندى : ولاة مصر (تحقيق د٠ حسين نصار) ، ص ٣٦ ٠

(١٢) المصدر نفسه والصفحة وقد سميت هذه الوقعة بوقعة الحدق ، لكثرة ما أصابت رماح البجة عيون كبار القادة المسلمين الذين شاركوا فى القتال ٠ وسنرى أمثلة تالية لاستمرار الغارات البجة على جنوب مصر ٠

(١٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٤ ٠

(١٤) المصدر نفسه : ص ١٥٥ ٠ ولنعتقد أن الأمر كان يتطلب بقاء حامية اسلامية ، أقام أفرادها فى أرض الواحات للمشاركة فى حماية المنطقة ، وفى تعليم البربر هناك قواعد الدين الاسلامى ٠

(١٥) نستدل على هذا من واقع اشارات الجغرافيين عن ارتفاع كثافة بربر لواته ، خاصة ، فى منطقة الحدود الغربية لمصر مع ليبيا ٠ راجع فى ذلك ما سبق

من صفحات فصل المدخل ، ص ٤٣ ـ ٤٤ • وستلي أشارة أخرى عن هجرات بربرية شهدتها المنطقة خلال الفترات التالية •

(١٦) يقول ابن خلدون : « ان البربر ارتدوا بافريقية والمغرب اثنتى عشرة مرة » بمعنى انهم قاوموا الفتح الاسلامي لبلادهم كل هذه المرات • ولهذا طالت عمليات الفتح العسكرى الاسلامى لنواحي المغرب بشكل لم يحدث فى غيرها من عمليات الفتوح الأخرى انظر فى ذلك : العبر (طبعة بيروت) ، جـ ٦ ، ص ٢٠٥ •

(١٧) الكندى : ولاة مصر (تحقيق د• حسين نصار) ، ص ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ •

(١٨) المصدر نفسه : ص ٥٥ ـ ٥٦ • وقد كانت ثورتهم تلك امتدادا لحركة عصيان قاموا به إبتداء من سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) ، وتكرر سنة ٤١ هـ (٦٦١ م) •

(١٩) نفسه : ص ٤٢ •

(٢٠) نفسه : ص ٦٣ ـ ٦٧ • ويذكر الكندى أن أنصار ابن الزبير فى مصر كانوا من الكثرة وشدة المقاومة بحيث اضطر الخليفة مروان الى الدخول فى جوار زعيمهم كريب بن أبرهة اللخمى ، خوفا من أن يتعرض للاغتيال • (المصدر نفسه ، ص ٦٨) •

(٢١) نفسه : ص ٨٥ • مع ملاحظة أن الكندى وصف الخوارج بكلمة « الشراة » جمع شارى • وهو اسم أطلقه الخوارج على أنفسهم ـ فيما يبدو ـ بمعنى أنهم باعوا أنفسهم لله واشتروا آخرتهم بدنياهم • أخذا من القرآن الكريم فى قوله تعالى (سورة البقرة ، آية ٢٠٧) : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رءوف بالعباد » •

(٢٢) المصدر نفسه والصفحة • وانظر : د• سعد زغلول : الأثر المغربى والأندلسى ص ٢٢٣ •

(٢٣) المصدر نفسه : ص ٩٩ ـ ١٠٠ •

(٢٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط ١ ، جـ ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٩ ، ص ٣٤٩ • ويبدو أن اتصال ثوار أهل برقة بأبى الخطاب كان وثيقا لدرجة جعلت ابن تغرى بردى يذكر أن أبا الخطاب هو نفسه الذى قام بالثورة فى برقة •

(٢٥) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٣٧ • وراجع كذلك : المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، أو خطط المقريزى ، تحقيق د• محمد مصطفى زيادة ، فى ثلاثة أجزاء عن طبعة بولاق ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ، جـ ١ ، ص ٥٧٧ •

(٢٦) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٧ و ٧١ •

(٢٧) الكندى : ص ٢١٤ •

(٢٨) لعل العبارة هكذا : « وكانوا من مسراته » من فروع بنى اللهان أحد افخاذ قبيلة هوارة التى سبق ان رأينا انها استقرت فى منطقة الساحل الشمالى الغربى لمصر حتى أرض العقبة (عقبة السلوم) ، وبكثافة من « آخر عمل مصر الى طرابلس » • راجع : اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٤٦ • أو ربما كانت « وكانوا من مزاته » من فروع لواته التى طغى نفوذها على كل صحراء مصر الغربية • ونستبعد أن تكون القراءة « من المسالته » ، لأن هذا الفرع ينتمى لقبيلة كتامة البرانسية التى استقرت فى المغرب الأوسط ، ولم يكن لها هذا التغلغل فى صحراء مصر الغربية • وكذلك نستبعد أن تكون « من المسالمة » على نحو ما رأى د• عبادة عبد الرحمن كحيلة (مصر ومشروع عبد الرحمن الداخل فى بعث الخلافه الأموية بالمشرق ، مقال ضمن ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ط ١ ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٩٧) • وذلك لما تعنيه هذه الكلمة من أنهم كانوا حديثى عهد بالاسلام أو اهل ذمة داخلين فى الاسلام بينما بدا أنهم متعمقون فى الاسلام لدرجة أنهم كانوا أصحاب فكر ومذهب •

(٢٩) الكندى : ولاة مصر ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ •

(٣٠) المصدر نفسه والصفحات • ولعل الدير المقصود هنا : هو دير أبى شنودة المشهور بمدينة أخميم من صعيد مصر • وسبب شهرته ما قيل عن احتوائه على رفات اثنين من حوارى السيد المسيح عن ذلك راجع : (اليعقوبى : صفحة ٣٣٢) • أما « بويط » و « فاو » فقد كانت الأولى من أعمال بنى سويف الحالية والثانية من اعمال نجع حمادى • عنهما انظر : د• عبد المنعم الشامى مدن مصر وقراها ، شكل رقم ١٠ ، ورقم ١٥ •

(٣١) عن هزيمة دحية وأسره ومقتله ثم صلب جثته فى الفسطاط ، انظر : الكندى : المصدر نفسه ص ١٥٤ وهامش تحقيق رقم ٢ •

(٣٢) الكندى : ولاة مصر وقضاتها (تحقيق رفن جست) ، ص ٣٦٢ •

(٣٣) لعل في اشتداد حدة النزعة الخارجية انذاك بين بربر برقة وفى أرض الواحات ـ كما ألمعنا ـ لما يدل على أن هذه المناطق كانت تستضيف بعض ائمة هذا المذهب

(٣٤) المصدر نفسه والصفحة • ولعل الرد الذى كتبه القاضى غوث الى أبى الخطاب لم يكن فيه ما يشين القاضى • بيد أن الخليفة المنصور العباسى قد استشاط غضبا بمجرد أن وصل الى مسامعه ببغداد نبأ اتصال القاضى غوث بالثائر الذى كانت وطأته قد ثقلت على الخلافة ، ولهذا أصدر قراره بعزله وحبسه • وعندما وضح للخلافة العباسية فى عهد خلفة محمد المهدى حقيقة موقف القاضى غوث ، صدر القرار بتبرئته وعودته الى منصبه •

(٣٥) عن تفاصيل الفتنة التى تعرض لها الامام عبد الوهاب واستشارته لعلماء المذهب فى مكة ومصر ، ودور شعيب المصرى ورفاقه فى تاهرت ، انظر : أبو زكريا : كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٣٠ ح ، ص ١٥ أ ـ ١٩ أ والدرجينى : طبقات الأباضية ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٥٦١ ح ، ص ٢٢ أ ـ ٢٥ ب • وصورة ميكروفيلم عن هذه النسخة فى جزئين أرقام ٥٨٧٢ و ٢٣٩٥٠ ، جـ ١ ورقات ٨ ظهر و ٩ وجه • وقد طبع هذا المخطوط بعنوان « طبقات المشايخ بالمغرب » تحقيق ابراهيم طلاى ، فى جزئين ، ط ١ ، مطبعة البعث ، قسطينة ، الجزائر ١٩٧٤ • وراجع : د• سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٣ •

(٣٦) د• أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط ١ ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٥٠ ـ ٥١ وهامش رقم ٤ ص ٥٠ • حيث يشير الى أن هذه الرسالة حررت بنصها الكامل فى الجزء الثانى من سيرة امام اليمن المؤيد بالله محمد بن القاسم فى رسالة له وجهها اليه أهل المغرب فى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) • وهو مخطوط بمكتبة الامبروزيانا بميلانو تحت رقم ١١٥ ، ورقة ٧١ ـ ٧٥ وتوجد صورة لها فى خزانة الرباط • وراجع : د• محمد عبد المولى : القوى السنية ، ص ٥٣٧ •

(٣٧) أبو عبد الله التنسى : نظم الدر والعقيان ، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات بعنوان « تاريخ دولة الأدارسة واخوتهم السليمانيين » ، مجلة التاريخ

بالمركز الوطنى للدراسات التاريخية ، الجزائر ، النصف الثانى من سنة ١٩٨٠ ، ص ٢٧ — ٢٨ و ٣٠ ٠

(٣٨) مثل ثورة على بن محمد الحسنى فى سنة ١٤٤ هـ (٧٦١ م) وهو اول علوى قدم مصر ٠ انظر : الكندى : ولاة مصر (تحقيق د٠ حسين نصار) ص ١٣٣ — ١٣٤ ٠

(٣٩) الكندى : ولاة مصر (تحقيق د٠ حسين نصار) ، ص ١٨٣ ٠ وعن نشاة البحرية الأندلسية وجهادها ضد القوى المسيحية فى البحر المتوسط ، انظر : د٠ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، جـ ٢ فى المغرب والأندلس ، بالاشتراك مع د٠ أحمد مختار العبادى مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ، ص ١٤٧ — ١٦١ ٠ ود٠ أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٤٣ — ١٤٤ ٠ وانظر : أرشيبالد (لويس) : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ومراجعة د٠ محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ ٠ حيث يؤكد أن هؤلاء البحريين الأندلسيين كانوا « أول من كشف ضعف بيزنطة (انذاك) » ٠

(٤٠) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ٠ ود٠ سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٤٣

(٤١) المقريزى : خطط ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ ٠ ود٠ سالم : المرجع السابق والصفحة ٠

(٤٢) الكندى : ص ١٧٩ و ١٨٨ ٠

(٤٣) المصدر نفسه ٠ ص ١٧٩ ٠

(٤٤) المصدر نفسه : ص ١٨٣ ٠ وراجع : د٠ عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار الكاتب للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٤٢ — ١٤٤ و ١٥٧ ٠

(٤٥) الكندى : ص ١٨٣ ٠

(٤٦) المقريزى : خطط . جـ ١ ، ص ٣٢٢ ٠ يقول المقريزى ان الرجل ٠ وكان يعمل قصابا قد ضرب وجه الأندلسى بـ « كرش الدبيحه » ٠

(٤٧) الكندى : ص ١٨٣ • ود• سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ •

(٤٨) عن السرى بن الحكم وكيفية وصوله لمنصب الولاية فى مصر ، وتمهيده لحكم أبنائه من بعده انظر بالتفصيل : د• حسين نصار : دولة مهملة فى تاريخ مصر الاسلامية « آل السرى بن الحكم » ، مقال بمجلة (المجلة) ، عدد ٣ شهر مارس ١٩٥٧ ، ص ١٠٠ ــ ١٠٤ •

(٤٩) الكندى : ص ١٨٦ • ود• سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٣٩ •

(٥٠) المصدر نفسه والمرجع ، والصفحات وما يليها •

(٥١) نفسها •

(٥٢) الكندى : ص ١٨٨ ، والمقريزى : خطط ، جـ ١ ، ص ٣٢٣ • ويرجح الدكتور سالم ان « الكنانى » هذا ربما كان من أبناء الرماحس بن عبد العزيز (أو عبد العزى) الكنانى ، الذى لعب دورا هاما فى الالتزاء بمصر ، فى آخر الدولة الأموية ولكنه انهزم فى الحوف الشرقى ونفى من مصر (وانظر الكندى : ص ١١٦) ، ثم مضى الى الأندلس واشترك فى الصراع بين العصبيتين اليمنية والمضرية ، وكان من مؤيدى عبد الرحمن الداخل ثم انقلب عليه ، فتآمر مع بعض الثوار فى سنة ١٦٤ هـ (٨٠ / ٧٨١ م) ضد الأمير ، واضطر أخيرا الى الفرار الى المشرق ويبدو ان أولاده ظلوا فى الأندلس ، ولعل محمد بن الرماحس قائد أساطيل الأندلس زمن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ــ ٣٥٠ هـ /٩١٢ ــ ٩٦١ م) ـ كان واحدا منهم ، فهى أسرة عرفت بالمغامرات • عن ذلك انظر : تاريخ البحرية الاسلامية ، جـ ٢ فى المغرب والأندلس ، ص ٧٨ هامش رقم ١ •

(٥٣) الكندى : ص ١٨٨ • ود• سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٤٠ •

(٥٤) الكندى : ص ١٨٨ ، والمقريزى : خطط ، جـ ١ ، ص ٣٢٣ •

(٥٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٤٥ •

(٥٦) تجدر الاشـارة الى أن مرقس الثانى ــ وهو رقم ٤٩ فى عداد بطاركة الكنيسة المصرية ـ قد تولى البطريركية فى سنة ٧٩٠ م /١٧٤ هـ (واستمر حتى وفاته فى سنة ٨١٠ م (١٩٥/١٩٦ هـ) • أى قبل ظهور الاندلسيين بالاسكندرية وتغلبهم عليها بأكثر من ثلاث سنوات • فلعل المعنى بالأمر هنا هو خليفته البطريرك يعقوب (٨١٠ ـ ٨٢١ م = ١٩٦/١٩٥ ــ ٢٠٦ هـ) عن ذلك انظر : ساويرس

ابن المقفع : تاريخ البطاركة اعداد وتعليق الراهب صموئيل السرياني ، معهد الدراسات القبطية ١٩٨٤ ، ص ٣ الشبت الخاص بسنى حكم البطاركة .

(٥٧) صديق شيبوب : جمهورية أندلسية بالاسكندرية ، مقال بمجلة (الكتاب) عدد فبراير سنة ١٩٤٩ ، ص ٢٣٤ • ويدلنا واقع النص ـ والمأخوذ عن ساويرس (تاريخ البطاركة ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥) ـ على انه اما كان في الامر بعض الالتباس بصدد تحديد شخصية البطريرك الذى عاصر بداية هذه الازمة واما كان قدوم الأندلسيين الى الاسكندرية قد حدث في تاريخ سابق على ما تم تحديده آنفا (شهر رجب ١٩٩ هـ = فبراير ٨١٥ م) بثلاث سنوات أو أكثر •

(٥٨) الكندى : ص ١٨٨ ، وشيبوب : جمهورية أندلسية ، ص ٢٣٦ . ود• سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٤٣

(٥٩) الكندى : ص ١٨٨ ، والمقريزى : خطط ، ج ١ . ص ٣٢٣ ، ود• سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٠ •

(٦٠) ولاة مصر ، ص ١٩٣ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ، تاريخ مدينة الاسكندرية ص ١٤١ •

(٦١) المصادر والمراجع السابقة والصفحات • وراجع كذلك : د• حسين نصار : دولة مهملة ، المقال ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ •

(٦٢) تاريخ البطاركة ، ص ٢٤٣ •

(٦٣) تاريخ الاسكندرية ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ •

(٦٤) الكندى : ص ٢٠٤ و ٢٠٦ •

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ •

(٦٦) د• سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ • ويسميه المقريزى « أبو حفص عمر بن عيسى » ، انظر : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٣ •

(٦٧) قام بهذه الثورة أهالى الربض القبلى لمدينة قرطبة (أى الحى الجنوبى للمدينة) المعروف بربض شقنده Secunda على الامير الحكم ، اثر مقتل أحدهم على يد مملوك للأمير • وقد استشرت هذه الثورة بسرعة بين سكان قرطبة وباقى أرباضها لسخطهم على أسلوب الأمير فى الحكم ؛ اقدامه على قتل جماعة من الفقهاء المناوئين له • وكانت ثورة عارمة اضطر الحكم خلالها لاستخدام أساليب

البطش والانتقام من الأهالى حتى تمكن من اخماد ثورتهم ، وصار يعرف بالربضى لذلك • وقد اختلفت الروايات فى تاريخ قيام هذه الثورة :

- فابن تغرى بردى يجعلها فى شهر رمضان سنة ١٩٨ هـ (مايو ٨١٤ م) انظر : النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ١٥٨ •

- ويتفق ابن الأثير والنويرى على انها حدثت فى خلال تلك السنة (١٩٨ هـ = ٨١٤ م) • انظر : الكامل ، جـ ٦ ، ص ١١٠ - ١١١ ، ونهاية الأرب فى فنون الادب ، جـ ٢٣ تحقيق د• أحمد كمال زكى ومراجعة د• محمد مصطفى زيادة ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٣٧٠ •

- وحددها ابن الأبار تحديدا دقيقا فى يوم الأربعاء ١٣ رمضان سنة ٢٠٢ هـ (٢٥ مارس ٨١٨ م) أنظر : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٤٤ •

- واكد ابن عذارى على انها حدثت فى خلال هذه السنة (٢٠٢هـ - ٨١٨م) انظر : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٧٥ •

- وقد تعرض الدكتور سالم لمناقشة هذه الآراء جميعها منتهيا الى صحة التاريخ الذى حدده ابن الأبار كبداية لقيام هذه الثورة (الأربعاء ١٣ رمضان ٢٠٢ هـ = ٢٥ مارس ٨١٨ م) • انظر : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٣١ - ١٣٣ ، وتاريخ البحرية فى المغرب والأندلس ، ص ٧٠ - ٧٣ •

- وراجع كذلك : د• سعد زغلول عبد الحميد : الاسكندرية من الفتح العربى حتى العصر الفاطمى ، مقال بكتاب تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور اصدرته محافظة الاسكندرية سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٦٧ • حيث يؤكد على ضرورة التمييز بين ثوار ربض قرطبة وبين عزاة البحر الأندلسيين الذين تغلبوا على الاسكندرية •

(٦٨) د• ابراهيم أحمد العدوى اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى • مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثالث ، العدد الثانى أكتوبر ١٩٥٠ ، ص ٥٩ • وراجع : د• سالم : تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ٨٣ ، ولنفس المؤلف تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، بالاشتراك مع د• أحمد مختار العبادى مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ، نسخة مصورة عن طبعة بيروت ١٩٧١ ، ص ٤٢ •

(٦٩) د٠ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، حـ ٢ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ٠

(٧٠) الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٤٥ ٠ ويؤكد ابن الأثير (الكامل ، طبعة مصر ١٢٩٠ هـ ، جـ ٦ ، ص ١٤٧) على أن ابن طاهر تمكن من اخراج الأندلسيين من الاسكندرية « بأمان » ٠

(٧١) يشير ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، جـ ٢ ، ص ١٩٢) الى أن الأندلسيين « نزحوا عنها (أى الاسكندرية) قبل وصول عبد الله بن طاهر ، خوفا منه » ٠

(٧٢) وفى حديثه عن العلاقات الودية التى كانت تربط الأمويين فى قرطبة بالبيزنطيين فى القسطنطينية يشير الأستاذ بروفنسال الى أن الأمير الأموى عبد الرحمن الثانى ، أو الأوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ - ٨٢٢ ـ ٨٥٢ م) قد أنكر فى رسالته الى الامبراطور البيزنطى تيوفيل (٨٢٩ ـ ٨٤٢ م = ٢١٤ هجرية ـ ٢٢٨ هـ) صلته باستيلاء هؤلاء الأندلسيين على جزيرة كريت ٠ عن ذلك انظر : الاسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمه د٠ السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ومراجعة د٠ لطفى عبد البديع ، سلسلة الألف كتاب (رقم ٨٩) مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦ صفحة ١٠٠ ـ ١٠٤ ٠

(٧٣) د٠ العدوى : اقريطش ، ص ٦٠ وما بعدها ٠ ود٠ سالم : تاريخ البحرية فى المغرب والأندلس ، ص ٨٣ و ٨٦ وما بعدها ٠

(٧٤) يذكر فى هذا الصدد ان ابراهيم بن الأغلب ـ عند توليه الحكم فى افريقية ـ رفض المعونة المالية السنوية وقدرها مائة ألف دينار ، التى كانت تمنحها الخلافة العباسية لولاة المغرب من خزانة مصر ٠ بل عرض ابن الأغلب مقابل ذلك ان يدفع هو اربعين ألف دينار سنويا للخلافة فى بغداد ٠ عن ذلك انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ٠ ص ٥٦ ، وابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، جـ ٤ ، ص ١٩٦ ، والسلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ١ ، ص ٦٠ ٠

ـ وانظر كذلك حادثة رفض الأمير زيادة الله الأول بن ابراهيم بن الأغلب طلب الخليفة المأمون له بأن يقر بتبعيته الادارية لوالى مصر عبد الله بن طاهر بن

الحسين • وقد اعلن زيادة الله رفضه هذا بشكل كان من الممكن أن يجلب عليه المتاعب مع الخلافة • عن ذلك انظر : ابن الآبار : الحله السيراء ، ج ١ ، ص ١٦٥ • وراجع : النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٤ تحقيق د• حسين نصار ومراجعة د• عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ • حيث ذكر جواب زيادة الله شديد اللهجة عى الخليفة المأمون دون ابداء السبب بتمامه •

(٧٥) ابن الأبار : ج ١ ، ص ٩٣ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ٩٢ •

(٧٦) ابن الأبار : ج ١ ، ص ٩٣ •

(٧٧) ابن عذارى : ج ١ ، ص ٩٧ • وراجع : د• سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ٢ ، ص ٤٣ ، ود• محمود اسماعيل عبد الرازق : الأغالبة وسياستهم الخارجية ، مكتبة سعيد رأفت بعين شمس ، ١٩٧٢ ، صفحة ٨٥ •

(٧٨) مثال ذلك : ثورات أهل الوجه البحرى المتكررة ابتداء من سنة ٢١٢ هجرية (٨٢٧ م) وتخللها حضور الخليفة المأمون العباسى بنفسه الى مصر لاخمادها انظر : الكندى : ولاة مصر ، صفحات ٢٠٨ وما بعدها •

(٧٩) ساويرس : تاريخ البطاركة ، ص ٢٥٣ •

(٨٠) الكندى : ص ٢٣١ ـ ٢٣٦ ـ انظر مثلا عبارة « ••• وقوى أمر جابر ابن الوليد واتاه الناس من كل ناحية ، وضوى اليه من يومىء اليه بشدة ونجده » وعن هذه الثورة كذلك انظر : د• سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٤٩ ـ ١٥٢ •

الفصل الثانى

« فى عصر الدولتين الطولونية والاخشيدية »
(٢٥٤ ـ ٣٥٨ هـ/٨٦٨ ـ ٩٦٩ م)

ـ اولا : خلال حكم الطولونيين .

١ ـ أيام أحمد بن طولون .
٢ ـ فى عهد خلفائه .

ـ ثانيا : من الطولونيين الى الاخشيديين :

١ ـ حملات الفاطميين على مصر .
٢ ـ تدهور احوال مصر ودور حبشى بن احمد ورفاقه .

ـ ثالثا : خلال حكم الاخشيديين :

١ ـ أيام محمد بن طغج الاخشيد .
٢ ـ فى عهد خلفائه .

أولا : خلال حكم الطولونيين (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ = ٨٦٨ ـ ٩٠٥ م)

١ ـ أيام أحمد بن طولون (٢٥٤ ـ ٢٧٠ هـ = ٨٦٨ ـ ٨٨٤ م)

ارتبطت السياسة التى أتبعها أحمد بن طولون تجاه المغاربة والأندلسيين الموجودين آنذاك بمصر ـ الى حد كبير ـ برغبته فى تحقيق قدر من الاستقلال لنفسه بمصر عن سلطان الخلافة العباسية فى بغداد .

وبصدد المغاربة المنتشرين فى نواحى غرب مصر من بربرلواته وهوارة ، كان من الطبيعى أن يتصرف معهم على نحو أكثر حزما حتى لا يتمادوا فى عمليات الشغب التى تكررت منهم قبل توليه حكم مصر . وقد انعكس هذا على أساليب البطش والشدة التى اتبعها ابن طولون فى اخماد الثورات التى واجهها بمصر منذ بداية حكمه ، وتصادف أن وقعت كلها على مقربة من مناطق سكنى هؤلاء البربر . وهو ما حدث مع أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا العلوى المعروف ببغا الأصغر الذى ثار على ابن طولون فى شهر جمادى الأولى من سنة ٢٥٥ هـ (ابريل ٨٦٩ م) فيما بين الاسكندرية وبرقة ، وانتقل بثورته الى الصعيد ، ثم قتل فى شهر شعبان (يولية) السنة(١) . وتكرر مع ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن الحنفية ، المعروف بابن الصوفى العلوى الذى ابتدأت ثورته بصعيد مصر فى سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) ، ثم تفاقم خطرها مع تولى أحمد بن طولون الحكم .

وقد سير ابن طولون اليه قائده بهم بن الحسين على رأس جيش كثيف العدد الحق بابن الصوفى سلسلة هزائم وقعت أخراها عند مدينة أخميم فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٦ هـ (مارس ٨٧٠ م) • واضطر ابن الصوفى على أثرها الى الفرار الى أرض الواحات حيث تشير الروايات الى أنه « أقام به (أى باقليم الواحات) سنتين »(٢) .

وهنا نلاحظ عدم ورود أية اشارة الى تفاصيل اقامة ابن الصوفى فى الواحات خلال هذه الفترة ، وكذا الى انعدام دور بربر الواحات فيما أعقب ذلك من أحداث . خاصة وان ابن الصوفى خرج بعد هاتين السنتين وبالتحديد فى شهر المحرم من سنة ٢٥٩ هـ (نوفمبر ٨٧٢ م) — الى الأشمونين لمتابعة ثورته ، ثم الى أسوان التى فر اليها خوفا من مواجهة القوة التى أرسلها اليه ابن طولون بقيادة ابن أبى المغيث(٣) • وربما يعزى عدم ظهور دور بربر الواحات أثناء هذه المرحلة من ثورة ابن الصوفى العلوى ، الى أن لجوءه اليهم انما كان بغرض الاستتار فقط ولم يصل الأمر الى حد طلب المساعدة • أو أن الطرفين لم يصلا الى اتفاق مرض لكليهما ، اذ كان على بربر الواحات أن يتأكدوا — هذه المرة — من صدق مزاعم ابن الصوفى وانه لن يتصرف معهم مثل سابقه الثائر الأموى دحية بن مصعب • وربما كان السبب كذلك يعزى الى أن بربر الواحات آثروا الا يقحموا أنفسهم فى مشاكل مع والى مصر القوى ابن طولون الذى كان بصدد احكام قبضته على أنحاء البلاد • وهو ما بدا لهم من خلال تتابع الامدادات العسكرية التى أرسلها ابن طولون للقضاء على ثورة ابن الصوفى • فآثروا كسب ود حكومة مصر حتى يتسنى لهم التفرغ لمواجهة هجمات البجة — سكان النوبة — وعيثهم الفساد فى منطقة أسوان القريبة من الواحات • اذ كانت اغارات

البجـة على جنوب مصر قـد أخـذت ـ حينئذ ـ شـكلا خطـيرا جعلت أبا عبد الرحمن العمرى ، وهو من أهل مدينة أسـوان ، يهب نفسه لمجاهدتهم(٤) .

أما عن ابن الصوفى ، فقد انتهت حاله الى أن أصبح قاطع طريق ومصـدر فتنة فى أسوان ، مما أوقعه فى صدام مع العمرى ، فقد خلاله معظم القوة التى معه . ثم فر أخيراً الى عيذاب ـ على ساحل البحر الأحمر ـ بعد أن سمع بمقدم قوات ابن طولون الى المنطقة للقضاء عليـه ، وركب البحر الى مكة حيث اعاده أميرها أسيراً الى ابن طولون(٥) .

ورغم جدية ابن طولون فى معالجة أمر هذه الثورات ، الا ان أهل برقة أبو الا القيـام بثورة عارمة على حكم ابن طولون ، الذى كان قد فرغ توا من اخضاع ثورة أبى الروح بسكن ـ من أصحاب ابن الصـوفى العلوى ـ بصعيد مصر فى سـنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣/ ٨٧٤ م)(٦) . وقام أهل برقة خلالها بطرد محمد بن فروخ الفرغانى والى الاقليم من قبل ابن طولون . وقد تطلب الأمر أن يرسـل ابن طولون اسطوله فى البحر كى يعـاون الحمـلات الثلاثة التى سبق أن سيرها لقتال الثائرين ، حتى تم القضـاء على هذه الثورة . ثم تشدد فى معاقبة المتمردين بأحكام بلغت النهاية فى القسـوة ، الى أن قيل بسبب ذلك « فسـكنت رهبة أحمـد بن طولون فى صدور الناس ، حتى كان يفزع الصبيان والأطفال »(٧) .

وينقلنا الحديث عن ثورات أهل برقة ـ خـلال فترة حكم ابن طولون الى ماقيل عن وجود علاقات عدائية اسـتحكمت بين الطولونيين والأغالبة جيران مصر فى الغرب ، على اسـاس أن كلتا الدولتين ـ وفقـا لهذا الرأى ـ تبادلتا تحريض سـكان الحـدود

المشتركة بينهما (فى برقة من جهة ، وفى طرابلس من الجهة المقابلة) على الثورة ، كل ضد الحكومة التى خضعوا لها اداريا(٨) • وهو الراى الذى استند أصحابه ـ فيما يبدو ـ الى ما حدث فى سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) عندما خرج العباس بن احمد بن طولون على طاعة والده وفكر فى الاستقلال ببرقة ، التابعة يومئذ لمصر ، وان يضيف اليها ما أمكنه من طرابلس والأقاليم الشرقية من ممتلكات الأغالبة(٩) •

والحق اننا لم نلمس لهذا الرأى أية اثار جانبية ، خاصة فيما يتعلق بالوجود المغربى فى مصر خلال هذه الفترة ، وبتعبير أدق ، فيما يتعلق بجماعات الوافدين الى مصر من الحجاج والدارسين المغاربة والأندلسيين ، الذين ـ على العكس من ذلك ـ تمتعوا برعاية واهتمام أحمد بن طولون بشكل لم يسبق له مثيل • فهو الذى جعل مسجده « مأوى للغرباء من المغاربة ، يسكنونه ويحلقون فيه (أى يعقدون حلقات الدرس) ، وأجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر »(١٠) . كما انه سمح لهم بتولى بعض الوظائف الهامة فى الدولة ، مثل وظيفة الشاهد العدل التى تولاها غير واحد منهم ، كما سنبين فيما بعد • وقد قيل ان أحمد بن طولون لجأ الى احتباء هؤلاء الوافدين ـ وبخاصة الأندلسيين منهم ـ تقربا للأمويين فى الأندلس • وذلك من باب الكيد للأمير العباسى الموفق طلحة مدبر أمر الخلافة العباسية أثناء حكم اخيه الخليفة المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ ـ ٨٧٠ ـ ٨٩٢ م) ، اذ كان العداء مستحكما بين ابن طولون وبينه (١١) .

ولم يمنع هذا من استعمال الشدة والحزم مع من اساء استخدام هذه الحرية وذلك الترحاب من اولئك الوافدين • مثلما حدث مع أبى اليسر ابراهيم بن محمد البغدادى ، الشيبانى ، المعروف بأبى

اليسر الرياضي (ت ٢٩٨ هـ = ٩١١/١٠ م) ، الذى تعرض للسجن بمصر قبل سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٧ م) من أجل الاشتباه فى انه جاسوس شيعي حضر الى مصر لممارسة نشاطه تحت ستار الحج وطلب العلم • ويغلب عن الظن أن ابن طولون عاد فأفرج عن أبى اليسر ، بعد أن قبل فيه شفاعة أحد العلماء المصريين ، غير انه — على ما نرجح كذلك — أمر بنفيه خارج البلاد(١٢) •

تلك — اذن — كانت أبرز معالم سياسة ابن طولون فى التعامل مع من قدر له الوجود بمصر ، آنذاك ، من جماعات المغاربة والأندلسيين •وهي سياسة اعتمدت كثيراً على قاعدة الثواب والعقاب الشهيرة ، مع اقترانها بالحزم الكافى عند التطبيق العملى • بيد ان الوضع اختلف بعض الشيء فى عهد خلفائه ، كما سيتضح •

٢ — فى عهد خلفائه (٢٧٠ — ٢٩٢ هـ / ٨٨٤ — ٩٠٥ م)

يمكن القول بأن الغرس الذى غرسه أحمد بن طولون بصدد بث هيبة الدولة فى نفوس المشاغبين من بربر الجانب الغربى لمصر ، قد آتى ثمرته خلال فترة حكم ابنه خمارويه (٢٧٠ — ٢٨٢ هـ = ٨٨٤ — ٨٩٦ م) • اذ لا نكاد نسمع شيئاً عن عمليات شغب يمكن أن ننسبها اليهم طيلة حكمه • غير أن الظروف التى مرت بها الدولة اثر وفاته ، قتيلا بأيدى بعض خدمه وهو فى طريقه الى الشام(١٣) أدت الي أن ظهرت لهؤلاء البربر أدوار معلومة • وقد تمثلت هذه الظروف فى انقسام البيت الطولونى على نفسه ، مما أدى الى انشغالهم عن متابعة التطورات الجديدة التى بدأت تنتاب المنطقة الغربية لمصر كنوع من التبشير بقرب بزوغ شمس الفاطميين بالمغرب (٢٩٦ هـ = ٩٠٩ م) • وقد تفاعلت هذه العوامل معا أثناء فترة حكم الأمير هارون بن خمارويه (٢٨٣ — ٢٩٣ هـ = ٨٩٦ — ٩٠٤ م) الذى خلف أخاه

أبا العساكر جيش (٢٨٢ ـ ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ ـ ٨٩٦ م) بعد أن خلعه الجنود من الحكم(١٤) .

اذ حدث فور تولي هارون ، أن خرج فريق من الجند ممن كرهوا ولايته وكاتبوا عمه ربيعة بن أحمد بن طولون ـ المقيم آنذاك بالاسكندرية ـ يدعونه للحضور الى العاصمة كي يساعدوه في تولي الحكم بدلا من ابن أخيه . وهنا يشير الكندى الى أن ربيعة « جمع جمعا كثيرا من اهل البحيرة من البربر وغيرهم ، وأقبل فيهم »(١٥) . ورغم أن الأمير هارون تمكن من احتواء هذه الأزمة بعد أن ثبت الجنود الموالون له في المناوشات التى دارت عند مشارف الفسطاط بينهم وبين أعوان ربيعة الا أنه لم يشأ أن يتخذ قراره بمعاقبة حلفاء عمه ، بل على العكس نرجح أنه عمل على استقطاب هذه القوى الفتية للخدمة في صفوف الجيش والأسطول لقاء أرزاق معلومة . وهو ما عد تفسيرا للمعان اسم القائد خصيب البربرى في الأسطول الطولونى ، اخريات أيام هذه الدولة(١٦) . الأمر الذى عد سابقة تمت لأول مرة في تاريخ مصر الاسلامية .

وقد كانت هناك دوافع أخرى حدت بالأمير هارون لاتخاذ هذه الخطوة غير المسبوقة ، تمثلت في رغبته في الحيلولة دون وقوع هؤلاء البربر القلب في براثن الدعاية الشيعية التى بدأ يمارسها آنذاك أعوان الفاطميين الذين كانوا بسبيل انجاح دولتهم بالمغرب . يدلنا على ذلك ما رواه ساويرس عن الاضطرابات التى بدأت تشهدها مدينة طحا ـ بمحافظة المنيا الآن ـ أثناء فترة حكم هارون ، « لأن البربر كانوا يغزوهم من الغرب »(١٧) . مما اضطر أسقف المدينة ـ المدعو أنبا باخوم ـ الى اتخاذ كافة التدابير الإحترازية لمدافعة هذا الخطر . وقد تمثلت جهوده في هذا الشأن في دعوة اهالى المدينة للاشتراك في حمل السلاح وتناوب حراسة المنشآت الهامة ، أو ما يمكن تسميته بأسلوب

الدفاع الشعبى • وقد اكتفى الأمير هارون بمجرد الاعجـاب بجهود الانبا باخوم ، وشجعه على تعميم فكرة الدفاع الشعبى عن المنطقة ، ولم نجد اشـارة الى قيامه باعـلان التعبئـة العامـة للجنود فى العاصـــمة بل « عول عليـــه (أى على الانبـا) فى تفقـد تلك البـلاد »(١٨) •

ولاشك أن السبب فى جعل الأمير هارون يتصرف على هـذا النحو فى مواجهة هذا الخطر ، يرجع الى اضطراب أمر العاصمـة بسبب فتن الجنود التى نشبت نتيجة دخول العنـاصر البربرية الجديدة فى صفوف الجيش والبحرية بمصر • وقد عانى هـارون نفسه من هذه الاضطرابات حتى انه راح ضحيـة احداها بعد أن حاول اصلاح ما فسد بين طائفة الأتراك ـ عصب الدولة الطولونية آنذاك ـ وبين فريـق البربر « فرمـاه بعض المغـاربة برمح ، فقتله »(١٩) . هذا فى الوقت الذى قدمت فيه الجيوش العباسية ـ بقيادة محمد بن سليمان المعروف بالكاتب ـ يصحبها الأسـطول العباسى بقيادة أمير البحر دميانة ، لارجاع مصر الى دائرة التبعية للخلافة العباسية • ولا بأس هنا من قبول فكرة أن مقتل هارون على أيدى الجنود البربر انما تم بتدبير عميه شيبان وعدى ابنى أحمد بن طولون ، اللذين حقدا على هارون انفراده بالحـكم رغم أنه غير جدير بذلك ، « اذ تشاغل باللهو والطرب » فى حين كانت الحرب محتدمة بين الأسطول العبـاسى وبين الأسطول الطولونى الذى كان القـائد خصيب البربرى أحـد قادته ، وكـان الظفـر فيها للأسطول العباسى ، وتعرض خصيب ورفاقه للأسر ، وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٢٩١ هـ (أكتوبر ٩٠٤ م)(٢٠) •

ولم تجد جهود شيبان بن أحمـد بن طولون ـ الذى تولى الحـكم عقب مصرع هارون (فى شـهر صفـر سـنة ٢٩٢ هـ =

ديسمبر ٩٠٤ م) ـ فى وقف تقدم محمد بن سليمان القائد العباسى. وانتهى الأمر باستبسلام الجيش الطولونى ودخول محمد بن سليمان الفسطاط فى شهر ربيع الأول سنة ٢٩٢ هـ (يناير ٩٠٥ م) ، فسقطت بذلك الدولة الطولونية(٢١) ٠

ثانيا : من الطولونيين الى الاخشيديين (٢٩٢ ـ ٣٢٣ هـ/ ٩٠٥ ـ ٩٣٤ م) :

تميزت أحداث هذه الفترة بانهـا كانت عبارة عن سلسلة غير منتهية من الاضطرابات والقلاقل التى كان مبعثها النشـاط الذى مارسـه اعوان الفاطميين بمصر ٠ ذلك ان الفاطميين ـ بعد ان نجحوا فى اقامة دولتهم بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) ـ سعوا لبسط سيطرتهم على مصر بوسـائل عديدة ، منها : اسـتغلال الوافدين الى مصر من أهـل المغرب للترويج للحـكم الفاطمى ، ومحـاولة بث عقـائد الفـاطميين المذهبيـة فى نفوس المصريين ، والتجسس على شئون مصر الداخلية ومحاولة أحداث زعزعة فى الاقتصاد المصرى ، ان أمكن ٠ واخيرا ارسـال العديد من الحمـلات العسكرية الى مصر للسيطرة عليها عنوة ٠ ولهذا كان الشـغل الشاغل لولاة مصر العباسيين ينصب على « الجد فى أمر المغرب والاحتراس منه »(٢٢) ٠

من ذلك ما فعله الوالى عيسى النوشرى (٢٩٢ ـ ٢٩٧ هـ = ٩٠٥ ـ ٩١٠ م) الذى أمر باغلاق مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط فيما بين الصـلوات ، فكان يفتح للصـلاة فقط ٠ وذلك ـ على ما يبدو ـ حتى يضـيع الفرصـة على دعـاة الفـاطميين الذين ربما حاولوا استغلال دروس العلم التى كانت تعقد بين الصلوات ٠ واستمر الحـال على ذلك أياما قبل أن يأمر الوالى باعادة الأمر الى ما كان عليه ، بعد أن ضج الناس بالشـكوى(٢٣) ٠ ويذكر

للنوشرى ـ كذلك ـ انه رفض لجوء الأمير زيادة الله الثالث آخر حكام الأغالبة فى ولاية افريقية (٢٩٠ ـ ٢٩٦ هـ = ٩٠٣ ـ ٩٠٩م) الى مصر ببقايا جنده ، عقب سقوط دولته فى حوزة الفاطميين . ومن المؤكد ان النوشرى فعل ذلك خوفا من تسرب أنباء الانتصارات الفاطمية فى المغرب الى نفوس المصريين ، وربما الدعايات الفاطمية كذلك ، من خلال الجنود المصاحبين للأمير الأغلبى فتؤثر على الروح المعنوية لدى المصريين . يدلنا على هذا أن النوشرى أصر على عدم اصطحاب زيادة الله جنوده معه الى الفسطاط ، ثم بعد مناوشة تمت بين الطرفين ، رأى النوشرى أن يكون دخولهم المدينة ليلا ، فدخلوها فى شهر رمضان سنة ٢٩٦ هـ (مايو ٩٠٩ م)(٢٤) .

ثم آلت مصر ـ بعد وفاة النوشرى ـ الى أبى منصور تكين الذى شهدت فترة ولايته الأولى (٢٩٧ ـ ٣٠٢ هـ = ٩١٠ ـ ٩١٥ م) **قدوم الحملة الفاطمية الأولى على مصر** (٣٠١ ـ ٣٠٢ هـ = ٩١٣ ـ ٩١٥ م) . وهى الحملة التى كانت تتالف من قسمين ، تولى القيادة العليا عليهما أبو القاسم محمد بن الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى (٢٩٦ ـ ٣٢٢ هـ = ٩٠٩ ـ ٩٣٤ م) وولى عهده(٢٥) . وكان يساعد أبا القاسم فى القيادة وصاحب التقدمة على القسم الأول القائد الشهير أبو داود حباسة ابن يوسف الكتامى الملوسى(٢٦) . وقد شارك فى قيادة هذه الحملة قادة آخرون من كتامة ، نذكر منهم : القائد أبا فريدن(٢٧)، والقائد أبا حدو(٢٨) . وكما هو معروف فان هذه الحملة أحرزت تقدما ملحوظا فى البداية عندما استولى أبو القاسم على مدن برقة (فى آخر سنة ٣٠١ هـ = ٩١٤ م)(٢٩) ، والاسكندرية (فى شهر المحرم سنة ٣٠٢ هـ = يولية ٩١٤ م)(٣٠) . ثم تابع تقدمه داخل الأراضى المصرية فى اتجاهين : فريق من قواته سار الى الفسطاط عن طريق مشتول بقيادة حباسة ومعه أبو حدو . والثانى تحت

قيادة أبى القاسم نفســه ويعاونه أبو فريدن حاول الاســتيلاء على مدينة الفيوم(٣١) • غير ان الهزائم ما لبثت أن لحقت بالفاطميين نتيجة التحســن الذى طرأ على جيش مصر باشتراك الأهــالى فى عمليات القتال ضد الفاطميين ، وقدوم الامدادات العسكرية — من قبل الخلافة العباسية فى بغداد — تحت قيادة مؤنس الخادم فى شهر رمضان سنة ٣٠٢ هـ (مارس ٩١٥ م) • فى حين أدى الانقســام الذى حــدث بين القادة الفاطميين الى اضعاف جانبهم ، وانتهى الأمر بفشــل هذه الحملة بعد أن خلفت عدة نتائج هامة نذكر منها :

١ — أن حكومة الولاة العباسيين فى الفسطاط غدت عاجزة عن مواجهة الحمــلات الفاطمية على مصر أول قدومها • وذلك لاعتماد الولاة فى مصر على الخلافة العباسية فى بغداد فى تــدبير الأمــر بارسال الامدادات العسكرية من العراق أو الشام • وطبيعى ان تأخر وصــول هذه الامدادات الى مصر ، قد أعطى جنود الحملات الفاطمية الفرصة فى تحقيق بعض الانتصارات الأولية . وقــد أدى هذا الى ضياع برقــة من مصر ، اذ استمرت فى حوزة الفاطميين بالمغرب منذ استيلاء حباســه عليها فى شهر ذى الحجة سنة ٣٠١ هـ (يونية ٩١٤ م) حتى انتقالهم الى مصر فى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) فعادت بالتــالى تبعيتها الادارية لمصر • وعمل الخليفــة الفاطمى عبيد الله المهدى من ناحيته على تأمين هذه المنطقــة وضمان بقائها تابعة للفاطميين فأرســل قائده الكتامى أبا مدين بن فروخ اللهيصى الى برقة فى سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) لتأمين المنطقــة بعد أن وضحت أهمية برقة كقاعدة أمامية لتوجيه الحملات الفاطمية الى مصر(٣٢) •

٢ — أن نشاط الدعــاة الفاطميين والمغاربة الموالين للفاطميين قد انتشر الى حد كبير فى أنحــاء مصر ، لدرجــة انهم اســتطاعوا الحصول على معلومات فى غاية الأهميــة والسرية واستغلوها لصالح

الدولة الفاطمية بالمغرب . مثلما حدث بالنسبة لخبر عـزل القائد ابى النمر احمد بن صالح ـ الذى كان الوالى تكين قد جعله حاكما لاقليم برقة قبل سنة ٣٠١ هـ (٩١٤ م) ـ عن منصبه كوال على الاقليم وقائد للجيش المصرى فى المنطقـة(٣٣) . هذا فضـلا عن نجاحهم فى تهييج الراى العام السنى فى الفسطاط بما اثاروه من قضايا الفقه الشيعى الاسماعيلى بين المصريين . ووصـل الأمر الى أن كتب بعضهم ـ فى تحد سافر للحـكومة المصرية ـ على أبواب مسجد عمرو بن العاص « ذكر الصحابة والقرآن بما لا يليق » . وكادت أن تنشب فتنة فى شـوارع المدينـة عندما مال فريق من سكان الفسطاط الى ترديد اقوالهم فى حين انكرها بقية الأهالى . مما حـدا بـوالى مصر حينئـذ ذكـا الرومى المعـروف بالأعـور (٣٠٣ ـ ٣٠٧ هـ = ٩١٥ ـ ٩١٩ م) الى أن امر صاحب الشرطة فى الفسطاط ـ محمد بن طاهر ـ بمعالجة هذا الأمر . ثم اضطر هذا الوالى الى استخدام الجيش للايقـاع بالمفسدين عندما اتضح له خطورة الموقف . ثم صار كل همه ـ وكذلك الولاة العباسيين من بعده ـ « تتبع كل من يوماً اليه بمكاتبة صاحب افريقية »(٣٤) .

كذلك وضح نشاط اتباع الفاطميين من الدعاة والمغاربة فى مصر ، من خلال اثارتهم لبربر البحيرة ، حتى وقع الاختـلاف بين هؤلاء الأخيرين وبين حاكم الاسكندرية المظفر بن الوالى ذكا الأعور، فى سـنة ٣٠٥ هـ (٩١٧ م) . فاضطر هـذا الحـاكم الى طلب النجدة من أبيه ، وخرج من الاسكندرية للقاء المدد عند مدينـة تروجة ـ بالبحيرة ـ وربما لحصر الثائرين كذلـك واخـذهم من ناحيتين . وقد انتهى أمر هذه الثورة باخمادها وعودة المظفر بن ذكا الى الاسكندرية(٣٥) .

٣ ـ أن المصريين جميعا شـاركوا حكومة الولاة العباسيين فى مقاومة الحمـلات الفاطمية • وذلك بسبب كراهيتهم الشديدة لمـا أشاعه الجنود الفاطميون من فســـاد فى أنحـاء مدن مصر وقراها التى مروا عليها • واختص الأهالى بهذا الشعور الجنود البربر من قبيلة كتامة ، لفظاعة أسـلوبهم فى التعامل مع المصريين والخراب الدائم الذى اقترن بوجودهم • فيشير ابن عـــذارى الى الفظائع التى ارتكبها جنود فرقة حباســة عند دخولهم مدينة برقة (فى ذى الحجة ٣٠١ هـ = يونية ٩١٤ م) • مما اضطر أهلهـا الى خلع طاعة الفاطميين وقيـامهم بذبح أفراد الحاميـة الكتامية التى تركها أبو القاسم بن المهدى فى المدينة عند انسحابه بجموعه الى افريقية (كان هذا فى سنة ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م) • وكان هذا سببا فى ارســال القائد الكتامى أبى مدين اللهيصى الى برقة ، فى ذات الســنة ، للانتقـام من أهلها واتخاذ الاجراءات اللازمة لتامين المنطقـة وبقائها فى حوزة الفاطميين(٣٦) • ويبدو ان هذه الاجراءات كانت من الشدة بحيث اضطر ســكان كورتى لوبيـة ومراقيـة ـ اللتين تشـكلان معـا أراضى القســم الشرقى لاقليم برقة ـ الى الجلاء عن ديارهم نحو الاسكندرية فى شهر شـوال سنة ٣٠٤ هـ (ابريل ٩١٧ م) خوفا من تعسف الحـكم الفاطمى فى برقة(٣٧) . كذلك اعمل جنود الحملة الفاطمية الأولى الخراب فى ناحية ترنوط ـ من قرى البحيرة ـ • وكان الجنود الكتاميون اظهر من مارس النهب والسلب ، لدرجة جعلت البكرى ينسب خراب هذه « القرية الجامعة » اليهم ، وذلك فى قوله « وهى قرية جامعة على النيل ، بها أسـواق ومسجد جامع وكنيسة • وخراب كثير خربتـه كتامة ، اذ كانوا هنـالك مع أبى القاســم بن عبيد الله الشـيعى »(٣٨) •

وقد وضح شعور الكراهية هذا من جانب المصريين تجاه جنود الحملات الفاطمية وبخاصة بربر كتامة ، فى استجابتهم الفورية لداعى الجهاد من قبل والى مصر تكين . وخروجهم جميعا فى جمادى الآخرة سنة ٣٠٢ هـ (ديسمبر ٩١٤ م) لمحاربة جنود الحملة الفاطمية الأولى ، سواء فى ناحية مشتول أم فى الفيوم ، عندما نودى بالنفير فى الفسطاط ، ولم يتخلف عن الخروج أحد من الخاصة أو العامة(٣٩) .

وهكذا ، بينما كان والى مصر ذكا الرومى ــ الذى آلت اليه ولاية مصر عقب خروج جنود الحملة الفاطمية الأولى الى افريقية ــ مشغولا بمعالجة الآثار النفسية السيئة التى ترتبت على نزوح أهل لوبية ومراقيه الى الاسكندرية وبتطهير الجبهة الداخلية من الفتن التى اثارها أتباع الفاطميين فى الفسطاط والبحيرة « قدمت عساكر المهدى عبيد الله الفاطمى من افريقية الى لوبية ومراقية ، وعلى رأس العساكر أبو القاسم ، فدخل الاسكندرية فى ثامن صفر سنة سبع وثلاثمائة (يولية ٩١٩ م) » . **فيما يعرف بالحملة الفاطمية الثانية على مصر** ، والتى استمرت حتى خروجها منسحبة كذلك الى افريقية فى سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) . وكانت حملة برية وبحرية فى آن واحد ، اشتركت فيها حشود من كتامة ، مع عرب افريقية وبربرها ، وبعض القادة المشهورين امثال : أبى العباس خليل بن اسحق بن ورد ، وأبى غانم الكاتب ، ومن الله بن الحسن بن أبى‌خنزير . وتولى سليمان ابن كافى قيادة المقدمة والاشراف على الأسطول بالاشتراك مع يعقوب الكتامى . وكانت القيادة العليا أيضا على حشود الفاطميين فى يد أبى القاسم بن عبيد الله المهدى(٤٠) .

وتماما مثلما حدث فى المرة الأولى ، شرع أبو القاسم بن المهدى فى توسيع دائرة القتال لتشمل الجبهة الغربية حتى مصر الوسطى ،

فسار على رأس معظم قواته نحو الفيوم والاشمونين واستولى عليهما ، فى حين ترك يعقوب الكتامى وسليمان بن كافى على رأس قيادة الأسطول الفاطمى أمام مدينة الاسكندرية لتأمين ظهره . وظهر كذلك دور القوة الشعبية فى مساندة القيادة المصرية حتى أقبلت الامدادات العسكرية من قبل الخلافة العباسية ، وكانت فى شكل قوات برية قادها مؤنس الخادم يصحبها الاسطول العباسى بقيادة ثمل الخادم او الفتى . وبينما كانت الحرب سجالا بين الفريقين فى الفيوم ، نجح الاسطول العباسى فى الايقاع بمراكب الاسطـول الفاطمى عند مدينة رشيد وذلك فى شهر شـوال سنة ٣٠٧ هـ (مارس ٩٢٠ م) « وأخذ من فيها أخذا باليد ، واسرهم ثمل » . مما ادى الى تسرب اليأس فى معسكر أبى القاسم الى جانب طول المدة وانتشـار الأمراض والأوبئة بين رجاله فآثر الانسحـاب الى افريقية ، عبر برقة . وعلى هذا النحو انتهت ايضا الحملة الفاطمية الثانية على مصر (٣٠٧ ــ ٣٠٩ هـ = ٩١٩ ــ ٩٢١ م) مخلفـة وراءها ذات النتائج التى ترتبت على وجود الحملة الأولى :

١ ــ فقد استمر عجز حكومة الولاة العباسيين فى الفسطاط عن مواجهة الحملات الفاطمية . وزاد الأمر سوءاً ــ هذه المرة ــ حينما بدأ الانقسام يدب فى صفوف القيادة المصرية ، وسعى كـل فريق للبحث عن القوة اللازمة لتدعيم موقفه ، فى حين استمر شغب الجنود نتيجة تأخر صرف العطاء (٤١) .

٢ ــ كذلك استمر اتباع الفاطميين من الدعاة والمغاربة فى ممارسة نشاطهم فى الترويج للحكم الفاطمى فى مصر . فيذكر الكندى أن الداعى الفاطمى ابن المدينى القاضى ونفر معه استطاعوا أن يستميلوا جماعة من أهل الفسطاط « وتعاقدوا على الخروج ليلة الختم من شهر رمضان (سنة ٣٠٨ هـ = فبراير ٩٢١ م) » ،

اثناء وجود أبى القاسم بن المهدى وقواته فى الفيوم . ولما علم والى مصر تكين — الذى ولى للمرة الثانية من شهر شعبان سنة ٣٠٧ هـ الى شهر ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ (ديسمبر ٩١٩ — يولية ٩٢١ م) — بما يدبرونه ، أعدمهم جميعا (٤٢) .

٣ — وقد حرص الوالى تكين على ارضاء رغبة الانتقام لدى المصريين من جنود الحملة الفاطمية — وبخاصة المغالين فى التعصب لنصرة الفاطميين من بربر كتامة — فأباح أسرى الفاطميين لأهل الفسطاط بعد أن أطلق سراح أهل القيروان وطرابلس وبرقة وصقلية لانهم أرغموا على الاشتراك فى الحملة وعرفوا بمقتهم للحكم الفاطمى . فقتل الجنود المصريون والرعية عددا من أسرى كتامة ومن جنود مدينة زويلة المهدية . وقد بلغ عدد القتلى منهم « سبع مئة »(٤٣) ، وفى رواية « خمس مئة »(٤٤) . بينما اكتفى تكين بتشهير قادة الأسطول ورؤساء المراكب الفاطمية وعددهم مئة وسبعة عشر (١١٧ رجلا) فى شوارع الفسطاط قبل ايداعهم السجن (٤٥) .

واذا كانت الخلافة العباسية قد أسكرتها نشوة القضاء على هاتين الحملتين الفاطميتين ، بفضل الامدادات المتتالية التى كان الخلفاء العباسيون فى بغداد يبعثون بها الى مصر لمساعدة ولاتهم هناك ، فان الأمر سرعان ما تطلب رضوخ العباسيين لفكرة اللامركزية كحل أمثل لضمان عدم سقوط مصر فى أيدى الفاطميين . بمعنى أن يعهد الخليفة لأحد نوابه الأقوياء بتولى شئون الدفاع عن مصر وحمايتها من أطماع الفاطميين فى مقابل السماح لهذا النائب بالتمتع ببعض مظاهر الاستقلال فى ادارته لولاية مصر . وسنرى بعد قليل أن هذا النائب القوى هو محمد بن طغج بن جف الملقب بالإخشيد الذى استطاع بعد ذلك أن يمهد لخلفائه من بعده

فى حكم مصر حتى سقوطها فى أيدى الفاطميين (سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٩ م) . ومما دفع الخلافة العباسية فى بغداد الى اتباع هــذه السياسة ما شهدته مصر من أحداث عقب جلاء الحملة الفاطمية الثانية (٣٠٩ هـ = ٩٢١) ، اذ :

(أ) غدت الجبهــة الغربية لمصر مفتوحة على مصراعيها أمام الفاطميين الذين شرعوا فى استغلال برقة كقاعدة امامية يوجهون منها حملاتهم على طول خط الحدود فيما بين مصر وليبيا . مثلما حدث فى سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) عندما دارت موقعة بالقرب مــن ذات الحمام ــ وهى سوق جامعة على الطريق بين الاسكندريــة وبرقة ، وهى أقرب الى الاسكندرية ــ بين جند مصر وفرقة فاطمية بقيادة فلاح بن قمون ، وذلك اثناء ولاية هلال بن بدر على مصر (٣٠٩ ــ ٣١١ هـ = ٩٢١ ــ ٩٢٣ م) . وعلى الرغم من عدم تمكن هذه القوة الفاطمية من التوغل داخــل الأراضى المصرية ، الا انها استطاعت أن تحقق نجاحا جزئيا فى المنطقة بدليل حرص الخليفة الفاطمى المهدى على ان تقرأ أخبار هذه الحملة فى المسجد الجامع بالقيروان (٤٦) . وتلى ذلك حركة أخرى ضــد منطقــة الواحات . ففى أواخر سنة ٣١١ هجرية (٢٣ / ٩٢٤ م) قــاد مسرور بن سليمان بن كافى فرقة فاطمية لغزو مصر ، اتخذت طريق الواحات . واستولى مسرور على الحصون القريبة ، ثم هزم عامل المنطقة من قبل حكومة الفسطاط ، ويدعى الكرمازى ، وأسر ابنه وابن أخيه ، وسيطر على المنطقة . ويبدو أن ابن كافى كان قــد انتوى توسيع نشاطه فى صعيد مصر ، لولا ظهور الأوبئــة بين جنوده . مما اضطره الى الانسحاب الى قاعدة انطلاقه فى برقة ، ولكن بعد أن خرب الاستحكامات العسكرية فى المنطقة وبعض مظاهر العمران (٤٧) .

(ب) فى حين أدى الانقسام الذى حدث بين صفوف القيادة المصرية فى الفسطاط ، الى مزيد من الاضطرابات التى شهدتها البلاد . ذلك أن تعدد قادة الحملات العباسية — التى حرص الخلفاء العباسيون على ارسالها الى مصر — أسفر عن تنازعهم فيما بينهم من أجل تولى منصب الولاية فى مصر . وانقسموا بالتالى الى فرق متناحرة ، وسعى كل فريق منهم للبحث عن القوة اللازمة لتدعيم موقفه . بينما استمر الجنود فى شغب دائم نتيجة للتأخير المفتعل فى صرف عطائهم وكان السبب فى ذلك دخول عمال الخراج فى مصر فى دائرة الصراع بين الأطراف المتنافسة (٤٨) . فأتاح

ذلك الفرصة لبعض المغامرين من بربر البحيرة — على ما يبدو — للمشاركة فى هذه الأحداث طمعا فى تحقيق بعض المكاسب ، على نحو يذكرنا بما حدث فى أخريات أيام الدولة الطولونية . واشتهر منهم فى هذه الفترة **أبو مالك حبشى بن احمد السلمى ورفاقه الذين كانوا قاسما مشتركا فى معظم الأحداث التى شهدتها مصر منذ شهر ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ (مارس ٩٣٣ م) حتى ولاية الاخشيد الثانية على مصر فى شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ (أغسطس ٩٣٥ م)**(٤٩) .

فعندما توفى أبو منصور تكين — أثناء ولايته الثالثة على مصر (٣١١ — ٣٢١ هـ = ٩٢٤ — ٩٣٣ م) — حدث نزاع بين ابنه محمد بن تكين وبين أبى بكر محمد بن على الماذرائى صاحب الخراج بسبب مطالبة الأول بولاية مصر بعد أبيه ، فتصدى له الماذرائى وأمره بالخروج عن مصر . الا أن محمد بن تكين لم يلبث ، بعد أن سار الى الشام ، أن قفل عائدا الى مصر مدعيا أن معه تقليداً بولايتها من قبل الخليفة القاهر بالله العباسى (٣٢٠ — ٣٢٢ هـ = ٩٣٢ — ٩٣٤ م) . فاستجاش الماذرائى بحبشى بن أحمد ورفاقه لمنع ابن تكين من دخول مصر . وقد وافق حبشى على الفور بحيث

انه خرج بفرقته الى طريق الشام ، وأقاموا بعض الوقت فى موضع يعرف بجرجير — على الطريق بين الشام ومصر ، قريبا من الفرما — تأكدوا خلاله من احجام ابن تكين عن اجتياز الحدود المصرية (٥٠) .

وانفتح بذلك المجال أمام حبشى ورفاقه للاستبداد بالأمر ، بعد عودتهم الى الفسطاط . فانقلبوا على حليفهم الماذرائى « وشغبوا عليه فى طلب أرزاقهم وأحرقوا داره ودور أهله » واضطروه الى أن يستتر (٥١) . بيد أن موقفهم هذا جلب عليهم عداء باقى فرق الجيش من الأتراك ، الذين اشتبكوا معهم فى عدة معارك دارت رحاها فى شوارع الفسطاط ، واسفرت عن هزيمة حبشى وفرقته فى شهر ذى الحجة سنة ٣٢١ هـ (نوفمبر ٩٣٣ م) واضطروا الى الفرار الى الجيزة بعد أن قتل منهم قرابة أربعين رجلا . ثم سار حبشى وفرقته الى الصعيد حيث أقاموا بمدينة أسيوط بعض الوقت ، كى يعيدوا تنظيم صفوفهم لاستئناف نشاطهم العسكرى من جديد بالفسطاط . وهو بالفعل ما حدث اذ انهم عادوا ثانية الى الجيزة وعسكروا بها فى آخر صفر سنة ٣٢٢ هـ (فبراير ٩٣٤ م) . ولكن الأتراك خرجوا اليهم بقيادة حبكويه ، واستعد الفريقان للحرب . فسعى الأهالى فى الصلح بينهما ، خوفا من التعرض للنهب والسلب ، وتعهدوا بتوفير الأموال اللازمة لحبشى ورفاقه تعويضا لهم عن الخسائر التى لحقت بهم . غير أن حبكويه كره أن يتم الصلح على هذا النحو وأصر على مواصلة القتال الذى لم يسفر عن ترجيح كفة أى من الفريقين على الآخر ، اذ كان عبارة عن مناوشات بينهما ادت الى مزيد من التدهور فى أوضاع العاصمة (٥٢) .

وقد تأزم الموقف أكثر من ذلك — خلال الفترة التالية — نتيجة لكثرة تتابع الولاة على مصر من قبل الخليفتين العباسيين القاهر ،

ثم الراضى (الذى تولى الخلافة منذ سنة ٣٢٢ هـ الى سنة ٣٢٩ هـ = ٩٣٤ — ٩٤٠ م) ، وتنازعهم فيما بينهم على منصب الولاية . وظهر حبشى بن أحمد ورفاقه اثناءها كرمز للعصيان والتمرد اذ رفضوا جميع دعوات الولاة لهم بالانصياع والتزام الطاعة . بل صاروا يشكلون — مع الحانقين على الحكم من الولاة المخلوعين وأعوانهم — حلفا معاديا نجح أفراده فى التغلب على شئون الحكم فى الفسطاط بصفة نهائية منذ شهر رجب سنة ٣٢٢ هـ (يوليه ٩٣٤ م) . وهى المرة التى شهدت تنصيب الوالى السابق أحمد ابن كيغلغ فى منصب الولاية ، وأصبح خلالها لحبشى بن أحمد ورفاقه اليد الطولى فى الجيش المصرى نتيجة استمرار ابن كيغلغ فى الاعتماد عليهم فى مواجهة المشاكل التى عرضت له . مثلما حدث أثناء محاولة ابن تكين العودة مرة أخرى لتولى حكم مصر مدعيا هذه المرة أن الخليفة الراضى العباسى هو الذى ولاه مصر . فخرج اليه حبشى على رأس رفقته — بايعاز من ابن كيغلغ — لمنعه من دخول مصر . والتقوا فى موضع يقال له الطواحين — بين فاقوس وبلبيس — « فاقتتلوا . فانهزم محمد بن تكين وأسر وبعث به الى الفسطاط فأخرج الى الصعيد » (٥٣) .

غير أن الأمر لم يستتب طويلا لابن كيغلغ وحلفائه الذين ضموا — الى جانب حبشى وفرقته — محمد بن على الماذرائى صاحب الخراج ، وأعوان كثيرين فى باقى الجهاز الادارى مثل نائبه فى الحكم محمد بن عيسى النوشرى ، وبجكم الأعور ومحمد بن زياد المعروف بكوجك وسعيد بن عثمان غلام الأحول الذين تعاقبوا على منصب الشرطة فى مصر ، وغيرهم . ذلك أن الخليفة الراضى العباسى عهد بولاية مصر الى محمد بن طغج بن جف الذى شرع فى المسير اليها على رأس قوات ضخمة العدد . وبات واضحا أن ابن طغج هو رجل الخلافة القادر على مواجهة استبداد القوى المعارضة فى

مصر . فهو لم يكن غريبا عن مصر ، اذ شارك فى مقاومة الحملة الفاطمية الأولى على مصر « وحسن أثره فيها »(٥٤) . كما كان ابن طغج مطلعا ـ وبدقة ـ على تطورات الموقف فى مصر أثناء ولايته الأولى على مصر ، التى استمرت اثنين وثلاثين يوما فقط (من يوم الأحد ٨ رمضان سنة ٣٢١ هـ الى يوم الخميس ١٠ شوال السنة = الموافق ٥ أغسطس / ٦ سبتمبر ٩٣٣ م) . وهى المرة التى لم يدخل فيها مصر على الاطلاق ، رغم انه « دعى له بها » وآثر الاقامة فى دمشق حتى تتكشف له حقيقة الأوضاع فى مصر (٥٥) . لهذا نراه يسير الى مصر وقد أعد للأمر عدته فالى جانب القوات البرية التى سارت تحت قيادته اصطحب ابن طغج معه أسطولا حربيا يقوده صاعد بن كلملم(٥٦) .

وكالعادة ، بعث أحمد بن كيغلغ ـ المتغلب على الحكم بالفسطاط ـ بحليفه حبشى بن أحمد على راس جيش ضخم العدد الى الفرما ليمنع مسير ابن طغج الى مصر . غير أن كفاءة الأخير ومقدرته فى التغلب على المعارضين له وضحت منذ البداية ، عندما ضيع الفرصة على حبشى وجموعه بالدوران حول الفرما حيث معسكر حبشى ، ولم يشأ ابن طغج الدخول معه فى حرب قد تأتى على قواته ، وربما كذلك للمحافظة على فارق التوقيت بين مسيره فى البر ومسير الأسطول فى البحر ، حتى يتوافق موعد دخولهم الفسطاط معا(٥٧) . وفى تلك الأثناء حدث من أهل الفسطاط ما دل على رفضهم أسلوب حكم ابن كيغلغ وحلفائه ، اذ ثاروا على صاحب الشرطة وكان فى ذلك الوقت محمد بن عيسى النوشرى . فاضطر ابن كيغلج الى عزله ، واستبدله بغيره حتى لا يتفاقم الأمر فى الفسطاط (٥٨) .

ثم وصلت جموع ابن طغج تسير متوافقة مع مراكبه الى دمياط ، وعندئذ آيس ابن كيغلج من النصر وعزم على التسليم .

الا أن الماذرائى أبى عليه ذلك ، وبعث بحبشى بن أحمد ـــ الذى عاد الى الفسطاط بعد أن أدرك خداع أبن طغج له عند الفرما ـــ على راس فرقته ليعترض مسير ابن طغج الى الفسطاط بحذاء فـــرع دمياط . كما أرسل الماذرائى كذلك بعلى بن بدر السميساطى على راس الاسطول المصرى للايقاع بسفن ابن طغج التى يقودها صاعد ابن كلملم فى مياه النيل . ولكن النصر كان حليفا لابن طغج ، سواء فى البر حيث انهزم أمامه حبشى بن أحمد ورفقته ، أم فى مياه النيل حيث انهزمت قوات على بن بدر فى مراكبها على مقربة من سمنود ، وذلك فى شهر شعبان سنة ٣٢٣ هـ (يولية ٩٣٥ م) . وتتبع ابن طغج فلول حبشى المنهزمة نحو الفسطاط ، بينما وصلت سفنه أمام جزيرة الفسطاط(٥٩) .

وفى محاولة أخيرة من جانب المتحالفين لصد هجوم محمد بن طغج فى البر والماء ، أعاد الماذرائى ـــ الذى برز دوره واضحا فى هذه الأحداث ـ ترتيب قواته ، فشحن جزيرة الفسطاط بالســلاح والرجال للتصدى لمراكب ابن طغج ، وعسكر بباقى القوة البرية ، بما فيها حبشى بن أحمد وفرقته أمام الفسطاط . غير أن الأمر لم يتعد المناوشة بين الفريقين ، أدرك ابن كيغلغ خلالها انه لا قبــل له بالصمود أمام جموع ابن طغج الذين تعزز موقفهم اثر إنضمام أكثر جنود ابن كيغلغ الى جانب ابن طغج فى مقابل الحصــول على الأمان لأنفسهم . وبات واضحا أن حبشى بن أحمد وفــرقته لن يتمكنوا من صد هجوم ابن طغج . كما أن ابن كيغلغ سئم استبداد الماذرائى وأفراد إسرته وانفرادهم دونه بتدبير الأمور فى مصر ، ولهذا كله أقبل ابن كيغلغ على تسليم البلاد لابن طغج ، الذى دخل بجيوشه الفسطاط فى الأيام الأخيرة من شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ (اغسطس ٩٣٥ م) (٦٠) .

فكان ذلك بداية لعصر جديد دلت شواهده على أن الطابع العام للوجود المغربى بمصر قد أخذت ايقاعاته تزداد سرعة وحدة .

ثالثا : خلال حكم الإخشيديين (٣٢٣ — ٣٥٨ هـ = ٩٣٥ — ٩٦٩ م) :

١ — أيام محمد بن طغج الإخشيد (٣٢٣ — ٣٣٤ هـ = ٩٣٥ — ٩٤٦ م) :

ما ان دخل محمد بن طغج مدينة الفسطاط بقواته حتى غادرها حبشى بن أحمد وفرقته من بربر البحيرة ، ومن آثر البقاء الى جانب المعارضة للوالى الجديد مثل : بجكم صاحب الشرطة ، وعلى بن بدر السميساطى قائد الأسطول ، والقائد نظيف الموسوى ومعهم شخص آخر يدعى على المغربى (٦١) . ويشير الكندى الى أن هؤلاء المعارضين « ركبوا طريق الشرقية » أولا ثم عادوا فيمموا شطر الفيوم (٦٢) . وتعلق د. سيدة كاشف على ذلك بقولها : « .. ولسنا ندرى سبب عدولهم عن الهرب بطريق الحدود الشرقية ، ولكننا نرجح انهم لم يطمئنوا الى امكان النجاة من أعوان ابن طغج فى هذا الجزء من البلاد ، ففضلوا الاتجاه الى اقليم الفيوم الذى لم يكن سلطان ابن طغج قد امتد اليه بعد . والمحتمل انه كانت لهم بهذا الاقليم صلات يمكنهم الافادة منها ، وانهم كانوا يريدون الانتفاع بطبيعته الجغرافية فى أى مقاومة يضطرون اليها .. » (٦٣) .

والرأى — رغم ما ابدته د. كاشف من وجاهة فى تعليل السبب — أن هؤلاء المعارضين بقيادة حبشى بن أحمد قد اتجهوا رأسا الى الفيوم : على بن بدر ومن معه من بقايا الأتراك فى المراكب المصرية ، وحبشى بن أحمد وفرقته من بربر البحيرة فى طريق شرقية النيل ، ثم عبروا النيل بعد ذلك حيث « لحق حبشى وأصحابه بالفيوم » . وذلك لأن الكندى نفسه — فى أكثر من موضع — قصد

بكلمة « الشرقية » شرقية النيل ، أى الضفة الشرقية لنهر النيل من صعيد مصر (٦٤) . كما انه كان محالا على هؤلاء المعارضـــين اختراق صفوف ابن طغج الجاثمة فى الفسطاط وضواحيهـــا وفى جزيرة الفسطاط كذلك ، فبقى أمامهم الانسحاب جهة الجنوب حيث سلك حبشى بن أحمد وفرقته هذا الطريق مرتين قبل ذلك (٦٥) .

وكان لزاما على ابن طغج أن يقضى على حركتهم فى مهدها ، فأرسل اليهم قائده صاعد بن كلملم على رأس جنده فى عدة مراكب حربية . غير أنه عجز عن الدوران بسفنه فى خليج الفيوم لضيقه ، فوقع فى قبضة حبشى ومن معه ، فقتلوه وظفروا بمراكبه ، وذلك فى ٢١ شوال سنة ٣٢٣ هـ (سبتمبر ٩٣٥ م) . ومن الفيوم اتجه حبشى الى الاسكندرية فى فرقته ، بينما سار على بن بدر وبجكم الأعور فى المراكب المصرية ، مارين بالفسطاط ، فأرسلوا بجزيرتها وأحرقوا دار صـــناعة الســـفن الموجودة بها وما كان بهـــا من ســـفن ، وابن طغج عـــاجز عن التعـــرض لهم لوجـــود ماء النيـــل حائـــلا بينـــه وبينهم . ثم انحـــدروا بعد ذلك الى الاســـكندرية حيث لحقوا بحبشى (٦٦) . فأرسل ابن طغج اليهم جيشا بقيادة أخيه عبيد الله بن طغج لقتالهم بالاسكندرية . ولكنهم غادروا أرض مصر الى بلدة الرمادة ــ القريبة من ساحل البحر بين الاسكندرية وبرقة ـــ وشرعوا فى مكاتبة الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله صاحب افريقيـــة (٣٢٢ ــ ٣٣٤ هـ = ٩٣٤ ــ ٩٤٥ م) **يستاذنونـــه فى الدخول فى عمله** ، ويسألونه أن يبعث اليهم بجيش يأخذون به مصر فانهم يعلمون وجوه الحرب وكيف الوصول اليها » (٦٧) .

ولاشك ان فى هذا ما يدلنا على ان حبشى بن أحمد وزفاقه قد بدأوا ــ منذ ذلك الحين ــ يفكرون فى العمل لحساب الفاطميين ــ بالمغرب ــ وذلك بعد أن تلاشت المكاسب التى حققوها فى مصر بفضل شجاعة محمد بن طغج ــ والى مصر القوى ــ وتفوق جيوشه

ونجاح خططه في الايقاع بهم والقضاء على استبدادهم بالأمور في العاصمة • هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان مثل هذا التطور الجديد يدلنا كذلك على نجاح الفاطميين ـ بالمغرب ـ في سياستهم الرامية الى استقطاب عناصر من سكان مصر الى صفوفهم سواء عن طريق الدعاة الفاطميين والمغاربة المواليين لهم المنتشرين فى أنحاء مصر أم عن طريق دسائس الولاة الفاطميين على برقة •

لذلك أعد الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله قوة كبيرة من كتامة ، أشرف عليها مولاه زيدان الذى انضم اليه فى برقة : عامر المجنون ، وأبو زرارة ـ أو أبو تازرت ـ ، ويعيش الكتامى، مع قوات حامية برقة الكتامية • ويبدو أن القيادة أصبحت للقائد يعيش الكتامى الذى سار مع القوات المعارضة لحكم ابن طغج ، يتقدمهم بجكم الأعور الذى صار قائدا للفرقة المعارضة من بقايا الأتراك وبربر البحيرة بعد مرض حبشى بن أحمد ووفاته بالرمادة « حسرة على ما خلفه بمصر » . وكان مسير هذه الحملة ـ التى عرفت **بالثالثة** ـ الى مصر من برقة فى شهر صفر سنة ٣٢٤ هـ (يناير ٩٣٦ م)(٦٨) .

وكالعادة ـ أيضا ـ استولت هذه الحملة على مدينة الإسكندرية فى ٢٢ ربيع الآخر سنة ٣٢٤ هـ (مارس ٩٣٦ م) ، وشرع قادتها فى التوغل فى الأراضى المصرية الا أن الجيش المصرى الذى سيره محمد بن طغج بقيادة أخيه الحسن بن طغج ، فاجاهم فيما بين تروجة وابلوق ـ من أعمال البحيرة ـ فى ٥ جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ (ابريل ٩٣٦ م) ، حيث دارت الدائرة على قوات الحلف الفاطمى المعادى ، وقتل القائد يعيش الكتامى أمير الجيش الفاطمى وبعض مساعديه ، وأسر منهم كثيرون من بينهم عامر المجنون (٦٩) • أما بجكم الأعور وبعض رجاله فقد تركوا ميدان القتال فرارا بأنفسهم الى برقه حيث استقروا بالرمادة ـ التى كانت تقع فى ممتلكات الفاطميين . ثم انهم طلبوا الأمان بعد ذلك من

ابن طغج الذى عفا عنهم ، فعادوا الى الفسطاط فى سنة ٣٢٨ هجرية (٣٩ / ٩٤٠ م) (٧٠) . بينما كانت قوات ابن طغج قد عـادت الى الجيزة وحمل قائدها الحسن بن طغج معه أسرى الفاطميين فى ذات الشهر (جمادى الأولى = ابـريل) ، حيث اكتفى محمد بن طغج بتشهيرهم فى شوارع الفسطاط ثم سجنهم بعد ذلك (٧١) ٠

وكان فشـل هذه المحاولة سـببا فى انصراف الفـاطميين ـ مؤقتا ـ عن مصر الى شئون المغرب الذى شهد اضطرابات وثورات خطـيرة شغلت البقية الباقية من خلافة القائم بأمر الله الفاطمى ، وطوال عهد ابنه المنصور أبى طاهر اسماعيل (٣٣٤ ـ ٣٤١ هـ = ٩٤٥ ـ ٩٥٢ م) ٠ وكان أخطرها ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الذى اشتد أمره منذ سنة ٣٣٢ هـ (٤٣ / ٩٤٤ م) حتى مقتله فى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ م) (٧٢) ٠ على أن هذا لم يمنع من استمرارهم فى الاطلاع على أحوال مصر الداخلية من خلال أعوانهم المنتشرين فى أنحاء مصر واللجوء الى سياسة الحرب البـاردة فى التعامل مع محمد بن طغج ـ الذى تلقب بالإخشيد ومعناها بالتركية ملك الملوك ـ وخلفائه من أفراد أسرته حكام مصر ٠

وبالمقابل نهج محمد بن طغج الإخشيد تجاه هذه المحـاولات سياسة حكيمة سار عليها خلفاؤه من بعده ، واعتمدت كثيرا على مداراة الفاطميين ـ بالمغرب ـ وعدم الدخول معهم فى أمور تستوجب العداء وبالتالى حضور حملات عسكرية أخرى الى مصر ٠ وذلك كى يتيح الإخشيد لنفسه الفرصة فى تثبيت أقدامه فى حكم مصر وفى التمتع بقدر من الاسـتقلال عن سلطان الخلافـة العباسـية ـ ببغداد ـ يمكنه من توريث الحكم لأعقابه من بعده ٠ وكان من الطبيعى أن تتضح معالم سياسة الوفاق مع الفاطميين أكثر فأكثر أثناء الفترات التى تعرض الإخشيد خلالها لمتاعب مـع العباسيين الذين أبدوا بعض التحفظات بصدد توسعاته فى الشام ٠

وقد بدأ الإخشيد سياسة الوفاق هذه باطلاق سراح عامرا المجنون ورفاقه أسرى يوم أبلوق (جمادى الأولى ٣٢٤ هـ = ابريل ٩٣٦ م) من سجنهم بالفسطاط وذلك فى شهر ذى القعـدة من سنة ٣٢٧ هـ (أغسطس ٩٣٩ م) ، وكانوا « مئة رجل وأربعة رجال وأربعة آخرين » (٧٣) . ويبدو أن ذلك كان رداً عملياً من جـانب الاخشيد على خطاب أرسله اليه الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله يطلب فيه صداقته(٧٤) . كذلك كان اطلاقه سراح هؤلاء الأسرى ضمن اجراءات اتخذها الإخشيد قبل التوجه بجيوشه الى الشام لخوض المعارك ضد محمد بن رائق الوالى العباسى على الشام ، فى ذلك الشهر (ذى القعدة)(٧٥) .

ولعل فى هذه المهادنة التى بداها الإخشيد مـع الفاطميين ، ما شجع الدعاة والمغاربة أعوان الفاطميين على ممارسة نشاطهم فى الترويج للحكم الفاطمى على نطاق واسـع بمصر ، ووصـل الأمر ببعضهم الى الاتصال بعلية القوم فى الفسطاط مثل الماذرائى الذى اتهم بمكاتبة الخليفة القائم الفاطمى وانه زين له فتح مصر (٧٦) . وتغلغل بعضهم الآخر الى قصر الامارة واتصلوا بالإخشيد . وفى ذلك ينفرد ابن سعيد بذكر رواية مؤداها أن الداعى الفاطمى أبا الحسين محمد بن عبد الوهاب استطاع أن يؤثر على الإخشيد بشأن اقامة الدعوة للخليفة الفـاطمى على منـابر المساجد بمصر ، وان الإخشيد عهد بتنفيذ هذه الفكرة الى عمـر بن الحسين العباسى الخطيب بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط(٧٧) . وايما كانت الأسباب التى ذكرت لتبرير ذلك ، فان الإخشيد كان يعلم أن هذا الأمر يعنى استبدال سيد بسيد آخر ، وهو ما يتعارض تماما مع سياسته فى توطيد استقلاله بمصر (٧٨) .

ومن ناحية أخرى ، فقد عول الإخشيد على الاستفادة بجهود العديد من أفراد وجماعات المغـاربة المنتشرين فى أنحاء مصر ،

سواء المقيمين بها أم الوافدين اليها فى طريق الحج • فظهر منهم أعداد عملوا كمتطوعين فى الجيش المصرى • ومن الطريف ما روى عن اعتماد الإخشيد على أحد جنوده هؤلاء لانقاذه من مازق دبلوماسى وقع فيه مع الخلافة العباسية اثناء وجوده بالشام . فقد طلب منه الخليفة المتقى العباسى (٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ = ٩٤٠ ـ ٩٤٤ م) ان يصحبه معه الى بغداد . ولما كان هذا الطلب يعنى دخول الإخشيد فى دائرة الصراع مع القادة الأتراك المسيطرين على شئون الخلافة ببغداد ، فقد تحرج الإخشيد من الاجابة وصار يبحث عن مخرج من هذا المأزق • ثم هداه تفكيره الى الاتفاق مع هذا المتطوع المغربى الموجود بمعسكره على أن يدعى الأخير انه تسلم من أخيه ـ بالمغرب خطابا يفيد ان الخليفة القائم الفاطمى قد علم بمسير الإخشيد الى الشام وانه جهز جنوده فى البر والبحر الى مصر مغتنما خلوها من الجند . وأوصى الإخشيد تابعه هذا بأن يعمل حيلته فى اظهار الخطاب وكأنه قديم « ففركه ودعكه » . وانطلت هذه الحيلة على الخليفة العباسى الذى أمر الإخشيد بالمسير الى مصر على الفور (٧٩) •

وفى الناحية الادارية برز أبو نصر غلبون بن سعيد المغربى الأصل الذى نرجح أن الإخشيد قد استعمله على اقليم أسيوط وأخميم ، قبل أن يستقر بعد ذلك فى ولايته على اقليم الأشمونين(٨٠) . ويؤكد ابن حوقل على أن الإخشيد كان قد اتخذ من أبى الحسن البلزمى ـ نسبة الى بلزمة على الطريق بين باغاية وطبنة من أعمال المغرب الأوسط ـ مستشارا له ، وذلك بعد أن آنس فيه صلاحا وورعا (٨١) •

وتجدر الاشارة الى أن منطقة الواحات قد شهدت فى أخريات حكم الإخشيد ـــ وبالتحديد قبيل سنة ٣٣٠ هـ (٤١ / ٩٤٢ م) =

حدثا هاما تمثل في رواية المسعودى عن أن « **صاحب الواحات فى وقتنا هذا ــ وهو سنة اثنين (كذا بــالنص) وثلاثين وثلثمائة (٤٣ / ٩٤٤) ــ عبد الملك بن مروان ، وهو رجل من لواته الا انه مروانى المذهب ويركب فى الوف من الناس خيلا ورجلا ونجبا »(٨٢) .**

ووجه الأهمية هنا ليس فى كون عبد الملك هذا بربريا من لواته ، اذ المعروف أن الغلبة العددية فى تلك البقاع كانت دائما معقودة لهذه القبيلة العتيدة . ولكن أهمية هذا النص تتمثل فى نواح أخرى عديدة ، نلمسها فى :

ــ اسم هذا الحاكم الذى يبدو لنا كتقاطع لسلسلة افتراضية تتابع خلالها أفراد من أسرة آل عبدون اللواتيين فى حكم الواحات « مــذ أول ما فتحها المسلمون » حسبما نص عــلى ذلــك ابــن حوقل (٨٣) .

ــ الوصف الذى أطلقــه المســعودى على هذا الحاكم بأنه « مروانى المذهب » . الأمر الذى يدلنا على أن عبد الملك هذا كان فى ولاء البيت الأموى ، الذى لم يكن له وجود آنذاك الا فى الأندلس واميرها عبد الرحمن الثالث الملقب بالخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠ ــ ٣٥٠ هـ = ٩١٢ ــ ٩٦١ م) . ولعله ليس من قبيل المصادفة أن يكون اسم هذا الحاكم شاهدا على هذا الانتماء اذ ان اسم «عبد الملك ابن مروان » انما هو فى الواقع بمثابة توليفة أموية خالصة .

ــ عبارة « ويركب فى ألوف من الناس خيلا ورجلا ونجبا » التى نتعرف من خلالها على نظام الحكم الذى كان عبد الملك بن مروان يتبعه فى الواحات . وهو كما يبدو كان أقرب ما يكون الى أنظمة الحكم العســكرى التى عادة ما يستند أصحابها الى القوة العسكرية فى اثبات وجودهم وفرض هيبتهم .

وفى ضوء الاعتبارات السابقة لا نعتقد أننا نكون مبالغين فى تصوير هذا الحادث على انه كان انقـلابا فى حكم الواحات دبره عبد الرحمن الناصر ـ الخليفة الأموى بالأندلس ـ بقصد التمكين لصنيعته اللواتى عبد الملك بن مروان فى حـكم المنطقة . وذلـك ـ على ما يبدو ـ لضمان غلق هذه الجبهة أمام حملات الفاطميين العسكرية ، سيما بعد أن وضح مدى الضعف الذى أصاب آل عبدون ـ الحكام الأصليين للواحات ـ وعجزهم عن مقاومة حملة مسرور ابن كافى الكتامى على الواحات (أواخر سنة ٣١١ هجرية = ٢٣ / ٩٢٤ م) . رغم وجود الكرمازى ـ الحاكم العسكرى المعين على المنطقة من قبل حكومة الفسطاط ـ كرمز للتعاون المشترك بين الحكومتين (العباسية فى الفسطاط ، واللواتية فى الواحات) فى دفع الخطر الفاطمى (٨٤) .

ويلاحظ أن أمر هذا الانقلاب ، ان صح بتلك الكيفية ، فانه يضيف جديدا الى ما بذله الخليفة الناصر الأموى من أجل مناهضة الوجود الفاطمى بالمغرب ، وبخاصة فيما يتعلق بدور الناصر فى تشـجيع الوافـدين الى مصر من الحجـاج والدارسـين المغـاربة والأندلسيين على القيام بدعايات سنية مضادة لدعايات الفاطميين ، كما سنرى فى حينه (٨٥) . كما انه يعد سابقة تلتها حركة الثائر الأموى الوليد بن هشام المعروف بأبى ركوة الذى ستلى الاشارة الى ثورته على الفاطميين ـ بعد انتقالهم الى مصر ـ بناحية برقة .

وفى شبه محاولة من جانب المسعودى للتأكيد على صحة أمر هذا الانقلاب ، يشير الى أن عبد الملك بن مروان ـ عقب تسلمه مقاليد الحكم فى الواحات ـ بعث رسولا من قبله الى قصر الامارة بالفسطاط ، فى سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢/٤١ م) للقاء الإخشيد . كى يشرح له ـ على ما يبدو ـ الدوافـع الحقيقيـة لوجوده فى حكم

الواحات ، وربما كذلك لتنسيق الجهود المشتركة بين الطرفين من أجل تأمين المنطقة (٨٦) .

ويبدو ان الإخشيد ــ الذى استغرقته تماما أحداث الشـام طوال فترة حكمه (٨٧) ــ كان مضطرا لانتهاج سياسة مرنة تجاه هذا التطور الذى تعرضت له منطقة الواحات . بحيث انه رضخ لسياسة الأمر الواقع واعترف بتغلب ابن مروان اللواتى على حكم الواحات ، على أساس ان الأخير سـيتكفل بعبء الدفاع عن هذه المنطقة النائية . كما كان من المنطقى أن يكون الإخشيد كذلك قـد حصل من ابن مروان ــ من خلال مبعوثه الخاص ــ على ضمانات كافية بعدم التفكير فى القيام مستقبلا بأعمال عدوانية ضد نفوذ الإخشيد فى صعيد مصر .

وخلاصة القول ، ان محمد بن طغج الإخشيد قد نجح الى حد كبير فى فرض نوعا من التوازن ازاء المتناقضات التى اتسم بها الأداء المغربى بمصر طوال فترة حكمه . وكان اعتماده فى ذلك على مقدرته الخاصة كحاكم كفء استطاع أن يسير بسفينة الأحداث فى مصر الى بر السلامة . الأمر الذى كان يتطلب من خلفـاء الاخشيد بذل المزيد من الجهد لملء الفراغ الذى نتج عن وفاته ، حتى يمكنهم الاستمرار فى الاحتفاظ بوحدة البلاد فى وقت اشتدت فيه وطـأة التدخل الفاطمى فى شئون مصر الداخلية .

٢ ــ فى عهد خلفائه (٣٣٤ ــ ٣٥٨ هـ = ٩٤٦ ــ ٩٦٩ م) :

توفى محمد بن طغج الإخشيد ودفن ببيت المقدس فى شهـر ذى الحجة من سنة ٣٣٤ هـ (يوليـة ٩٤٦ م) ، بعـد أن أوصى بالحكم من بعده لابنه أبى القـاسم أونوجور (٣٣٤ ــ ٣٤٩ هـ = ٩٤٦ ــ ٩٦٠ م) ، على أن يكون عبده كافور الحبشى ــ المعروف

بأبى المسك كافور الإخشيدى ـــ وصيا عليه لصغر سنه . وقـــد استطاع كافور أن يستبد بالحكم وأن يصير الحاكم الحقيقى للبلاد طوال فترة وصايته على أبى القاسم ، وكذلك على أخيه الأصغر أبى الحسن على بن الاخشيد (٣٤٩ ـ ٣٥٥ هـ = ٩٦٠ ـ ٩٦٦ م). ثم حـكم بعد ذلك كوال رسـمي على مصـر باعتراف الخـلافة العباسية مدة سنتين ونصف انتهت بوفاته في شهر جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ (ابريل ٩٦٨ م) . فخلفه أبو الفوارس أحمد حفيد الإخشيد فى الحكم حتى سقطت مصر فى حوزة الفـاطميين سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) .

وقد جعل كافور نصب عينيه الاحتفاظ بوحدة البلاد والقضاء على الفتن الداخلية والخارجية التى واجهته ، وأبدى فى ذلك همة كبيرة لا تقل عما بذله سلفه وسيده الاخشيد . وبصدد سياسته مع المغاربة والأندلسيين الموجودين بمصر آنذاك ، فلم تختلف كثيراً عما أبداه الاخشيد من كفاءة سواء من حيث التعامل بالحزم الكافى مع العناصر المغربية الميالة للشغب ، أم من حيث ابداء بعض المرونة فى الحالات التى كانت تتطلب ذلك . فمثلا : نجح كـافور — فى شهر ربيع الآخر من سنة ٣٣٥ هـ (نوفمبر ٩٤٦ م) ـ فى القضاء على ثورة محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن السراج العلوى التى كانت بمثابـة أول تحد سـافر وجهه له الفاطميون بالمغرب . ذلك ان ابن السراج كان قبل قيامه بثورته تلك مقيما تحت كنف الفاطميين بافريقية منذ سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) اثر فشل ثورته التى قام بها فى وجه الإخشيد بصعيد مصر . فكـان من الطبيعى أن تكون ثورته الثانية قد تم الاعداد لها بمعرفة الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله(٨٨) . ولهذا وصفه ساويرس بأنه « ثائر من الغرب » (٨٩) . وفى أعقاب ذلك مباشرة نشبت أزمة داخلية اتسمت بالخطورة هذه المرة عندما أدت الى زعزعة مركز الحكومة

الإخشيدية بعض الشىء فى العاصمة . وكان بطلها أبو نصر غلبون ابن سعيد المغربى الأصل ، الذى كان الإخشيد قد احتباه بمنصب والى أسيوط وأخميم ، ثم نقل الى اقليم الأشمونين خلال تعديلات ادارية أجراها كافور ، على ما يبدو (٩٠) . أما عن تفاصيل هذه الأزمة فتبدأ فى شهر جمادى الآخرة سنة ٣٣٥ هـ (يناير ٩٤٧ م) عندما انتزى غلبون بمدينة الأشمونين منتهزا فرصة انشغال كافور وأفراد البيت الإخشيدى بخوض المعارك فى الشام ، واضطراب الأوضاع فى العاصمة نتيجة انقسام الجنود الباقين بها الى طائفتين (كافورية واخشيدية) وحدوث المنازعات بينهما . وتمكن غلبون أثناء ذلك من اخماد المعارضة التى أثارها أهل المدينة فى وجهه ، ثم خرج للقاء حملة عسكرية أتت اليه من الفسطاط بقيادة شادن التركى . وكان النصر حليفا لغلبون بعد أن كمن فى الطريق لجنود الحملة وقتل معظمهم ، بينما فر الباقون وفيهم شادن الى العاصمة للاستعداد من جديد لحرب غلبون(٩١) . وقد اكتسب غلبون بهذا النصر ثقة كبيرة جعلته يشرع فى المسير الى الفسطاط للاستيلاء عليها ، ونجح فى تضليل الجيش الذى سار اليه آنذاك « بأن خالفهم فى الطريق وجاء الى الفسطاط »(٩٢) . وسهل على غلبون حينذاك اقتحام الفسطاط التى كانت خالية من الجنود ، الا قليلا منهم قتلهم غلبون عن آخرهم ، ونزل فى دار الامارة (٩٣) . ويفهم من رواية الكندى أن اقامة غلبون بالفسطاط قد استغرقت العام أو أكثر ، قبل أن يضطر لمغادرتها اثر وقوع خلاف بينه وبين جنوده . فى الوقت الذى حضر فيه كافور بقواته الى مصر ، فسهل عليه أن يوقع بغلبون فى القتال الذى دار بينهما عند مشارف الفسطاط ، فى ٢٥ ذى الحجة سنة ٣٣٦ هـ (يونية ٩٤٨ م) . وقد لقى غلبون حتفه فى هذا القتال ، فصدر الأمر بأن تفصل رأسه عن جسده حيث علقت على جدران أحد المساجد بالفسطاط . مما يدل على مدى الاحساس بالمرارة الذى تولد فى

داخل كافور وباقى أفراد البيت الأخشيدى بسبب ثورة غلبون التى أضرت كثيرا بهيبة الدولة وقطعت السابلة حتى ان قافلة الحج المصرى لم تخرج فى هذا العام « لانشغالهم بغلبون » (٩٤) ٠

ومن ناحية أخرى ، يبدو أن كافورا لم يعمد الى تغيير سياسة الاعتراف بالأمر الواقع التى اتبعها سلفه الإخشيد مع عبد الملك ابن مروان اللواتى ، المتغلب على حكم الواحات ٠ بحيث استمر الأخير فى سياسته القائمة على تعبئة موارد الواحات المادية والبشرية لدفع الخطر الفاطمى المتوقع بين لحظة وأخرى ٠ بيد أن الخطر الحقيقى الذى تعرضت له المنطقة خلال هذه الفترة ــ على وجه الخصوص ــ جاء من ناحية الجنوب عندما سار ملك النوبة على رأس جيش عظيم الى الواحات « فأوقع بأهلها وقتل منهم وأسر كثيرا » وذلك فى سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) (٩٥) ٠ مما يعنى أن المشروع الأموى ــ الذى بذل الخليفة الناصر بالأندلس جهده فى تحقيقه فى هذه المنطقة النائية من جنوب غرب مصر ، على ما رجحنا ــ قد انتهى سريعا وبشكل غير متوقع ٠ اذ اننا لم نسمع ثانية عن عبد الملك بن مروان الذى من المؤكد انه راح ضحية هذا الاعتداء ، سواء كان قتل أثناء محاولته صد الهجوم النوبى ، أم فر الى سيده الناصر الأموى ينبئه بفشل مسعاه ٠ ونرجح أن أهل الواحات ــ عقب خروج الجيش النوبى عائدا الى بلاده ــ قد نادوا بعودة حكامهم الشرعيين من آل عبدون اللواتيين ، الذين سنجد اشارة تالية لوجودهم فى حكم الواحات واستمرارهم فيه الى ما بعد دخول الفاطميين مصر (٩٦) ٠ ولعل بادرة من جانب كافور باعلان تأييده لعودة آل عبدون الى الحكم ، مصحوبة باعتذاره عن عدم تقديم المساعدات اللازمة أثناء محنتهم ، كانت سببا فى عودتهم الى سابق تعاونهم واخلاصهم فى مقاومة أطماع الفاطميين ، كما سيتضح حالا ٠

اما عن أمويى الأندلس فقد أدركوا ان وسائلهم على هذا النحو لن تنجح فى الحد من تزايد النفوذ الفاطمى فى مصر . فركزوا جهودهم فى الانفاق على علماء المذاهب السنية بمصر ـ المالكية منهم بوجه خاص ـ تشجيعا لهم على القيام بدعايات سنية مضادة لدعايات الفاطميين الشيعة • واستخدموا لهذا الغرض جماعات الحجاج والدارسين الوافدين الى مصر • وقد رد كافور عن ذلك بالمثل ، مما أدى الى أن تكونت حركة معارضة سنية حظت بتأييد الجهات الرسمية فى مصر والأندلس . وحاول خلالها العديد من المغاربة والأندلسيين ـ الى جانب نظرائهم المصريين ـ احتواء دعوة التشيع بمصر . الأمر الذى سنلمس آثاره عند دراستنا للدور المغربى فى العلوم والفنون •

أما عن أهم الأخطار التى هددت أمن مصر خلال هذه الفترة وتطلبت من كافور كل التركيز والاهتمام من أجل القضاء عليها ، فقد جاءت كلها من ناحية الفاطميين ـ بالمغرب ـ الذين عادوا من جديد الى ممارسة سياسة الضغط بقوة على مصر من خلال دعاتهم والمغاربة الموالين لهم المنتشرين فى أنحاء مصر • الأمر الذى بلغ ذروته مع تولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية فى سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) • فى الوقت الذى توالت فيه الأزمات الاقتصادية بسبب انخفاض ماء النيل فى سنوات الفيضان وما كان يتبع ذلك من ندرة الأقوات وغلاء الأسعار ومجاعات ، مع فتن داخلية تؤثر على الأمن العام فى الطرقات وغيرها • مما أسفر فى النهاية عن سقوط مصر فى أيدى الفاطميين سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) •

ففى البداية حرص الخليفة المعز الفاطمى على اتباع أسلوب جديد فى الضغط على مصر ، تمثل فى اجلاء جماعات من أعوانهم المغاربة الى مصر ، حيث كانوا مكلفين بالعمل على تخريب الاقتصاد

المصرى تحت ستار التجارة وطلب العلم • وحتى لا يثيرون أية شكوك لدى حكومة الفسطاط ، فقد أخذت تحركاتهم الجماعية الى مصر طابعا سلميا هادئا • وكانت وسائل هؤلاء الأعوان فى ذلك تعتمد على استغلال الأزمات الاقتصادية التى كانت تعـانى منها البلاد كأن يتكالبوا على شراء المواد الغذائية فى وقت الأزمات ؛ فتندر ويزداد الغلاء ، وتشتد بالتالى القلاقل والاضطرابات . وهذا بالفعل ما حدث فى سـنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) عندما اسـتقر فى الاسكندرية وضواحيها اعداد من « المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين، الواردين اليها من المغرب» . اذ ترتب على ذلك أن «وقع الغلاء بمصر ، واضطربت أمور الديار المصرية والاسكندرية ••• وتزايد الغلاء وعز وجود القمح » • وزاد الأمر سوءا حينما « قل ماء النيل فى هذه السنين ، فارتفعت الأسعار أكثر مما كانت عليـه ، ووهنت ضياع مصر وقراها من عدم زيادة النيل ، وعظم الغلاء ، وكثرت الفتن » • حتى ان المصريين عجزوا عن دفـع خطر البجة سـكان النوبة الذين عاودوا الهجوم على صعيد مصر ، ووصلوا هذه المرة حتى مدينة اخميم . وباختصـار « عظم اضطراب أعمـال الديار المصرية قبليها وبحريها » . وكان السبب فى ذلك انشغال المصريين « بالغلاء والمغاربة الفاطميين »(٩٧) . وشهدت هذه الفترة كذلك ـ وكنتيجة طبيعية لنزوح هؤلاء الأعوان الى غربى مصر على هذا النحو ـ هياج البربر ـ من أهل المغرب ـ بالاسكندرية ، فى شهر ربيع الآخر من سنة ٣٥٣ هـ (ابريل ٩٦٤ م) •وتعاون معهم عرب بنى قرة فى الثورة على الحكومة الإخشيدية . فبعث اليهم كافور قوة عسكرية على رأسها من القادة : يمن الطويل المعروف بالمفلحى وأبو منجل سلامة الكافورى • فلما صـارت عند محلة حفص ـ من نواحى البحيرة ـ داهمها المغـاربة ليـلا واوقعوا بجنودها ـ ثم لاذوا بالفرار وتفرقوا فى النواحى حتى يصعب على الحكومة تتبعهم (٩٨) .••

فى حين كانت استعدادات المعز لدين الله تجرى على قدم وساق لتجهيز الحملة التى ستتولى فتح مصر . فعهد المعز الى جوهر القائد بانتقاء الرجال الأشداء ، كما أمر عماله على مدن فاس وطرابلس وبرقة بأن يتعاون كل منهم مع الآخر فى اطار اقليمه من أجل حفر الآبار والينابيع وبناء استراحة فى كل محلة ينزل بها الجيش الفاتح . ورصد لذلك أموالا كثيرة بلغ مجموعها حوالى أربعة وعشرون مليونا من الدينارات وضعها المعز فى صناديق خاصة وختم عليها بخاتمه ، وكلف بها ابن مهذب صاحب بيت ماله . وبلغ مجموع ما حشده المعز من جند كتامه وعبيد زويلة وطبقة الفتيان نحو مائة الف(٩٩) . هذا ، فى الوقت الذى توالت خلاله تقارير أعوان الفاطميين من الدعاة والمغاربة المنتشرين فى أنحاء مصر تبشر المعز بقرب سقوط مصر ، فقط « اذا سقط الحجر الأسود (يعنون بذلك كافور الاخشيدى) »(١٠٠) .

وتخلل ذلك أن سير المعز لدين الله حملة الى مصر عن طريق الواحات وذلك فى سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ربما لتخير أى الجهات أفضل لمسير حملة الفتح : الطريق الساحلى أم طريق الصحراء (١٠١) . ورغم أن هذه الحملة أحرزت بعض الانتصارات الأولية على أهل الواحات ، حتى ان حاكمها آنذاك ــ الذى ورد اسمه هكذا « ... بن عبدون » ــ لقى حتفه أمام الجنود الفاطميين، الا انها لم تتم مهمتها ، وسرعان ما عادت من حيث أتت ، بسبب انتشار الاوبئة بين الجنود(١٠٢) . مما أكد للمعز أن الطريق الساحلى افضل لمسير حملة جوهر .

وتهيأت بذلك كل أسباب النجاح لحملة الفتح الفاطمى على مصر ، **أو ما يعرف بالحملة الرابعة** ، وكانت الرحلة الى مصر أشبه « بنزهة عسكرية طويلة الأمد ، تخللتها الاقامة المتقطعة على

طول الطريق »(١٠٣) . وقد خرج القائد جوهر الصقلى على رأس هذه الحشود من القيروان فى ١٤ ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هـ (فبراير ٩٦٩ م) ، ودخل الاسكندرية بغير مقاومة ، وشرع فى السير بحذاء النيل الى الفسطاط . ولما اتصل بأهل الفسطاط نبأ وصول جيوش الفاطميين الى الاسكندرية واستيلائهم عليها ، ندبوا الوزير جعفر بن الفرات لمفاوضة جوهر فى الصلح وطلب الأمان على أرواحهم وأملاكهم . ثم اتفقوا على أن يتكون وفد المفاوضة برئاسة الشريف العلوى أبى جعفر مسلم الحسينى والقاضى أبى طاهر الذهلى . وقد التقى الوفد بجوهر عند تروجة ـ من نواحى البحيرة ـ فى ١٨ رجب سنة ٣٥٨ هـ (يونية ٩٦٩ م) واستصدر منه كتاب الأمان الذى كتبه جوهر وأعلنه للمصريين (١٠٤) .

وباستثناء بعض المقاومات البسيطة التى أبداها زعماء الكافورية والإخشيدية عند منية شلقان ــ شرقى القناطر الخيرية ــ واستطاع القائد الكتامى جعفر بن فلاح ان يقضى عليها ببطولة فدائية ، يمكن القول بأن دخول جوهر مدينة الفسطاط فى يوم الثلاثاء الموافق ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (يوليو ٩٦٩ م) قد تم دون معارضة (١٠٥) .

وعلى هذا النحو تم للفاطميين الاستيلاء على مصر ، وابتدأ بذلك عصر جديد صارت مصر فيه مركزا للخلافة الفاطمية الآتية من المغرب .

الهوامش

(١) عن ذلك انظر : البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد كرد على ، دمشق ١٩٣٩ ، ص ٦١ ، والكندى : ولاة مصر ، ص ٢٣٩ . وراجع : د. عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ٩٢ .

وقد سبقت ثورة بغا الأصغر ، أخرى قام بها أحمد بن ابراهيم بن عبد الله ابن طباطبا العلوى ، المعروف ببغا الأكبر ، فى سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) . وقد انتهت فى تلك السنة ، وقبيل ولاية أحمد بن طولون على مصر . عنها انظر : البلوى : ص ٦١ ، والكندى : ص ٢٣٨ ، ود. البرى : صفحة ٩٢ .

(٢) البلوى : ص ٦٢ ــ ٦٣ ، والكندى : ص ٢٤٠ . وراجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٩٣ .

(٣) المصادر السابقة والصفحات . وراجع : د. البرى : المرجع السابق ، ص ٩١ ــ ٩٢ .

(٤) والعمرى ، هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب . بدأ حياته فى جهاد البجة بجنوب مصر ، ولجح فى ذلك الى حد كبير ، منذ سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) الى سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٣ م) . ثم آل أمره الى زوال بتدبير أحمد بن طولون الذى أحفظه تزايد نفوذ العمرى فى جنوب مصر . وانتهت حياته على أيدى بعض أعوانه . عن ذلك انظر : البلوى : ص ٦٤ و ٦٦ ــ ٦٧ ، والكندى : ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ . وراجع : دكتور البرى : المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ود. الشاطر بصيلى عبد الجليل تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٦٢ ــ ١٦٥ ، ودكتور عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ، ط ٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٨١ ، صفحة ٣١ ــ ٣٥ .

(٥) البلوى : ص ٦٤ ــ ٦٥ ، الكندى : ص ٢٤١ .

(٦) عن ثورة أبى الروح سكن ، انظر : البلوى : ص ٦٩ ــ ٧٠ ٠

(٧) المصدر نفسه : ص ٧٠ ــ ٧٢ ٠

(٨) د٠ محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٧ ، ود٠ محمد أحمد عبد المولى أضواء على عصر الأمير ابراهيم الثانى الأغلبى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة طنطا ، العدد الأول ١٩٨٢ ، ص ٩٨ ٠

(٩) عن تفاصيل خروج العباس على أبيه وانسياحه بقواته فى اقليم برقة ٠ وحصاره لمدينة طرابلس ، ثم انتهاء أمره ــ انظر : البلوى : ص ٢٤٤ ــ ٢٥٦ و ٢٦٠ ــ ٢٧١ ، والكندى : ص ٢٤٦ ــ ٢٥٠ ، وابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب جـ ١ من القسم الخاص بمصر ، ص ١١٨ ــ ١٢٣ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١١٨ ١١٩ ٠ وراجع كذلك : دكتور سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ ــ ١٢٥ ٠

(١٠) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٢ ــ ٥٣ ٠ وسيلى تفصيل لذلك فى الفصل الثقافى ٠

(١١) انظر فى ذلك : د٠ أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ١٣٤ ٠

(١٢) عن ذلك انظر : لمؤلف مجهول : أخبار مجموعه فى فتح الأندلس وذكر أمرائها تحقيق ابراهيم الابيارى ، ط ١ ، سلسلة المكتبة الأندلسية رقم (١) ، مطبوعات دار الكتاب المصرى ــ اللبنانى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٢٩ ــ ١٣٠ ٠ راجع : دكتور محمود على مكى : التشيع فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، مقال فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الثانى عدد ١ ــ ٢ ، مدريد ، أسبانيا ١٩٥٤ ، ص ١١٣ ٠

وسيلى تفصيل عن أبى اليسر ودوره الأندلسى ، وقافلة الحج التى أسرته الى مصر ، وتاريخ قدومه على وجه الدقة ، وكذلك العالم المصرى الذى ربما كان قد شفع فيه ، كل ذلك فى الفصل الثقافى ٠

(١٣) الكندى : ص ٢٦٤ ، ابن تغرى بردى : جـ ٣ ، ص ٦٤ ٠

(١٤) الكندى : ص ٢٦٥ ٠

(١٥) المصدر نفسه : ص ٢٦٦ • وراجع : المقريزى : خطط ، ج ١ ، ص ٦٠٦ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٣ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ •

(١٦) الكندى : ص ٢٦٨ • وقد فتحت هذه السياسة المجال أمام مغامرين آخرين من بربر البحيرة للالتحاق بخدمة الدولة لقاء أجر معلوم ، ولمع منهم القائد حبشى بن أحمد ورفاقه قبيل ولاية محمد بن طغج الاخشيد على مصر كما سنرى بعد قليل •

(١٧) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، قام على نشره د• عزيز سوريال عطية وآخرون ، مطبوعات جمعية الآثار القبطية قسم النصوص والوثائق ، الجزء الثانى من المجلد الثانى ، ١٩٤٨ ، ص ٧٧ • ويلاحظ أن الأمر لم يكن غزوا عسكريا بالمعنى المفهوم وانما قصد به قلاقل واضطرابات شهدتها المدينة نتيجة انتشار جواسيس الفاطميين فى المنطقة •

(١٨) المصدر نفسه والجزء ، ص ٧٧ ـ ٧٨ •

(١٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ ، ابن سعيد : المغرب ج ١ من القسم الخاص بمصر ، ص ١٤٥ •

(٢٠) الكندى : ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ •

(٢١) نفسه : ص ٢٨٥ •

(٢٢) ولاة مصر : ص ٢٨٦ • وانظر : د• محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٥١ •

(٢٣) ولاه : ص ٢٨٥ •

(٢٤) نفسه : ص ٢٨٦ •

(٢٥) انظر فى ذلك : د• محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيرية ، ط ١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ وهامش رقم ٤ ، ص ١٣١ ـ ١٣٣ حيث الاشارة الى ان أبا القاسم كان ابنا روحيا للخليفة المهدى •

(٢٦) هناك اختلافا عاما حول هذه الحملة : فسعيد بن بطريق يجعل تاريخ قدومها برقة هو سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) • (انظر : التاريخ المجموع على التحقيق

والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٩ م ، وملحق به تاريخ يحيى ابن سعيد . ص ٧٩) . واعتبرها البعض حملتين منفصلتين وان أبا القاسم هو الذى خرج أولا على رأس حملته الى برقة فى سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ م) ثم دخل مصر وخرج منها مهزوما ، ثم تلاه حباسة على رأس حملة أخرى منفصلة عن الأولى ، دخلت مصر فى سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ ـ ٩١٥ م) ولحقتها الهزيمة كذلك . (انظر : عريب بن سعد القرطبى : صلة تاريخ الطبرى ، ضمن مجموعه ذيول تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المجلد الحادى عشر ، دار المعارف بمصر ١٩٨٢ ، صفحة ٤٨ و ص ٥١ ، والمقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا . تحقيق فون هيوجو بونز ، طبعة دار الأيتام السورية ، القدس ١٩٠٩ م ، ص ٤١ ـ ٤٢ ، وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٩٨ ـ ١٠٠) . بينما يذكر الكندى أن القائد حباسه هو الذى اضطلع بمهام هذه الحملة ولم يشر الى وجود أبى القاسم بن المهدى . (انظر : ولاة مصر ، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩) . وقد حاول د. لقبال موسى بن علاوة التوفيق بين كل هذه الآراء على نحو مقبول . (انظر : دور قبيلة كتامة فى تاريخ الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٧٢ ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٢) .

(٢٧) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٧٢ . وراجع : د. لقبال موسى : دور قبيلة كتامة ، ص ٤٨٢ .

(٢٨) مجهول : أخبار البربر ، ص ٥٠ .

(٢٩) الكندى : ولاة مصر ، ص ٢٨٧ . ويلاحظ ان انقسام القيادة المصرية فى برقة كان سببا فى استيلاء أبى القاسم على المنطقة ، ومن قبلها حدث ذات الشىء عند مدينة سرت .

(٣٠) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ . ولم يجد أبو القاسم كذلك صعوبة فى الاستيلاء على مدينة الاسكندرية التى « هرب أهلها فى البحر بما خف من أموالهم ، وأسلموا سائر أثقالهم فاحتوى أبو القاسم وحباسه على جميع ذلك » .

(٣١) الكندى : ص ٢٨٨ وابن عذارى : جـ ١ ، ص ١٧٢. ومشتول من قرى الجيزة على مقربة من القاهرة .

(٣٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٧٣ . ود. لقبال : دور قبيلة كتامه ص ٤٨٣ .

(٣٣) الكندى : ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، وابن تغرى بردى : جـ ٣ ، صفحة ١٧٢ ـ ١٧٣ . ولاحظ ان ابن تغردى بردى يلقب أحمد بن صالح بأبى اليمنى أو أبى اليمن . وتبدو أهمية الدور الذى لعبه أعوان الفاطميين ، آنذاك فى أنهم حصلوا على معلومات من قصر الامارة بالفسطاط تفيد عزل القائد أبى النمر عن منصبه واستطاعوا كذلك بوسيلة ما أن يحصلوا على صورة من القرار ، وأرسلوه للقائد حباسة الكتامى المرابط بقواته أمام مدينة سرت حيث كان القائد أبو النمر مقيما وسط جنوده بالمدينة ولم يكن يعلم بنبأ عزله . ولهذا كانت صدمة شديدة عندما أظهر له حباسة قرار عزله . وجعله هذا يغادر المنطقة مغاضبا حيث عاد أبو النمر الى الفسطاط تاركا قواته تنسحب هى الأخرى .

(٣٤) الكندى : ص ٢٩٠ ـ ٢٩٢ وقد صور أحد الشعراء المصريين المعاصرين للحملة الفاطمية الأولى دور هؤلاء الأتباع فى التمهيد لهذه الحملة وذلك فى احدى قصائده التى جاء فيها :

وقد وافى حباسة فى كتام ... بكل مهند وبكل خطى
وقد حشدوا لمسر ودون مصر ... له خرط القتاد واى خرط
واقبل جاهلا حتى تخطى ... وجاز بجهله حد التخطى
بكتب جماعة قد كاتبوه ... من اقباط بمصر وغير قبطى
وكل كاتبوه ونافقونا ... وكل فى البلاد له موطى

(٣٥) نفسه : ص ٢٩٢ .

(٣٦) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٧٠ و ١٧٣

(٣٧) الكندى : ص ٢٩٢ ، والمقريزى ، خطط ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .

(٣٨) البكرى : المغرب ، ص ١ .

(٣٩) يشير الكندى (ص ٢٨٩) الى مرثية قالها أحد الشعراء المصريين ، فى قتلى أهل مصر أثناء هذه الحملة . وقد ظهر من خلالها أن العدو كله انما هو كتامه وأنهم حزب الكفر ، وذلك فى القصيدة التى منها :

ألا شق جيب الصبر ان كنت موجعا ... ولا يلف لاح فيك للعذل مطمعا
لما دهم الاسلام من فجع حادث ... تهم له أركانه ان تضعضعا
لمصرع اخوان على الدين صرعوا ... لنصرة دين الله ، يالك مصرعا

ومنهـــا :

فولى بخـــرى طوقتـــه كتامـــــــه وقد سقيت كاســـا من الموت مترعـا

(٤٠) نفسه : ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ٠ وراجع كذلك : عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ، صفحات ٧٣ و ٧٥ و ٧٨ ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ ١ تحقيق د٠ الشيال ، ص ١٠٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ٠ وانظر : د٠ لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٥ ٠

وعن القائد أبى العباس خليل بن اسحاق الذى تولى جباية الأموال فى مدينة الاسكندرية بعد استيلاء أبى القاسم بن المهدى عليها وذلك لاشتهار أبى العباس بالقسوة فى معاملة أهالى المدن ، انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ صفحة ٣٠٢ ترجمة رقم ١٠٩

(٤١) سيلى الحديث عن ذلك بعد قليل ٠

(٤٢) الكندى : ص ٢٩٥ ٠

(٤٣) نفسه : ص ٢٩٤ ٠

(٤٤) سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع ، ص ٨٠ ٠

(٤٥) الكندى : ص ٢٩٤ ، ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٨٢ ٠ وراجع : د٠ لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ٠

(٤٦) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ١٨٧ ٠

(٤٧) نفسه والجزء ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ود٠ لقبال : ص ٤٨٦ ٠ ولاحظ أن ذكر اسم عامل الواحات ـ الذى تولى مقاومة حملة مسرور الفاطمى ـ على أنه يدعى الكرمازى وانه عين على المنطقة من قبل حكومة الفسطاط ، ربما يوحى بان ثمة اتفاقية دفاع مشترك عقدت بين حـــكومة الفسطاط وبين آل عبدون اللواتيين حكام الواحات « منذ أول ما فتحها المسلمون » ، لتنسيق الجهود بينهما فى مقاومة أطماع الفاطميين وتغلغلهم حتى صعيد مصر ٠ ولا بأس من أن يكون الكرمازى قد تم تعيينه فى الواحات ـ طبقا لهذه الاتفاقية ـ كحاكم عسكرى أقام فى المنطقة بفرقة من الجنود ، من قبل حكومة الفسطاط ٠ ومن المرجح ان الذى عقد هذه الاتفاقية مع آل عبدون هو الوالى الكفء أبو منصور تكين أثناء ولايته الأولى على مصر (٢٩٧ ـ ٣٠٢ هـ = ٩١٠ ـ ٩١٥ م) كمحاولة منه الى جانب محاولاته

السابقة فى مقاومة الحملة الفاطمية الأولى • وقارن : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٥٤ •

(٤٨) ويكفى للدلالة على هذا التدهور ان نشير الى تعاقب ستة أشخاص على منصب الولاية فى مصر بواقع مرة أو أكثر لبعضهم • وذلك خلال الفترة من سنة ٣٠٩ هـ الى سنة ٣٢٣ هـ (= ٩٢١ م ــ ٩٣٤ م) • ووصل الأمر بأحدهم ــ وهو أبو القاسم محمود بن حمك ــ الى أن أقام « على الولاية أياما » (من ١٣ ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ حتى ٢٥ من الشهر نفسه = ٢٣ يولية ــ ٤ أغسطس ٩٢١ م) • عن ذلك انظر : الكندى : ولاة ، صفحات ٢٩٥ الى ٣٠٤ •

(٤٩) يطلق الكندى (ص ٢٩٩ وما بعدها) على حبشى بن أحمد وفرقته كلمة « المغاربة » مثلما اعتبر ابن سعيد (المغرب ، جـ ١ من القسم الخاص بمصر ص ١٤٥) ان فرقة بربر البحيرة التى برزت فى أخريات أيام الطولونيين فى الجيش والأسطول ، انهم كانوا من « المغاربة » كذلك • وهى على ما يبدو صفة أطلقت على هؤلاء البربر ، على سبيل التعميم ، وكذا للدلالة على تمايز أصولهم عن باقى جنود الجيش المصرى • الأمر الذى جعل فريق من المؤرخين المحدثين ينظرون الى حبشى ورفاقه على أنهم من بقايا جنود الحملات الفاطمية ، أو أنهم كانوا يمثلون حملة فاطمية مستقلة أتت الى مصر فى ذلك الحين • انظر على سبيل المثال : د• سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ، مطبعة جامعة القاهرة (فؤاد الأول) ١٩٥٠ ، ص ٧٢ ، ود• حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ط ٢ القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١١٦ ــ ١١٧ ، ود• جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٦٢ ، ود• سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤ ، ود• محمد عبد المولى : القوى السنية جـ ٢ ص ٧٠٦ ــ ٧٠٧ •

وربما كانوا مستندين فى هذا الى أن بعض جنود الحملات الفاطمية السابقة كانوا قد وقعوا فى الأسر وتم سجنهم بعض الوقت فى الفسطاط مثلما حدث مع القائد أبى حدو الكتامى وفرقته الخاصة التى قدر عددها بمائتى فارس خلال الحملة الأولى (مجهول : أخبار البربر ، ص ٥٠) ، وكذلك مع فرقة يعقوب الكتامى وسليمان بن كافى خلال الحملة الثانية (ولاة مصر ، ٢٩٦) • وربما أيضا كانوا مستندين فى هذا الرأى الى ميل حبشى بن أحمد ورفاقه الى العمل بعد ذلك لحساب الفاطميين بالمغرب • الا ان هذا الرأى يتعارض مع روح الكراهية التى كانت سائدة فى مصر شعبا وحكومة تجاه جنود الحملات الفاطمية وما أشاعوه من فساد وخراب فى المدن والقرى التى مروا عليها • كما اننا سنلاحظ بعد قليل

ان اتجاه حبشى وفرقته من بربر البحيرة للعمل لحساب الفاطميين ـ بالمغرب ـ انما حدث بعد نجاح الاخشيد فى طردهم من مصر الى ناحية برقة • واخيرا فلعل سابقة اعتماد الطولونيين (وبخاصة هارون بن خمارويه على ما رجحنا) على هؤلاء البربر فى العمل كمرتزقة فى الجيش الطولونى والبحرية الطولونية : مما يجعلنا نقر بهذا الترجيح الخاص بنسبة حبشى ورفاقه الى بربر الجانب الغربى لمصر ، بشىء من الاطمئنان •

(٥٠) الكندى : ص ٢٩٩ •

(٥١) نفسه : ص ٣٠٠ •

(٥٢) نفسه : ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ •

(٥٣) نفسه : ٣٠١ ـ ٣٠٣ •

(٥٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ من القسم الخاص بمصر ، ص ١٥٢ •

(٥٥) الكندى : ص ٢٩٩ •

(٥٦) نفسه : ص ٣٠٣ •

(٥٧) الكندى : ص ٣٠٣ ، وابن سعيد : ص ١٥٧ ـ ١٥٨ •

(٥٨) الكندى : ص ٣٠٣ •

(٥٩) نفسه والصفحة •

(٦٠) نفسه : ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، وابن سعيد : ص ١٥٨ ـ ١٥٩ • والمقريزى : خطط ، ج ١ ، ص ٦١٥ ـ ٦١٧ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، جزء ٣ ، ص ٢٥٢ • وراجع : د• سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ، صفحة ٧٢ ـ ٧٣ •

(٦١) الكندى : ص ٣٠٤ • مع ملاحظة ان ورود اسم على المغربى هذا لأول مرة مع فرقة حبشى يوحى بأنهم بدأوا منذ ذلك الحين فى العمل لصالح الفاطميين ـ بالمغرب • وان كان اتصالهم هذا قد بدأ بعد خروجهم من مصر ودخولهم برقة ، كما سيتضح بعد قليل • مما يجعلنا نعتقد ان عليا المغربى انما هو من بربر البحيرة الذين كان يتشكل منهم حبشى وفرقته ، وان الكندى قد درج على عادته فى اطلاق كلمة « المغاربة » عليهم عن ذلك انظر هامش رقم ٤٩ فيما سبق من صفحات هذا الفصل •

(٦٢) المصدر نفسه والصفحة ٠

(٦٣) مصر فى عصر الأخشيديين ، ص ٧٤ ـ ٧٥ ٠

(٦٤) عن ذلك مثلا ، انظر : (ولاة مصر ، ص ١٤٩ و ١٥١) خلال أحداث ثورة دحية بن مصعب الأموى بصعيد مصر ٠ و (ص ٣٠١) حيث يصف الكندى رحلة العودة التى قام بها حبشى بن أحمد ورفاقه من صعيد مصر الى الفسطاط ، قائلا : « ثم عدى حبشى النيل وأصحابه الى الشرقية ، وأقبلوا على الفسطاط » ٠

(٦٥) اتجه حبشى بن أحمد ورفاقه الى صعيد مصر ـ فى المرة الأولى ـ اثر هزيمته أمام فريق الأتراك بقيادة حبكويه فى شهر ذى الحجة سنة ٣٢١ هـ (نوفمبر ٩٣٣ م) والثانية فى شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢ هجرية (مارس ٩٣٤ م) كنوع من المناورة ضد أعدائهم ٠ راجع : الكندى : صفحة ٣٠٠ و ٣٠١ ٠

(٦٦) وقد ترتب على ذلك نتيجة هامة تمثلت فى أن ابن طغج شرع فى تحويل دار الصناعة من موضعها بجزيرة الفسطاط الى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان بساحل الفسطاط ، بعد أن أدرك مدى الخطأ فى اتخاذها بداخل الجزيرة ٠ وقال فى ذلك : « صناعة يحول بيننا وبينها الماء ليست بشىء » ٠ عن ذلك انظر : الكندى : ص ٣٠٥ ، وابن سعيد : المغرب ، ص ١٦٠ ، والمقريزى ٠ خطط جـ ٣ ، ص ١٧ ـ ١٨ ٠ وراجع : د٠ سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، جزء ١ ، فى مصر والشام ، ص ٥٩ وص ٩٠ ـ ٩١ ٠

(٦٧) ولاة مصر ، ص ٣٠٥ ، والمغرب ، جـ ١ من القسم الخاص بمصر ، ص ١٦١ ، والنجوم الزاهرة ٠ جـ ٣ ، ص ٢٥٢ ٠

(٦٨) الكندى : ص ٣٠٥ ، ابن سعيد : ص ١٦١ ، ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٢٠٩ ، ابن تغرى بردى : جـ ٣ ، ص ٢٥٢ ٠ وراجع : د٠ لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٤٨٦ ٠

(٦٩) الكندى : ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ٠ ويلاحظ ان ابن طغج ـ الذى وعى جيدا الدروس المستفادة من الحملات الفاطمية السابقة ـ قد أعد كذلك قوة أخرى سارت الى الصعيد كاجراء وقائى ضد ما يمكن أن تشهده عمليات القتال مع الفاطميين من تطورات ٠ وربما كان ابن طغج قد عهد الى قائد هذه القوة بالاتصال بأمير الواحات من أجل تنسيق الجهود بينهما فى مواجهة العدو المشترك ٠ ويعد هذا تفسيرا لقول د٠ سالم (تاريخ الاسكندرية ، ص ١٧٦) بصدد تسيير ابن طغج

للواته في محورى الاسكندرية ـ الصعيد ، انما كان لأنهما « طرفا مصر من الغرب » • اذ الواحات ـ على وجه الدقة ـ هي بمثابة الطرف الثاني لمصر من جهة الغرب •

(٧٠) الكندى : ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ •

(٧١) نفسه : ص ٣٠٦ •

(٧٢) عن ذلك انظر : ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٨ ، وراجع : دكتور محمد عبد المولى : القوى السنية في المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٥ وما بعدها •

(٧٣) الكندى : ص ٣٠٦ •

(٧٤) د• سرور : الدولة الفاطمية ، ص ٦٣ •

(٧٥) الكندى : ص ٣٠٦ •

(٧٦) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ من القسم الخاص بمصر ، ص ١٧٥ •

(٧٧) نفسه : ص ١٧٦ ـ ١٧٧ •

(٧٨) نفسه : ص ١٧٧ وهامش رقم (١) للمحققين •

(٧٩) نفسه : ص ١٩٢ ـ ١٩٣ •

(٨٠) الكندى : ص ٣١٢ • وراجع : د• عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ، ط ٢ ، دار الفكر العربي بالقاهرة ، ص ١٢١ •

(٨١) صورة الأرض ، ص ٩٩ •

(٨٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ٤ القاهرة ١٩٦٤ ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ، والمقريزى : خطط جـ ١ ، ص ٤٤١ •

(٨٣) صورة الأرض ، ص ١٥٤ • وسنلاحظ فيما بعد ان ابن حوقل يعد شاهد عيان على ذلك ، فقد زار منطقة الواحات حوالى سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) وعاصر اثنين من أفراد هذه الأسرة : توفى الأول قبيل وصول ابن حوقل ، وخلفه الثاني في الحكم فيما يشبه الملكية الوراثية • وسنرى كذلك ان رواية ابن حوقل بشأن آل عبدون واستقرارهم في حكم الواحات ستلقى بعض التأييد بمقارنتها برواية

يحيى بن سعيد (تاريخ يحيى الملحق بآخر كتاب التاريخ المجموع لسعيد بن بطريق ص ٢٩٥) عن الأحداث التى شهدتها المنطقة خلال سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) .

(٨٤) راجع ما سبق ، ص ١١٨ وهامش رقم ٤٧ .

(٨٥) عن سياسة الخليفة الناصر الأموى فى مناوئة الفاطميين بالمغرب ، انظر : د. محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، ص ١٢٠ ، ود. أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الخامس عدد ١ - ٢ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٨ ، ود. سالم : تاريخ المغرب ، ص ٥٢٣ - ٥٢٩ ، ود. محمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٦١١ وما بعدها

(٨٦) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٧ . وقد التقى المسعودى - اثناء زيارته لمصر - بالمبعوث الخاص لابن مروان اللواتى عند « باب الاخشيد » وذكر انه حصل منه على المعلومات التى احتواها مؤلفه عن الواحات .

(٨٧) من الثابت أن الاخشيد بذل غاية جهده فى ضم الشام الى حوزته وخاض من أجل ذلك عدة حروب ضد محمد بن رائق الوالى العباسى على الشام ، وكذلك ضد الحمدانيين فى شمال الشام . عن ذلك انظر : الكندى : ولاة مصر ، ص ٣٠٦ - ٣١٠ . وراجع : د. سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ، ص ٧٩ - ٩٢ .

(٨٨) المصدر نفسه : ص ٣٠٩ و ٣١١ - ٣١٢ . وراجع : د. سيدة كاشف : صفحة ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٨٩) انظر فى ذلك : ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية جـ ٢ من المجلد الثانى ، صفحة ٨٦ حيث يطلق على ابن السراج اسم « حنابنا » وهو على ما يبدو بمعنى « ابن حنا » التى تقابل فى النطق العربى « ابن يحيى » .

(٩٠) راجع ما سبق : صفحة ١٢٩ وهامش رقم (٨١) .

(٩١) الكندى : ص ٣١٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ص ٣ .

(٩٢ ، ٩٣) الكندى ، ص ٣١٢ ٠

(٩٤) المصدر نفسه : ص ٣١٢ ـ ٣١٣ ٠ وراجع : د٠ سيدة كاشف : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ ٠

(٩٥) المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٤٤١ ٠

(٩٦) استندنا فى هذا الترجيح الى وصف ابن حوقل (صورة الأرض ، ص ١٥٤) لمن عاصرهم من أفراد أسرة آل عبدون وسياستهم الداخلية التى اتبعوها فى حكم الواحات ٠ فقد بدا من خلالها انهم « يرجعون الى مروؤة فاشية ، ومظاهرة بالحرية ورغبة فى القاصدين ٠ ومحبة للمنتجعين على جميع ضروب القصد » ٠

(٩٧) المقريزى : الخطط ، ص ٦١٨ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٣ صفحة ٣٢٦ ٠

(٩٨) يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ٠

(٩٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ (تحقيق د٠ الشيال ، طبعة ١٩٦٧) ، ص ٩٦ ـ ٩٧ ، والخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ٠ وانظر : د٠ حسن ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٣٥ ـ ١٤٠ ، وبالاشتراك مع د٠ طه أحمد شرف : المعز لدين الله ، ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ ، صفحة ٨١ ـ ٨٤ ٠

(١٠٠) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ٠ وانظر فى ذلك حادثة أخرى أوردها المقريزى (خطط ، جـ ٢ ، ص ٢٧ ـ ٢٨) عن اشتغال أحد المغاربة ـ وكان يعمل وكيلا تجاريا لوالدة المعز ـ بالتجسس على شئون مصر تحت ستار التجارة ٠ وكان التقرير الذى رفعه الى المعز بما شاهده وعاينه من أحوال مصر ، أحد أسباب التعجيل بخروج حملة الفتح ٠

(١٠١) يحيى بن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ ٠ وراجع : د٠ حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٢٥ ، والمعز لدين الله ، ص ٨٢ ٠

(١٠٢) يحيى بن سعيد : ص ٢٩٥ ٠ ولعل تكملة اسم هذا الحاكم تكون على النحو التالى : « أبو الحسن مكبر بن عبد الصمد بن عبدون » ٠ وذلك طبقا لرواية ابن حوقل (صورة الأرض ، ص ١٥٤) الذى تحدث عن أبى الحسن

هذا ، وأشار الى انه توفى قبيل زيارته للمنطقة . ومن ناحية اخرى لعل ابن عبدون هذا هو الذى كان قد تولى الحكم فى الواحات عقب خروج الحبيش النوبى من المنطقة فى سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) ، كما سبقت الاشارة الى ذلك (هامش رقم ٩٦) .

(١٠٣) د. لقبال موسى : دور قبيلة كتامة ، ص ٤٩٠

(١٠٤) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(١٠٥) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

الباب الثانى

« الدور السياسى للمغاربة والأندلسيين فى مصر
فى العصر الفاطمى »
(٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ – ١١٧١ م)

الفصل الثالث :

« المغاربة والأندلسيون فى مصر فى العصر الفاطمى الأول »

الفصل الرابع :

« المغاربة والأندلسيون فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى »

الفصـل الثالث

« المغـاربة والاندلسيون فى مصر
فى العصـر الفـاطمى الأول »
(٣٥٨ ـ ٤٦٧ هـ / ٩٦٩ ـ ١٠٧٤ م)

تمهيـــد :

(أ) المغاربة من موالى الدولة :

ـ فى أعقاب الفتح الفاطمى وعصر المعز لدين الله .
ـ أيـام العـزيز بالله .
ـ أيـام الحـاكم بأمر الله .
ـ أيام الظاهر لاعزاز دين الله .

(ب) المغاربة المستقرون فى نواحى غرب مصر .

(جـ) المغـاربة الوافـدون .

(د) المغاربة فى النصف الأول من خلافة المستنصر بالله :

ـ أوائل خلافة المستنصر ووزارة الجرجرائى .
ـ من وفاة الجرجرائى الى وزارة اليازورى .
ـ أثنـاء وزارة اليازورى .
ـ أثنـاء الشـدة العظمى .

آلت مصر أخيراً الى الفاطميين الذين نجحوا فى الأستيلاء عليها بفضـل براعة المغاربة أتباعهم فى تنفيذ مخططات الخلفاء الفاطميين على نحو يدعو للاعجـاب • فكان هـذا ايذانا ببدء عصر جديد شهدت مصر فيه تغلغلا مغربيا فى شتى نواحى الحياة ، مما يعد بحق ذروة الوجود المغربى فى مصر •

ذلك أن جماعات المغاربة من موالى الدولة استمروا يشكلون قوام الوجود الفاطمى فى مصر ، منذ اليوم الأول للفتح (الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ/يولية ٩٦٩ م) حتى سقوط الخلافـة الفاطميـة فى مصر (يـوم الجمعـة ٧ محرم سـنة ٥٦٧ هـ/ ١٠ سبتمبر ١١٧١ م) • سواء فى ذلك جيل الفتح ، أم النجدات العسكرية التى أعقبته ، أم العناصر المغربيـة الأخرى التى حرص الخلفاء الفاطميون على استجلابها من المغرب بهدف انعاش الدماء المغربية القديمة •

كما أن نواحى غرب مصر (فى برقة والبحـيرة والواحات) استمرت تشهد أنشطة متصلة قام بها المقيمون من بربـر لواتة وهوارة وغيرهم ، ذوو الغلبـة العددية على من عداهم من جيرانهم بالمنطقـة • ثم انها أصبحت موئلا لهجرات بربرية أخرى تمت فى هذا العصر •

ومن ناحية أخرى ، استمر وفود جماعات الحجاج والدارسين المغاربة والأندلسيين الى مصر طوال ذلك العصر • حيث تسنى للكثير منهم المشاركة فى الحيـاة السياسـية من خـلال تمسكهم الشديد بمذهبهم السنى المـالكى ومقاومتهم محـاولات الفاطميين نشر دعوتهم الشيعية •

وسيتضح اسهام هذه الجماعات المغربية فى الحياة السياسية فى مصر من خلال دراستنا لهم سواء من ناحية سياسة الخلفاء الفاطميين فى مصر تجاههم ، أم من ناحية علاقتهم بالمصريين ، أم مع بعضهم البعض .

(أ) المغاربة من موالى الدولة :

وضحت منذ البداية سياسة الفاطميين فى الاعتماد على المغاربة الذين هم قوام جيش الفتح ، سواء المصاحبين للقائد جوهر الصقلى أم الذين قدموا مع الخليفة المعز لدين الله فى شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ (يونية ٩٧٣ م) ، وذلك فى الحفاظ على المكاسب التى تحققت لهم بالاستيلاء على مصر . وكانت وسائل الفاطميين فى ذلك الابقاء على طابع الجهاد قائما لدى هذه الفرق العسكرية حتى يتيسر لهم الاستمرار فى خوض المعارك فى بلدان المشرق الاسلامى ، تحقيقا لفكرة عالمية الدعوة الفاطمية ، والذى عد استيلاؤهم على مصر احدى حلقاتها .

ولهذا حرص القائد جوهر الصقلى ــ منذ اليوم الأول لدخوله الفسطاط على اختيار مكان جديد يكون سكنا لهؤلاء المغاربة كى يعيشوا بمعزل عن طبقات المجتمع المصرى ، ويكون أيضا مقرا للحكم وعاصمة جديدة للخلافة الفاطمية فى مصر . وكان الموضع الذى اختاره جوهر عبارة عن سهل رملى فسيح يقع الى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط ، ويبعد عن النيل بحوالى ميل . وكانت مساحته ــ اذ ذاك ــ تبلغ ستة وثلاثين فدانا بمقياسنا اليوم (١) . ثم اذن جوهر لفرق الجيش المرابطة فى الجيزة بالانتقال الى ذلك المكان الجديد ، فبدأوا فى عبور الجسر الواصل بين الجيزة والفسطاط ــ عصر يوم الفتح ــ واقبلوا للاقامة فى المعسكر « أفواجا أفواجا » (٢) .

وحول موقع القصر الذى اختطه جوهر فى مسـاء ذلك اليوم ليكون مقرا لمولاه المعز لدين الله عند وصـوله الى مصر ، شرعت فرق الجيش الفاطمي من بربر كتامة وحاميـة برقة وعبيد زويلة وفتيان الصقالبة ومن انضـاف اليهم بعد ذلك ممن حضر صحبة المعز ، فى اتخـاذ أحياء سكنية عرفت فيما بعد بالحـارات ، ونسبت كل حارة الى من نزل بها :

١ ـ فنزلت فرقة كتامة فى الحـارة التى سميت باسمها الى الآن ٠ وتقع فى الركن الجنوبى الشرقى من الجامع الأزهر ، الذى بدأ جوهر فى انشائه بعد ذلك بنحو تسعة اشهر (جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ/مارس ٩٧٠ م) ٠ وكانت أعداد هذه الفرقة من الكثرة بحيث أدى ذلك الى انهيـار نفوذ كتامة فى موطنهـا ببلاد المغرب (٣) ٠ واشتهر فى هذه الحـارة : خط قصر ابن عمار ٠ نسـبة الى أبى محمد الحسـن بن عمار ، أحد شـيوخ كتامة الآتى ذكـره (٤) ٠

٢ ـ ونزلت حامية برقة فى حـارة البرقية ، وموضعها اليوم حى الدراسـة ، ونسب اليها باب البرقية (٥) ٠

٣ ـ بينما استقرت أخلاط من سكان مدينـة زويلة المهدية فى الحـارة التى عرفت ـ الى الآن ـ بحـارة زويلة ، وتقع فى الجزء الجنوبى من القـاهرة ٠ وكانت أعدادهم كثيرة بشـكل جعل هذه الحارة واسـعة عظيمة (٦) ٠ ونسب اليها البابان الواقعان فى الضـلع الجنوبى من سور القاهرة المعروفان ببابى زويلة (٧) ٠ وقد عرف المراكشى سكان مدينـة زويلة المهدية بأنهم « أخلاط من سائر الناس من الرعية والسـودان وأراذل كتامة وغيرهم من أتبـاعهم » (٨) ٠

٤ ـ واشتهرت عناصر الصقالبة بين طوائف الجيش الفاطمي في مصر بكثرتهم العددية وبراعتهم في القتال . وكان للفاطميين ثقة كبيرة بهم ، فجعلوا لهم قيادة جيش الفتح في شخص القائد جوهر الصقلبي ، والذي عرف بالصقلي نسبة الى جزيرة صقلية مسقط رأسه(٩) . ومن الحارات التي سكنوها في القاهرة :

ـ حارة قائد القواد نسبة الى الحسين بن جوهر الصقلي ، الملقب بقائد القواد ، الذي سكنها بعد أبيه . وصارت تعرف بدرب ملوخيا نسبة الى أحد خدام القصر في الدولة الفاطمية ، وذلك الى زمن المقريزي (ق ٩ هـ/١٥ م) (١٠) . ويعرف مكانها اليوم باسم حارة قصر الشوق المتفرعة من شارع قصر الشوق بالجمالية (١١) .

ـ حارة الجوذرية نسبة الى فرقة الجوذرية ، ومكانها الآن عطفة وحارة وشارع الجوذرية بالغورية قسم الدرب الأحمر . والجوذرية نسبة الى الأستاذ جوذر الصقلبي موضع سر الخليفة المعز لدين الله ، واليه تنسب سيرة الأستاذ جوذر . وصحب المعز الى مصر ، لكنه توفي بالقرب من مدينة برقة في مكان يعرف بمياسر في سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) (١٢) . وهو غير جوذر الصقلبي الذي ضربت عنقه ونهب ماله في سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) (١٣) . وقد آل أمر الجوذرية ـ وكانوا أربعمائة ـ الى أبي علي منصور الجوذري « الذي كان في أيام العزيز بالله ، وزادت مكانته في الأيام الحاكمية (أي الخليفة الحاكم بأمر الله ٣٨٦ ـ ٤١١ هـ / ٩٩٦ ـ ١٠٢٠ م) (١٤) .

٥ ـ واستقرت طائفة من الجيش الفاطمي ـ يقال لها الباطلية ـ في الحارة التي نسبت اليهم ، وعرفت هذه الطائفة

بذلك لأنهم « سألوا الخليفة المعز لدين الله عطاء ، فلما قيل لهم : فرغ . قالوا : رحنا نحن فى الباطل » (١٥) .

٦ ـ واستقرت طائفة أخرى من الجيش الفاطمى بحارة المحمودية نسبة اليهم . ولا يعرف على وجه التحقيق الى من تنسب هذه الطائفة(١٦) .

٧ ـ وسكنت جماعة الحمزيين الحارة التى نسبت اليهم . وكانت تقع خارج باب زويلة (١٧) .

ثم أدار جوهر حول معسكرات الجيش الفاطمى سورا كبيرا من الطوب اللبن (١٨) . وقد بلغت مساحة الأرض المحصورة داخل السور ثلاثمائة واربعين فدانا (١٩) ، وقيل ثلاثمائة وخمسين فدانا (٢٠) . وسمى المدينة كلها باسم المنصورية ، تمينا بمدينة المنصورية التى أنشأها الخليفة المنصور والد المعز لدين الله خارج مدينة القيروان (٢١) . وظلت هذه التسمية حتى قدم المعز لدين الله الى مصر بعد أربع سنوات ـ فى شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ (يونية ٩٧٣ م) ـ فسماها بالقاهرة تفاؤلا بأنها ستقهر الدنيا (٢٢) .

وحتى يظل الطابع العسكرى هو الغالب على فرق الجيش الفاطمى المعسكرة داخل حارات المدينة الجديدة ، شرع جوهر فى اتمام سلسلة الخنادق المحيطة بالمدينة من جوانبها الثلاثة : الشرقية والجنوبية والغربية . فحفر الخندق الرابع فى الناحية الشمالية ، من جهة الشام . ابتدىء بحفره فى يوم السبت الموافق ١١ شعبان سنة ٣٦٠ هـ (يونية ٩٧١ م) ، وفرغ فى أيام يسيرة ، وكان عرضه عشرة أذرع فى عمق مثلها(٢٣) ، « فصارت (القاهرة) بين أربعة خنادق »(٢٤) .

والى جانب هذه الصفة العسكرية التى رغب الفاطميون فى الابقاء عليها لدى فرق الجيش ، فقد عولوا فى ذات الوقت على الاعتماد على هؤلاء العسكريين فى ادارة شئون البلاد على حساب الموجودين فى سلك الوظائف الادارية • وقد بدأ جوهر الصقلى فى تنفيذ هذه السياسة منذ الأيام الأولى لاقامته بمصر ، وشمل بتغييراته جميع القطاعات • حتى قيل فى ذلك انه « لم يدع عملا الا جعل فيه مغربيا شريكا لمن فيه » (٢٥) • وسنرى بعد ذلك أن الخليفة المعز لدين الله قد أقر هذه السياسة ، وزاد على ذلك باجراء بعض التعديلات ، مما ستلى الاشارة اليه فى حينه •

وفى اطار محاولات فرض النفوذ الفاطمى على سائر جهات مصر اعتمد الفاطميون على شخصيات مغربية ذات عصبية من بين فرق الجيش الفاطمى فى حكم تلك النواحى • بعد أن فشلت سياسة تجريد حملات التأديب فى معالجة الثورات المتكررة التى قامت هناك :

ففى الوجه البحرى استمر أهل مدينة تنيس فى ثوراتهم ضد الحكم الفاطمى ، رغم مسير القائد أبى محمد الحسن بن عمار اليهم على رأس نجدته الكتامية — فور حضوره الى مصر من المغرب — أواخر شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ (ديسمبر ٧١/يناير ٩٧٢ م) وتمكنه من اخضاع ثورتهم(٢٦) • فتطلب الأمر خروجه اليهم مرة ثانية فى العام التالى ، حيث تمكن هذه المرة من القبض على زعمائهم ، وعاد الى القاهرة « ببضع وتسعين أسيرا » (٢٧) • ثم قام نفر من أهل تنيس بقتل عدد من جنود الحامية الفاطمية المقيمة بالمدينة • فأحضرهم جوهر الى القاهرة فى سلخ ذى الحجة سنة ٣٦٢ هـ (سبتمبر/أكتوبر ٩٧٣ م) « وطالبهم بديات المغاربة الذين قتلوا عندهم • والزموا بمائتى ألف دينار • ثم استقر أمرهم على ألف ألف درهم »(٢٨) •

أما الصعيد ، فقد خرج فيه عبد العزيز بن ابراهيم الكلابى فى محاولة لارجاع النفوذ العباسى الى البلاد . وكانت ثورة عارمة اضطر معها جوهر الى ان يسير وحدات من الأسطول الفاطمى فى النيل الى جانب القوة البرية التى تمكنت فى النهاية من القضاء عليها . وجىء بعبد العزيز الكلابى أسيرا الى القاهرة حيث طيف به مغلولا فى قفص وبمن معه (٢٩) .

فالتجأ المعز لدين الله الى جموع كتامة ذات المنعة والعصبية بين فرق الجيش الفاطمى كى ينتدب منهم ولاة على هذه الأقاليم الثائرة . فسير أحد القادة الكتاميين ، ويدعى مشعلة ، على رأس حامية كتامية كثيرة العدد ، لتولى الحكم فى مدينة تنيس ومعالجة أمر ثورة قام بها أهلها فى ذلك الوقت أيضا . وقد اضطر مشعلة الى حصار المدينة أكثر من ثلاثة أشهر حتى أذعن الثائرون ، بعد أن نفد الماء العذب من الصهاريج « وضجت المدينة من العطش » . ويشير ساويرس ـ صاحب هذه الرواية ـ الى أن الجنود الكتاميين ـ مع ذلك ـ لم يتمكنوا من دخول المدينة الا بعد انضمام نفر من نصارى اهلها الى قائدهم مشعلة ، وانهم دبروا له أمر اقتحام الأسوار . لذلك كان انتقام مشعلة من أهل تنيس مروعا ، اذ فتك بعدد كبير منهم ، ثم أمر بهدم سور مدينتهم ، فهدم واستمر على ذلك بعض الوقت (٣٠) .

كذلك عهد المعز بتأمين الصعيد وجنوب مصر الى القائد حمزة الكتامى بعد أن ولاه على مدينة أسوان وزوده بسلطات استثنائية واسعة الى جانب القوة العسكرية التى سيرها معه (٣١) .

ويعد ظهور دور كتامة فى مصر على هذا النحو استمرارا لما قام به رجال هذه القبيلة فى خدمة الدولة الفاطمية سواء فى

المغرب أم أثناء الحملات العسكرية التى سيرها الفاطميون على مصر ؛ مما يجعلنا نعتقد أن بربر كتامة كانوا يشكلون الجناح المتطرف بين فرق الجيش الفاطمى ، وتمثل فى اختيار جوهر الصقلى لجعفر بن فلاح « قائد بنى قومه الكتاميين » فى اخماد حركة المقاومة التى أبداها الجنود الكافورية والاخشيدية أثناء مسير جيش الفتح الى الفسطاط (٣٢) • وعهد اليه أيضا بقيادة حملة فتح الشام فى شهر ذى القعدة سنة ٣٥٨ هـ (سبتمبر ٩٦٩ م) (٣٣) • كما كان لازدياد تيار الهجرة الكتامية الى مصر من ديار كتامة بالمغرب الأوسط ــ وبالتحديد من جبل اوراس جنوبا الى حد البحر المتوسط شمالا ما بين بجانة وبونة ــ خلال العصر الفاطمى ، فى شكل نجدات عسكرية قام بها القادرون على حمل السلاح وذووهم ، اثره فى اعتبار مصر « الوطن الثانى لقبيلة كتامة » (٣٤) • وكانت مصر بالنسبة لقادة كتامة هى مركز الجذب والانطلاق لكل من أراد منهم الشهرة والمجد فى ميادين السياسة والحرب • ولهذا « ظهرت قبيلة كتامة هنا على غيرها من قبائل المغرب ، وطوائف المشرق أيضا ، حتى عصر المستنصر بالله الخليفة الفاطمى (٤٢٧ ــ ٤٨٧ هـ = ١٠٣٦ ــ ١٠٩٤ م) ووزارة بدر الجمالى (٤٦٧ ــ ٤٨٧ هـ = ١٠٧٤ ــ ١٠٩٤ م) » (٣٥) •

ويلاحظ أنه على الرغم من حظوة أفراد هذا التيار المغربى وسيطرة قادته على قطاعات هامة فى الادارة المصرية منذ الفتح ، وان كان ينسجم مع سياسة الخلفاء الفاطميين فى الاعتماد عليهم ، الا ان الأمر لم يخل من فتور فى العلاقات بين الطرفين • سيما بعد ان أدرك الخلفاء الفاطميون ميل بعض المغاربة الى التدلل على الخلافة ، وعدوا ذلك اتجاها من جانب هؤلاء المغاربة نحو الاستبداد بالأمر • فيشير د• لقبال الى انه ثمة تنافس اشتد فيما بين

القائد الكتامي جعفر بن فلاح والقائد جوهر الصقلي ، وذلك عقب الفتح مباشرة . وأن جوهرا – بعد أن استشعر الخطر من جعفر الذى تطلعت نفسه الى الرئاسة – « رماه مع قلة من عصبيته الى ميدان الشام حيث كان يرجو أن يتحطم كبرياؤه وتنكسر حدة طموحه » (٣٦) . ويبدو أن جعفرا كان مستندا فى ذلك الى دوره المغربى الذى اهله لأن يكون مركزه فى قيادة حملة فتح مصر على درجة لا تقل عن درجة جوهر القائد العام لهذه الحملة (٣٧) . وربما كان جعفر بن فلاح مستندا كذلك الى عصبيته القوية من بربر كتامة المشهورين بكثرة عددهم وشدة بأسهم . وقد ازداد التنافس حدة بين القائدين أثر نجاح جعفر فى فتح جنوب الشام ودخوله مدينة دمشق فى شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ (نوفمبر ٩٦٩ م)(٣٨) . ولم يخفف من وطأته اشتراك جوهر الصقلى فى تشييع جنازة أحد أبناء جعفر الذى توفى بمصر فى أواخر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ (أوائل نوفمبر ٩٦٩ م) (٣٩) . فنجد جعفر يحاول – من الشام – أن يبرهن للخليفة المعز – بالمغرب – على أنه أشد من غيره اخلاصا للنظام ، وذلك بتعمده تجاهل المراسلة مع جوهر – قائده المباشرة – واصراره على مخاطبة الخليفة مباشرة بتطورات فتح الشام(٤٠) . ورغم أن المعز رفض هذا الأسلوب من جعفر وحثه على الكتابة اليه عن طريق جوهر القائد العام ، الا أن جعفرا لم يمتثل . وكانت النتيجة انه راح ضحية عناده ، حتى بعد أن تحرج مركزه أمام القرامطة ، وقتل جعفر أخيرا امام مدينة دمشق فى شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ (سبتمبر ٩٧١ م)(٤١) .

وعلى الرغم من أنه أمكن تلافى الخطر الذى نتج عن انقسام القيادة المغربية على نفسها ، وعاد النفوذ الفاطمى مرة أخرى على الشام (٤٢) ، فقد أدرك المعز لدين الله – فور حضوره الى

مصر ــ ضرورة التدخل في الأمر ومباشرة مهام الحكم بنفسه ٠ وكان قراره بتنحية جوهر عن الادارة ، واستعانته ببعض الموظفين على راسهم : أبى الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس (٤٣) وأبى على عسلوج بن الحسن الدنهاجي (٤٤) ، بدعوى تفرغ جوهر للاشراف على شئون الجيش ، وذلك فى شهر المحرم من سنة ٣٦٣ هـ (أكتوبر ٩٧٣ م) (٤٥) ٠

ومما زاد هذا الشعور فى نفس المعز لدين الله تعمد هؤلاء المغاربة الاساءة الى طبقات المجتمع المصرى بدعوى التقرب للخلافة ٠ وذلك عندما تطاول بعض رجال كتامة على بعض الاشراف من الحسنيين والحسينيين الذين كانت لهم الحظوة فى المجتمع المصرى لأنهم من آل البيت ، وهددوا بقتل كل من يزعم أنه شريف وقال قائلهم : « وفى الدنيا شريف غير مولانا ؟ ! » فلما سمع المعز ذلك أنكره وتوعد المتطرفين بالعقاب الشديد ان عادوا الى مثل هذا ، واعتذر للاشراف وطيب خواطرهم بقوله : « لقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا ، لكم بحمد الله الشرف العالى والرحم القريبة »(٤٦) ٠

كذلك تعمد بعض المتطرفين من المغاربة الشيعة اثارة الشغب والاضطرابات فى نواحى مصر أثناء احتفالاتهم بالمناسبات الشيعية ــ مثل يوم عاشوراء (١٠ محرم) ويوم الغدير (١٨ من ذى الحجة)(٤٧) ٠ فكان يتخلل تلك الاحتفالات أعمال السلب والنهب والاعتداء على حرمات الناس ومساكنهم تحت ستار الخلاف المذهبى بينهم وبين الأهالى ، الأمر الذى أدى الى حدوث فتن عديدة وصل بعضها الى الاقتتال ٠ وقد زاد من خطورة هذه المواقف توافق حدوث بعضها مع فترات الخطر القرمطى(٤٨) ، حتى ان قادة الجيش أنفسهم تدخلوا لفض هذه الاشتباكات لصالح المصريين ٠ وذلك مثلما حدث فى آخر ذى الحجة سنة ٣٦٠ هـ

(أكتوبر ٩٧٢ م) « عندما نهب المغاربة مواضع بمصر (الفسطاط) فثارت الرعيــة ، فاقتتلوا قتالا شــديدا . وركب اليهم ســعادة بن حيان ·· وغرم جوهر للناس ما نهب منهم ، وقبــل قولهــم فى ذلك(٤٩) » · وتخلل الاحتفال بذكرى عيد الغدير الموافــق ١٨ ذى الحجة سنة ٣٦٢هـ (سبتمبر ٩٧٣م) ان « نهبت المغاربة بعض الرعية ، فركب جوهر فى طلب النهابة وأخذهم وجلدهم »(٥٠) . وفى ذكرى العاشر من محرم سنة ٣٦٣هـ (اكتوبر ٩٧٣م) خرج نفر من الشيعة « ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهــم » فى موكبهم ينوحون ويبكون على الحسين ، وصاروا يعتدون على كل من لم يشاركهم فى مظاهر الأسى والحزن ، وترتب على ذلك أن تعطلت الأسواق وحدثت بعض القلاقل · فخرج اليهم الحسن بن عمار ومارس ضغطا على المعتدين ، فتراجعوا « ولولا ذلك لعظمت الفتنة »(٥١) ·

وحقيقة الأمر ، فان حالة الفوضى الأخيرة ـ هذه ـ التى شارك فيها بعض فرسان المغاربة ورجالتهم كانت حلقة من حلقات الشغب المستمر الذى استغرق شهر المحرم كله من تلك السنة · فقد تخلل هذا الشهر تسلط المغاربة على نواحى الفسطاط « فنزلوا الدور ، وأخرجوا الناس من دورهم ، ونقلوا السكان وشرعوا فى السكنى فى المدينة »(٥٢) · ومن المؤكد أن المغاربة هؤلاء كانــوا مستندين فى هذا الى تأييد الحكومة الفاطمية التى سيطر عليها عدد كبير من المغاربة منذ ذلك الحين · ولا ننسى ان اشــــتراك عسلوج بن الحسن الدنهاجى فى الاشراف على دواوين الحكومة ـــ الى جانب ابن كلس ـ انما كان فى ذلك الشهر ·

وقد حنق المعز لدين الله على المغاربة ، حين اتصل به تسلطهم على الفسطاط ، ومخالفتهم أوامره بسكنى « أطراف المدينة »(٥٣) ، فأمر بترحيلهم الى نواحى عين شمس وحدد لهم بنفسه المواضــع

التى سينزلون فيها ، وأقر المال المطلوب لبناء المعسكرات الخاصة بهم هناك بعيدا عن المدينة • هذه المواضع هى التى عرفت بالخندق أو الحفرة ، كما عرفت بخندق العبيد ، ربما تغليبا لوجود عبيد زويلة ضمن الجيش الفاطمى ، مع كتامة وغيرهم • كما عين المعز مشرفا خاصا بالمغاربة فى هذا المكان الجديد • وكان يراقبهم مراقبة دقيقة ، حتى كان مناديه - كل ليلة - يذكرهم جهارا أمام الملأ من السكان بما قرره من منعهم من المبيت بالفسطاط(٥٤) .

ولم يقلل هذا الاجراء من تعسف المغاربة ضد السكان ، لأن عناصر مغربية بقيت داخل الفسطاط(٥٥) • كما أن المعز لدين الله تراجع تحت ظروف خاصة - تمثلت فى هجوم القرامطة على مصر للمرة الثانية فى شهر رجب سنة ٣٦٣هـ (ابريل ٩٧٤م) - وسمح للمغاربة بسكنى القاهرة ، وعهد الى أحد القادة الكتاميين ، ويدعى جبر بن القاسم المسالتى ، بأن يشرف بصفة استثنائية على حشد سائر المغاربة فى القاهرة ، حتى الذين تسربوا الى الفسطاط(٥٦) • فاستمرت حوادث الشغب فيما بين المغالين فى التشيع من هؤلاء المغاربة والاهالى ، كما حدث فى شهر شوال من سنة ٣٦٤هـ (يونية ٩٧٥م) عندما ثارت فتنة بين الطرفين • ويبدو أن الاهالى كانوا البادئين بالعدوان هذه المرة ، اذ يذكر المقريزى أن الفتنة كانت « بين المصريين والمغاربة » . وقد تم معاقبة الجناة من الجانبين(٥٧) •

وعلى أية حال يمكن القول بأن عصر المعز لدين الله قد انتهى بغير تطورات حاسمة فى العلاقات بينه وبين المغاربة من موالى الدولة ، ويكفينا أنهم استمروا مهيمنين على الأمور فى مصر ، ولم نسمع عن اصطفاء المعز لاخرين عليهم • حتى ولى العزيز بالله الخلافة - فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ (ينساير

٩٧٦م) — وعندئذ بدأت العلاقات تسوء فيمــا بينه وبين هؤلاء المغاربة ، على نحو ما سنشير اليه ٠

ويرجع السبب فى تغير العلاقة بين الخلافة الفاطمية — زمن العزيز بالله (٣٦٥ — ٣٨٦هـ / ٩٧٦ — ٩٩٦م) — وبين المغاربة من موالى الدولة الى أن العزيز بالله سيطر عليه شعور بفقد الثقة تجاه أكثر فروع المغاربة اخلاصا للدولة الفاطمية — وأعنى بهــم الكتاميين — نتيجة ما بدر منهم فى حق الدولــة على الصعيدين الخارجى والداخلى :

فقد اعتبر العزيز بالله ان الفرقة الكتامية التى كانت تشكل معظم حملة جوهر الصقلى على الشــام — أواخر ســنة ٣٦٥هـ (٩٧٦ م) — لاعادة النفوذ الفاطمي عليه بعد أن ســيطر أفتكين وجنوده الاتراك على معظم مدن الشـــام التابعــة للفاطميين ، والقرامطة على فلسطين ، هى المسئولة عن فشل هــذه الحملــة وعودة جوهر منسحبا الى مصر أواخر سنة ٣٧٦هـ (٩٧٨م) ٠ ولم يلتفت الخليفة العزيز الى اعتبارات أخــرى أدت الى هذه الهزيمة ، مثل : تحالف قوات أفتكين مع القرامطة ضــد الجيش الفاطمى ، وطول مدة القتال ، ونفاد الأموال ، وهلاك معظم الرجال بسبب الظروف الطبيعية السيئة(٥٨) . فقط اعتمد العزيز بالله التقرير الذى رفعه اليه جوهر عن تبرير أسباب هزيمة الجيش وانسحابه على نحو مشين من مدينة عسقلان الى مصر ، بانها ترجــع الى « تخاذل كتامه » ٠ ويعلق د٠ لقبال على خذلان كتامــة للقائد جوهر الصقلى داخل مدينة عسقلان بقوله ان ذلك كان « بمثابــة الثأر الذى استوفاه رجال هذه القبيلة منه لموقفه المعادى لأكبــر قادتهم فى بلاد الشام (جعفر بن فلاح الكتامى) »(٥٩) ٠ وايما كانت الأسباب ، فان العزيز بالله غضب غضبة شديدة ، ولــم يستثن حتى جوهر نفسه من ذلك ، الا أنه أسرها فى نفسـه ولـم

يبدها لهم حتى تمكن من معالجة أمر الشام بنفسه ، فى شهر المحرم من سنة ٣٦٨ هـ (أغسطس ٩٧٨ م)(٦٠) .

وكانت النتيجة التى خلص بها العزيز من هذا الموقف ان هذا الجيل المغربى قد بدأ يستنفد طاقته الواجب بذلها فى خدمة الدولة ، ومن ثم وجب عليه - أى الخليفة العزيز - أن يبدأ سياسة جديدة مؤداها اصطناع وجوه جديدة تكون عوضا عن هؤلاء القادة القدامى . وتمثل هذا الجيل الجديد فى جماعات الاتراك والديالمة الذين سموا بالمشارقة نسبة الى موطنهم الأصلى فى بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) من بلدان المشرق الاسلامى(٦١) .

وابتدأ العزيز بالله باصطفاء القائد التركى افتكين ورفاقه - أعداء الأمس القريب - وعاد بهم الى مصر بعد أن هزمهم بالشام وكان ذلك مثار دهشة المقربين من العزيز أمثال الشريف أبى اسماعيل ابراهيم بن أحمد الرسى الحسنى ، الذى علق على مسير أفتكين - عقب هزيمته - مكرما فى موكب الخليفة الى مصر بأن « هذا الكافر انما يستحق كل عذاب ، والعجب من الاحسان اليه » . ولم يجب الخليفة مكتفيا بأن ذلك وفاء لعهد قطعه على نفسه اثناء حربه مع افتكين(٦٢) . واصبح الاتراك منذ ذلك الدين عنصرا هاما فى الجيش الفاطمى ، واشتهر منهم قادة لعبوا دورا هاما فى تاريخ الدولة الفاطمية ، مثل : منجوتكين الذى قام بأعمال هامة لصالح الدولة فى الشام(٦٣) .

وثمة موقف آخر جعل العزيز بالله يتمسك بسياسته الجديدة فى محاباة الأتراك والديلم ،فقد حدث أن ثار حمزة الكتامى - متولى مدينة أسوان - على الخلافة الفاطمية وحاول الاستقلال بناحيته عن سلطانها ، فى سنة ٣٦٨هـ (٩٧٩/٧٨م) ، أى فى أعقاب خذلان كتامة وانهزامها فى جبهة الشام مباشرة . واذا كانت ثورة حمزة الكتامى قد اخمدت فى ذات السنة على يد احد القادة

الذين يمثلون التيار المغربى الموالى للدولة الفاطمية وهو جعفر بن محمد بن أبى الحسين الصقلى الذى « أخذه (أى أخذ حمزة) وأتى به وبأمواله » ، فان العزيز بالله انعم بهذه الأمـــوال على افتكين التركى ، وعهد اليه بقتل حمزة « فقتله شر قتلة »(٦٤) .

ويمكن تفسير تدليل العزيز بالله للقائد أفتكين ـــ مرة أخرى ـــ وتعمد اخراجه على الناس فى موكب مهيب ردا على استنكارهم منحه هذه المنزلة(٦٥) حتى بدا وكأنه هو الذى سحق تمرد حمزة ، بأن ذلك كان بمثابة رد فعل نفسى معاكس لما بدر من كتامة فى حق الدولة .

وجدير بالذكر أن اســـتحداث العزيز بالله الفاطمى للأتراك والديالمة ـــ أو المشـــارقة ـــ لم يكن يعنى أنه أعطى ظهره للمغرب، أصل الخلافة الفاطمية . بل على العكس نجده قد فكر فى المغرب كمستودع لأجيال مغربية جديدة تنتفع الدولة بجهودها البناءة التى لا ريب ستبذلها فور استقدامها الى مصـــر . فانتهز العزيز بالله فى سنة ٣٧١ هـ (٩٨١ م) فرصـــة وجـــود أحد أمراء بنى زيرى الصنهاجيين نوابه بافريقيـــة (أو المغرب الأدنى)(٦٦) فى مصر ـــ ربما فى طريق عودته الى المغرب بعد أدائه فريضـــة الحـــج أو انه قدم بالهدية الســـنوية المعتادة للخليفة الفاطمى فى مصر ـــ وكان يدعى باديس بن زيرى ، فأرســـل العزيز معه رسالة الى أمير افريقية أبى الفتوح المنصور بن يوسف بلكين (٣٧٤ ـــ ٣٨٦ هـ/ ٩٨٤ ـــ ٩٩٦ م) يأمره فيها بتخير ألف فارس من أبطال صنهاجة ، مع ذويهم طبعا . وحدد له فى هذه الرسالة أسماء بعض القادة المشاهير ، منهم : حبوس وماكسن وزاوى وحمامة بنو زيرى ، وبنو حمامة بن مناد ، وزاوى بن مناد ، ونظراؤهم(٦٧) . عـــلى أن أمير افريقية أرســـل معتذرا عن تنفيذ مطلب الخليفـــة العزيز بســـبب ظروف المغرب المضـــطربة وحاجته لجهود هؤلاء القادة

ـــ الذين عناهم العزيــز ، وهم فى ذات الوقت من أقـــاربه ـــ فى مواجهة أطماع بنى أمية ـــ حكام الأندلس ـــ فى المغرب(٦٨) .

واذا كانت هذه الخطوة لم يكتب لها النجاح فى عهد العزيز « الذى لم يعد اليه جوابا فيهم » فقد تم تنفيذها فى عهد الخليفة المستنصر بالله الذى استجلب أعدادا كبيرة من المصامدة صـــارت تشكل قوة كبيرة فى الجيش الفاطمى فى مصر ، واشتهرت بأسلوبها المميز فى القتال ، كما سنبين فيما بعد(٦٩) .

ويبدو كذلك أن الخليفة العزيز بالله قد أعطى الضوء الأخضر لوزيره يعقوب بن كلس كى « يذل كتامة » !! وان الوسيلة التى اتبعها ابن كلس فى ذلك كانت تتمثل فى تقديم الأتراك عليهم فى العطاء(٧٠) . بحيث اسفر الأمر عن ضـــيق الحال ببعض وجوه كتامة ، حتى ان أحدهم ، ويدعى أبا على منصور بن محمد بن على ابن سلمان الكتامى ، لم يجد غير الشـــكوى الى الخليفة العزيز « لما هو فيه من العلة وقلة ذات اليد ، وانه ما له شىء يدفعه للطبيب »(٧١) .

ويقيننا أن الخليفة العزيز بالله لم يكن ينوى القضـــاء تماما على وجود افراد هذا التيار المغربى فى دولته ، فقط أراد باجراءاته الســـابقة أن يحد من محاولات بعضهم الاستبداد بالأمر . ولعل العزيز ادرك أن سياسة الاعتماد على عنصر بعينه ـــ حتى وان اخلص كل الاخلاص فى خدمة الخلافة ـــ انما هى فى غير الصـــالح العام ، فرغب فى حفظ توازن القوى فى الدولة عن طريق استحداث عناصـــر جديدة الى جانب العنصـــر المغربى . يدلنا على ذلك محاولته استجلاب العدد الســـابق من قادة صنهاجة الى مصر ، واستمرار وجود هؤلاء المغاربة ـــ على اختلاف طوائفهم ـــ كعلامة بارزة فى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر ، حتى ســـقوطها على يد

صلاح الدين الأيوبى ، وهو الشىء الذى سنلمسه بوضـــوح بعد ذلك .

ومن الملاحظ أن الخلفاء الفاطميين ـــ الذين حكموا مصر بعد العزيز بالله ـــ قد ســـــاروا على سياسة تعدد الطوائف فى دولتهم ، مما أثر كثيرا على نفوذ العنصـــر المغربى الذى ســـــار فى خطوط بيانية متضاربة ما بين صعود وهبـــوط تبعا لســـــياسة الفاطميين المتقلبة تجاه أفراده .

على أن مثل هذه الاجراءات التى اتخذها العزيز بالله لم تكن لتمر دون أن يكون لها وقع فى نفوس هؤلاء المغاربة ، وبخاصـــة الذين أضيروا منها مثل الصقالبة والكتاميين . وقد اختلف رد الفعل فيما بين هذين الفريقين تبعا للظروف الخاصـــة بكل . وفى هذا الصـــدد عقد د . لقبال مقارنة بينهما قائلا : « ان كتامة يدلون على الخلفاء بسبب دورهم التاريخى فى نصـــرة الحركة الاسماعيلية وكونهم أقدم عهدا بها اذا قيســـوا بطبقة الفتيان الصـــقالبة الذين كانوا غرباء عن البيئة ومفتقرين الى التاريخية والى العصبيـــة . ومن ثم كانت لا تطمح نفوســـــهم الى شىء مما تطمح اليه نفوس الكتاميين .. »(٧٢) .

وبخصوص الصقالبة لم نســـمع عن القائد جوهر ســـوى الامتثال لأمر الخلافة رغم ان سلطانه تلاشى على دفعتين : **الأولى :** أيام المعز لدين الله ، حينما ســـحبت اختصاصاته الادارية ، بدعوى تفرغه للاشـــراف على شئون الجيش فى شهر المحرم سنة ٣٦٣ هـ (أكتوبر ٩٧٣ م)(٧٣) . **والثانية :** حينما غضب العزيز بالله عليه ـــ اثر عودته من الشام على رأس الجيش مهزوما الى مصر فى أواخر سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٨ م) ـــ « واظهر له التنكر ، وولى يعقوب ابن كلس عوضـــه فى المحرم ســـنة ٣٦٨ هـ (أغســـطس

٩٧٨ م) »(٧٤) . حتى استشارة العزيز بالله لجوهر « من الباطن » فى امور الحكم انقطعت كذلك منذ سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) ، تلك السنة التى « تمكنت فيها حال يعقوب بن كلس مع العزيز »(٧٥) . فآوى جوهر الى الظل منذ ذلك الحين مواسيا نفسه بأن « لكل زمان دولة ورجال » . ولعل أوضح دليل على انصراف العزيز عنه وضآلة شأنه أنه أمر كفيره من القادة بالترجل لمنجوتكين التركى الذى أصطفاه العزيز بالله . وقد شعر جوهر بما لحقه من مهانة وذل ، فكان يدعو على نفسه بالموت ، قائلا : « ... وها أنا اليوم امشى راجلا بين يدى منجوتكين . أعزونا وأعزوا بنا غيرنا . وبعد هذا فأقول : اللهم قرب مدتى ، فقد نيفت على الثمانين ، أو أنا فيها » . فتوفى عقب ذلك مباشرة ، فى يوم ٢٣ ذى القعدة ، وقيل ٦ ذى الحجة من سنة ٣٨١ هـ (فى خلال شهر يناير ٩٩٢ م)(٧٦) .
وينطبق مثل هذا التصرف أيضا على القائد جعفر بن محمد بن أبى الحسين الصقلى الذى أخمد فتنة حمزة الكتامى بمدينة أسوان (٣٦٨ هـ / ٧٨ ــ ٩٧٩ م) وساقه أسيرا الى القاهرة . فكان رد العزيز بالله على ذلك يتسم بالغرابة ، اذ انه عهد الى أفتكين بقتل حمزة وأنعم عليه بأمواله ، بدلا من أن يكافىء بها جعفر الصقلى صاحب الفضل فى ذلك(٧٧) . ومع ذلك لم يبد منه أية شعور بالاستياء ازاء هذا الجحود .

وكان شعور الصقالبة بتواضع طموحاتهم سببا فى استمرار اعتماد الخلفاء الفاطميين عليهم : فكان رشيق الصقلبى على شرطة الفسطاط ــ أو السفلى ــ فى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م)(٧٨) . واشار ابن سعيد الى المكانة الكبيرة التى تمتع بها أبو سعيد ميمون الخادم المعروف بدبة عند العزيز بالله ، حتى انه توسط لديه فى اطلاق الاعطيات لأبى على منصور الكتامى لمواساته فى مرضه(٧٩) . وترقى أبو الحسن يانس الصقلبى فى الخدمة زمن العزيز بالله والحاكم بأمر الله . فولاه الأول شرطة الفسطاط سنة ٣٨٠ هـ

(٩٩٠ م) ، وعهد اليه الثانى بحراسة القصور الخليفية فى سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) ثم خلع عليه ووصله بأموال كثيرة وولاة برقة فى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م)(٨٠) . وتمتع أبو عبد الله الحسين بن جوهر الصقلى بمكانة كبيرة أيام العزيز بالله الذى خلع عليه وجعله فى رتبة أبيه جوهر كقائد شرف على وحدات الجيش الفاطمى ، ولقبه بالقائد ابن القائد(٨١) . وازداد نفوذه أيام الخليفة الحاكم بأمر الله حتى اتخذه وزيرا أول فى الدولة وجعله قائدا عاما للجيش الفاطمى ولقبه بقائد القواد(٨٢) . ولا ننسى برجوان الذى ارتفعت منزلته أخريات أيام العزيز بالله حتى تولى الوصاية على ولى عهده الحاكم بأمر الله ، ودوره الخطير بعد ذلك(٨٣) .

وبالنسبة للكتاميين ، فقد كان رد فعلهم — حتى هذه اللحظة — هادئا على غير المتوقع ، مما يوحى بأنهم لم يكونوا خلال مواقفهم السابقة — أيام المعز وأوائل أيام العزيز بالله — فى حالة عصيان جماعى . ولكن مع توالى ايقاعات ضرب العزيز بالله نفوذهم وتاثرهم بذلك ، يمكن القول بأنهم بداوا فى التحرك الجماعى منذ ذلك الحين . ولاحت ارهاصات غضب الكتاميين من خلال روح الاستياء التى بدأت تغلب على تصرفات قادتهم ازاء محاولات العزيز بالله الحط من شأنهم . فعندما بلغ ابا على منصور بن محمد بن على بن سلمان الكتامى أن العزيز قد استنكر ما أنفقه عليه أثناء مرضه وأنه متعجب لاستمراره فى شكاية سوء حاله ، غضب وقال : « الذى فعلناه نحن معه ومع أبيه وآبائه ، أكبر . بذلنا أرواحنا ودماءنا وأخرجنا أنفسنا من ديارنا وأنفقناها على اقامة ملكهم . نحن لنا الفضل عليهم »(٨٤) . وحينما أمر الحسن بن عمار — زعيم كتامة : فيمن أمر من قادة الدولة — بالترجل لمنجوتكين التركى ، فعل ذلك على مضض . على أن شعوره بالغيظ غلب عليه « فزفر زفرة كاد أن ينشق لها ، وقال : لا حول ولا قوة الا

بالله العلى العظيم »(٨٥) . وربما كانت محاولة اغتيال الوزير ابن كلس التى دبرها المغاربة — يتزعمهم قادة كتامة فيما يبدو — بمثابة انذار مبدئى للعزيز بالله(٨٦) . وقد اختار المغاربة ابن كلس للتنفيث عن مكنون صدورهم رداً على مبالغته فى الحد من نفوذهم . فهو لم يكتف باذلال كتامة ، بل سعى كذلك لاستغلال نفوذه فى التخلص من بعض الشخصيات المغربية الهامة مثل : القاضى على بن النعمان ابن حيون المغربى الذى « كان الوزير يعاكسه فى اموره ، وعلى يصبر عليه »(٨٧) . وتمثلت هذه المعاكسة فى ان ابن كلس كان يستغل بعض صنائعه فى الانتقاص من سلطات القاضى ابن النعمان : ففى آخر شهر شوال من سنة ٣٦٨ هـ (مايو ٩٧٩ م) استدعى ابن كلس ابا طالب أحمد بن أبى القاسم محمد بن أبى المنهال — قاضى مدينة تونس ، وقيل مدينة المنصورية — الى مصر . فقدم بأهله وأولاده ، وعهد اليه « بالنظر فى المظالم بمصر وأعمالها .. وصارت الأحكام فى الغالب لا يرد منها الى ابن النعمان شىء »(٨٨) . وفى سنة ٣٦٩ هـ (٩٧٩ م) اصطنع ابن كلس عليا بن سعيد الجلجولى ، وفوض اليه الشرطة السفلى — أو شرطة الفسطاط — « فنظر فيها وفى الأحكام »(٨٩) . ولما انكر القاضى ابن النعمان تدخل ابن سعيد الجلجولى — ومن قبله ابن ابى المنهال — فى شئونه وأظهر اعتراضه على ذلك ، استصدر ابن كلس امرا كتابيا جاء فيه : « ان كل من حكم بحكم من المستخدمين (أى الموظفين التابعين له) فليس للقاضى أن يعترض عليه ، كما انه ليس لأحد منهم أن يعترض على القاضى فيما حكم فيه »(٩٠) . ويشير د . سرور الى أن ابن كلس كان قد دبر امر خروج القائد جوهر الصقلى على رأس جيش الشام كى يتخلص من منافسته(٩١) .

واذا كانت مؤامرة اغتيال ابن كلس — على أيدى المغاربة — قد فشلت الا ان ذلك كان مدعاة لأن يكف العزيز بالله عن سياسته

المناهضة للمغاربة ، نسيما بعد أن أدرك مدى الخطأ فى المبالغة فى تنفيذها . فهو من ناحية ، على وشك أن يخسر المغاربة — عصب الخلافة — كعنصر بناء فى الدولة ، اذ من غير المعقول أن يستمر المغاربة العاملون فى دواوين الحكم وفى الجيش الفاطمى على اخلاصهم للدولة ، وضربات العزيز بالله تتوالى عليهم مسرعة . ولا ننسى فى هذا المجال التنويه بأن العمل على افساد ما بين المغاربة والخلافة الفاطمية — فى ذلك الوقت — لم يكن يتفق مع مصالح الفاطميين فى المغرب ، بعد أن بدأ بنو زيرى نوابهم هناك فى التطلع آنذاك نحو الاستقلال(٩٢) .

ومن ناحية أخرى كان اطمئنان العزيز بالله الى جهود وزيره ابن كلس فى تنفيذ متطلبات الخلافة بشأن الحط من نفوذ المغاربة المتزايد فى مصر ، دافعا لابن كلس كى ينفذ هذه السياسة مع العنصر الجديد الأثير لدى الخلافة ، وهم الأتراك والديالمة(٩٣) . الأمر الذى اظهر ابن كلس فى صورة الساعى نحو الانفراد بالحكم والهيمنة على شئون البلاد فى وجود الخليفة العزيز . واذا كان العزيز بالله لم يرض من ابن كلس المبالغة فى اثارة المغاربة، فانه بلا شك لم يقبل منه اقدامه على التحرش بالأتراك والديالمة . ومن ثم أصدر الخليفة العزيز بالله قراره الفجائى بالقبض على وزيره ابن كلس واعتقاله فى حبس منفرد مع مصادرة أمواله . وكان ذلك فى أوائل شهر شوال سنة ٣٧٣ هـ (مارس ٩٨٤ م)(٩٤) .

واذا كان المقريزى قد اشار الى أن القبض على ابن كلس وصرفه عن الوزارة انما كان بسبب اتهامه بدس السم لافتكين — فتى العزيز المدلل — الذى توفى فى تلك السنة(٩٥) ، الا انه من المناسب أن نفسر ذلك على انها محاولة من العزيز بالله لترضية المغاربة . والدليل على ذلك أن الخليفة العزيز بالله عهد بالاشراف على الادارة فى مصر — عقب اعتقال ابن كلس — الى

جبر بن القاسم الكتامى المسالتى(٩٦) . وهو واحد من الكتاميين القلائل الذين لم تثر حولهم الشكوك ، فقد عرفناه منذ يوم الفتح على شرطة القاهرة(٩٧) وظهرت كفاءته حينما عهد اليه المعز لدين الله بالعمل على اجلاء المغاربة عن مدينة الفسطاط وتجميعهم فى القاهرة فى اطار الاستعداد لصد هجوم القرامطة على مصر(٩٨) .
اما فى عهد العزيز بالله فقد بقى لفترة طويلة يتصرف فى شئون مصر كلها — أثناء الحرب ضد افتكين — من خلال منصبه فى شرطة القاهرة ، لدرجة جعلت ابن منجب الصيرفى يؤكد على انه كان بمثابة نائب الخليفة العزيز بالله فى حكم مصر . وأشار فى ذلك الى أن الكتب التى كانت ترد الى مصر من الشام كانت تقرأ باسمه على المنابر « رغم انه لم يكن له لقب »(٩٩) . وكان لجبر بن القاسم الفضل فى كشف الغمة التى احاطت بالقاضى على بن النعمان أثناء سفره مع العزيز بالله الى الشام سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) ، اذ قضى على الشائعات التى قيلت عن صرف القاضى على عن منصبه وان اخاه ابا عبد الله محمد بن النعمان — نائبه فى الحكم — قد ولى عوضه . ولكى لا يفسد ما بين الأخوين عمل جبر من ناحيته على « تقوية يد محمد بن النعمان » ، الأمر الذى ساعد الأخير فى تولى القضاء بعد وفاة أخيه فى شهر رجب من سنة ٣٧٤ هـ (ديسمبر ٩٨٤ م)(١٠٠) .

كما أن العزيز بالله عمل على رد اعتبار القاضى على بن النعمان الذى « أبطل الجلوس بالجامع لمبالغة الوزير فى اضعاف يده » بأن رده الى سابق مكانته — عقب القبض على ابن كلس — وزاد العزيز على ذلك بأن لقبه بقاضى قضاة الديار المصرية « فكان أول من لقب بذلك »(١٠١) .

ولا شك أن مثل هذه الاجراءات الأخيرة التى اتخذها العزيز بالله قد ساهمت الى حد كبير فى تلطيف حدة الغضب التى انتابت

قادة المغاربة . الا انها لم تقض تماما على المرارة التى عـلقت بنفوســـهم . سيما أن العزيز بالله أفرج عن ابن كلس واعاده الى سابق مكانته كوزير اول بعد شهرين فقط من اعتقاله (ذى الحجة ٣٧٣ هـ / مايو ٩٨٤ م) واحاطه بهالة من التكريم ، مما لم يعط لأحد قبله(١٠٢) . حقيقة ان جبر بن القـــاسم ـــ الذى خلف ابن كلس فى رئاسة الدواوين ـــ لم يستبعد تماما عن الحكم ، وانما عهد اليه العزيز بالله بتدبير شئون الخراج فى مصر مشاركا لعلى ابن عمر العداس وعبد الله بن خلف المرصدى ، وذلك طوال سنة ٣٧٤ هـ (٨٤/٩٨٥ م)(١٠٣) . الا ان محاولة ابعاده عن العاصمة ـــ حينما عهد اليه بالولاية على عدة اقاليم منها تنيس ودمياط والفرما ـــ أكدت للمغاربة استمرار سياسة العزيز بالله المناوئة لهم . ويذكر لجبر بن القاسم انه رد على ذلك بان استمر مقيما فى القاهرة واستخلف ابنه وكاتبه للنظر فى شئون هذه النواحى(١٠٤) . فلعله آثر ان يكون قريبا من بلاط العزيز بالله خشـــية أن تحاك ضده مؤامرة أو تروج عنه شائعة .

كذلك استمر ابن كلس فى مناوئته لقاضى مصر ـــ آنذاك ـــ محمد بن النعمان الذى ولى القضاء عقب وفاة أخيه على فى شهر رجب سنة ٣٧٤ هـ (ديسمبر ٩٨٤ م) . مما جعل ابن حجر يصفه بأنه « كان كثير المعارضـــة لبنى النعمان فى أحكامهم » ، وذلك فى رواية ـــ أورد تاريخ حدوثها فى سلخ جمادى الأولى سنة ٣٧٥ هـ (اكتوبر ٩٨٥ م) ـــ نخلص منها الى ان ابن كلس اتخذ صنائعا له من بين موظفى القـــاضى . وانه عـــلم من أحـــدهم ـــ وكـــان شاهدا ـــ أن القاضى محمد اخطأ فى أحد احكامه التى قضى فيها باتمام عقد زواج احد المصريين من فتاة لم تكن بلغت سن الزواج . فانتهزها ابن كلس فرصـــة ليعامل القاضى معاملة مهينـــة ، وعزل معاونيه بعد أن بالغ فى الانكار عليهم(١٠٥) .

وعلى الرغم من المهابة التى أضفاها العزيز بالله على هذا القاضي — تعويضا له فيما يبدو عما لحقه من تجريح على يد ابن كلس — حتى قيل عنه : «ما شهدنا لقاض من القضاة بمصر ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق »(١٠٦) ، وعلى الرغم من ذلك ، فان نفوس المغاربة لم تصف تماما ، لاعتقادهم ان الخليفة مستمر فى الانقباض عنهم الى غيرهم . فبدلا من أن تكون وفاة الوزير يعقوب بن كلس — فى شهر ذى الحجة سنة ٣٨٠ هـ (ابريل ٩٩١ م)(١٠٧) فرصة لظهور قيادات مغربية على رأس الادارة المصرية ، وجد المغاربة أن العزيز بالله انصرف عنهم الى آخرين(١٠٨) . بشكل أثر كثيرا على مركز بعض الشخصيات المغربية التى لها ثقلها ، مثل الحسن بن عمار الذى « أمر بالنظر فى الظلامات وحوائج الناس وتدبير الأموال ومحاسبة أرباب الدواوين » فى شهر المحرم من سنة ٣٨٣ هـ (فبراير/مارس ٩٩٣ م) ، واستمر فى منصبه الجديد مدة أيام من هذا الشهر(١٠٩) . وحميد بن المفلح المحتسب الذى استبدله العزيز بالله بشخص يدعى الوبرة النصرانى(١١٠) . ثم كانت الصدمة الكبرى للمغاربة من موالى الدولة الفاطمية حينما عهد الخليفة العزيز بالله بالاشراف على دواوين مصر جميعها الى عيسى بن نسطورس النصرانى ، وذلك فى شهر رمضان من سنة ٣٨٣ هـ (اكتوبر ٩٩٣ م)(١١١) . ذلك ان هذا **الواسطة** مال لمحاباة بنى ملته « فقلدهم الأعمال والدواوين ، واطرح الكتاب والمتصرفين المسلمين »(١١٢) . فكان من الطبيعى أن يضج الجميع بالشكوى . والغريب ان الخليفة العزيز بالله قبض على ابن نسطورس مدة ، ثم أطلقه بشفاعة ست الملك — ابنة الخليفة — بل انه رده الى منصبه . فقط اشترط عليه ان يستخدم المسلمين فى دواوينه واعماله(١١٣) .

وضح — اذا — لقيادات المغاربة مدى تعنت الخليفة العزيز بالله ، وميله لتغليب مصلحته الشخصية ولو على حسابهم ، اذ

ظهر لهم ان المال الذى دفعه ابن نسطورس الى الخزانة وقدره ثلاثمائة الف دينار قد أماد بغير شك — مع وساطة ابنة العزيز — فى ارجاعه لمنصبه ، مع وضوح مدى تعصبه لبنى ملته(١١٤) . فلم يعد كافيا أن يستهدف المغاربة ابن نسطورس وحده بكيل الاتهامات والدسائس له ، أو حتى قتله . ولكن كان عليهم أن يقوموا — هذه المرة — بعمل أكبر من ذلك يلفتوا من خلاله نظر الخلافة الى ضرورة الحفاظ على نفوذهم كعنصر مميز فى الدولة . وكان من الضرورى أن يعيدوا حساباتهم وينظموا صفوفهم بحيث يظهر من بينهم من له القدرة فى التعبير عن مطالبهم . وكان هذا الشخص هو الحسن بن عمار ، زعيم كتامة فى مصر(١١٥) .

ويعد اختيار الحسن بن عمار للقيام بذلك عملا موفقا ، اذ كان أكثر القادة المغاربة استيعابا للأحداث السابقة . كما وضح مدى اعتداده بنفسه وثقل مركزه منذ اللحظة الأولى التى قدم فيها مصر على رأس نجدته الكتامية أواخر شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ (ديسمبر ٧١/يناير ٩٧٢ م) وما تلى ذلك من مواقف أبلى فيها بلاء حسنا من اجل تأمين الجبهة الداخلية فى مصر أثناء هجمات القرامطة على البلاد(١١٦) . حتى اننا نرجح أن يكون سبب حضور ابن عمار الى مصر ، بعد جوهر الصقلى وتأخره عن الاشتراك معه فى حملة الفتح انما يعزى الى رغبة ابن عمار فى أن يكون مقدما على الجميع ، فى حين كانت شخصية القائد جوهر تتضاءل الى جوارها أية شخصية أخرى . ويبدو لنا صحة هذا الزعم من خلال رد فعل ابن عمار ازاء أول اهانة لحقت به واعتبرها موجهة لشخصه ، حينما امره الخليفة العزيز بالله — فيمن أمر من القادة — بالترجل للقائد التركى منجوتكين . أثناء خروج الأخير لاستعراض الجيش قبل ذهابه الى الشام ، فى سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) . فقد انكر هذه المهانة بطريقة جعلت جوهر الصقلى — الواقف الى جواره — يسارع بتقديم النصح له بأن يكف عن ذلك والا انتهى

الامر به نهاية غير محمودة(١١٧) . ثم وضحت رغبة ابن عمار فى التعرف على حقيقة هذا التغير من جانب الخليفة العزيز بالله تجاههم وابعاد ذلك حتى يستوعب الأمور تماما ، ولهذا تطلب الأمر أن يستدعى الحديث مرة أخرى مع جوهر الذى أخبره ان هذا التصرف يعد تنفيذا لسياسة رسمها الخليفة المعز لدين الله قبل وفاته ، وانه ليس من المستبعد ان يلتزم بها أيضا من قد يأتى بعد العزيز بالله من الخلفاء الفاطميين(١١٨) . اثر ذلك كثيرا فى نفس ابن عمار رغم انه استمر ضمن علية القوم . واذا كانت محاولة العزيز بالله ترضية المغاربة فى شخص ابن عمار حينما عهد اليه بالنظر فى المظالم وغير ذلك من الوظائف الكثيرة التى تولاها فى شهر المحرم سنة ٣٨٣ هـ (فبراير/مارس ٩٩٣ م) ، فان صرفه عنها بعد أيام من ذات الشهر قد حرك فى داخله الكثير تجاه الخلافة . ولهذا كان المرشح الأول لتزعم المغاربة فى التعبير عن مطالبهم الجماعية التى بدأوا فى المناداة بها فور وفاة العزيز بالله فى آخر شهر رمضان سنة ٣٨٦ هـ (أكتوبر ٩٩٦ م)(١١٩) .

تشير الروايات الى أن المغاربة تأخروا عن الحضور لمبايعة الحاكم بأمر الله فور توليه الخلافة ، وتجمعوا فى المصلى — فى شبه مؤتمر عام — واشترطوا لاعلان ولائهم للخليفة الجديد مجموعة من الشروط . بتحقيقها تعود الأمور الى طبيعتها ويسترجعون مكانتهم وهيبتهم فى الدولة التى نال منها ادخال عناصر الترك والديلم ودسائس ابن كلس وابن نسطورس . ومن هذه الشروط : ان يبعد عيسى بن نسطورس عن المسئولية ، وان تكون الوساطة(١٢٠) لرجل من المغاربة ، وأن تصرف لهم مخصصات مالية تقسط على ثمان مرات فى السنة ، على ان يبدأ الانفاق فورا وبحضور الخليفة(١٢١) .

واذا كان الكتاميون هم أظهر من نادى بتلك المطالب فى هذا المؤتمر ، فان ابن عمار — وفقا للمخطط على ما يبدو — لزم جانبه

القصر . حتى انه خرج اليهم واجتمع بشيوخهم مستوضحا حقيقة موقفهم ، أو ما يمكن تسميته بالمتحدث الرسمي باسم القصر الفاطمى(١٢٢) .

وبعد أخذ ورد ، تحقق الاتفاق ، وأعطى الحاضرون ما يخصهم من أموال وكذا باقى المغاربة الغائبين(١٢٣) . وحصل المغاربة ـ كذلك ـ على موافقة القصر بشأن انتداب الحسن بن عمار للوساطة(١٢٤) . ويكفى للدلالة على خطورة هذا الاجتماع المغربى أن الاعلان العام عن تولى الحاكم بأمر الله الخلافة قد صدر فى نفس اليوم الذى شهد تولية ابن عمار رئاسة دواوين الحكم فى مصر (٣ شوال سنة ٣٨٦ هـ/١٨ أكتوبر ٩٩٦ م)(١٢٥).

وعلى هذا النحو ابتدأ المغاربة بهذه البداية الساخنة مع الخليفة الفاطمى الجديد . ومن المؤكد أنهم اعتمدوا فى ذلك على أن الحاكم مايزال صغير السن(١٢٦) . **بيد انه صاحب هذه الخطوة اجراءات خطيرة من جانب المغاربة اولا ، ثم من جانب الخليفة الحاكم بأمر الله كرد فعل مضاد لها . الأمر الذى أثر كثيرا على مكانة هؤلاء المغاربة ودورهم فى تاريخ مصر الفاطمية** . ذلك ان القيادات المغربية التى شاركت فى صنع هذا الموقف اعتبرت موافقة الحاكم على طلباتهم ايذانا ببدء تسلطهم واستبدادهم بشئون الحياة فى مصر . وتولى الحسن بن عمار تنفيذ هذه السياسة المغربية الجديدة مستغلا ثقة الخليفة الصبى فيه وفى اخلاصه للدولة . حتى انه ـ أى الحاكم ـ أحاطه بهالة من التكريم أثناء حفل تنصيبه واسطة ، وضمن المرسوم الخاص بذلك ـ والذى تولى قراءته القاضى محمد بن النعمان المغربى ـ تلقيب ابن عمار بلقب « أمين الدولة » ، فكان ابن عمار أول من لقب فى الدولة الفاطمية . وزاد الحاكم بأمر الله على ذلك بأن الزم سائر الناس وكبار رجال الدولة بالترجل لابن عمار أينما سار(١٢٧) .

فبدأ ابن عمار بالاستعانة بالمغاربة فى تسيير شئون الخلافة ، واختص كتامة بمحاباته ، حتى انه غض الطرف أمام محاولة قادتهم الضغط من جديد على الخليفة الحاكم رغبة فى المزيد من النفوذ . فقد حدث فى شهر ذى القعدة من سنة ٣٨٦ هـ (نوفمبر ٩٩٦ م) ان تجمع — ثانية — نحو الف رجل من كتامة عند المصلى للمطالبة بدفعة جديدة من العطاء . ورغم أن الخليفة الحاكم بعث اليهم مؤكدا انه لم يخل بالاتفاق المبرم بينهما ، وانه مايزال يذكر باقى مستحقاتهم من العطاء الذى تقرر فى الاجتماع السابق ، الا أنهم أصروا على صرف الدفعة الثانية فورا . فرضخ الحاكم بأمر الله لطلبهم ، وشرع فى النفقة فيهم ، وزاد بأن أمر « فحمل راجلهم على الخيل »(١٢٨) .

وأردف ابن عمار بالتخطيط للتخلص من خصومه ، وابدأ بالأتراك فى شخص القائد منجوتكين ، اذ لم ينس ابن عمار الاهانة التى لحقت بشخصه عندما أمر بالترجل لهذا القائد ، حسبما تقدم . فاستصدر ابن عمار فى ١٢ ذى القعدة سنة ٣٨٦ هـ (نوفمبر ٩٩٦ م) قرارا خليفيا بتعيين أبى تميم سليمان بن جعفر — احد أبناء القائد الكتامى الشهير جعفر بن فلاح بن أبى مرزوق — قائدا عاما على الجيش الفاطمى بالشام محل منجوتكين(١٢٩) . وقد وضحت رغبة ابن عمار فى التشفى فى الأتراك — وبخاصة منجوتكين — من خلال مبالغته فى الاحتفاء بابى تميم سليمان الكتامى قبل سفره الى الشام فى شهر ربيع الآخر من سنة ٣٨٧ هـ (ابريل ٩٩٧ م) . فقد تعمد اخراجه أكثر من مرة لاستعراض الجيش وسط احتفالات عامة كبيرة ، شهد بعضها الحاكم بأمر الله . كذلك وضحت هذه الروح العدائية فيما تضمنه سجل تعيين القائد الكتامى من مدح لكتامة واستنزال اللعنات على منجوتكين . ولا يفوتنا ان ابن عمار أمر بقراءة هذا السجل على سائر منابر المساجد بمصر ، وفى القصر ، فى يوم الجمعة الموافق ١٥ صفر سنة ٣٨٧ هـ (فبراير ٩٩٧ م)(١٣٠) .

كذلك عمل ابن عمار على التخلص من عيسى بن نسطوربس ـــ الذى جعله الحاكم على ديوانه الخاص اثر صرفه عن الوساطة ـــ فقبض عليه فى شهر المحرم سنة ٣٨٧ هـ (يناير ٩٩٧ م) ، وضرب عنقه(١٣١) .

وكان من الطبيعى ان تستثير سياسة ابن عمار العدائية جماعات الأتراك والنصارى ضد المغاربة . فحاول منجوتكين وفرقته التركية مقاومة سليمان بن جعفر الكتامى فى الشام ، الا انه هزم فى القتال الذى دار بينهما فى جمادى الأولى سنة ٣٨٧ هـ (مايو ٩٩٧ م) . واضطر منجوتكين الى العودة ذليلا الى مصر بعد أن أمنه سليمان على نفسه وماله . ويشير المقريزى الى أن ابن عمار كان « ينزله (أى منجوتكين) أدون المراتب وغير رسومه كلها »(١٣٢) . ولا شك أن منجوتكين صبر على هذا وراح يتحين الفرص للنيل من ابن عمار والمغاربة جميعا .

أما النصارى فقد أحفظهم ما فعله ابن عمار والمغاربة بعيسى ابن نسطورس، وسنراهم يحاولون الكيد ـــ بعد ذلك ـــ لشخصيات مغربية أخرى لمعت خلال الفترات التالية . مثلما حدث لقائد القواد الحسين بن جوهر الصقلى الذى صرف عن الوساطة فى شهر شعبان من سنة ٣٩٨ هـ (ابريل ١٠٠٨ م) لأسباب كان منها سعى أبى نصر منصور بن عبدون النصرانى الملقب بالكافى للدس عليه لدى الحاكم بأمر الله(١٣٣) .

ولم يقف الأمر اقتصر على هذا الحد ، بل تجرأ المغاربة على التطاول على سائر رجال الدولة والرعية ، وسعوا فى احداث الفوضى واعمال النهب والسلب فى الطرقات . مستندين فى هذا الى انفراد الحسن بن عمار بالأمر ، وانه أصبح سيد الموقف وتشجيعه لهم بعد أن اعتمد عليهم واتخذ منهم بطانته وحاشيته ،

وهيأ لهم مراكز نفوذ فى القاهرة والأقاليم ، واتخذ لنفســـه حرسا من الفرسان والأحداث الكتاميين(١٣٤) . وكانت الخطوة التالية أن تطلع ابن عمار ــ الذى خيل اليه انه أصــبح غير مراقب ــ وجماعات المغاربة الى شخص الخليفة الحاكم بأمر الله وممتلكاته . فاطلق ابن عمار يده فى أموال الخلافة يتصرف فيهـا كيفما شاء . ففرق جوارى القصــر على رجاله ، واعتــق عــددا منهن وباع بعضــهن ، وقطع أرزاق ورســوم بعض منافسيه ، كما ضـيق على الاتراك ليرضى احداث المغاربة فى الجيش ، وســلك سبيل التقشف حتى فى المطابخ الخاصة(١٣٥) . وصــار ابن عمار يدخل القصــر راكبا ويشق الدواوين حتى يصل الى الباب الذى يجلس عنده الخدم المختصــون بالخليفة ، ثم يعدل الى باب الحجرة التى بداخلها الحاكم . فينزل على بابها ويركب من هناك(١٣٦) . وفى هذا ما يدل على قمة استخفافه بهيبة الخلافة .

ثم وصــل استبداد المغاربة من موالى الدولة الى حد أن فكر بعضــهم فى قتل الخليفة الحاكم بأمر الله ، وحملهم على ذلك صــغر سنه وضآلة شأنه . ومن الغريب أن ثقة ابن عمار الزائدة بنفســه الى حد الغرور هى التى أنقذت الحــاكم من الهــلاك على أيدى المتطرفين من هؤلاء المغاربة . ففى حــوار دار بين ابن عمــار وبعضهم ، قالوا : « لا حاجة بنا الى امام نقيمه ونتعبد له » . فرد عليهم قائلا : «وما قدر هذه الوزغة حتى يكون منها ما نخاف»(١٣٧) . يعنى بالوزغة (مفرد أوزاغ) هنا الضعيف الفاشل اشارة الى احتقاره للخليفة وتصغيره لقدره .

ومن الملاحظ ان تطور الأمور على هذا النحو الخطــير لم يستغرق العام ، وسرعان ما بدات معاول الهدم تعمل اثرها فى مخططات ابن عمار والمغاربة منذ أوائل شهر شــعبان سنة ٣٨٧ هـ (أغسطس ٩٧٧ م) حتى تلاشــت احلامهم فى الســابع والعشرين

من ذات الشهر . ويرجع السبب فى ذلك الى كثرة الخصوم والى حدوث الفرقة داخل صفوف المغاربة . فبينما كان ابن عمار مشغولا بالتمهيد لنفسه ولاعوانه ، كان الاتراك — ومقدمهم منجوتكين — يعملون فى الخفاء للتخلص من استبداد المغاربة ، وسعوا الى برجوان الصقلبى — الرجل الثانى فى دولة الحاكم بأمر الله والوصى عليه منذ اخريات أيام العزيز بالله — لتنفيذ مآربهم(١٣٨) . ومع ان برجوان لم يكن شيخ طائفة من طوائف الجيش كابن عمار ، الا انه اشتهر بالدهاء والسياسة . فظهر اثناء فتنة ابن عمار بمظهر الحريص على صالح الخلافة وبالغ فى ذلك حتى انه كان « يحرس الحاكم ويلازمه ويمنعه من الركوب ولا يفسح له فى مفارقة الدور والقصور »(١٣٩) . وقد استفاد برجوان من عداوة الأتراك للمغاربة ، فبدأ بتحريض أعداد منهم على المجىء الى مصر من الشام لمحاربة المغاربة ، وقد لبى دعوة برجوان بعض القادة الأتراك منهم منجوتكين ، وشكر العاضدى(١٤٠) . واذا كان ابن عمار قد رد على ذلك بتسيير القائد الكتامى سليمان ابن جعفر واخيه على بن جعفر على رأس حملة هزمتهم قبل أن يدخلوا مصر — على نحو ما رأينا . فان برجوان أثار همم الأتراك من جديد كى يعيدوا الكرة على المغاربة ، مستغلا خلو القاهرة من معظم قوات ابن عمار . كما استمال اليه عبيد الشرى أو الشراء ، وهم طائفة من الجند ممن جلبوا من السودان بطريق الشراء(١٤١) .

وفى اطار استعدادات ابن عمار للقضاء على هذا التحالف سعى فى قتل زعماء الترك وبرجوان ، عن طريق التآمر عليهم(١٤٢) . ولكن برجوان علم بأمر هذه المؤامرة عن طريق جواسيسه المنتشرين بين رجال ابن عمار . ولا نستبعد أن بعضا من انصار ابن عمار قد نقل تفاصيل المؤامرة الى برجوان الأمر الذى أدى الى هزيمة ابن عمار وأعوانه المغاربة خلال المعارك التى دارت بينهم وبين

قوات الحلف المعادى بزعامة برجوان وكان يضم الأتراك والديلم مع العبيد السودان ، وذلك منذ العاشر من شهر شعبان ٣٨٧ هـ (أغسطس ٩٩٧ م) حتى اليوم السابع والعشرين منه(١٤٣) .

والذى يدعونا الى القول بأن الخلاف قد دب بين صفوف المغاربة ـ آنذاك ـ أن بعض شيوخ كتامة كرهوا ابعادهم عن السلطة وتقريب الأحداث . ولعل بعضهم ـ والمعتدلين منهم خاصة ـ كرهوا كذلك تطرف ابن عمار فى سياسته ، فكانوا بمثابة عيون عليه . والدليل على ذلك ما بدر من القائد الكتامى جيش بن محمد بن الصمصامة ـ حفيد جعفر بن فلاح لابنته(١٤٤) ـ فى حق ابن عمار ، اذ حنق عليه حينما استبدله بآخر على حكم مدينة طرابلس الشام ، فعاد الى مصر « واتصل سرا ببرجوان »(١٤٥) . كذلك وضح مدى التخبط فى سياسات ابن عمار حينما انقلبت عليه طائفة الباطلية المغربية ، التى شاركت العامة فى انتهاب ممتلكات ابن عمار أثر هزيمته أمام المشارقة وعبيد الشراء ، واضطراره الى الاستتار(١٤٦) .

وعلى هذا النحو انتهت محاولات المغاربة بقيادة الحسن بن عمار السيطرة على مجريات الأمور فى مصر ، أوائل عصر الحاكم بأمر الله . وكان الذى تولى افشال مخططاتهم تلك ـ فى غيبة الحاكم صغير السن ـ الأستاذ برجوان الصقلبى كبير الخدم فى القصر الفاطمى ، حسبما تقدم . ثم عمد برجوان ـ الذى انفرد بادارة شئون البلاد منذ ذلك الحين ـ الى تهدئة خواطر المغاربة ، وحاول أن يسترضيهم بالابقاء على مراكزهم فى القاهرة والأقاليم ، وأصدر أمانا عاما لقادة كتامة ووجوه المغاربة الذين اشتركوا فى الفتنة(١٤٧) بما فيهم خصمه ابن عمار ـ الذى ظهر من استتاره واعتكف فى بيته بالقاهرة منعزلا عن القصر وعن الناس بأمر من الحاكم ـ واطلق له برجوان كل مخصصاته اليومية والشهرية(١٤٨) .

وفى شهر رمضان من ذلك العام (سبتمبر ٩٩٧ م) جمع برجوان غلمان الأتراك ونهاهم عن التعرض لأحد من « الكتاميين والمغاربة »، وقبض على عريف طائفة الباطلية وألزمه باحضار ما انتهبه أتباعه من ممتلكات ابن عمار(١٤٩) . وحرص برجوان كذلك على زيارة قاضى القضاة محمد بن النعمان المغربى فى كل خميس من أيام الأسبوع أثناء مرض الأخير(١٥٠) .

عند هذا الحد بدا وكأن القائمين على رأس الادارة الفاطمية ـ وبالأحرى برجوان ـ قد تناسوا ما اجترمه المغاربة عامة وابن عمار خاصة فى حق الخلافة الفاطمية . فهل حقيقة ساد هذا الشعور جو العلاقات فيما بين الخلافة الفاطمية والمغاربة زمن الحاكم بأمر الله ؟

يتضح من سياق الأحداث التى تخللت عصر الحاكم بأمر الله أن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل على العكس اتسمت فترة حكمه بجو من التوتر والقلق نتيجة الحساسية التى سيطرت على فكر الخليفة الحاكم أثناء تعامله ـ فيما بعد ـ مع القيادات المغربية فى دولته ، كرد فعل لما بدر منهم . أما تصرفات برجوان السابقة مع ابن عمار وأنصاره فيمكن اعتبارها قد صدرت بوازع داخلى من برجوان الذى لجأ الى سياسة توازن القوى بين العناصر المتصارعة فى الدولة الفاطمية (المغاربة ، والأتراك والديلم ، وعبيد الشراء ، والنصارى) بهدف الجمع بين هذه المتناقضات فى اطار عام يتفق مع مصالح الخلافة الفاطمية أولا ، ثم مع مصالحه الشخصية بعد ذلك .

ومما لا شك فيه أن برجوان ـ بسياسته السابقة مع المغاربة ـ قد استمالهم الى جانبه ، مع كون الأتراك والديلم حلفاءه، بينما لم يكن السودان أو عبيد الشراء ـ حديثو العهد فى

خدمة الدولة — يرضـــون بأكثر من الابقاء عليهم آمنين كخدم فى القصـــور الفاطمية أو جنود يخدمون فى الجيش الفاطمى مقابل اجر معلوم ، وارتضى النصارى أن ينتدب أحدهم — ويدعى ابا العلا فهد بن ابراهيم — للعمل مســـاعدا ليرجوان وكاتبا له(١٥١) .

والدليل على أن برجوان تمكن من احتواء المغاربة تحت لوائه، انهم لم يعترضـــوا حينما سعى فى اجراء تعديلات ادارية وعسكرية بين صـــفوفهم . ففى شهر ذى القعدة من سنة ٣٨٧ هـ (نوفمبر ٩٩٧ م) اصـــدر برجوان قرارا بتعيين جيش بن الصمصامة — حليفه اثناء الصـــراع ضد ابن عمار — قائدا عاما على الجيش الفاطمى بالشـــام ، وعقد له على مدينة دمشق بدلا من خاله أبى تميم سليمان بن جعفر بن فلاح . فسلم الأخير القيادة لابن أخته جيش ، فور وصوله الى الشام ، ورحل بعسكره عن المدينة — فى ١٧ ذى الحجة من تلك السنة (ديسمبر ٩٩٧ م) — الى مدينة الرملة . ثم آثر العودة الى مصر — بعد ذلك — مع أخوه على بن جعفر بن فلاح ، فوصلاها فى شهر بيع الآخر سنة ٣٨٨ هـ (ابريل ٩٨٨ م) دونما احتجاج(١٥٢) . وذلك على غير المتوقع ، اذ يعد موقف برجوان هذا تدخلا منه فيما بين المغاربة . حقيقة انه استبدل مغربيا بمغربى آخر من نفس الأســـرة ، الا أن اختيار برجوان للقائد جيش بن الصمصامة — على وجه الخصوص — لتولى القيادة العسكرية فى الشام وامرة مدينة دمشق كان لابد أن يحدث استياء أو نحو ذلك بين المغاربة عامة فى مصر . وذلك بسبب تصـــرف ابن الصمصامة الماليء لبرجوان أثنـــاء صراعـــه ضد ابن عمار ، ولعله هو الذى اطلع برجوان والقائد شكر العاضدى على تفاصيل المؤامرة التى حاكها ابن عمار ضدهما .

ورغم هذه الاعتبـــارات ، مر هذا الموقف بغير تعقيب . مما يجعلنا نعتقد بأن برجوان حاول مجاملة المغاربة عامة — والكتاميين

خاصة ـ حينما أصدر فى شهر المحرم سنة ٣٨٨هـ (يناير ٩٩٨م) قراره بتعيين أحد قادتهم ـ ويدعى أبا الحارث فحل بن اسماعيل ابن تميم بن فحل ـ على مدينة صور ، أحد الثغور الساحلية بالشام ، « وقيد بين يديه وحمل اليه » (١٥٣) . وعندما توفي قاضي القضاة محمد بن النعمان بن حيون المغربي فى ٥ صفر سنة ٣٨٩ هـ (يناير ٩٩٩ م) ، سعى برجوان لدى الحاكم بأمر الله فى تولية أبى عبد الله الحسين بن على بن النعمان ـ ابن أخي القاضي المتوفى ـ بعد أن ظل منصب قاضى القضاة شاغرا مدة ١٩ ليلة (١٥٤) .

وضح ـ اذاً ـ ان برجوان قد نجح فى ارضاء كافة العناصر المتصارعة فى الدولة بشكل جعلها جميعا متساوية فى الانصياع له ، الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى انفراده بادارة شئون البلاد دون منازع من خلال منصبه كواسطة . كما عجل باظهار ميوله الحقيقية نحو الاستبداد بالأمر مستغلا ـ هو الآخر ـ صغر سن الخليفة وانه ما يزال عاجزا عن ادراك الأمور على حقيقتها . وشعر برجوان أن الوقت قد حان لكي يحقق ما كانت نفسه تتوق اليه من الولاية ، حسب تعبير المقريزى الذى وصف تصرفات برجوان الأخيرة بقوله : « لما بلغ النهاية قصر فى الخدمة » حتى وصل به الأمر الى درجة الاستخفاف بالخليفة الحاكم(١٥٥) .

عند هذا الحد ، وصل الأمر الى درجة من الخطورة لا ينبغى لخليفة مصر الفاطمى ـ الحاكم بأمر الله ـ السكوت عليها ، مهما صغرت سنه . فنحن الآن على مشارف سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) ومعنى ذلك ان عمره قد قارب ١٨ سنة(١٥٥ م) . ومن غير المعقول أن يستمر صغيراً هكذا ، او غير واع لحقيقة الأمور ، كما ظن برجوان ومن قبله الحسن بن عمار .

وواقع الأمر أن فترة صمت الحاكم بأمر الله ـ بسبب صغر سنه ـ واعتمادة على غيره من رجال الدولة في ادارة شئون البلاد ، قد أفادته كثيرا في التعرف على حقيقة نوايا المقربين اليه وسائر رجال الدولة ، ولهذا سهل عليه التعامل مع هذه النوعيات بالحزم الكافي • أو كما أشار ابن سعيد الأندلسي في تحليل دقيق لذلك بقوله : « وكان الأمر في مدة العزيز فيه انحلال وعفو كثير عن الناس ، فظنوا أن ذلك يجوز في مدة الحاكم • وجروا على رسمهم، فتجرد لهم منه مطلع على جميع أمورهم ، غير مطرح لعقوبة ، فهلك الجم الغفير منهم •• وكان في مدة أبيه الامام العزيز قد تكشف على أقوام ممن يطعن في الدولة ويسيء القالة فيها • فلما صارت له الخلافة ، انتقم منهم أشد انتقام وعمهم بالعقوبة •• » (١٥٦) ومع بعض التحفظات التي لنا على هذه الرواية بصدد الجزء الأول منها عن عصر العزيز بالله وما ارتآه ابن سعيد من سيادة العفو والانحلال خلاله (١٥٧) ، الا انها في مجملها تقدم لنا تحليلا صادقا لهذه المرحلة الهامة من مراحل العلاقات بين الخلافة الفاطمية وتيار المغاربة من موالي الدولة ، كما انها تضع القاعدة التي سار عليها الخليفة الحاكم بأمر الله في التعامل مع سائر رجال الدولة ، بما فيهم المغاربة •

واختار الخليفة الحاكم « مربيه وحاضنه » السابق، وواسطته الحالي ، الأستاذ أبا الفتوح برجوان ـ من بين رجال دولته ـ كي يفتتح به قائمة المضطهدين • فأوعز الى أحد خدام القصر ـ ويدعى ريدان الصقلبي ـ بقتله • وقد تمت مؤامرة قتل برجوان أمام أحد أبواب القصر الفاطمي ، في ٢٦ ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ (ابريل ١٠٠٠م) ، وأعقب ذلك بمصادرة أمواله (١٥٨) • ومع انتشار خبر مقتل برجوان ، سرت الشائعات بين سائر رجال الدولة أن الدور سرعان ما سيحل عليهم ، واختص المغاربة بالجانب الأكبر منها • ولم لا ؟ وقد ترسم برجوان خطى ابن عمار في الاستبداد

بالأمور دون الخليفة . الا انهم — على ما يبدو — لم يتوقعوا ان عقاب الحاكم لهم سيكون بهذه الصورة القاتمة : شاملا لا يفرق بين مذنب وبرىء ، قاسيا على غير المجهود .

ومن العوامل التى جعلت قادة المغاربة غير متوقعين لكل هذا : أن الحاكم بأمر الله بادر — صبيحة مقتل برجوان — باعلان وثيقة شفهية اعتبرها المغاربة وسائر رجال الدولة بمثابة عهد أمان لهم . وزادهم اطمئنانا أن الحاكم خاطبهم خلالها «بنفسه من غير واسطة »، أى مباشرة بغير حاجب ينقل اليهم أقواله . فبعد أن ألمع الحاكم فيها الى الأسباب التى دعته لتدبير مقتل برجوان ، ابتدأ بالالتفاف الى الكتاميين — وكانوا أبرز الحاضرين — قائلا : « والآن فأنتم شيوخ دولتى ، وأنتم عندى أفضل مما كنتم فيه مما تقدم » . وهو على ما يبدو عتابا لهم من نوع رقيق . ثم التفت الى الأتراك مشيرا الى انه محال عليه أن يفكر فى الحاق الأذى بهم وهم « فى مقام الأولاد » (١٥٩) . وساعد على ازالة بعض كآبة هذا المشهد من نفوس المغاربة ان أحد كبرائهم وهو أبا عبد الله الحسين بن جوهر الصقلى ، قد برز أثناء صدور هذا الاعلان فى حال عظيمة ، بتدبير الحاكم ومعرفته طبعا ، اذ « نزل وحده الى القصر وأذن للناس — الذين وقفوا بالباب — فدخلوا الى الحضرة » . مما جعلهم ينصرفون جميعا ، فور انتهاء هذا الاجتماع غير العادى والسنتهم تلهج بالدعاء للخليفة وقد قبلوا الأرض أمامه (١٦٠) .

ويلاحظ أن الخليفة الحاكم لم يبدر منه — حينئذ — أى اتجاه عدوانى تجاه المغاربة ، وحتى اليوم الخامس من شهر شوال سنة ٣٩٠ هـ (سبتمبر ١٠٠٠ م) ، ذلك اليوم الذى شهد مقتل الحسن بن عمار فى صورة مشابهة تماما لحادثة مصرع برجوان(١٦١) ، وما تبع ذلك من اسراف الحاكم فى الفتك بقادة المغاربة . الأمر الذى يطرح علينا هذا التساؤل : علام يدل التاخر

فى معاقبة قادة المغاربة الذين شاركوا فى فتنة ابن عمار ؟ قد يتبادر الى الذهن ان الخليفة الحاكم بأمر الله اراد بسكوته هذا أن يعطيهم فرصة اخيرة للتعايش معه فى جو سلمى يسوده الود والاخلاص فى العطاء • ولكى يثبت لهم حسن نيتــه تناسى أمر محاســبتهم عما اجترموه فى حق الدولة والخليفة ، وابقى على المناصب التى تحت أيديهم فى قطاعات الجيش والادارة • كما انه زاد فى اختصاصات بعضهم : فالقائد أبو عبد الله الحسين بن القائد جوهر الصقلى ــ الذى كان على ديوان البريد والانشاء منذ شهر شوال سنة ٣٨٦ هـ (أكتوبر ٩٩٦ م)(١٦٢) ــ جعله الحاكم شريكا لأبى العلاء فهــد النصرانى وعلى بن عمر العداس فى رئاسة الدواوين عقب مقتل برجوان مباشرة ، وخلع عليه الحاكم بالأموال والأنعام ولقبه بقائد القواد • (١٦٣) • وظل الحسين بن على بن النعمان متمتعا بكامل هيبته ومكانته فى الدولة كقاض لقضاة الديار المصرية ، منذ توليه هذا المنصب فى ٢٣ صفر سنة ٣٨٩ هـ (يناير ٩٩٩ م) اثر وفاة عمه محمــد بن النعمان(١٦٤) • واثر وفــاة القــائد جيش بن الصمصامة ــ وهو على امرة دمشق فى شهر ربيــع الآخر ســنة ٣٩٠ هـ (ابريل ١٠٠٠ م)ــ عهد الحاكم الى القائد الكتامى فحل ابن اسماعيل بن تميم بحكم المدينة ، فانتقــل اليها من صور ، واستمر حاكما لها الى حين وفاته بعد شهور قليلة من تلك السنة ، فخلفه على بن جعفر بن فلاح الكتامى فى حكم دمشق (١٦٥) ••

على أننا نشك كثيرا فى صدق هذا الزعم من جانب الخليفــة الحاكم بأمر الله ، ولا نملك الا القول بأننا أمام مخطط خليفى أحكمت حلقاته للايقاع بالمغاربة ــ من موالى الدولة ــ • وكانت الخطوة الأولى فيه تتطلب غض الطرف عما فعلوه آنفا وامرار الموقف على صورته الطبيعية ، مع الاكتفاء بهذا العتاب الرقيق الذى وجهه الحاكم لاكثر العناصر المغربية تورطا فى هذه الفتنة ، وهم الكتاميون•

ثم تلى ذلك اعطاء المغاربة المزيد من الثقة من خلال استمراره فى الاعتماد عليهم فى شغل وظائف الدولة المدنية والعسكرية . وربما قصد الحاكم من وراء ذلك أن يشعر المغاربة بالمزيد من الأمان حتى يسيروا على سجاياهم ويتخلوا عن حذرهم . ولا يخفى علينا أن الحاكم رغب كذلك فى اعطاء نفسه بعض الوقت لدراسة أبعـــاد ونتائج سياسته الجديدة معهم ، بسبب حساسية العلاقة فيما بين الخلافة وهؤلاء المغاربة الذين ـــ على الرغم مما سبق ما يزالون عصب الخلافة . وقد كان من الصعب ـــ بل محالا ـــ على الحاكم أن يبدأ بالانتقام من هذا الجيل قبل أن يطمئن الى وجود آخرين من بين الصفوف التالية يخلصون فى خدمة الدولة ، على الأقل فى الجيش ان لم يكن فى الادارة كذلك . وهو ما يؤكد لنا أن الحـــاكم بأمر الله ـــ رغم حنقه على المغاربة واستعداده النفسى لاتخاذ أشد الوسائل ارهابا معهم ـــ لم يكن ينوى استئصال شأفتهم تماما . فقط ـــ وبصورة اكثر حزما عن ذى قبل ـــ أراد أن يلقنهم درسا لا ينسونه فى تعاملهم مع الخلافة مستقبلا ، حتى لا يظلوا تياهين على الخلافة بماضيهم معها ، ويعيشوا كغيرهـــم من العنـــاصر المستحدثة فى خدمة الدولة الفاطمية . وأما مسألة وجوب تمييـــز الخلافة للعناصر المغربية القائمة فى الخدمة ، فهى من قبيل الالتزام الأدبى ، ويكون للخليفة الفاطمى وحده حق النظر فيها : اما بالوصل فى حالة الرضا ، وأما بالفصل فى حالة السخط .

وثمة دليل على أن فى الأمر مخططا روعى فيه دقة التنفيذ . يتمثل فى أن الاعلان الرسمى الذى أعلنه الحاكم وأمر باذاعته على منابر المساجد فى الفسطاط والقاهرة وجزيرة الفسطاط والجيزة ، بهدف تبرير مقتل برجوان ، قد خلا من الاشـــارة الى مضمـــون الاجتمـــاع الطـــارىء الذى عقد صبيحة مقتل برجوان الذى أعلن الحاكم فيه **خطبته الشفهية** التى ضمنها طمأنة الكتاميين ـ أبرز

الحاضرين — والأتراك الى عدم اتخاذ أية اجراءات معهم . ولذلك جاء هذا الاعلان العلنى فى صورة نشرة رسمية عادية تعلن للمصريين خبر مقتل برجوان ، وتطلب من فئات التجار وسائر الأهالى ان يقبلوا على معايشهم وينشغلوا بأمورهم وأن « من كانت له منكم مطالبة أو حاجة فليمض الى أمير المؤمنين بها ، فانه مباشر ذلك لكم بنفسه ، وبابه مفتوح بينكم وبينه » (١٦٦) .

وهذا الخطاب فى حد ذاته يبرز لنا امرين : أولهما ، أن الخليفة الحاكم بأمر الله قد قرر — منذ الآن فصاعدا — أن يباشر امور الحكم بنفسه دون تعويل على أحد من موظفى الدولة . وثانيهما ، ان الحاكم ربما أراد ان يعطى نفسه الفرصة للاخلال بما جاء فى خطبته الشفهية طالما انها لم تعلن على الملأ .

وجدير بالذكر أن سياسة الحاكم الصامتة ازاء التعليق على ما بدر من المغاربة أثناء فتنة ابن عمار ، قد بدات تؤتى ثمارهـا بين الأوساط المغربية القائمة فى الخدمة . فقد فسر بعضهم هـذا الصمت على أنه غفلة مستمرة وقع فيها الحاكم — صغير السن — وأصروا على استبدادهم . ومن هؤلاء : قاضى القضاة الحسين بن على بن النعمان الذى استغل اصطفاء الحاكم له ومواصلته بالعطايا والتكرمة الزائدة « فافرط فى مجاوزة الحد فى التعاظم » . ولم يكتف بذلك ، بل شرع فى الاستيلاء على الأموال المودعة كأمانـات فى ديوان القضاء (١٦٧) . ومن هؤلاء ايضا : القائد الكتامى جيش ابن محمد بن الصمصامة الذى زاد جوره وأسرف فى ظلمه لأهالى مدينة دمشق والقرى المحيطة بها ، حتى هرب كثير منهم عن البلد . ولولا وفاته المبكرة فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ (ابريل ١٠٠٠م) لكان للحاكم معه شأن آخر (١٦٨) . بينما فسر البعض الآخـر — من قادة المغاربة — هذا الصمت على انه مكيدة لهم ، وراحوا

يحترزون من غضب الحــاكم ، مثلما فعل قائد القواد الحسين بن جوهر الذى منع أن يلقــاه أحد فى الطريق أو فى داره كى يعرض عليه مسألته ، وأمرهم ان يعرضوا ذلك عليه فى القصر « فى موضع رسم له بالجلوس فيه » . وحرصا منه على تنفيذ رغبة الخليفة فى مباشرة امور الدولة بنفســه امتنع عن مقابلة أصحاب الحاجات الا بعد ان يدخلوا على الحاكم اولا « وتشدد فى ذلك لخوفه من غيرة الحاكم » (١٦٩) . وحرص أبناء القائد جيش بن الصمصامة على استدرار عطف الحاكم ، وخافوا آن يسعى للانتقام منهم جــراء ما فعله أبوهم فى حكم دمشق ، فحضروا الى مصر عقب وفــاته وقدموا الأموال التى خلفها لهم ، هدية للحاكم زاعمين أن والدهم كتب وصية بذلك . الا أنه رفض قبول هذه الأموال — وكانت تقدر بمائتى الف دينار — وأعادها الى ابناء جيش وأظهر لهم امتنانــه ودعا لهم بالبركة فيها (١٧٠) .

وعلى اية حال ، ما لبثت الأمور ان تكشفت على حقيقتها منذ الخامس من شهر شوال سنة ٣٩٠ هـ (سبتمبر ١٠٠٠ م) عندمـــا كشر الحاكم بأمر الله عن أنيابه وكشف عن حقيقة نواياه فى الايقاع بقادة المغاربة جميعا ســواء المحترزين منهم أم الذين ثبتت ادانتهم فعلا . فابتدأ برأس الفتنة والمتسبب فى ذلك كله ، أبى محمد الحسن ابن عمار ، ولم تعفه عن العقاب السنون التى قضاها وحيدا فى داره منعزلا عن مخاطبة أحد ، منذ انتهاء أمره فى ٢٧ شعبان سنة ٣٨٦ هـ (أغسطس ٩٩٧ م) . ويشير المقريزى الى أسلوب الامتهان الذى اتبعه الحاكم مع ابن عمار قبيل مقتله ، اذ صار يستدعيه الى القصر « من غير تعويل عليه فى النظر » وطوال عشرة أيام كاملة ، كان ابن عمار خلالها يحضر الى القصر « وينزل موضع نزول الناس » ويستمر فى جلوسه ككم مهمل الى وقت العشاء ، ثم يخرج اليه الأمر بالانصراف . حتى كان اليوم الذى قرر فيــه

الحاكم بأمر الله التخلص من ابن عمار ، فرصد له جماعة من الأتراك وقفوا له عند خروجه من القصر « فقتلوه ، واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه . وحمل الرأس الى الحاكم . ثم نقل الى تربته بالقرافة فدفن فيها »(١٧١) . واثر ذلك ارسل الحاكم بأمر الله الى ابن عم ابن عمار ، وهو ثقة الدولة الحاكمية يوسف بن أبى الحسين الكلبى والى صقلية ، يبرر قتله لكثرة ذنوبه وانحرافه عن العهد ، ويقول له : « الحمد لله قاطع الانساب بقاطع الأسباب اذ يقول وقوله هدى لأولى الألباب : يا نوح انه ليس من أهلك .. »(١٧٢) .

ثم تلت ذلك فترة هدوء — يمكن أن نطلق عليها مرحلة جس النبض — قصد الحاكم خلالها أن يتعرف على ردود فعل المغاربة نتيجة مصرع زعيمهم السابق الحسن بن عمار . ومن الغريب أن قادة المغاربة لم يحركوا ساكنا ازاء هذا الحادث . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى :

١ — أن العديد من كبار القادة المغاربة كانوا قد انفضوا عن ابن عمار وقت توليه السلطة لتطرفه الشديد ، ومبالغته فى الاعتماد على الناشئة من المغاربة .

٢ — أو أنهم كانوا قد اعتادوا اختفاءه عن الأضواء خلال المدة التى قضاها محددة اقامته فى داره ، بحيث سهل ذلك عليهم أن يتقبلوا فى هدوء نبأ موته .

٣ — أو أن ابن عمار كان يمثل آخر القادة المغاربة الثائرين ، بحيث لم يظهر من بينهم ثائر آخر تنتظم حوله صفوف المغاربة المطالبة بالثأر له . على العكس من ذلك نجد الآخرين وقد راح كل منهم يعيد حساباته — وبسلبية واضحة — مع نفسه حتى يغطى موقفه أمام الخلافة .

٤ — وربما كذلك يعود السبب فى هذا الهدوء الى نجاح مخطط الحاكم بأمر الله الذى أغدق عطاياه على الكثير منهم أثناء الاعداد لمقتل ابن عمار .

وأيا كانت الأسباب ، فان حادث مقتل الحسن بن عمار قد مر فى هدوء وبغير تعقيب ، حتى ان الخليفة الحاكم لم يضطر الى اعلان ملابسات الحادث لغير أفراد أسرة القتيل من بنى أبى الحسين حكام صقلية . وتخلل فترة الهدوء تلك — والتى استمرت منذ ٥ شوال سنة ٣٩٠ هـ (سبتمبر ١٠٠٠ م) حتى مطلع سنة ٣٩٤ هـ (٣ / ١٠٠٤ م) مبالغة الحاكم فى اغداق منحه وعطاياه على الشخصيات المغربية القائمة فى الخدمة . واختص بذلك قاضى قضاته الحسين بن على بن النعمان الذى زاد الحاكم فى اختصاصاته منذ سنة ٣٩١ هـ (١٠٠١ م) ففوض اليه « الحكم بجميع المملكة ، وكذلك الخطابة والامامة بالمساجد الجامعة ، والنظر عليها وعلى غيرها من المساجد . وولاه مشارفة دار الضرب ، والدعوة وقراءة المجالس بالقصر وكتابتها » . فصار « أول من أضيفت اليه الدعوة من قضاة العبيديين (اى الفاطميين) » (١٧٣) . كما أن الخليفة الحاكم أفرد الحسين بن جوهر قائد القواد فى منصب الوساطة منذ شهر رجب سنة ٣٩٣ هـ (مايو ١٠٠٣ م) ، حينما قتل شريكيه : أبا العلاء فهد بن ابراهيم النصرانى وأبا الحسين علي بن عمر العداس ، خلال تلك السنة بفارق شهر بين الأول والثانى (١٧٤) .

ثم فجأة وبغير سابق انذار ابتدأ الحاكم بأمر الله فى فتح ملف الحساب مع المغاربة القائمين فى الخدمة فى دولته ، وذلك مع حلول سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣/١٠٠٤ م) . فأوسع قادتهم قتلا . وشمل بعقوبته اعدادا ممن سبق لهم الخدمة فى عهد المعز لدين الله والعزيز بالله . وكانت وطأته شديدة على الكتاميين ، حتى انه

أحرق جثث بعضهم بالنار . وقد أورد المقريزى قائمة بأسماء من قتلهم الحاكم ، يهمنا منها أسماء الضحايا المغاربة ، أمثال أبى على عسلوج بن الحسن الدنهاجى ، وسليمان بن عزة ، ويخلف بن عبد الله ، ومحمد بن على بن فلاح ، ويحيى بن سلمان الكتامى ، وغيرهم . وقد أقدم يحيى بن سلمان — قبل مقتله — على اعطاء سما لأخيه على ، خوفا من أن يقتله الحاكم ويمثل بجثته ، واعترف بجريمته قائلا : « قتلته قتلة مستورة »(١٧٥) . ودفع هذا بأحد المؤرخين الى أن يصف فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله ب « عصر محنة كتامة » (١٧٦) .

وقد ضمت كذلك قائمة القتلى — الذين بلغ عددهم ١٩ شخصا — قلة من غير المغاربة ، أمثال : ابن ابى خريطة ، واسماعيل بن سوار من أصحاب برجوان ، وابى ابراهيم سهل بن كلس أخى يعقوب الوزير ، وابى غالب النصرانى أخى فهد بن ابراهيم (١٧٧) . وبالنظر الى الكيفية التى تمت بها هذه المذبحة يتضح لنا أن الخليفة الحاكم بأمر الله كان قد اتخذ جواسيسا له ، عرفوا بأصحاب الأخبار ، من بين رجال الدولة ، وانه اعتمد عليهم فى مراقبة سائر الموظفين . وقد وضح ذلك من خلال الملابسات التى أحاطت بمقتل أبى غالب النصرانى ، الذى حقد على الخلافة اثر مقتل أخيه فهد فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٣ هـ (أبريل ١٠٠٣ م) « فرفع أصحاب الأخبار عن أبى غالب كلمة تكلم بها ، فقتل وأحرق بالنار »(١٧٨) .

فهل بدرت من قادة المغاربة — قتلى هذه المذبحة — أمور رفعها هؤلاء الجواسيس الى الحاكم خلال الفترة التى سبقت مقتلهم ، وبالتحديد منذ مصرع الحسن بن عمار ، وبالتالى أوجبت قتلهم ؟ ثم أليس من المفترض أن يكون من بين هؤلاء الجواسيس أشخاص مغاربة — ممن وصفوا بالسلبية — رضوا بأن يتجسسوا

على اخوانهم تقربا للحاكم ورغبة فى اتقاء شره ، اذ من غير المعقول أن يرتكن هؤلاء القادة ــ الذين قتلوا ــ الى غير بنى جلدتهم فى التحدث بما يعتمل فى صدورهم ازاء مقتل ابن عمار ؟ وثمة خيوط تتجمع من خلال الاجابة بنعم على هذه الاستفسارات ، وتقدم لنا ــ بالتالى ــ تعليلا منطقيا يغطى الفترة من ٥ شوال سنة ٣٩٠ هـ ، وحتى حدوث هذه المذبحة فى سنة ٣٩٤ هـ .

فصمت المغاربة وامتناعهم عن التعليق على مصرع ابن عمار كان بمثابة الهدوء الذى يسبق العاصفة ، وتخلله أعداد بطىء للأخذ بالثأر قام به قادة المغاربة ــ وبخاصة الكتاميين ــ الذين حز فى نفوسهم مقتل زعيمهم ابن عمار . وقد تزعم هذا الاعداد أشخاص ممن كانوا قد آووا الى الظل منذ زمن ، أمثال عسلوج ابن الحسن وسليمان بن عزة . وعلى الصعيد الآخر كان الحاكم بأمر الله يتنسم اخبارهم ويتتبع تفاصيل اجتماعاتهم من خلال أشخاص مغاربة ، ممن خافوا مغبة منافرة الخلافة ، فرضوا بأن يخونوا رفقاءهم ويعملوا كجواسيس للحاكم تقربا له وزلفى . وعند شعور الحاكم ببوادر اكتمال المؤامرة ، رغب فى أن يكون هو البادىء ، فكانت مذبحة سنة ٣٩٤ هـ .

أما عن المؤامرة التى الجأت الخليفة الحاكم لاستخدام كل هذا العنف من أجل اجهاضها ، ووصلت بالعلاقات فيما بينه وبين المغاربة من موالى الدولة الى منعطف خطير ، فتتمثل فيما رواه المقريزى من أن الحاكم بأمر الله كان قد استشعر خطرا على حياته من أحد أفراد الأسرة الفاطمية ــ ويدعى عبد الأعلى بن الأمير هاشم بن المنصور ــ فاهتم برصد تحركاته من خلال بعض جواسيسه الذين اخبروه فى أخريات سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٣ م) بما يؤكد شكوكه فيه . ذلك أن هؤلاء الجواسيس نقلوا الى الحاكم

وقائع حوار دار بين الأمير عبد الأعلى وجماعة من ندمائه الذين خاطبوه فى أمر أحقيته بالخلافة ، وقال له أحدهم ما نصه : « لابد لك من الخلافة ، فأنت امام العصر » . فما كان من الحاكم الا أن « بعث الى من حضر المجلس ، فقتلوا وأحرقوا بالنار . وفيهم أولاد المغازلى ، وابن خريطة ، وأولاد أبى الفضل بن الفرات (الوزير السابق) ، وفتيان من كتامة . وتتابع القتل فى الناس من الجند والرعية بضروب مختلفة »(١٧٩) .

ومما لاشك فيه أن الحاكم بأمر الله قد كسب هذه الجولة اذ انه بهذا العمل الانتقامى الجماعى تمكن من كسر شوكة المغالين من المغاربة ــ وأعنى بهم الكتاميين ــ الذين لم يجدوا مفرا من بطش الحاكم الا أن يلجأوا الى أسلوب الاسترحام عسى أن يجدى فى رفع الغمة . فخرجوا فى شهر شعبان من تلك السنة (٣٩٤ هـ/مايو ١٠٠٤ م) الى باب الفتوح ــ فى الجهة الشمالية من سور القاهرة ــ « فترجلوا وكشفوا رؤوسهم واستغاثوا بعفو أمير المؤمنين » . فاستجاب لهم « وكتب لهم سجلا قرىء بالقصر وبالجوامع ، بالرضا عنهم واعادتهم الى رسومهم فى التكرمة » (١٨٠) . ونستطيع القول بأن الأمر قد تمهد كثيرا للحاكم بأمر الله فى أعقاب الحادثة ، اذ بات الجميع يتوجسون خيفة أن تشملهم سياسته الانتقامية وصارت فعلة الكتاميين الأخيرة مثالا احتذته بقية الطوائف المغربية مثل : الزويليين ، والبرقيين ، والجوذرية ، والصهناجيين (١٨١) ، الذين تجمعوا فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٩٥ هـ (يناير ١٠٠٥ م) أمام القصر . وشاركهم المشارقة ، وعبيد الشراء ، وطوائف عديدة من المصريين فى الحضور الى القصر . وراح الجميع يسألون الحاكم ان يصدر لهم عهودا بالأمان ، فأجابهم الحاكم الى ما طلبوا ، وأمر بكتابة سجلات أمان للجميع (١٨٢) .

وقد استمر الخليفة الحاكم بأمر الله فى سياسته الجديدة القائمة على ردع كل من تسول له نفسه بالمخالفة ، حتى هؤلاء الذين لم تثبت ضدهم الأدلة الكافية على تورطهم فى الخطأ ٠ وراح يطبق هذه السياسة على باقى عناصر الدولة ، الأمر الذى جعل فترة حكمه توصف بأنها عصر التطرف والارهاب ، وكان ذلك مدعاة لأن تنسج حوله الأساطير وتنسب اليه من الأعمال ما هو منها براء (١٨٣) ٠

وبصدد علاقته مع المغاربة من موالى الدولة نلاحظ أن أن الحاكم رغب فى اعادة الأمور الى طبيعتها مع قادتهم القائمين فى الخدمة ، فاستمر فى الاعتماد عليهم فى نواحى الجيش والادارة ٠ الا انه أراد أن يظهر لهم وبأسلوب عملى سريع طريقته فى اثابة المخلصين ومعاقبة المخطئين : فبينما أبقى على قائد القواد الحسين بن جوهر منفردا فى الاشراف على دواوين مصر من خلال منصبه كواسطة ، ولم يمسسه بسوء فى أعقاب حملته الانتقامية ، عمل الحاكم على الاطاحة بقاضى قضاته ومتولى دعوته الحسين بن على بن النعمان المغربى حينما ثبت عليه بالدليل القاطع انه استولى على الأموال المودعة فى ديوان القضاء رغم ان الحاكم كان قد اختصه بعطاياه منذ أن عهد اليه بمنصب القضاء « وشرط عليه العفة عن أموال الناس » ٠ ولم يكتف الحاكم بعزل الحسين عن كافة مناصبه فى ١٦ رمضان سنة ٣٩٤ هـ (يولية ١٠٠٤ م) ، بل قتله بعد ذلك واحرق جثته فى ٦ محرم سنة ٣٩٥ هـ (أكتوبر ١٠٠٤ م) فكان « أول قاض أحرق بعد قتله » (١٨٤) ٠ وجعل الحاكم بأمر الله ــ عوض الحسين فى القضاء ــ ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان الذى حاول أن يثبت للحاكم مدى اخلاصه فى عمله ، فتشدد فى أحكامه ٠ وكان اول ما بدأ به القاضى عبد العزيز أنه « أوقف جميع الشهود

الذين قبلهم ابن عمه الحسين(١٨٥) . ورفض التستر على مخالفة أحد الكتاميين لأمر العدالة وميل الأخير الى الصلف والتكبر حتى انه رفض الحضـور الى مجلس القـاضى لنظر احدى القضـايا المرفوعة ضـده وأهان رسـول القاضى • فرفع القاضى عبد العزيز هذا الأمر الى الحاكم • ولمـا كان الوضـع الراهن لا يسمح بمثل هذه التجاوزات فقد رد الحاكم على ذلك بأن أمر باحضـار هذا الكتامى « مسحوبا » الى مجلس القاضى بالفسطاط ، حيث الزم بالتنازل عن كل ما ادعاه خصمه عليـه • ثم أمر الحـاكم فشهر به فى شوارع القاهرة (١٨٦) . كذلك يذكر للقاضى عبد العزيـز أنه اجتهد قدر طاقته فى منع الفتن التى ما فتئت تشهدها شـوارع الفسطاط جراء مبالغة بعض غلاة الشيعة فى الاحتفـال بالمناسبات الخاصة بالفاطميين • من ذلك انه جمع الأشـخاص الموكل اليهم احياء ذكرى العاشر من المحرم (سنة ٣٩٦ هـ/ اكتوبر ١٠٠٥ م) وأمرهم بعدم الاعتـداء على الأهـالى تحت سـتار المبالغـة فى الاحتفال « وأن من أراد ذلك فعليه بالصحراء •• خوفـا من أن يجرى الأمر فيه على ما يجرى كل سـنة من تعطيل الأسـواق وخروج المنشدين الى الشوارع بالنواح والنشيد » . ثم ان القاضى عبد العزيز لم يكتف بذلك ، بل قبض على رجـل خالف هـذا التحذير ، وأمر بضرب عنقه على مشهد من الجمهور(١٨٧) • فكان من الطبيعى أن يمهد الحاكم بأمر الله لعبد العزيز بن محمد فى المدة التى قضاها فى منصب القضاء والدعوة حتى « ارتفعت كلمته » . وأذن له الحـاكم باستخلاف أبنائه فى مشاركته مهام منصبه • فصار ابنه الأكبر القاسم بن عبد العزيز يتصـدر مجلس القاضى بالجامع لسماع الأحكام والفصـل بين الخصـوم ، واختص ابنه الأصغر بالجلوس فى مجلس القضـاء الذى بمنزل القاضى عبد العزيز لتسجيل الوثائق القضائية (١٨٨) •

واذا كانت هى السياسة الجديدة التى أتبعهـا الخليفـة الحاكم بأمر الله تجاه عنصر المغاربة فى دولته ، فماذا كان رد الفعل المنتظر منهم ازاء ذلك ؟ •

تأثرت أوضـاع هؤلاء المغاربة كثيرا بهـذه الاجراءات التى اتخذها الحاكم بأمر الله ، بحيث يمكننا القول بأن نفوذهم كطبقة متميزة قد آذن بالانتهـاء منذ ذلك الحـين • وسـاعد على ذلك شعورهم بالخوف ازاء استمرار الحاكم فى الايقاع بقادتهم معتمدا على تأييد العناصر الأخرى التى كانت فى حالة تنافس مع المغاربة مثل الأتراك والديالمة ، والعبيـد السودان • فى حين استمر عدم التفاهم قائما داخل فئات المغاربة حتى صار من الصعب التنسيق بين قادتهم من أجل القيـام برد فعل حاسم ضـد العقوبات التى أنزلها بهم الحاكم •

وقد تأكد هذا الاتجـاه فيما بين هؤلاء المغاربة حينما خرج الكتاميـون وحـدهم ـ فى أعقـاب مذبحـة سـنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣/١٠٠٤ م) ـ الى باب النصر ورؤوسهم حاسرة لاستدرار عطف الحاكم وعفوه • حقيقـة أن باقى الطوائف المغربيـة حذت حذو الكتاميين والتفت حول القصر مع فئات عديدة من المصريين فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٩٥ هـ (يناير ١٠٠٥ م) مطالبة هى الأخرى بعهود أمان لها ، على نحو ما رأينـا ، غير انها لم تضطر الى فعل ذلك الا بعد أن سرت شائعـات بأن الحاكم على وشـك القيام بعملية ابادة جماعية لرجال الدولة ، وانه أعد للأمر عدته من خلال الشـونة التى أمر ببنائها تحت الجبل وتجهيزها بالسنط والبوص والحلفاء (١٨٩) • فكأن اتفاق الطوائف المغربيـة المتعددة فيما بينها ـ خـلال هذه الفترة ـ انما كان على الأسـلوب الذى سيتبعونه من أجل ابتغاء مرضـاة الخليفة فقط • أما ما عدا ذلك ،

فقد رأينــا طائفة الباطلية تشــارك العامة فى انتهــاب ممتلكات الحسن بن عمار • حتى الكتاميين أنفسهم فقد وضح ميل بعض المعتــدلين منهم ــ مثــل جيش ابن الصمصامة ــ الى مخالفــة ابن عمــار •

على أن الوضع الانهزامى الذى أمسى فيه المغاربة من موالى الدولة خلال الفترة الباقيــة من عصر الحــاكم بأمر الله لم يمنع طائفة مثل كتامة من اللجوء الى أســلوب المقاطعــة السلبية فى التعــامل مع الخلافــة والتقاعس عن نصرتها أثنــاء الشــدائد ، وبخاصة عندما استفحل أمر الثائر الوليد بن هشام الأموى المعروف بأبى ركوة فى ناحيــة برقة منذ منتصف سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) حتى منتصف ســـنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٧ م) (١٩٠) • اذ تشــير الروايات الى عدم جدية الفرقة الكتامية التى كانت ضمن حملة سيرها الحــاكم الى برقة فى القتــال الذى دار ضد قوات أبى ركوة فى شهر شعبان سنة ٣٩٥ هـ (مايو ١٠٠٥ م) . مما دى الى فشل هذه الحملة ومصرع قائدها التركى ينال الطويل بعد أن وقع فى الأسر (١٩١) • وترتب على ذلك ان تعاظم خطــر أبى ركوة وقواته بفضل ما غنموه من أموال وعتاد ، وبدأت سرايــاه تتردد على الصعيد وســائر أراضى مصر (١٩٢) • ورغم أن هذه الهزيمــة كان لها وقع شىء فى نفس الخليفة الحاكم ، الا انه كان مشغولا بالاعداد للقضــاء على هــذا الخطر ، ولم يلتفت لعقــاب هؤلاء المــارقين • فضــلا عن أن خططه فى الايقاع بأبى ركوة كانت تعتمد الى حد كبير فى تنفيذها على جهود القيادات المغربيــة الموجودة فى الجيش • ففى أواخر شــهر رمضــان ســنة ٣٩٥ هـ (يونيــة ١٠٠٥ م) استدعى الحاكم بأمر الله ــ من جبهة الشــام ــ القائــد الكتامى على بن جعفر بن فلاح ، وخلع عليه وسيره على راس فرقة من الجيش الى ناحيــة الجيزة وأمره بالمرابطــة فيها كخط دفاع

ثان • وقدر لابن فلاح أن يشـارك ببعض الأعمال التى أدت الى ترجيح كفة الخلافة (١٩٣) •

ثم ان الحاكم بأمر الله فوجىء ـ عقب القضاء على ثورة أبى ركوة فى شهر جمادى الآخرة سنة ٣٩٧ هـ (فبراير ١٠٠٧ م) ـ بانتشار الشائعات التى تفيد بأن الحسين بن جوهر ـ واسطة الخليفة ورئيس جهازه الادارى ـ وكذا عبد العزيز بن محمد بن النعمان ـ قاضى القضاة وداعى الدعاة ـ كانا على اتصـال بالثائر أبى ركوة (١٩٤) • مما جعـل الحـاكم يقلب ظهر المجـن لهاتين الشخصيتين المغربيتين ويعمل على الاطاحة بهما ومعاقبتهما بأشد أنواع العقاب • فهل حقيقة ما حدث ؟ •

يبدو لنا أن الحسين بن جوهر وصهره عبد العزيز بن النعمان قد راحا ضحية افتراءات كاذبة كادها لهما خصومهما الذين نرجح انهم اما كانوا من أصحاب الأخبار الذين استمروا فى امداد الحاكم أولا بأول بتقارير مفصـلة عن نشاط سائر موظفى الدولة (١٩٥)• أو من فريق النصـارى الذين أضير زعماؤهم من قادة المغاربـة مرتين : الأولى أيام الحسن بن عمار مع عيسى بن نسطورس فى شهر المحرم سنة ٣٨٧ هـ (يناير ٩٩٧ م) • والثانيـة حينما قتل فهـد بن ابراهيم فى شـهر جمـادى الآخرة سـنة ٣٩٣ هـ (ابريل ١٠٠٣ م) ، فقد ترتب على مقتله ان انفرد الحسين بن جوهر بالاشراف على الدواوين (١٩٦) •

وثمة حقائق تدعونا الى القول بأن الأمر محض افتراء وكذب على الحسين بن جوهر وصهره عبد العزيز بن النعمان ، منها :

١ ـ ان هذه الأقاويل تتنافى مع ما شاهدناه من كل منهمـا فور توليه منصبه • اذ من غير المعقول أن يبالغا فى عملهما مراعـاة

لهيبة الحاكم وخوفا من غدره وانتقامه ، ثم يتورطا فى مثل هـذا الأمر الخطـير ، وعلى نحو مكشـوف يجلب عليهمـا غضبه . ثم أن تعاطف الكثيرين من اهل القاهره والفسطاط معهما عند شيوع خبر عزلهما (١٩٧) ، لمما يدل على انهما استمرا نظيفى الأيـدى الى لحظة القبض عليهما •

٢ ـ ان اصحاب الأخبار هؤلاء كانوا قد تطاولوا على الناس كافـة ، وراحوا يفرضـون الاتاوات عليهم لئلا يشـوا بهم لدى الحاكم • حتى ان الحاكم نفسه « أمر بقتل أصحـاب الأخبـار عن آخرهم »وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ(يولية ١٠٠٩ م)(١٦٨) تجنبا لشرورهم ، وكى لا تزداد الحواجز النفسية بينه وبين سائر الرعية بسبب التقارير الكاذبة التى شرعوا فى تلفيقها •

٣ ـ أن الحسين بن جوهر أكد للحاكم ـ فى دفاعه ـ عن نفسه ـ ان أبا نصر منصـور بن عبدون النصرانى هو المسئول الأول عن ترويج هذه الشائعات • واشترط الحسين لكى يعود الى سابق مكانته فى خدمة الدولة ـ عندما عرض عليه الخليفة ذلك ـ أن يبعد ابن عبدون عن منصب الوساطة الذى تولاه فى أعقـاب صرف ابن جوهر بقليل . وكان مما قال الحسين : « انى احسنت اليه ايـام نظرى ، فسعى بى الى أمير المؤمنين ، ونال منى كل منال ، ولا اعود ابدا وهو وزير » (١٩٩) •

وعلى الرغم مما سبق فقد بدا واضحا أن مروجى الشائعات نجحوا فى الكيد لابن جوهر وابن النعمان ، أو أن الخليفـة الحاكم بأمر الله كان على استعداد لتصـديق ما قيل عنهما • فلم يجد الحسـين وعبد العزيز غير المجاهرة بالعصيان والفرار الى حيث ألهمهما الخصـوم ، فكانت وجهتهما أرض البحـيرة حيث استترا

عند عرب بنى قرة الخلفـاء السابقين لأبى ركوة (٢٠٠) . أو كما يقال : حتى تكون الميتة على حق !! فزاد ذلك التصرف من جانب الحسين وعبد العزيز فى اقنـاع الحاكم بثبوت التهمة عليهما ، ودفعه بالتالى الى تناسى اخلاصهما فى العمل ومبالغتهما فى ارضائه . وشرع فى الاعداد لقتلهما بأسـلوب ملتو قصد من ورائه ايهامهما بأنه لم يضع هذه الأقاويل فى اعتباره ، ولامتصاص حماس انصارهما من القيادات المغربيـة كذلك (٢٠١) . وخـلال ثلاث سـنوات كاملة ـ منذ ان عزلهما عن مناصبهما فى شهرى رجب وشعبان من سنة ٣٩٨ هـ (مارس ـ ابريل ١٠٠٨ م) ـ اتبع الحـاكم مع الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمـان أسـلوب الترغيب والترهيب : فتارة يبالغ فى الانعـام عليهما وعلى افراد أسرتيهما ويصدر سجلات بالأمان لهما ، وتارة اخرى يامرهمـا بأن يلزما داريهما أو يعتقلهما ويصـادر أموالهما ، ثم يفرج عنهما ، وهكذا حتى قتلهما دفعـة واحـدة فى ١٢ جمـادى الآخرة سـنة ٤٠١ هـ (يناير ١٠١١ م) (٢٠٢) .

ويلاحظ أن حادثة مقتل الحسين بن جوهر وصهره عبد العزيز ابن النعمان قد مرت بغير تعقيب من أحد المغاربة ، الأمر الذى يؤكد أن الحـاكم قد نجح فى تقليم اظافرهم الى درجة يمكن القول معها بأنهم صاروا ـ منذ ذلك الحين ـ تماما مثل اية طائفة أخرى استحدثها خلفاء مصر الفواطم فى دولتهم . وسـاعد على تحقيق ذلك ما اتخذه الحاكم من اجراءات خـلال شهر ربيـع الأول من سنة ٤٠٣ هـ (سبتمبر/اكتوبر ١٠١٣ م)لاعـادة تنظيم العناصر التى احتوتها دولته ، بشـكل يحقق المساواة بين الجميع فى الحقوق والواجبـات .

ففى اليوم التاسع عشر من هذا الشهر ، استدعى الحـاكم بأمر الله الحسـين بن طاهر الوزان (٢٠٣) ، وعرض عليه منصب

الوساطة • فأجاب الحسين بن الوزان بشرط أن يوافق أولا على طلبه الخاص باعادة تنظيم طوائف الجند في الدولة ، بحيث يصير لكل طائفة ديوان خاص بها ، ويتولى النظر في هذه الدواوين آزمة منهم ـ أى مشرفين من داخل كل طائفة ـ ثم يكون عمل الحسين بن طاهر هو الاشراف على هؤلاء الآزمة(٢٠٤) ، بواقع يوم معين لكل طائفة . أو كما قال المقريزى : « أن يكون لكل قبيل من طوائف العسكر زمام عليهم ، يرجعون اليه • ويكون نظره (أى الحسين) على الأزمة • فيجعل لكل طائفة يوما ينظر في أمورهم وخاصة زمامهم فقط » (٢٠٥) • وقد وافق الحاكم على هذا الأسلوب لأنه يكفل للدولة مراقبة الطوائف من خلال آزمتها أو المشرفين عليها • وخلع على الحسين بن طاهر واتخذه واسطة ولقبه بأمين الأمناء • ولا يخفي علينا أن الهدف الحقيقى من وراء هذا التنظيم كان يتمثل فى رغبة الدولة فى احكام سيطرتها على الطوائف جميعها عن طريق تفتيت وحدتها ، فلا يصير مثلا للفرق المغربية زعيما واحدا يجتمعون تحت امرته حتى لا يؤدى ذلك الى سهولة استبداده مثلما حدث مع الحسن بن عمار .

وكان من الطبيعى بالنسبة لطائفة مثل كتامة ان يكون زمامها فى ظل هذا النظام الجديد هو أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح الذى اتخذه الحاكم مقدما على جميع الكتاميين ، منذ اليوم الثانى من ذات الشهر (ربيع الأول ٤٠٣ هـ/سبتمبر ١٠١٢ م) وخلع عليه ولقبه بقطب الدولة وجعل له « النظر فى أحوالهم والسفارة بينهم وبين اميرالمؤمنين »(٢٠٦) • فكأن الحاكم بأمر الله قد بادر بتطبيق هذا الأسلوب مع الكتاميين وحدهم ، ثم جاء الحسين بن طاهر الوزان وطلب تعميم هذه الفكرة بين سائر الطوائف ، واشترط أن يؤول اليه الاشراف على الجميع ـ اذ انه ـ أى الحسين ـ كره

إن يتولى الوساطة فى الدولة وشئون الكتاميين محجوبة عنه الى على بن جعفر بن فلاح ٠٠ وكانت موافقة الحاكم بأمر الله على ذلك متمشية مع رغبته فى تحقيق التوازن بين جميع الطوائف ، على اساس ان اختصاص الخليفة بمتابعة شئون فريق بداته من شأنه أن يخل بهذه القاعدة ٠ ومن أجل تحقيق المزيد من الانضباط فى تطبيق هذه القاعدة ، أصدر الحاكم فى شهر رمضان سنة ٤٠٥ هـ (مارس ١٠١٥ م) قرارا « بأن يكون ما يرفعه الناس من حوائجهم فى ثلاثة أيام : يوم السبت للكتاميين والمغاربة ، ويوم الاثنين للمشارقة ، ويوم الخميس لسائر الناس كافة ، وأن يتجنبوا لقاء امير المؤمنين ليلا ونهارا بالرقاع (بمعنى ان ترفع هذه الحوائج الى جهة الاختصاص أولا) وما استصعب من ذلك ينتهى الى أمير المؤمنين » (٢٠٧) ٠ ولهذا لم يكن غريبا أن نرى فئات المغاربة وقد تواضع بهم الحال لدرجة أنهم شاركوا الأتراك فى مدافعة شرور العبيد السودان وعيثهم الفساد فى أنحاء مدينة الفسطاط خلال سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) الأمر الذى ادى الى الاقتتال بين الجانبين واندلاع الحرائق فى بعض نواحى المدينة ٠ فاضطر الحاكم الى التدخل لفض الاشتباكات وامر بابعاد العبيد عن الفسطاط (٢٠٨) ٠ ومعنى ذلك أنهم لم تعد لهم القدرة على حسم المواقف بمفردهم ٠٠

واثر اطمئنان الحاكم بأمر الله الى نجاح سياسته تلك مع المغاربة من موالى الدولة ، عاد من جديد الى الاعتماد على شخصيات منهم فى النهوض بأمور البلاد فعهد الى أبى الحسن على بن جعفر بن فلاح الكتامي بالاشراف على دواوين الحكم من خلال منصب الوساطة ، وذلك فى أوائل سنة ٤٠٦ هـ (منتصف ١٠١٥ م) (٢٠٩) ٠ ويلاحظ ان اختصاص على بن جعفر — دون غيره من قادة المغاربة — بهذا المنصب انما كان يسير وفق قاعدة الثواب والعقاب التى اتبعها الحاكم معهم ، فى أعقاب مذبحة

سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣/١٠٠٤ م) . اذ كان ذلك مكافأة لابن فلاح على جهوده فى خدمة الدولة والوقوف ضـد المعارضين لها فى مصر والشام : فالى جانب مشاركته فى القضـاء على ثورة أبى ركوة ، قام ابن فلاح بجهود رئيسية فى القضاء على فتنة أمير طىء حسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح بمدينـة الرملة ، حتى أخمـدها فى سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣/١٠١٤ م) (٢١٠) . ولم يكتف الحـاكم بتنصيب ابن فلاح واسـطة له بل سعى فى تكريمه على نحو زائد : فعاده فى داره أثناء مرضه وحمل اليه هدايا جمة ، وفعل نفس الشيء فى وقت لا حق . ومع حلول سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) زاد الحاكم فى اختصاصات ابن فلاح وخلع عليه لقب « وزير » ، بعد ان كان مجرد واسطة فصار لقبه « وزير الوزراء ، ذو الرياستين الأمر ، المظفر ، قطب الدولة » . مما جعله يوصف بأنه « كان اوجه الأمراء فى الدولة الحاكمية » (٢١١) . ورغم هذا فقد بات واضحا عدم استعداد الحاكم بأمر الله للتخلى عن سياسته المتشددة مع بعضهم الآخر ، الأمر الذى اشترك فى ادراكه قادة المغاربة جميعـا ودون استثناء . غير أن ردود أفعالهم اختلفت ازائه :

فبينما فر بعضهم من وجه الحاكم ، مثل ابن الدابقية(٢١٢) . لجـأ البعض الآخر الى أسـلوب المداهنة معه مثل الوزير ابن فلاح الذى اغرق نفسـه فى العمـل محـاولات اثبـات حسـن ولائه فى مختلف المناسبات ، فحينما تساءل الحاكم فى أحد مجالسـه عن فرار ابن الدابقية وقـال بتهكم للحاضرين : « متى تهربون ؟ » أجاب ابن فلاح على الفور بلباقة تحسب له : « يا أمير المؤمنين يهرب اليك لا عنك » (٢١٣) . فى حين دفع الخـوف والحذر من الاغتيال الفجائى بفريق ثالث من قادة المغاربة الى الامتناع عن الحضـور الى القصر ، وان اقتضت الضرورة فبكامل سلاحهم . وقد عبر هذا الاتجـاه الأخير أحد قادة كتامة ، ويدعى سيف الدولة

ذو المجدين حسين بن على بن دواس ، الذى نرجح انه خلف ابن فلاح فى الاشراف على ديوان الكتاميين ، لانشغال الأخير بأمور الوزارة • وذلك تعليلا لوصف ابن الأثير له بأنه كان « قائد كبير من قواد الحاكم » (٢١٤) • فكان هذا القائد لا يرتاد القصر او يغشى المواكب الرسمية « حذرا على نفسه » (٢١٥) • ثم انه حضر الى القصر ذات يوم ، وهو على ظهر فرسه ، بعد أن اصر الحاكم على استدعائه ، وعندما عتب عليه الحاكم تأخره ، صارحه ابن دواس بانه خدم الدولة منذ عهد قديم وله حقوق يجب ان تراعى وأن سلامته تقتضى منه أن يحترز قليلا ويتحفظ من مثل هذه الدعوات المفاجئة ، وانه يفضل أن يبقى فى بيته بين أهله وعبيده مستور الحال • وأوضح الأمر للحاكم قائلا : « ••• وقد قام فى نفسى أنك قاتلى ، فأنا مجتهد فى دفعك بغاية جهدى • وليس لك حاجة الى حضورى فى قصرك • فان كان باطن رأيك مثل ظاهره فدعنى على حالى ، فانه لا ضرر عليك فى تأخرى عن الحضور الى قصرك • وان كنت تريد بى سوءا ، فلئن تقتلنى فى دارى بين أهلى وولدى يكفوننى أحب الى من أن تقتلنى فى قصرك وتطرحنى تأكل الكلاب من لحمى » •• فلم يعلق الحاكم على هذا الجواب ، فقط تبسم متعجبا من جرأة ابن دواس وصراحته (٢١٦) •

وهذا يعنى أن الفترة الأخيرة من خلافة الحاكم بأمر الله قد شابها الكثير من التوتر فى العلاقات بينه وبين المغاربة القائمين فى الخدمة • ولم لا ؛ وهى تعد حصاد ما سبق من مواقف حاسمة تخللت عصر الحاكم منذ بدايته • ومما زاد فى حدة ايقاعاتها أن أوجه أمراء الدولة الحاكمية ــ وهو وزير الوزراء على بن جعفر بن فلاح ــ قد لقى مصرعه نتيجة حادث غريب وقع له فى آخر شهر شوال سنة ٤٠٩ هـ (فبراير ١٠١٩ م) عندما ترصد له فارسان

متنكران فى أحد شـوارع القاهرة ، ورماه احدهما برمح فجرحه وألجأه الى الرجوع الى بيته حيث بقى فترة يسيرة ، توفى على أثرها متأثرا بجراحـه • أما القاتـلان ففرا ولم يعثر لهمـا على أثر (٢١٧) • وقد دفـع الغموض الذى اكتنف الحـادث بأحـد المؤرخـين لتأكيـد أن الخليفـة الحـاكم كان وراء تدبيره . وذكر أن الدافع وراء هذه الجريمـة يرجع الى أن الحاكم « لم يطمئن اليه بسبب علو مقامه » (٢١٨) • ورغم ضعف هذا السند ، على أساس أن ابن فلاح لم تنسب اليه شبهة ما ، كما أن الحاكم — الذى كان سـببا فى اعـلاء شـأن ابن فلاح — لم يكن مضطرا لاستعمال أسـلوب القتـل معـه ، ورغـم هـذا فان ظـروف عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين تجعلنا نميل الى هـذا الرأى . وذلك أمر كان له أكبر الأثر فى نفوس باقى المغاربة — من موالى الدولة — الذين أدركوا انه لا الفرار من وجه الحـاكم ولا مداهنته قد كفلا لهم الأمان من بطشه ، وبات أملهم معقودا على الوسيلة الثالثة التى عبر عنها سيف الدولة ابن دواس — أثناء حـواره الغاضب مع الحاكم — بقوله : «وأنا مجتهد فى دفعك بغاية جهدى» . وهذا فى حد ذاته يعنى أن محـاولة جدية لدفع هذا الاضطهاد على وشك أن تتم ، حتى لوأدت الى التآمر على حيـاة الخليفـة • وهذا بالفعل ما حدث فى ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ (فبراير ١٠٢١ م)، عندما فقد الحـاكم بأمر الله أثناء احدى جولاته التى اعتاد القيـام بها فى جبل المقطم مع حلول الظـلام • وقد أجمعت الروايات على أن الحـاكم راح ضحيـة مؤامرة دبرتهـا سـت الملك — أخت الخليفة — بالاشتراك مع سيف الدولة الحسين بن دواس زعيم الكتاميين وناظر ديوانهم (٢١٩) •

• فقد حقـدت ست الملك على أخيهـا التضييق عليهـا بهدف الحد من تدخلها فى شئون الحكم واهتمامها بالسيـاسـة ، وقيل

انه اتهمها فى أخلاقها وبانها تسمح ببذل نفسها الى الرجال حتى انه قرر عرضها على القابلة للتثبت من عذريتها • وبادرت بالاتصال بابن دواس الذى وطن نفسه على كره الحاكم « لانه (أى الحاكم) رام قتله دفعات » ، ووصل الأمر بابن دواس الى انه اعتصم مع نفر من اصحابه بداره ، واستعدوا بالسلاح للدفاع عن أنفسهم اذا ما فكر الحاكم فى أخذهم قسرا (٢٢٠) • وخلال الحديث الذى دار بين ست الملك وابن دواس اتفقا على أن يعهد الأخير الى نفر من اتباعه المخلصين بقتل الحاكم أثناء خروجه الى الجبل • ومن الطريف ما أشار اليه ابن تغرى بردى من أن ست الملك أعطت الرجلين الذين تم اختيارهما لهذه المهمة « سكينين من عمل المغاربة ، تسمى الواحدة منهما يافورت ، ولها رأس كرأس المبضع الذى يفصد به الحجام » (٢٢١) • وقد تمت الخطة وفق الترتيب السابق ، ولم يرجع الحاكم بأمر الله من جولته هذه الليلة • ورغم أن دوريات البحث ـ التى خرجت لاقتفاء أثره ـ لم تعثر على جثة الحاكم ، الا انهم استدلوا على مقتله من دابته التى وجدوها مقطوعة اليدين وثيابه المخضبة بالدماء وآثار الطعنات واضحة فيها (٢٢٢) •

والحق ان وقوع قصة التآمر هذه بين ردهات القصر الفاطمى ، واضطلاع افراد من الأسرة الفاطمية بها ، لمما يبرز حقيقة هامة تتلخص فى أن قادة الفرق المغربية ـ حتى الفئات الأكثر استعدادا للثورة منهم ، وهم الكتاميون ـ قد افتقدوا روح المبادأة التى اشتهروا بها فى المطالبة بحقوقهم أو دفع الظلم الواقع بهم ، على العكس مما رأيناه منهم أيام الحسن بن عمار • أو بمعنى آخر : صار المغاربة ـ من موالى الدولة ـ تماما مثل الطوائف الأخرى المستحدثة فى الخدمة (المشارقة والسودان) بمثابة أدوات لتنفيذ رغبات أفراد البيت الفاطمى ، حتى فى الأمور التى يعد تنفيذها ـ وفقا للمنهج الذى وضعه الحسن بن عمار ـ من

ضرورات تأمين الوجود المغربى فى كيان الدولة الفاطمية فى مصر . فكان ابن دواس ، رغم حدة مزاجه وتقبله سياسة الحاكم بأمر الله معه بشكل أظهره فى صورة الزعيم الثائر بين صفوف المغاربة ، وميزه دون غيره كى تختاره ست الملك للتخلص من الخليفة ، (فكأنه) لم يكن ليجرؤ على ما أقدم عليه بغير تشجيع من أخت الخليفة له ومكاشفته له فى هذا الأمر ، وتعهدها له بأن يصبح المتصرف الأول فى شئون الدولة ، ان هو نجح فى مهمته (٢٢٣) . وهذا التحول الخطير فى وضع هؤلاء المغاربة يدل على مدى نجاح الحاكم بأمر الله وسياسته فى كبح جماح قادتهم والحد من تطلع بعضهم نحو الاستبداد . ومما زاد فى تثبيت هذا الاطار الضيق الذى فرض على هؤلاء المغاربة أن عدم التفاهم فيما بينهم استمر قائما بشكل جعل حركة ابن دواس الكتامى تبدو وكأنها حركة فردية . وقد وضح هذا عندما سمحت ست الملك فى التخلص من ابن دواس وأعوانه الذين قتلوا الحاكم ، بعد ان ضمنت استقرار الأمور لابن أخيها أبى الحسن على بن الحاكم ، الذى تولى الخلافة عقب مصرع أبيه ، وتلقب بالظاهر لاعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ/١٠٢١ - ١٠٣٦ م) . فرغم أن ست الملك دبرت مقتل الحسين بن دواس على مرأى ومسمع من قادة الدولة جميعا ، واستمرت جثته ملقاة على الأرض ثلاثة أيام حتى دفنه عبيده ، ولم تكتف بذلك بل أمرت مناديا ينادى فى الطرقات بأن « هذا جزاء من غدر مواليه » ، ثم أمرت بمصادرة أمواله وسائر ممتلكاته ، ورغم هذا كله « فلم يعترض فيه (أى فى حادث مصرع الحسين) معترض » (٢٢٤) .

ومن الملاحظ أن هذا الصمت - من جانب قادة الفرق المغربية ، حتى الكتاميين - والذى كان دلالة على اهتزاز وضعيتهم فى الدولة آنذاك ، قد طال بحيث شمل فترة حكم الخليفة الظاهر

كلها ، نتيجة سياسة تقديم العبيد والمشارقة على حساب المغاربة .
وهو ما اتفق عليه القائمون على شئون الخلافة فى عصر الظاهر .
ويكفى ان نعرف ان التى تولت تدبير أمور الدولة فى مطلع حكم هذا الخليفة — لصغر سنه — هى السيدة الشريفة ست الملك صاحبة الفضل فى مأساة ابن دواس الكتامى . فقد صارت تتحكم فى كل شىء بحيث « لا ينفذ أمر جل أو قل الا بتوقيع يخرج عنها » ، حتى توفيت اوائل سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤م) وقد « عظمت هيبتها فى نفوس الأباعد والأقارب » (٢٢٥) . وأثر وفاتها سيطر على الدولة أربعة أشخاص يتضح من أنسابهم انهم ليسوا مغاربة (٢٢٦) ، حتى استطاع أحدهم — وهو ابو القاسم على بن احمد الجرجرائى — أن ينفرد بالسلطة ، عندما أصبح وزيرا للخليفة الظاهر فى شهر ذى الحجة من سنة ٤١٨ هـ (يناير ١٠٢٧ م) (٢٢٧) . وقد أورد المسبحى — أحد مؤرخى مصر الفاطمية المعاصرين لهذه الفترة — أمثلة عديدة على تدهور أوضاع هؤلاء المغاربة فى صفحات عديدة من يومياته (٢٢٨) .

فمنذ البداية نجد اشارة هامة الى قيام أحد موظفى الدولة — وكان يدعى أبا القاسم المرتجى المشرف على ديوان الخراج — باختلاس مبلغ خمسة عشر الف دينار من ديوان الكتاميين وحده . ورغم ضخامة هذا المبلغ فان أمره لم يفتضح الا على يد أحد كتبة الديوان وحتى فى ذلك فقد اكتفى بتنحية أبى القاسم عن منصبه وعهد به الى ذلك الكاتب . وقد تمت هذه الواقعة فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٤١٤ هـ (سبتمبر ١٠٢٣ م) (٢٢٩) . والأهم من ذلك أن ديوان الكتاميين خضع لاشراف أشخاص ليسوا كتاميين ، أو حتى من باقى طوائف المغاربة . فتشير الروايات الى ان مباشرة أمور هذا الديوان قد

انتقلت فى يوم الثلاثاء ٢٣ صفر سنة ٤١٥ هـ (ابريل ١٠٢٤ م) ، من يد الأمير شمس الملك مسعود بن طاهر الوزان ــ أخى الحسين ابن طاهر واسطة الخليفة الحاكم ــ وجعلت فى يد القائد عز الدولة أبى الفوارس معضاد الخادم ، أحد الأربعة الكبار الذين سيطروا على الادارة فى عصر الظاهر (٢٣٠) ٠ وقد استخدم القائد معضاد فى تدبير أموال هذا الديوان صنائع له ، أمثال : أبى اليسر اصطفن ــ أو اصطخر ــ بن مينا الأسيوطى ، وصدقة بن يوسف الفلاحى اليهودى ، وصاعد بن مسعود (٢٣١) ٠ وقد تمت هذه الاجراءات دونما اعتراض من الكتاميين ، رغم أنها من صميم اختصاصاتهم ٠

وليت الأمر اقتصر على ذلك ، فقد خضعت القيادات المغربية التى سمحت لها الظروف بتولى بعض المناصب الهامة فى الدولة لاشراف عناصر أخرى من طبقة العبيد السودان . فيشير المقريزى الى انه فى يوم الخميس الموافق ٤ رجب سنة ٤١٥ هـ (سبتمبر ١٠٢٤ م) تم تعيين بقى الخادم الأسود وأحد أتباع القائد السودانى بدر الدولة نافذ فى منصب الشرطتين العليا والسفلى (أوشرطة القاهرة والفسطاط) ، وكذا فى منصب الحسبة (٢٣٢) ٠ وبالنظر الى من كان يشغل هذه المناصب من الشخصيات الكتامية ومدى كفاءة كل منهم يتضح لنا أن هذا القرار قد جانبه الصواب :

فمنصب الحسبة : كان قد تولاه دواس بن يعقوب الكتامى قبل ذلك بعام (وبالتحديد منذ يوم الأحد ٥ رجب سنة ٤١٤ هـ/ سبتمبر ١٠٢٣ م) وظهرت كفاءته فى ضبط المتلاعبين بالأسعار من طوائف الخبازين وبائعى الدقيق والطحانين الذين حاولوا استغلال الأزمة الاقتصادية التى كانت تمر بها البلاد آنذاك ٠

مما ترتب عليه ان « ظهرت الأخباز ، واستقامت أحوال الناس » (٢٣٣) • ويتضح مدى الخطأ فى تنحية دواس بن يعقوب عن الحسبة عندما نلاحظ أن بقي الخادم كان مفتقدا لما لسلفه من لباقة وحزم فى التعامل مع هؤلاء الحرفيين ، مما أدى الى أن « غلقت الطواحين والحوانيت جميعها ، وأصبح البلد فى يوم الجمعة خامسه (أى خامس شهر رجب ٤١٥ هـ) على حال صعبة من تعذر الأخباز وعدم الدقيق » • فاتجهت الأنظار من جديد نحو ابن يعقوب الكتامى ليلى منصب الحسبة من جديد ، وتم استبعاد بقى الخادم عن هذا المنصب فى يوم السبت السادس من ذات الشهر ، بعد أن « اقام يوما واحدا » (٢٣٤) •

وبدلا من أن يثير هذا التصرف سخط دواس بن يعقوب على الدولة ، نجده قد استمر على الطاعة والاخلاص فى عمله ، مما ساعد على أن يتمهد له الأمر فى منصب الحسبة حتى انه سمح له باستخلاف نصر بن أبى نصر الكتامي ــ زوج ابنته ــ فى الاشراف على الحسبة (٢٣٥) • ويبدو أن القائمين على الحكم قد اطمأنوا الى طاعة ابن يعقوب وكفاءته وحزمه فعهدوا اليه بالاشراف على ديوان العرائف ــ وهو الديوان الذى ينتظم فيه مقدمو طوائف الدولة أو عرفاؤهم ــ وذلك فى أواخر سنة ٤١٥ هـ (أوائل سنة ١٠٢٥ م) (٢٣٦) • ورغم خطورة المسئولية التى ألقيت على عاتق ابن يعقوب الا أننا نلاحظ أن المعوقات التى حالت دون قيامه بمهام منصبه الجديد ــ على خير وجه ــ كانت أكبر • ففى يوم السبت ١٢ ذى الحجة سنة ٤١٥ هـ (فبراير ١٠٢٥ م) قام العبيد السودان بعمليات نهب واسعة النطاق فى بعض نواحى الصعيد الأدنى ــ أو اقليم مصر الوسطى ــ وكانت من الخطورة بحيث « حصل لرجل واحد (منهم) تسعمائة رأس من البقر وثلاثة آلاف رأس من الضأن »(٢٣٧) • وعندما رفع دواس

ابن يعقوب الخبر الى الجهات العليا ، فوجىء برد القائد معضاد الخادم أن ذلك « متقبل من عبيد مولانا » . فآثر ابن يعقوب السكوت « ولم يجبه خوفا من سطوته » (٢٣٨) . ويعلق المسبحى على ذلك قائلا : « وكان فى هذا الجواب ما فيه من فساد الأحوال واطماع العبيد فى النهب » (٢٣٩) .

وبالنسبة لمنصب الشرطة : فقد كان شافى الدولة (أو سامى الدولة) أبو طاهر بن كافى الكتامى ــ متولى شرطة الفسطاط ــ مثالا للعامل المجتهد المخلص فى عمله (٢٤٠) حتى احتيج لجهوده من اجل ضبط الأمن بمدينتى تنيس ودمياط اللتين سار اليهما فى شهر جمادى الأولى سنة ٤١٥ هـ (يولية ١٠٢٤ م) (٢٤١) . ومع ذلك فثمة اشارة تفيد أن وجوده فى منصب شرطة الفسطاط انما كان من قبل بدر الدولة نافذ الخادم ، ومخدوم بقى الأسود (٢٤٢) . ويبدو أن الدولة كانت فى حاجة الى جهود أفراد من أسرة ابن كافى الكتاميين(٢٤٣) من أجل ضبط الأمن فى العاصمة بعد خروج أبى طاهر الى مدينتى تنيس ودمياط الأمر الذى جعل بدر الدولة نافذ يستخلف جلال الدولة ابن كافى ــ اخا أبى طاهر ــ على الشرطتين العليا والسفلى معا ، فور خروج أخيه مباشرة (٢٤٤) .

فلما صدر قرار تولية بقى الخادم على الشرطتين ــ الى جانب الحسبة والذى صدر فى ٤ رجب سنة ٤١٥ هـ ــ كان ذلك بمثابة اجحاف بجلال الدولة ابن كافى ، الذى يبدو انه أثبت كفاءة خلال الشهرين اللذين تولى فيهما هذا المنصب ، ولذا فضل بدر الدولة نافذ اعادته مرة أخرى على الشرطتين . وذلك بعد أن ثبت فشل غلامه بقى فى ضبط الأمن بالعاصمة ، كما فشل من قبل فى النهوض بأعباء منصب الحسبة .

ومن العجيب ان جـلال الدولة ابن كافى لم يغضب من هذا الاجراء ـ تماما مثل دواس بن يعقوب المحتسب ـ واستمر على طاعته واخلاصه فى مباشرة عمله · والذى وصل فيه الى درجـة من الاتقان جعلته يكشف عن سر مصرع أحد التجار المقيمين بمدينة الفسطاط ـ وكان يدعى أبا الحسن السوسنجردى ـ وخادمـه ، فى نفس اليوم الذى وجدا فيه مذبوحين (الأحد مستهل ذى القعدة سنة ٤١٥ هـ / يناير ١٠٢٥م) (٢٤٥) · ونلاحظ أنه بعد أن تم لابن كافى التوصل الى معرفة القتلة ، وكانوا جماعة من اللصوص ، وتمكن من القبض على أحدهم ، « استأذن فى ضرب رقبته · فأمر بذلك · فضربت رقبته »(٢٤٦) · مما يدل على طاعة جلال الدولة وحرصه على استطلاع رأى الدولة فى مثل هذه الأمـور ، حتى لا ينسب اليه أنه انفرد باتخاذ القرار · والذى يدعو للدهشة أنـه على الرغم من كل ذلك ، فان التكريم فى كافة المناسبات كان من نصيب بدر الدولة نافذ الخادم ، الذى كان يظهر اثناء الاحتفالات الرسمية متكئا على « مرتبة ديباج ملكى ، وابن كافى قائما بين يديه »(٢٤٧) ·

وربما كانت هذه الطاعة ، وذاك الاخلاص من جـانب هذه القيادات الكتامية ـ مع ما لهذه العصبية من أهمية خاصة فى حماية الدولة والنظام ـ دافعا للقائمين على الحكم فى عصر الظاهر على الاستمرار فى الاعتماد على شخصيات كتامية فى مجال الادارة المحلية وحكم الولايات . خاصة فى جبهة الشام الذى كان يعانى من قلاقل واضطرابات سادته خلال هـذه الفترة ، وكان مبعثها القبائل العربية المقيمة هناك من فروع طىء وكلـب وكـلاب ، وكـذا الروم (٢٤٨) . بيد أننا نلاحظ أن المقصد من وراء هذه التعيينات ، الى جانب الاستفادة من جهود الكتاميين ذوى العصبية القوية فى تأمين الوجود الفاطمى فى الشام ، أن يتم استبعاد هذه العناصر

خارج العاصمة ، بل مصر ، تجنبا لاية قلاقل قد تصدر عنهم . والدليل على ذلك أن الطوائف المغربية الاخرى مثل الباطلية والبرقية وغيرهم ، قد أبقى عليهم في العاصمة وضواحيها . وقدموا يد العون لمساعدة الدولة خلال الازمات التى واجهتها آنذاك ، مثل فتنة الثائر المعروف بالخارجى فى الصعيد الاعلى ، اذ كان من بين جنود الحملة التى سارت لاخضاعه فى شهر المحرم سنة ٤١٥ هـ (مارس ١٠٢٤ م) عناصر من البرقيين والباطلية وغيرهم (٢٤٩) .

وعلى اية حال فان وجود شخصيات كتامية فى الخدمة لم يمنع من تردى الحال بجماعات المغاربة — بما فيهم الكتاميين أيضا — فى مصر خلال عصر الظاهر لاعزاز دين الله . ووصل الأمر بهم الى درجة كبيرة من السوء بسبب تأخر صرف مستحقاتهم المالية ، أو انها لقلتها لم تعد توفر لهم سبل العيش الكريم . حتى انهم اضطروا فى بعض المناسبات لأن يتقدموا بشكواهم الى الخليفة الظاهر آملين ان يتدخل شخصيا فى حل مشاكلهم . فعندما جلس الظاهر فى قصره — يوم الاحد ٥ شعبان سنة ٤١٥ هـ (اكتوبر ١٠٢٤م) — ودخل الناس للسلام عليه انبرى الكتاميون فى شرح أحوالهم الاجتماعية السيئة ، وتولى الحديث نيابة عنهم شيخهم المدعو أبو عيسى بلابان بن عساس بن ينوط الكتامى(٢٥٠) وجلال الدولة ابن كافى المستخلف على الشرطتين . وقد أوضح ابن ينوط كيف أن الكتاميين — والمغاربة جميعا — صاروا على وشك الهلاك بسبب الجوع والفقر وأنه « ليس لواجد منا حال يرجع اليها » ، وانهم اذا استمروا على ذلك فلن يستطيعوا القيام بواجباتهم لصالح الدولة والانتصار لها عند الشدائد . وربما قصد ابن ينوط أن يبالغ فى حديثه لعله يلفت الانظار الى جدية شكواه ، ومع ذلك فانه لم يجب الى طلبه (٢٥١) . فقط ، وعندما الحت ظروف الشام على ادارة الظاهر ان تلجأ للكتاميين ، أعلن القائد عز الدولة

معضاد الخادم الأسود فى ٢٩ شعبان ، السنة (نوفمبر) ، عن عزم الخلافة على استدعاء الكتاميين والاتراك وسائر الجند لامدادهم بالسلاح اللازم . فكان رد الكتاميين على هذا : « قد شغلنا الجوع وطلب الخبز عن هذا »(٢٥٢) . وتلا ذلك محاولة اخرى لجذب انتباه الخليفة الظاهر الى سوء أوضاع المغاربة ، قام بها ابو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة الكتامى ، الذى تدهور حاله بعد أن عاش منعما بالأموال التى كان أبوه جيش قد اوصى بأن تؤول الى الخليفة الحاكم بأمر الله ، وامتنع الحاكم عن قبولها . فقد تمكن أبو عبد الله محمد من دخول القصر فى يوم الاحد ١٥ ذى القعدة سنة ٤١٥هـ (يناير ١٠٢٥م) وشرع فى شكاية سوء حاله الى الخليفة الظاهر . ورغم أن ابا عبد الله كان قد استحوذ على عطف حراس القصر وخدامه بعد أن ظهر فى هيئة رثة ، وقال بعضهم لبعض : « رجل كانت الله عليه نعمة ، دعوه يسأل أمير المؤمنين ، فعسى الله أن يرزقه » ، ورغم ذلك فان محاولته باءت بالفشل ، على العكس عومل معاملة مهينة ، فضرب وأمر بحبسه فى سجن دار الشرطة بالفسطاط ، بعد أن خانه شعوره ولم يتمالك أعصابه فاندفع فى توجيه السباب للخليفة الظاهر وعلا صوته باقبح الشتائم . وقد عز على جلال الدولة بن كافى ــ متولى الشرطة حينئذ ــ أن يعامل رفيقه ابن الصمصامة هذه المعاملة السيئة . فلم يضعه فى زنزانة الحبس ، بل جعل له مكانا فى مجلسه بدار الشرطة طيلة اقامته بالحبس ، ثم سعى فى العفو عنه لدى الخليفة الظاهر الذى أجاب وأمر باطلاق سراح ابن الصمصامة بعد يومين من اعتقاله « لسالف حرمة أبيه »(٢٥٣) .

وأمام استمرار الادارة الفاطمية فى تجاهل الرد على مطالب الكتاميين أصر الاخيرون على التقاعس عن نصرة الخلافة أثناء الأزمات الداخلية التى واجهتها . مثلما حدث فى يوم الاثنين

الموافق ٢١ ذى الحجة سنة ٤١٥هـ (فبراير ١٠٢٥م) عندما تعرضت بعض نواحى الجيزه مثل سفط ونهيا لاغارات عرب بنى قرة • ووصل الأمر الى انهم قتلوا قاضى سفط وتعرضوا لممتلكات بعض الشخصيات الهامة التى بتلك النواحى • اذ عندما بدأت الاستعدادات فى اليوم التالى لاخراج حملة لتأديب المشاغبين وجرى الأمر باستدعاء بعض فرسان كتامة للاشتراك فيها ، اعتذر شيوخ كتامة بأن « ليس لهم دواب ، وانه أى شىء انفق فيهم ضاع (لشدة حاجتهم) ، وسألوا ان يحملوا وتزاح عللهم فيما ينفق فيهم»(٢٥٤) • وقد يبدو للأذهان ان الكتاميين اعتذروا ـ هذه المرة ـ عن مقدرة وانهم بخلوا بجهودهم ، ولكنهم فى الحقيقة كانوا صادقين لسبب بسيط هو انه كانت لدى البعض منهم ممتلكات فى تلك النواحى التى تعرضت لاغارات بنى قرة ، وقد راحت هذه الممتلكات أيضا ضحية الاعتداء (٢٥٥) • ومن غير المعقول أن يتقاعسوا عن الانضمام لحملة التأديب بغير سبب اجتماعى دعاهم لذلك واعداد منهم قد أضيرت اثناء هذه الحادثة • وجدير بالذكر أن اعتذار الكتاميين عن الاشتراك فى حملة التأديب سالفة الذكر كان سببا فى الغاء فكرة تكوينها ، واثار بالتالى استياء قادة الدولة الذين طالبوا الكتاميين بهذا المطلب • ويصور المسبحى الحالة التى انفض عليها الاجتماع قائلا : « •••• فنهض الجماعة الى القصر المعمور ، وانصرفوا من المضرب (الخيمة) اقبح منصرف ، ونزعت الخيمة المضروبة لهم عقب انصرافهم ، وكان يوما قبيحا »(٢٥٦) • مما يدل على أن وضع المغاربة عامة ـ والكتاميين خاصة ـ ظل على نفس أهميته فى الدولة ، رغم انهم لم يعودوا بنفس المستوى الذى كانوا عليه أيام الخلفاء الفاطميين الثلاثة الأول •

وخلاصة القول ان أوضاع المغاربة من موالى الدولة استمرت على هذا النحو المتدهور دون ان يطرأ عليها تغير ملحوظ خلال

الفترة المتبقية من عصر الظاهر لاعزاز دين الله ، سيما أن الاتجاه السياسى لم يعد فى صالحهم . ويكفى الاشارة الى انه فى الوقت الذى تراخت فيه ادارة الظاهر عن معاقبة العبيد الذين أشاعوا النهب والسلب فى نواحى مصر الوسطى (فى ١٢ ذى الحجة سنة ٤١٥ هـ / فبراير ١٠٢٥ م) كما سبق القول ، حدث أن شهد ذات الشهر اجراءات تأديبية علنية لشيوخ كتامة الذين طولبوا بتسليم واحد منهم يقال له سلمان ـ أو سليمان ـ بقصد ضرب رقبته . وبالفعل تم تنفيذ حكم الاعدام فيه فى يوم الجمعة ٢٥ ذى الحجة . وكان الجرم الذى استحق سلمان أن يعدم من أجله انه « ضرب بيده حمارا مملوء دقيقا ، فأخذه وأدخله الى منزله »(٢٥٧) .

على أن الأمر لم يخل من بعض ردود الفعل التى تمت على أضيق نطاق ، ودل حدوثها على مدى تواضع طمـــوح القيادات المغربية . فالى جانب أسلوب المقاطعة السلبية والتقاعس عن نصرة الخلافة ، بدأ المغاربة هؤلاء يثيرون المتاعب فى وجه الدولة سواء عن طريق الشغب مع العناصر الأخرى مثل المشارقة والعبيد ، أو المطالبة من آن لآخر بالانتظام فى دفع مستحقاتهم المالية . ومما يذكر فى هذا الصدد ما حدث فى سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) عندما جرت فتنة فى شوارع الفسطاط بين المغاربــة والاتــراك ، راح ضحيتها خلق كثير من الطرفين . وعند تتبعنا لتفاصيل المناوشات التى حدثت بينهما نلاحظ ان الاتراك ـ حديثى العهد فى خدمـــة الدولة اذ ماقورنوا بالمغاربة ـ قد فاقوا المغاربة كثرة وعدة لدرجة انهم أحرزوا النصر فى البداية . ثم ما لبثت كفة المغـــاربة ان رجحت والحقوا بالاتراك هزيمة ساحقة ، واضطروهم الى الخروج عن الفسطاط . على انه لم يتم للمغاربة الظفـــر الا « بمعاونة العامة لهم »(٢٥٨) . معنى ذلك انهم لم يعد لهم ذلك الثقل العسكرى الذى ميزهم عن غيرهم من طوائف الدولة خلال العهود السابقة .

كما اننا نلاحظ ان ثمة تقارب بدأ يحدث بين هذه العناصر المغربية وبين عامة الشعب ، وربما كان ذلك يرجع الى تعاطف الرأى العام المصرى فى الفسطاط والعاصمة مع هؤلاء المغاربة فى قضيتهم ضد الخلافة • كذلك يذكر لهؤلاء المغاربة انهم انتهزوا فرصة وفاة الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ـ فى منتصف شهر شعبان سنة ٤٢٧ هـ (يونية ١٠٣٦ م) فقاموا بمطالبة الخليفة الجديد أبى تميم معد الذى تلقب بالمستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ/١٠٣٦ ـ ١٠٩٤ م) بأرزاقهم ، وزاد من خطورة الموقف انضمام العبيد اليهم • واذا كان الوزير الجرجرائى قد أنهى الأمر بوعده بتقديم الأموال لهم من جيبه الخاص ، لخلو الخزانة من الأموال ، وتمكن بذلك من ارضائهم وتهدئة ثائرتهم (٢٥٩) ، فان هذا الموقف ترك فى ذهن الخليفة الجديد انطباعا معينا من أن هؤلاء المغاربة قد استنفدوا طاقاتهم ، ولم يعودوا صالحين للقيام بدورهم كعنصر أول فى الدولة. **وشرع بالتالى فى اتخاذ العديد من الاجراءات التى نتج عنها تغير الخريطة العامة للوجود المغربى الموالى للدولة • ونلاحظ ان هذه الاجراءات كذلك اثرت على أفراد وجماعات التيارين المغربيين الآخرين ، بشكل جعل من فترة خلافة المستنصر بالله مرحلة هامة فى تاريخ الوجود المغربى عامة فى مصر الفاطمية •**

وهذا ما سنوضحه بعد الحديث عن الأوضاع الخاصة بفريق المغاربة المستقرين فى أراضى الجانب المغربى لمصر ، وكذا الوافدين الى مصر من اهل المغرب والأندلس ، وسياسة الخلفاء الفاطميين السابقين نحوهم ، وذلك منذ الفتح الفاطمى لمصر وحتى بداية عصر المستنصر •

(ب) المغاربة المستقرون فى نواحى غرب مصر :

كان من الطبيعى أن تحظى منطقة الحدود الغربية لمصر باهمية خاصة لدى خلفاء مصر الفاطميين منذ ان نجح جوهر

الصقلى فى دخول البلاد • ويرجع ذلك الى كون هذه المنطقة همزة وصل بين الفاطميين فى مصر وبين المغرب أصل خلافتهم • فضلا عن غلبة العنصر البربرى المغربى على سكان هذه النواحى وميلهم الدائم الى العمل لحسابهم الخــاص ، وهو ما أدركه الخلفــاء الفاطميون – بالمغرب – قبل ان تخضع مصر لسلطانهم • غير اننا نلاحظ هدوءا عجيبا خيم على جو الأحداث فى نواحى المنطقة منذ بدايات الوجود الفاطمى فى مصر وحتى منتصف سـنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) ، عندما ذاع أمر الثائر ابى ركـوة . وان اختلفت الدوافع وراء ذلك الصمت بالنسبة لكل ناحية :

ففى برقــة : ربما كان مرد ذلك الى حــرص الحكومــة الفاطمية فى القاهرة على اختيار ولاتها على هذه الناحية بعناية ، سواء من بين فرق الجيش ذات العصبية القوية مثل الكتاميين ، أم من بين الأشخاص المشهود لهم بالكفــاءة • وتجلى ذلك فى استمرار افلح بن ناشب الكتامى واليا على برقة خلال عصر المعز لدين الله والعزيز بالله(٢٦٠) • ومنذ سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤م) ولى برقة صندل الأسود الذى قام بجهود كبيرة لفائدة الدولة من أجل اعــادة بنــاء الأسـطول الذى أحرقــه عمــلاء الروم فى مينــاء المقس(٢٦١) . وربما كان السبب كذلك يرجع الى ارتكان أهــل برقــة الى الهــدوء ايثــارا للســلم حتى لا تتــكرر معهم مأســاة سـنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م)(٢٦٢) . وآية ذلك استمرار وصــول الهدايا السنوية مع النصاب المــالى المقرر عليهم للخزانة العامة فى العاصمة(٢٦٣) .

وفى البحيرة : يبدو أن السكان هناك ، وغالبيتهم من بــربر لواتة ، كانوا قد اعتقدوا أن أمنيتهم تحققت باستئثار بنى جلدتهم بربر المغرب بالنفوذ فى مصــر ، بحكــم وجودهــم فى معيــة

الفاطميين(٢٦٤) . وربما كان السبب كذلك يرجع الى تشدد المعز لدين الله وخليفته العزيز بالله معهم ، وعدم السماح لهم بممارسة هوايتهم التقليدية فى العمل لحسابهم الخاص . واذا كانت ثمة قلاقل بدأت تشهدها هذه المنطقة ـ أوائل حكم الخليفة الحاكم بأمر الله ـ وبالتحديد منذ سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) فان السبب فى ذلك يرجع الى عصيان عرب بنى قرة ، أقوى الفروع العربية التى سكنت المنطقة . ومن الملاحظ أن حملات التأديب التى استمرت تخرج من القاهرة كانت كافية لردع هذه القلاقل(٢٦٥) .

اما فى الواحات : فيمكن تصور الوضع على النحو التالى : ان الفاطميين سعوا ـ منذ الأيام الأولى لوجودهم فى مصر ـ لبسط سيطرتهم على هذه المنطقة النائية ، وذلك فى اطار محاولاتهم تأمين جنوب مصر . ولما كان الفاطميون على علم بحقيقة الأوضاع هناك ـ منذ أن شرعوا فى تسيير حملاتهم على مصر(٢٦٦) ـ فقد ارتأوا ان افضل وسيلة للتعامل مع حكام الواحات ، من أفراد أسرة آل عبدون اللواتيين ، هو ان تستمر العلاقات فيما بين الطرفين وفقا لما كان سائدا قبل مجيء الفاطميين الى مصر . أى ان يستمر آل عبدون متمتعين باستقلالهم الداخلى ويكون لهم نصيب من خراج المنطقة وجزية النصارى بها ، فى مقابل ان يستمروا على الطاعة لحكومة القاهرة الفاطمية ، ويسهموا بنصيبهم فى تأمين المنطقة ضد اخطار سكان النوبة(٢٦٧) . ويمكن لنا أن نعتبر زيارة ابن حوقل للمنطقة فى مطلع العهد الفاطمى فى مصر سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠م) قد تمت لتحقيق هذا الغرض . اذ من المعروف عن هذه الرحالة أنه كان جاسوسا للفاطميين(٢٦٨) .

ونرجح أن حكام الواحات المعاصرين لوقت الزيارة ، من آل عبدون اللواتيين(٢٦٩) ، كانوا على استعداد لقبول هذا التطور

الجديد فى علاقتهم بالفاطميين ٠ اذ انهم بذلك سيجنبون امارتهم التعرض لأخطار الحملات الفاطمية التى كثيرا ما أشاعت الفوضى والدمار فى نواحى المنطقة ٠ هذا الى جانب امكان الاستفادة من قدرات الدولة الفاطمية الفتية فى مدافعة خطة سكان النوبة ٠ الأمر الذى يتيح فى النهاية قدرا من الهدوء كان حكام الواحات فى حاجة اليه كى يتفرغوا للعناية بالشئون الداخلية لامارتهم ، وهو مالاحظه ابن حوقل ٠ والدليل على تقبل آل عبدون لهذه السفارة السياسية ، تلك الحفاوة التى قوبل بها ابن حوقل عند زيارته للمنطقة ، واشار اليها بوضوح(٢٧٠) ٠

ويبدو أن الفاطميين لم يكونوا مطمئنين تماما الى اخلاص حكام الواحات وركونهم الى الطاعة ، فعمدوا الى مراقبتهم عن طريق واليهم على مدينة اسوان ، حمزة الكتامى ، الذى كان اختياره لهذا المنصب — استنادا الى عصبيته الكتامية القوية وتدعيمه بمزيد من السلطات الاستثنائية الى جانب القوة العسكرية التى سارت معه (٢٧١) — دليلا على تخوف الفاطميين من احتمال قيام آل عبدون بعصيان فجائى ٠ على اننا ، من ناحية أخرى نلاحظ ان حكام الواحات — خلال هذه الفترة — كانوا مشغولين بسياستهم الداخلية اكثر من اى شىء آخر ٠ فيذكر ابن حوقل ان ابا الحسن مكبر بن عبد الصمد بن عبدون ، الحاكم السابق للواحات وخليفته عبدون بن محمد بن عبدون ، قد صرفا كل جهودهما من اجل بعث نهضة جديدة فى امور الحكم والاقتصاد ، مستعينين فى ذلك بجهود أعداد من الوافدين الى المنطقة من أعماق الصحراء الافريقية الكبرى بغرض التجارة ٠ وكان اشهرهم مصبح ابن ميمون المغربى الأصل ، الواحى المولد ، حسبما الم ابن حوقل الذى يفهم من كتابته عن ابن ميمون انه كانت له بصماته الواضحة فى تنظيم بلاط بنى عبدون حتى انه صار من كبار مستشارى الأمير عبدون بن محمد(٢٧٢) ٠

وذلك يعنى أن حكام الواحات من آل عبدون اللواتيين لن يعودوا — ولو الى حين — مصدر خطر على النفوذ الفاطمى فى جنوب الصعيد . ومن المفارقات التى تدعو للدهشة ان تخوف الحكومة الفاطمية فى القاهرة ومبالغتها فى التحرز من آل عبدون كان سببا فى تعرض نفوذها فى تلك المنطقة للخطر ، حينما سعى حمزة الكتامى — النائب الفاطمى على مدينة أسوان — فى الاستقلال بناحيته عن سلطان الخلافة ، من منطلق السلطات الاستثنائية التى خوله اياها الخليفة المعز لدين الله . وكانت ثورته فى سنة ٣٦٨ هـ (٧٨ / ٩٧٩م) أيام الخليفة العزيز بالله . وقد آل أمره الى زوال ، على نحو ما رأينا(٢٧٣) .

ويبدو أن تصدع الجبهة الداخلية لمنطقة الواحات استمر يشكل عقبة كبيرة امام آل عبدون — وربما أمام من تلاهم فى حكم المنطقة من الأسر البربرية المغربية الأخرى من فروع لواتة(٢٧٤) — بحيث استمرت العناية باصلاح ذلك الوضع شاغلا لهم عن التفكير فى اعداد قوة عسكرية ذات شأن ، أو التفكير فى مناوءة الفاطميين بالقاهرة . وساعدهم على ذلك حرص الفاطميين على تحمل عبء الدفاع عن جنوب مصر ضد اخطار سكان النوبة(٢٧٥) .

واذا كان ذلك الهدوء الذى شهدته نواحى غرب مصر قد تحول الى ثورة عارمة هددت كيان الخلافة الفاطمية فى عهد الحاكم بأمر الله ، عندما استفحل أمر الثائر الأموى الوليد بن هشام المعروف بأبى ركوة — منذ منتصف سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) — فى منطقة برقة وامتد نفوذه الى أرض البحيرة وشرع فى التوغل فى عمق الأراضى المصرية حتى الجيزة ، واذا كان ذلك التحول قد حدث فان الأمور ما لبثت ان تطورت سريعا لصالح الخلافة الفاطمية عندما تمكن الخليفة الحاكم من القضاء على هذه الثورة

فى سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧م) بفضل الجيوش العديدة التى دأب على ارسالها والأموال الكثيرة التى انفقها فى سبيل ذلك(٢٧٦) . ومن خلال نظرة سريعة الى أمر هذه الثورة يتضح لنا الآتى : ـ

ـ ان مسرح العمليات الحربية ، وان اتسع ليشمل معظم أراضى غرب مصر ، بل عمق الديار المصرية حتى أهرامات الجيزة والفيوم وبعض نواحى الصعيد ، الا ان منطقة الواحات كانت بمنأى عن تطور عمليات القتال .

ـ ان النجاح الذى أحرزه أبو ركوة ، فى البداية ، لم يتم له الا بمساعدة غالبية سكان برقة والبحيرة من عرب بنى قرة وبربر زنانة ولواتة . ويرجع السبب فى انضمام عرب بنى قرة الى جانب ابى ركوة الى حزازات سابقة تربت فى نفوس زعمائهم تجاه الخليفة الحاكم الذى غدر بأعداد منهم وأعدمهم قبيل قيام هذه الثورة(٢٧٧) . بينما عد اشتراك بربر زناتة مع أبى ركوة امتدادا طبيعيا لميل هذه القبيلة ذات الشوكة الى معاداة الفاطميين اثناء وجودهم بالمغرب(٢٧٨) . واذا كان السبب واضحا بالنسبة لاشتراك هذين الفريقين الى جانب أبى ركوة ، فاننا لم نلحظ سببا واضحا جعل بربر لواتة يميلون الى معاداة الخلافة الفاطمية فى حربها ضد أبى ركوة . ولا نملك الا القول بانه ربما كان ذلك يرجع ، بجانب كونهم أهل سنة ، الى ان هؤلاء البربر رغبوا فى استغلال هذه الثورة لتحقيق مكاسب شخصية خاصة على حساب سلطان حكومة القاهرة الفاطمية . وكانت هذه ـ على ما يبدو ـ أول محاولة من جانب بربر لواتة فى البحيرة وبرقة لاثارة القلاقل فى وجه الخلافة الفاطمية منذ انتقالها الى مصر .

وكانت النتيجة التى ترتبت على اشتراك هذه العناصر من سكان برقة والبحيرة فى ثورة أبى ركوة ، أن الحاكم بأمر الله ـ

رغبة منه فى الا تتجدد الاضطرابات من ناحيتهم ــ لجأ الى أسلوب أكثر دبلوماسية في التعامل معهم ، وبخاصة العناصر البربرية ٠ فلم تنسب اليه الروايات انه اتخذ اجراء ما بشأنهم عقب هزيمة أبى ركوة ، حتى بدا وكأنه سامحهم على ما بدر منهم فى حــق الخلافة ٠ غير أنه شرع فى ترحيل اكثر العناصر التى أيدت أبا ركوة ، من عرب بني قرة ، عن أماكن اقامتهم بالبحيرة الى ناحية برقة مع كبيرهم مختار بن قاسم(٢٧٩) ٠ ثم أقدم الحاكم بأمر الله ــ فى أواخر سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٣م) ــ على احالة ناحية برقة الى اشراف نائبه على ولاية افريقية ، أبى مناد باديس بن أبى الفتح الصنهاجى(٢٨٠) ، كى يضمن ــ فيما يبدو ــ بقاء هذا الاقليم تحت رقابة هذه الأسرة البربرية العتيدة(٢٨١) ٠

وبالفعل بعث أبو مناد باديس قائدا من قبله ، يدعى حميد ابن تموصلت الى برقة ، كى يليها عوضا عن واليها الفاطمى خود الصقلبى الذى خرج عن المدينة الى مصر فى شهر ذى الحجة سنة ٤٠٤هـ (يونية ١٠١٤ م)(٢٨٢) . الأمر الذى ترتب عليه خروج اقليم برقة من فلك التبعية المصرية المباشرة منذ ذلك الحين وحتى عصر المستنصر بالله الفاطمى الذى أعاد هذه الناحية الى تبعية مصر من جديد ، كما سيتضح بعد قليل ٠

وعلى العموم ، فقد غلب الهدوء من جديد على تلك النواحى فى أعقاب ثورة أبى ركوة ، باستثناء بعض المرات التى شــغب فيهــا عــرب بنى قــرة على الخــلافة الفاطمية سنوات ٤٠٥ هـ (١٠١٤/١٠١٥م) ، و ٤١٥ هـ (١٠٢٥م) ، وعلى أرض الواحات بعد سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩م)(٢٨٣) ٠ حتى كان عصر الخليفــة المستنصر بالله الفاطمى حينما بدأت هذه المنطقة تشهــد تغيرات هامة كان لها شأنها على تطور الأحداث فى عصر ذلك الخليفة ومن تلاه من خلفاء العصر الفاطمى الثانى ٠

(جـ) المغاربة الوافدون :

ارتبطت السياسة التى اتبعها الخلفاء الفاطميون تجاه الوافدين الى مصر من أهل المغرب والأندلس - الى حد كبير - بالظروف التى واجهها الفاطميون بالمغرب ، واستمرت سائدة الى ما بعد انتقالهم الى مصر . ونستطيع ان نوجز تلك الظروف من خلال هذه الحقيقة الهامة :

ان الوجود الفاطمى بالمغرب (٢٩٦ - ٣٦١ هـ / ٩٠٩ - ٩٧٢م) كان بمثابة مشروع مؤقت صار من الضرورى أن يعقبه انتقال الخلفاء الفاطميين الى منطقة أخرى تكون أكثر امنا من المغرب . ويرجع السبب فى ذلك الى شدة مقاومة أهل المغرب للوجود الفاطمى هناك ، واعتصامهم بالمذهب السنى المالكى امام المحاولات التى بذلها الخلفاء الفاطميون لنشر عقائدهم المذهبية سواء بالترغيب ام بالترهيب . يضاف الى ذلك المحاولات التى بذلها الأمويون - بالأندلس - من اجل وأد الدعوة الفاطمية والاجهاز عليها بشتى الوسائل(٢٨٤) .

معنى ذلك أن نظرة الخلفاء الفاطميين فى مصر تجاه أولئك الوافدين استمرت تملؤها الحساسية وتوقع اثارة القلاقل فى أية لحظة . غير اننا نلاحظ أن التصاق هؤلاء بالقاعدة العريضة من الشعب المصرى السنى - والذى ظهر من خلال الترحاب الذى قوبلوا به اينما حلوا ، وعبر عن نفسه اثناء دروس العلم التى كانت تعقد فى مساجد مصر وقد شارك فيها هؤلاء الوافدون اما علماء واما طلاب علم - كل ذلك جعل حكومة القاهرة الفاطمية فى موقف لا تحسد عليه . فالخلفاء الفاطميون - بداهة - لن يستطيعوا ايقاف هذا السيل المتدفق عبر الأراضى المصرية الى الحجاز ، كما ان الحاق الضرر بأى منهم سيترتب عليه اثارة

الشعور العام السنى فى مصر مما يؤدى الى تكرار تجربة المغرب الاليمة • واخيرا فان حدوث مثل هذا كان سيؤدى بالضرورة الى وحشة تنشأ بين الفاطميين فى مصر وبين المغرب أصل الخلافة الأول •

على أن ذلك لم يمنع الفاطميين من التعامل مع الشخصيات المغربية التى اعتبرت خطرا على السلطة لشعبيتها بين المصريين . مثال ذلك : أسرة بنى مصعب القيروانيين ، التى اختلت أحوال افرادها الثلاثة المقيمين بالفسطاط فى الفترة التى تلت الفتح الفاطمي لمصر مباشرة(٢٨٥) . واذا كان ابن حوقل لم يفصح عن أسباب هذا الاختلال ولا عن كيفية حدوثه ، الا اننا نرجح أن المكانة الكريمة التى تمتع بها أفراد هذه الأسرة قبل الفتح والتفاف بعض المصريين من سكان الفسطاط حولهم ، لكرمهم الزائد مع المحتاجين(٢٨٦) ، كان سببا فى تخوف الفاطميين منهم • وربما حاول جوهر الصقلى - قائد جيش الفتح الفاطمى - احتواءهم باسناد بعض الوظائف اليهم ، وان بنى مصعب رفضوا التعاون معه ، فكان ذلك سببا فى تغير جوهر عليهم وسعيه فى انتقاص نفوذهم على النحو الذى اختلت معه أحوالهم • وان يستمر آل مصعب على الرغم من ذلك فى سعة من العيش الى حين وفاتهم - حتى انهم « قبروا مستورين فى آخر نعمهم »(٢٨٧) - لما يؤكد ان جوهرا كان معهم أكثر من دبلوماسى ، وذلك بالطبع كى لا يستثير عداء المتعاطفين معهم من المصريين •

ونستطيع ان نتصور أن العلاقة بين الخلفاء الفاطميين فى مصر وبين الوافدين اليها من أهل المغرب والاندلس قد سارت وفق اطار من الرقابة اللصيقة التى فرضها الفاطميون عليهم تحسبا لأية متاعب قد يثيرونها من وراء استمساكهم بعقيدتهم السنية التى

غلب عليها فقه الامام مالك بن انس · ويبدو أن الخلافة الفاطمية نجحت فى تطبيق هذه السياسة مع أولئك الوافدين ، خاصة فى الفترة الأولى من الوجود الفاطمى فى مصر ، بدليل ان الروايات التى اهتمت برصد رحلة هؤلاء الحجاج والدارسين قد خلت من أية اشارة الى قيام أحدهم بمناوئة السلطة الفاطمية خلال الفترة التى تلت الفتح الفاطمى مباشرة وحتى خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمى .

على أننا نلاحظ من ناحية أخرى أن اصرار هؤلاء العلماء والحجاج على حضور جلسات العلم التى كانت تعقد فى المساجد المصرية ، وعدم اكتفاء طلاب العلم منهم بالتتلمذ على عالم مصرى واحد بل أكثر كل واحد منهم فى الاعتماد على أساتذة عديدين ، كل ذلك مما يمكن أن نعتبره نوعاً من المعارضة التى أبداها هؤلاء الوافدون فى وجه السلطة الفاطمية . كذلك حرص هؤلاء الوافدون على كسب زاد الطريق من خلال ممارسة بعض الحرف التى اتقنها كل منهم ، حتى لا يستغل الفاطميون ذلك كنقطة ضعف ينفذوا من خلالها اليهم بالوظائف التى يعرضونها عليهم . **حقيقة أن ذلك كله كان نوعا من المعارضة السلبية** ، الا انها أسهمت الى حد كبير فى نجاح المذاهب الاسلامية السنية فى مصر فى الصمود امام محاولات نشر العقيدة الشيعية فى انحاء البلاد . ويبدو لنا أن حرص أصحاب الروايات — التى عالجت موضوع الرحلة هذا — على تدوين سير هؤلاء العلماء والحجاج ، وايراد تفاصيل دقيقة عن اقامتهم بمصر ومشاركتهم فى مجالس العلم المتعددة ، كان نوعا من التمجيد لأصحاب هذه السير وبيان كيف انهم تجشموا عناء مزدوجا فى رحلاتهم تلك خلال هذا العصر : فالى جانب متاعب الطريق ، فانهم كانوا عرضة لتقلب أمزجة وسياسات الفاطميين الشيعة اثناء المرور بممتلكاتهم فى الأراضى المصرية أو الحجازية .

غير أن أسلوب المعارضة السلبية هذا ما لبث ان تبدل أثناء خلافة الحاكم بأمر الله ، حينما عمد أفراد من هؤلاء الوافدين الى اثارة المتاعب فى وجه الخلافة ، وكانت احداهـــا من الخطورة لدرجة انها كادت تعصف بالوجود الفاطمى فى مصر نهائيا • وثمة ملاحظات تجدر الاشارة اليها قبل الخوض فى تفاصـــيل هذه التطورات ، منها : ـ

١ ـ أن اختصاص عصر الخليفة الحاكم بأمر الله كى تحدث فيه هذه النقلة ، ربما كان راجعا الى الجهـود التى بذلهـــا هذا الخليفة من أجل تنظيم الدعوة الفاطمية فى مصر بشكل لم يحدث قبل ذلك فى عهود أسلافه (المعز والعزيز)(٢٨٨) •

٢ ـ ان الاندلسيين كانوا ابرز من تم على أيديهم تنفيذ هذه المهام • ومن المؤكد أن مرد ذلك الى نجاح الأمويين حكام الأندلس فى استغلال هؤلاء الوافدين الى مصر كورقة رابحـــة فى توجيــه الضربات المتتالية الى اعدائهم الفاطميين • ولا يفهم من هـــذا ان باقى الوافدين الى مصر من اهل الشـــمال الافريقى ـــ السـنة المالكيين ـ كانوا اقل استعدادا من اخوانهم الأندلسيين للعمـــل الثورى لصالح عقيدتهم السنية ، فقط كانت الخلفية السياسية ـ والتى تمثلت فى الحكومة الأموية السنية التى أيدت هذه الأعمال الثورية وحرضت عليها ـ فى صالح الوافدين الأندلسيين(٢٨٩) .

تشير الروايات الى ان أول حادث فى هذا الشأن جرت وقائعه فى مسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط ، فى يوم ٨ صفر سنة ٣٩١ هـ (يناير ١٠٠١ م) ، واستهدفت محاولة اغتيال قاضى قضاة الدولة الفاطمية أبى عبد الله الحسين بن النعمان • وذلك حينما هجم عليه رجل أندلسى ـ أثناء جلوسه لتدريس تعاليم المذهب الفاطمى عقب صلاة العصر ـ « فضربه ضربتين بمنجل وفاس

فى وجهه ورأسه »(٢٩٠) . فكانت ـ اذا ـ ضربة سنية ضد المذهب الفاطمى ، قصد أهل السنة من الأندلسيين الوافدين الى مصر ـ أو الحكومة الأموية السنية فى الأندلس ـ التخلص بها من أحد أفراد أسرة النعمان بن حيون المغربية ذات اليد الطولى فى مجال الدعوة الفاطمية . الا أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، اذ نجا القاضى من القتل ، وأصيب فقط بجرح إستلزم اقامته بمنزله عدة أيام حتى برىء منه . اما الأندلسى فقد قبض عليه لوقته « وقتل وصلب » (٢٩١) .

وعلى أية حال فلم تكن هذه المحاولة لتثنى الحاكم بأمر الله عما انتواه بشأن تنظيم أمور الدعوة ، فما ان اطمأن على شفاء الحسين بن على حتى استدعاه الى القصر وأمر له باعطيات كثيرة ، ثم زاد فى اختصاصاته وولاه الى جانب مناصبه السابقة أمور الدعوة الفاطمية ، وجعل لقبه منذ ذلك الحين : « قاضى القضاة وداعى الدعاة » . وحتى لا يتعرض الحسين بن على لمثل هذه الاعتداءات أمر الحاكم بأمر الله بأن يحرسه عشرون رجلا فى غدواته وروحاته ، « فكان اذا صلى ، يصطف خلفه الحرس بالسيوف حتى يفرغ . ويصلون هم حينئذ » . وهو بذلك أول قاض تم له مثل هذا الأمر (٢٩٢) .

ثم كانت المحاولة الثانية التى نجحت بعض الوقت فى زعزعة الوجود الفاطمى فى مصر لدرجة كبيرة ، حينما ثار أحد الوافدين الأندلسيين ، ويدعى الوليد بن هشام بن المغيرة (من ولد عبد الرحمن الداخل مؤسس البيت الأموى الحاكم بالإندلس) على سلطان الخلافة الفاطمية بناحية برقة ، واستمر يشكل خطرا عظيما على الدولة الفاطمية منذ بداية أمره فى منتصف سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) حتى قضى على ثورته تماما فى منتصف سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٧ م) .

وقد بدأت أحداث هذه الثورة عندما خرج الوليد بن هشام - وكان يعرف بابى ركوة (٢٩٣) - من الأندلس فارا من اضطهاد المنصور محمد بن أبى عامر حاجب الخليفة الأموى المؤيد بالله هشام الثانى بن الحكم المستنصر (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٩ م) • وقد خرج أبو ركوة الى المشرق حيث قام برحلة طويلة زار خلالها بلدانا كثيرة ، مثل : القيروان ، وبعض مدن مصر كالاسكندرية والفسطاط ونواح متعددة من ريف مصر ، والحجاز ، واليمن ، والشام ، ثم مصر ثانية حيث نزح الى برقة ومنها قام بثورته (٢٩٤) • ويغلب على الظن أن رحلة أبى ركوة ، تلك ، كانت بهدف استطلاع مواطن القوة والضعف فى ممتلكات الفاطميين ، اذ كانت معظم البقاع التى زارها تقع فى حوزتهم • ولم يجد أبو ركوة صعوبة تذكر فى استمالة عناصر السكان المستقرين فى ناحية برقة (من عرب بنى قرة وبربر زناتة ولواتة) عندما بدأ فى الكشف عن حقيقة نواياه المناهضة للخلافة الفاطمية • سيما أن دوافع اشتراك كل منهم كانت متوفرة (٢٩٥) ، ولهذا تخلى سريعا عن فكرة أنه معلم للقرآن (٢٩٦) •

ومنذ شهر جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (مارس / ابريل ١٠٠٥ م) شرع أبو ركوة فى الاستيلاء على المدن العامرة التى تقع فى نطاق اقليم برقة ، ثم سار نحو مدينة برقة ذاتها . فقاتله جنودها بقيادة الوالى الفاطمى صندل الأسود قتالا شديدا ودفعوه عنها أول الأمر • وهنا ينفرد يحيى بن سعيد بالاشارة الى ان عسكرا من بربر لواته تحركوا لدفع جموع أبى ركوة عن مدينة برقة ، فأسرع أبو ركوة لمقاتلتهم واضطرهم الى الانسحاب من أمامه حيث تفرقوا فى الشعاب (٢٩٧) • وهى ملاحظة تفيد أن بربر لواتة انقسموا على أنفسهم بشأن أبى ركوة ما بين مؤيد ومعارض • وعلى أية حال. فقد كانت هذه هى المعارضة الوحيدة التى صادفها أبو ركوة

من سكان الاقليم ، اذ غدت المعوقات التى واجهته بعد ذلك تتمثل في الحملات التى شرع الخليفة الحاكم بأمر الله فى تسييرها اليه . فكان فريق من بربر لواتة آثر فى البداية ألا ينضـــم الى جانب أبى ركوة خشية أن يجلبوا على أنفسهم - ولأول مرة - غضب الحكومة الفاطمية فى القاهرة ، ولهذا قاموا بمحاولتهـــم ضـــد أبى ركوة الا أن الهزيمة التى منوا بها أمامه ثم الانتصارات المتتالية التى تحققت لأبى ركوة - بعد ذلك - على قوات الخلافة فى اقليم برقة ، كانت كافية لاقناع هذه العناصر اللواتية بضرورة الانضمام اليه طمعا فى المكاسب التى لا ريب ســـتعود عليهم نتيجة هذا التحـــالف .

ثم عاد أبو ركوة من جديد الى مدينة برقة محاولا الاســـتيلاء عليها ، فحاصرها وضيق على أهلها . وأقام على ذلك فترة غير قليلة حتى سمع بقرب وصول جيش الخلافة الذى ســـيره اليه الحاكم بأمر الله ، تحت قيادة ينال التركى ، استجابة لعامله على برقه صندل الأسود (٢٩٨) . وكما سبق القول فقد كان لاحتواء هذه القوة الفاطمية على اعداد من الكتاميين أثره الواضح فى الهزيمة التى منيت بها ، ووقوع أكثر جنودها - ربما من الأتراك - فى الأسر بما فيهم القائد ينال الذى قتله أبو ركوة . ذلك أن هؤلاء الكتاميين تركوا صفوفهم وخرجوا مستأمنين الى أبى ركوة نكاية فى الحاكم وقائدهم ينال . ترتب على ذلك أن ســـــلم أهل برقة المحاصرون الى أبى ركوة ، فى شهر ذى الحجة من سنة ٣٩٥ هـ (يولية ١٠٠٥ م) ، كما خرج منها رجال الحاكم وواليه صندل عن طريق البحر : فخرج بعضـــهم الى المغرب ، وبعضـــهم الى مصر (٢٩٩) . وكان لهذه الانتصارات المتتالية أثرها فى أن صار أبو ركوة صاحب الأمر والنهى فى اقليم برقـــة ، فاعلن مذهـــب السنة بالمنطقة وتسمى بأمير المؤمنين الناصر للدين والثائر بالله ،

ونقش ذلك على العملة • ثم كانت الخطوة التالية أن بدأت سراياه تتردد على الصعيد ومختلف ديار مصر (٣٠٠) •

وأمام تطور الأمور على هذا النحو الخطير ، شرع الحاكم بأمر الله في اتخاذ كافة الاجراءات التى تكفل القضاء على هذه الثورة • من ذلك أنه تخلى عن سياسته المتشددة فى التعامل مع رجال دولته وسائر الرعية (٣٠١) ، كى يضمن تعاون الجميع معه • كما لجأ الى تسخير امكانات الدولة المالية فى تجهيز الجيوش العديدة ومحاولة استمالة أنصار أبى ركوة ، حتى بلغ مجموع ما أنفقه الحاكم فى ذلك « ألف ألف دينار ذهبا » (٣٠٢) • ولم يأل الحاكم جهدا فى جعل أبى ركوة يتخلى عن الحرص اللازم أثنـاء هجومه المنتظر على عمق الأراضي المصرية ، فأمر وجوه رجاله وقادة دولته أن يكاتبوا أبا ركوة ويعرفوه أنهم على مذهبه ورأيه (٣٠٣) • وأعقب ذلك أن توالت الحملات التى أشرف بنفسه على اعدادها • ونلاحظ في هذا الصدد أن تخاذل الفرقة الكتامية ـ تحت قيادة ينال التركى ـ فى قتال أبى ركوة قد دفع بالحاكم لأن يعتمد على عناصر أخرى متعددة مثل الترك والديلم والسودان ، حتى الأرمن قيل انه استعان بهم (٣٠٤) • وكذا عرب الشام من قبيلة طىء ـ الذين كانوا الى وقت قريب ألد أعداء الخلافة ومصدر خطر دائم على نفوذها بالشام ـ استدعاهم الحاكم الى مصر ، فحضرت اعداد منهم بزعامة المفرج بن دغفل بن الجراح الطائى وأولاده الثلاثة (٣٠٥) • وعلى الرغم من ذلك فقد وضح احتياج الخلافة لجهود الفرق المغربية الموالية للدولة ـ وخاصة الكتاميين ـ اذ استعان الخليفة الحاكم بالقائد الكتامى على بن جعفر بن فلاح واستدعاه من جبهة الشام ، وعهد اليه بالمرابطة فى الجيزة كخط دفاع مباشر عن العاصمة •

وتلا ذلك وقوع معارك عسكرية جديدة بين الجانبين ـ على طريق برقة ـ استغرقت معظم سنة ٣٩٦ هـ (١٠٠٦/٥ م) كان

النصر فيها أيضا لصـــالح أبي ركوة (٣٠٦) . وترتب على هذه الانتصارات الجديدة نتائج مختلفة لكلا الطرفين : فمن ناحيـــة أبي ركوة ، أدى ذلك الى رفع معنوياته حتى انه بدأ فى تقســيم ممتلكات الفاطميين على حلفائه على اساس أن الشام سيكون لعرب بنى قره ، أما مصر فله ولمن معه من البربر . ومن ثم فقد شرع فى توسيع جبهة القتال ضد الفاطميين بحيث شملت أرض البحيرة والجيزة والفيوم (٣٠٧) . بينما صار الحاكم بأمر الله فى حال عظيمة من الاضطراب والقلق ، حتى أشارت احدى الروايات الى انه فكر في الهرب الى الشام ، ونقل خزائنه الى بلبيس (٣٠٨) . الا اننـــا نعتقد ان ذلك لم يتعد حيز التنفيذ ، اذ من المعروف أن الحاكم بأمر الله أبدى تماسكا كبيرا فى مواجهة هذه المحنة ، وشرع في تجهيز جيش جديد اختار له قائدا نصرانيا من أمراء أبيه العزيز بالله ، هو الفضل بن عبد الله بن صالح (٣٠٩) . وقد بالغ الحاكم فى اعداد هذا الجيش والنفقة عليه حتى قيل ان عدد جنوده بلغ حوالى اثنى عشر ألف مقاتل بين فارس وراجل ، عدا من انضم اليهم من عرب الشام .

ثم كان الخطأ الذى وقع فيه أبو ركوة بتوسيع جبهة القتال على الفاطميين ـ وهو الأمر الذى نتج عنه بعثرة قواته ما بين تخوم الاسكندرية وأرض الفيوم ـ هو بعينه السلاح الذى أتاح للقيادة الفاطمية الفرصة كي تقضي على هذه الثورة تماما ، سيما بعد أن أثمتت المناوشات الأولية التى دارت بين الفريقين ـ عند مدينة الفيوم ـ فشل أسلوب المواجهة المباشرة مع قوات أبي ركوة لكثرة أعدادها (٣١٠) .

لهذا كانت هزيمة قوات الخلافة بقيادة على بن جعفر بن فلاح الكتامي عند مدينة الجيزة ، امام القوة التى أرسلهـــا أبو ركوة

للاستيلاء على هذه المدينة ، ثم الانسحاب — الذى نعتقد انه كان مفتعلا — حتى صحراء الهرم بهدف استدراج هذا الجزء من قوات أبى ركوة بعيدا عن جموعه المرابطة أمام الفيوم (٣١١) • هذا فى الوقت الذى كانت فيه القوة الفاطميـــــة الرئيســية بقيادة الفضل بن عبد الله بن صالح قد استعدت لخوض المعركة الفاصلة مع قوات أبى ركوة فى موضع رأس البركة من أعمال الفيوم • ورغم الترتيب السابق ، فان الفضل بن عبد الله لم يتمكن من الانتصار على قوات أبى ركوة الا بعد أن استمال الى جانبه أحد رجال أبى ركوة ، ويعرف بالماضى وهو من قادة بنى قرة ، ليطلعه على أسرار جيش أبى ركوة • وبواسطة المعلومات التى حصــل عليها الفضل من الماضى تمكن من احباط خطة أبى ركوة فى الهجوم ، واسفر القتال الذى دار بعد ذلك — فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ٣٩٦ هـ (يولية ١٠٠٦ م) عن هزيمة أبى ركوة وتشتيت أنصاره ما بين أسير أو قتيل أو فار الى دياره (٣١٢) • أما أبو ركوة ، فلم يجد — بعد ان تخلى عنه بنوقرة وطلبوا منه أن ينجو بنفسه — غير الفرار الى جهة النوبة حيث قبض عليه — ملكهـــا — المدعو روفائيل — وسلمه لنائب الخليفة الذى أرسله بدوره الى القاهرة وعندئذ عرضه الحاكم فى شوارع القاهرة عرضا مزريا ، اذ شهر به على جمل وجعل وراءه قردا يصفعه على رأسه ، ثم قتله وصلبه . وكان ذلك فى شـــهر جمادى الاخرة ســـنة ٣٩٧ هـ (فبراير ١٠٠٧ م) (٣١٣) •

مما سبق يتضح لنا أن ثورة أبى ركوة كانت قاسما مشتركا بين التيارات المغربية الثلاثة الموجودة بمصر آنذاك : اذ المتسبب فى قيامهـا يعد ممثـلا للوافدين ، ثم كان لانتشــار دعوته المناهضــة للفاطميين فى برقة وامتدادها لتشمل معظم ارض البحيرة اثره فى أن ظهر واضحا خلالها دور المغاربة المستقرين فى تلك الانحاء .

كذلك وضح لنا الدور الذى لعبته الفرق المغربية الموالية للفاطميين فى احداث هذه الثورة بحيث لا نكون مبالغين فى الاعتقاد بأن مسئولية طول أمد هذه الثورة وتفاقم خطرها على النحو الذى رأيناه انما يقع على عاتق الكتاميين وحدهم . اذ ساعد تقاعسهم فى البداية على اعلاء شأن أبى ركوة ، ثم كانت عودتهم الى الطاعة والاخلاص فى خدمة الدولة ، من خلال الجهود البناءة التى بذلها على بن جعفر بن فلاح ، سببا فى اخترام هذه الثورة واستئصالها .

ومن الملاحظ أن ثورة أبى ركوة كانت آخر محاولة قام بها أحد الوافدين الأندلسيين الى مصر للثورة على الدولة الفاطمية . ويرجع السبب فى ذلك الى أن الخلافة الأموية بالأندلس ـ والمسئولة عن تدبير مثل هذه الثورات ـ كانت قد بدأت تدخل فى طور الضعف حتى سقطت فى سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) وحلت محلها حكومات مفتتة متصارعة شغلت ما عرف بعصر الطوائف فى الأندلس (٣١٤) . ومن ثم فقد عاد الأثر الذى أحدثه هؤلاء الوافدون فى الحياة السياسية فى مصر الفاطمية الى ما كان عليه قبل قيام هذه الثورة ، حتى بدأ وكأنهم قد ادركوا أن خير وسيلة للنيل من الفاطميين الشيعة هى أن يستمروا فى مشاركة اخوانهم أهل السنة المصريين فى دعم المذاهب السنية فى مصر من خلال دروس العلم التى حرصوا على الانتظام فيها اما طلاب علم أو أساتذة .

وما دمنا بصدد الحديث عن الوافدين الى مصر من أهل المغرب والأندلس فيجدر بنا أن نشير الى نوع آخر من الوافدين يمكن أن نطلق عليهم اصطلاحا اسم **اللاجئين السياسيين** . وهم الذين اضطرتهم ظروفهم الخاصة الى اللجوء الى مصر طلبا لحماية السلطة الفاطمية ، أو للاستعانة بنفوذها فى ارجاع حقوقهم الضائعة . وتبرز أهمية هذا الصنف من الوافدين من خلال أن

الفاطميين رحبوا بمقدمهم الى مصر ، رغبة فى استخدامهم فى تنفيذ المشروعات الخاصة بالخلافة فى أرض المغرب ، ومن هؤلاء :

ـ كتاب ومغنين ابنا زيرى بن مناد الصنهاجي ، اللذان خرجا من قصر اخيهما أبى الفتوح يوسف بن زيرى حاكم ولاية افريقية من قبل الخليفة العزيز بالله الفاطمى ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٩ هـ (سبتمبر ٩٧٩ م) . فقد سلكا طريق مصر حتى وصلا الى قصر العزيز بالله الذى اكرم وفادتهما وانزلهما عنده وخلع عليهما ووصلهما « وبقيا هنالك بقية السنة » . ثم صرفهما العزيز الى ابى الفتوح فى العام التالى وأمره بالعفو عنهما والا يتعرض لهما فامتثل لأمره (٣١٥) . ونعتقد ان هذا التصرف من جانب العزيز بالله كان له علاقة بأمر احتياجه لعدد من مشاهير صنهاجة الأشداء كى يجد فيهم العوض عن بربر كتامة الذين خذلوه اول توليته الخلافة(٣١٦) .

ـ ومنهم الحسن بن كنون ، أو قنون ، الادريسى الذى وفد الى مصر فى خلافة العزيز بالله أيضا ، سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) واستمر مقيما بها الى سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م) . وترجع أسباب هذه الزيارة الى رغبة الحسن فى الحصول على مساعدة الخليفة العزيز من أجل استعادة ممتلكاته بنواحى المغرب الأقصى ، التى استولى عليها الأمويون حكام الأندلس فى سنة ٣٦٣هـ (٩٧٣م)(٣١٧) . ومن الملاحظ أن انشغال العزيز بالله بشئونه الداخلية وبأمر الشام منعه من أن يقدم مساعدة فعلية للحسن بن كنون ، غير انه لم يشأ ان يضيع عى نفسه الفرصة فى استعادة هيبة الخلافة الفاطمية على نواحى المغرب الأقصى ، فأكرم وفادة الحسن واتباعه ـ الذين قارب عددهم سبعمائة رجل ـ اثناء اقامتهم بمصر . ويبدو أن العزيز بالله قد استثقل النفقة عليهم ، بعد ذلك ، فعمل بمشورة وزيره ابن كلس وسمح لهم بمغادرة البلاد الى المغرب ، بعد

ان امدهم بالمال اللازم وكتب الى نائبه على افريقية ابى الفتوح يوسف (بلكين) بن زيرى « بانفاذهم الى المغـرب واعـانتهم عـلى ما يحاولونه » (٣١٨) .

ـ كذلك وفد الى مصر يحيى بن على بن حمدون الجـذامى الاندلسى خوفا من ان يحاول المنصور محمد بن ابى عامر ، حاجب الدولة الاموية ، قتله بعد ان تخلص من اخيه جعفر بن على (٣١٩) . وقد حرص العزيز بالله الفاطمى على الابقـاء على يحيى فى مصر لاستغلاله كسلاح عند الضرورة . واستمرت اقامة يحيى بن على فى مصر الى أيام الحاكم بأمر الله الـذى سـيره فى سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) على راس حملة عسكرية لاسترداد مدينة طرابلس من قبضة ابى مناد باديس الصنهاجى حاكم ولاية افريقية ، اذ كـان يحيى بن على معروفا بعدائه للزيريين . ومن اجل انجاح هـذا المشروع منحه الحاكم مال برقة وامر جماعة من عرب بنى قـرة بالسير معه لقتال الزيريين . غير ان يحيى لم يجد اموالا فى برقة ، كما ان عرب بنى قرة انسحبوا من معسكره ، ورجعوا الى ديارهم . فاختلت حاله وفشلت مهمته واضطر الى الرجوع الى مصر . ويشير المقريزى الى ان الحاكم بامر الله غضب عليه واراد قتله ، ثم عاد فعفا عنه بعد أن تبين له عدم مسئوليته عن ذلك (٣٢٠) .

ومن الملاحظ ان اقامة هذا الصنف من الوافدين فى مصر يمكن اعتبارها هامشية ، وذلك لعدم قيامهم بعمل ما اثناء وجودهم بمصر سوى متابعة تنفيذ الهدف الذى حضروا من أجله (٣٢١) .

(د) المغاربة فى النصف الأول من خلافة المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٦٧ هـ = ١٠٣٦ ـ ١٠٧٤ م) :

من الثابت أن فترة حكم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ = ١٠٣٦ ـ ١٠٩٤ م) تعد نقطة تحول للخلافة الفاطمية من مرحلة القوة وسيطرة الخلفاء على شئون الحكم الى مرحلة الضعف واختفاء شخصية الخلفاء أمام ازدياد نفوذ وزرائهم ، أو ما عرف بعصر الوزراء العظام . وهو العصر الذى تحول فيه الوزراء الفاطميون من مجرد وزراء تنفيذ الى وزراء تفويض (٣٢٢) ، واستمر حتى سقوط الخلافة الفاطمية . وترتب على ذلك أن الأوضاع السياسة للتيارات المغربية الثلاثة الموجودة بمصر خلال هذه الفترة ـ بل مجريات الأمور فى مصر عامة ـ بدأت تتأثر بشخصيات هؤلاء الوزراء ومدى نجاح كل منهم فى الانفراد بالحكم .

هذا ، واذا كان معلوما أن عصر الوزراء الفاطميين العظام لم يبدأ بمصر الا بعد حضور بدر الجمالى ـ والى عكا ـ الى مصر ونجاحه فى تجميع كافة السلطات فى يده وانفراده تماما بتدبير امور البلاد دون الخليفة المستنصر ، وذلك ابتداء من سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤) ، فان الشواهد التى دلت على قرب حدوث مثل هذا التحول ، وذاك التأثير ، ترجع الى بدايات حكم المستنصر :

فنرى الوزير نجيب الدولة ابا القاسم على بن احمد الجرجرائى (٤١٨ ـ ٤٣٦ هـ / ١٠٢٧ ـ ١٠٤٥ م) ـ الذى أخذ البيعة للمستنصر ـ قد كفل للدولة بداية هادئة استمرت الى حين وفاته وهو فى منصب الوزارة . وظهر هذا بوضوح منذ اليوم الأول لتولى المستنصر حينما تمكن الجرجرائى من تهدئة ثائرة المغاربة والعبيد الذين تجمعوا حول القصر مطالبين بصرف مستحقاتهم المالية ، ووصل به الأمر الى ان أخرج لهم المال من جيبه الخاص (٣٢٣) .

ويبدو أن الجرجرائى كان قد اتبع سياسة المساواة بين عناصر الدولة جميعها من حيث الحقوق والواجبات ، اذ لم يتكرر مثل هذا التجمهر مرة أخرى اثناء وزارته . وساعده على ذلك انه لم يعط الفرصة لمن سموا بحزب القصر — الممثلين فى والدة الخليفة المستنصر وأعوانها ابى سعيد سهل بن هارون التسترى متولى ديوانها واخيه أبى نصر ابراهيم اليهوديين — كى يستبدوا بالأمور دونه (٣٢٤) .

ثم كانت وفاة الجرجرائى (فى شهر رمضان سنة ٤٣٦ هـ / مارس ١٠٤٥ م) بمثابة الفرصة التى أتاحت لوالدة الخليفة وأعوانها كى يتدخلوا فى شئون الحكم على حساب الوزراء الذين خلفوا الجرجرائى (٣٢٥) . ومن ثم فقد بدأت بين الجانبين سلسلة متصلة من الصراع على السلطة حتى وزارة اليازورى (سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م) . وتخلل ذلك أن صارت الفرق العسكرية المغربية وباقى طوائف الجيش فى العاصمة اداة لهذا الصراع . ذلك أن الوزير فخر الملك ابا منصور (أو نصر) صدقة بن يوسف الفلاحى (٤٣٦ — ٤٣٩ هـ / ١٠٤٥ — ١٠٤٧ م) — الذى خلف ابا القاسم الجرجرائى فى الوزارة — كره استبداد التسترى بالأمور وسيطرته على كل شىء فى الدولة ، فحرض عليه طائفة الأتراك . وبالمقابل نجح التسترى فى استمالة المغاربة والعبيد . مما ادى الى قيام فتنة بين طوائف الجيش عند باب زويلة فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٣٩ هـ (سبتمبر ١٠٤٧ م) ، راح ضحيتها خلق كثير . ويبدو أن الهزيمة خلالها لحقت بالأتراك بحيث سعوا فى الانتقام من التسترى ، فقتلوه ومثلوا بجثته (٣٢٦) . فحقدت والدة الخليفة على الفلاحى وسعت فى عزله عن الوزارة واعتقاله ، ثم دبرت مقتله انتقاما لمصرع التسترى رجلها القوى (٣٢٧) .

عند هذا الحد بدأ وكان الأمر قد انتهى ، الا اننا نعتقد انه ثمة نتيجة هامة ترتبت على هذا الحادث ، كانت عميقة الأثر ،

سببيا فيما يتعلق بطوائف المغاربة الذين هم فى معية الخلافة . اذ نرجح أن ما بدر من الفرق العسكرية المغربية فى هذه المرة ـ مضافا اليه شغبهم السابق اول خلافة المستنصر ـ قد كون فى ذهن الخليفة المستنصر انطباعاً بأن هذا الجيل القديم من المغاربة قد استنفد طاقاته ، ولم يعد افراده يصلحون للقيام بدورهم كعنصر اول فى الدولة (٣٢٨) . فكان رد المستنصر على ذلك انه سهيج لعناصر جديدة من بربر مصمودة ـ سكان المغرب الأقصى (٣٢٩) ـ بالحضور الى مصر فى شكل هجرة جماعية للاقامة بها ، عسى أن يجد فيهم بعض العزاء عن الرفاق القدامى من المغاربة أمثال : الكتاميين والباطلية والبرقيين . ومن العجيب أن يكون وفود المصامدة الى مصر ـ وهو بعد ما يزال مشروعا تحت التجربة ـ قد تم بهذه الكثرة التى أشار اليها ناصر خسرو(٣٣٠) . وثمة اعتبارات جعلتنا نحكم على وجود المصامدة فى مصر زمن المستنصر بالله بانه كان مشروعا تحت التجربة ، منها :

١ ـ أن وجود المصامدة فى مصر لم يكن يعنى أن الخلافة الفاطمية قد استغنت تماماً عن خدمات باقى الفرق العسكرية المغربية ، بل استمرت الحاجة اليهم قائمة . يتضح ذلك من اشارة ناصر خسرو الى أن المصامدة قد شغلوا المرتبة الثالثة بعد الكتاميين وفرقة الباطلية ، الذين جاءوا على رأس فرق الجيش الفاطمى أثناء الاستعراض العسكرى العام الذى أقيم بمناسبة الاحتفال بفتح الخليج (سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م) (٣٣١) .

٢ ـ أن المقريزى يشير الى أن حارة المصامدة التى كانت بالقاهرة لم تشيد الا فيما بعد سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) أثناء وزارة المأمون بن البطائحى ، كما سنرى (٣٣٢) . وهذا يعنى أن الخلافة الفاطمية لم تعتبر أن هذا المشروع قد نجح الا حينذاك .

ونخلص من هذا الى أن المستنصر باقدامه على جلب المصامدة الى مصر ، رغب فقط فى اثارة همم الفرق العسكرية المغربيــة الموجودة بمصر . وهذا بالفعل ما حدث من طائفة مثل الكتاميين التى أشارت الروايات الى اشتراكهم فى أكثر من معركــة هــامة لصالح الخلافة ، كما سنرى فيما بعد .

بيد أن الخوف من تكرار الخطأ الناتج عن اعتماد الدولة على العنصر المغربى بمفرده فى الجيش ، كان سببا فى جعل المستنصر بالله يفتح الباب لعناصر أخرى غير المصامدة للالتحاق بصفوف الجيش الفاطمى . نذكر منها : جماعات البدو من عرب الحجاز الذين وفدوا حديثا الى الأراضى المصرية ، والزنوج (٣٣٣) . وقد أشار د. ماجد الى أن هذه الفرق الجديدة كانت تخدم كعناصر غير نظاميــة فى الجيش الفاطمى ، وكانت تؤلف طلائعه (٣٣٤) . كما كان حضور بدر الجمالى الى مصر ايذانا ببدء تغلغل العناصر الأرمنية فى الجيش الفاطمى حتى صارت أهم فرقه وهو ما سنتبينه فيما بعد . **وثمة حقيقة تستلفت الانتباه ، وهو ان فكرة تعدد العنــاصر العسكرية التى شرع المستنصر فى تنفيذها — آنذاك — كانت فاتحة لأن نجد ، ولأول مرة منذ الفتح الفاطمى لمصر ، تشكيلات مقاتلة من بربــر لواتة سكان الجانب الغربى لمصر تنتظم فى العمــل ضمن وحدات الجيش الفــاطمى أيضــا كعناصر نظاميــة وغير نظاميــة ، بتدبير من الحكومة الفاطمية على ما سنرى .**

وعلى أية حال فان الاضطرابات التى شهدتها العاصمة عقب وفاة نجيب الدولة أبى القاسم الجرجرائى (رمضــان ٤٣٦ هـ / مارس ١٠٤٥ م) ، مالبثت أن انتهت باستيزار أبى محمد الحسن ابن على بن عبد الرحمن اليازورى ، فى السابع من المحرم سنــة ٤٤٢ هـ (فاتح يونية ١٠٥٠ م) . ذلك الرجل القوى الذى وصف بأن وجوده فى الوزارة بمصر الفاطميــة قد أجل كثيرا من وقــوع

الاضطرابات التى شهدتها البلاد — بعد ذلك — وأدت الى ما عرف بالشدة المستنصرية او العظمى(٣٣٥) . ويرجع السبب فى ذلك الى أن اليازورى كان — قبل أن يلى الوزارة — قد جمع بين اشرافه على ديوان أم المستنصر وبين توليه منصبى القضاء والدعوة الفاطمية ، فغدا بذلك الرجل الأول فى دولة المستنصر بالله . وقد استطاع اليازورى ان يسيطر على مجريات الأمور ، وان يفرض على الدولة جوا من الهدوء رغم الأحداث الهامة التى تخللت فترة وزارته . ويمكن تصور أحوال الفرق العسكرية المغربية الموالية للدولة اثناء ذلك بانهم كانوا فى حالة استرخاء . ذلك ان السياسة الحازمة التى اتبعها هذا الوزير فى معالجة الازمات الاقتصادية التى تعرضت لها البلاد سنوات ٤٤٤ هـ (١٠٥٣ م) ، و ٤٤٦ — ٤٤٨ هـ (١٠٥٤ — ١٠٥٦ م) ، و ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) قد جنبتها الوقوع فى خطر الحرب الأهلية (٣٣٦) . كما أن اليازورى لم يعمد الى اشراك هؤلاء المغاربة — بصفة أساسية — فى العمليات الحربية التى دارت رحاها آنذاك فى جبهة المغرب . رغم أن الاضطرابات التى شهدتها هذه الناحية كانت تستلزم أن تجند الدولة جميع الامكانات لردعها .

أما عن قصة تلك الاضطرابات التى شهدها المغرب ، وكيفية معالجتها من قبل حكومة القاهرة الفاطمية ، وأثر ذلك على سير الأحداث فى مصر خاصة فيما يتعلق بأراضى الجانب الغربى لمصر ، فقد تمت على النحو التالى :

حدث فى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) أن شرع أمير افريقية أو المغرب الأدنى — المعز بن باديس الصنهاجى (٤٠٦ — ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ — ١٠٦٢ م) فى خلع طاعة الخليفة المستنصر بالله ، وقطع الخطبة له ودعا للخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢ — ٤٦٧ هـ /

١٠٣٢ ـ ١٠٧٥ م) (٣٣٧) • فكان رد اليـازورى على ذلك أنه اقترح على الخليفـة المستنصر تنفيـذ ما سبق أن ارتآه الوزير السابق أبو البركات الجرجرائى ـ ابن أخى الوزير أبى القاسم الجرجرائى (تولى الوزارة فى سنة ٤٣٩ هـ الى سنة ٤٤١ هـ = ١٠٤٧ ـ ١٠٤٩ م) ـ بشأن استخدام القبائل العربية النازلة فى صعيد مصر من بنى هلال وسليم وجشم وفزارة ومعقل وغيرها فى القضاء على حركة المعز بن باديس (٣٣٨) • وكانت خطة اليازورى فى ذلك تهدف الى تحقيق فائدة مزدوجة : ففى حين قصد اليازورى أن يضرب المعز بن باديس بخصم قوى لا يستهان به ، وهو ما عبر عنه فى خطابه الى المعز قائلا : « ... اما بعد ، فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا » (٣٣٩) • اراد اليازورى أيضا التخلص من هذه الجحافل العربية التى دأبت على اثارة الشغب والفساد فى أرض الصعيد منذ قدومها الى مصر فى أيام الخليفة العزيز بالله الفاطمى (٣٤٠)• أو كما قيل أراد أن يضربه عصفورين بحجر واحد •

ويبدو أن عدم اعتماد اليازورى على فريق المغاربة العسكريين فى تنفيذ هذا المشروع ، انما كان بمثابة اعلان رسمى عن أنه لم يكن مقتنعا بامكان قيامهم بهذا الدور خير قيام ، أو أنه كان مرتابا فى احتمال انضمامهم الى جانب المعز بن باديس على أسـاس ان أصولهم المغربية قد تفرض عليهم ذلك (٣٤١) •

وبمجرد أن وافق الخليفة المستنصر بالله على هذه الخطة ، شرعت قبائل هلال وسليم وغيرها فى اجتياح نواحى برقة وطرابلس وافريقية ، وطردت منها سـكانها البربر ، وعاثت فيها فسـادا وتخريبا • والحقت بجيوش المعز بن باديس هزيمة ساحقة فى موقعة حيدران ـــ وقيل جندران ـــ من جهة قابس ، فى الثانى عشر من شهر ذى الحجة سنة ٤٤٣ هـ (ابريل ١٠٥٢ م) • واضطر المعز

فى أثرها الى الخروج من القيروان والإنتقال الى مدينة المهدية حيث اتخذها مقرا له • وتقلص ملك بنى زيرى ، منذ ذلك الحين ، حتى لم يعد يجاوز جزءا من الساحل يحيط بالمهدية (٣٤٢) •

ولنا أن نتساءل عن مصير هؤلاء البربر التعساء سكان المنطقة المتاخمة لحدود مصر الغربية ، وحتى مدينة طرابلس ، الذين فروا أمام الهجمات المدمرة التى شنها عرب هلال وسليم على أراضيهم • على اننا قبل الاجابة على هذا التساؤل نلاحظ بعض التطورات التى انتابت نواحى غرب مصر فى فترة معاصرة لتحرك هذه القبائل العربية صوب المغرب • اذ غدت هذه المنطقة مبتلاة بالاضطرابات والقلاقل طوال فترة وجود اليازورى فى الوزارة ، واشتدت بصورة غير طبيعية اثر اقصائه عنها فى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) • واذا كان عرب بنى قرة ـ من أفخاذ هلال ـ هم الذين افتتحوا سلسلة الاضطرابات هذه ، بثورتهم التى قاموا بها فى سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) ، فان جماعات اللواتيين سكان المنطقة واصلوا المسيرة بشكل لم يسبق له مثيل :

ففى سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) رفض زعماء بنى قرة ـ بناحية البحيرة ـ الانصياع لسلطة الحكومة الفاطمية وكرهوا الانقياد لأحد الأشخاص ويدعى المقرب ، كان اليازورى قد عينه حاكما عليهم • وتعللوا بتأخر صرف مستحقاتهم المالية عن تلك السنة ، وزاد من خطورة هذه الحركة انضمام العرب الطلحيين اليهم (٣٤٣) • ورغم ان اليازورى تمكن من القضاء على هذه الثورة بواسطة التجريدات العسكرية التى أرسلها الى أرض البحيرة واستطاع بذلك أن ينشر الأمن فى تلك الناحية (٣٤٤) فان الاضطرابات لم تنقطع عن تلك المنطقة سيما بعد اقصاء اليازورى عن منصب الوزارة (فى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) (٣٤٥) :

وتجلى ذلك الاشارة الى أن الوجود البربرى ـ وبخاصة بربر لواتة وهوارة ـ بدأ يتغلغل فى الحياة العامة بمصر وبعمق اكبر في نواحي الدلتا ومصر الوسطى والصعيد ، حتى وصل الأمر الى أن شراذم من بربر لواتة أصبحت ـ ولأول مرة منذ الفتح الفاطمى لمصر ـ ضمن عناصر الجيش الفاطمى (٣٤٦) •

ويوحى لنا ذلك بأن تحرك عرب هلال وسليم وجشم وفزارة ومعقل نحو المغرب قد أفرز تحركات مضادة قام بها هؤلاء الفارون من سكان الصحراء الليبية المتاخمة لخط الحدود مع مصر نحو الأراضى المصرية بحثا عن الأمان من خطر هجمات العرب المدمرة (٣٤٧) • وكان أغلب هذه العناصر النازحة من بربر لواتة وهوارة . وقد اتخذت هجرتهم الى الديار المصرية شكل موجات ذات طابع سلمى هادىء بغرض الاستقرار مع بنى عمومتهم القدامى من فروع لواتة وهوارة أيضا • الا أن كثرتهم ـ على ما يبدو ـ دفعت بأولئك القدامى الى النزوح نحو الشرق قليلا حيث تجاوزت أعداد منهم مجرى النيل واستقرت فى نواح متفرقة من الدلتا والضفة الشرقية للوادى (٣٤٨) •

وتجدر الاشارة الى أن هذه العناصر البربرية الجديدة قد شاركوا اخوانهم القدامى فى عدم الانصياع لسلطان الحكومة الفاطمية • ويرجع السبب فى ذلك الى جانب عقيدتهم السنية ، انهم أدركوا أن الفاطميين ـ الذين أرسلوا العرب الى المغرب ـ كانوا سببا مباشرا فى هذا الوضع المهين الذى أمسوا فيه • وهو ما جعلهم مصدر شغب دائم خاصة فى فترات الضعف التى انتابت الخلافة الفاطمية ، كما سنرى بعد ذلك •

اما عن الأحوال فى العاصمة ، فقد أخذت فى التدهور بشكل ملحوظ منذ أن أقصى اليازورى عن منصب الوزارة ، فى أول المحرم

بسنة ٤٥٠ هـ (٢٨ فبراير ١٠٥٨ م) (٣٤٩) . ويرجع السبب في ذلك الى رغبة أم الخليفة المستنصر في التدخل في شئون الحكم وسعيها الدائم من أجل زيادة نفوذ طبقة العبيد السودان في الدولة ، بحيث أدى ذلك الى اثارة الأحقاد بين طوائف الجيش الفاطمي . كما كان لضعف شخصية الوزراء الفاطميين الذين خلفوا اليازوري أثره في قلقلة الأوضاع حينذاك . كذلك أدى التنافس الذي حدث بين قادة الفرق العسكرية ، وبخاصة الأتراك ، الى مزيد من الاضطرابات التي تعرضت لها البلاد . ثم ان قصور النيل سبع سنوات متتالية (منذ سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ — ١٠٦٥ م) وما تلى ذلك من تعرض البلاد لخطر المجاعات والأوبئة ، قد أثر على هذه الفتن وأضاف اليها أبعادا اقتصادية واجتماعية خطيرة . بحيث أسهب المؤرخون في وصف ذلك ، وأطلقوا على هذه الفترة اسم الشدة المستنصرية أو العظمى (٣٥٠) .

وتبدأ أحداث هذه المرحلة الهامة في تاريخ الدولة الفاطمية عندما انتهزت أم المستنصر فرصة ابعاد اليازوري عن الوزارة ، وشرعت في ممارسة هوايتها في الضغط على الوزراء الذين جاءوا بعده ، كي يزيدوا في الاعتماد على طبقة العبيد السودان ، بأن يعهدوا اليهم بوظائف الدولة الهامة ، مع زيادة المخصصات المالية المقررة للعبيد ولو على حساب الطوائف الأخرى (الأتراك والمغاربة) . وكانت استجابة هؤلاء الوزراء لرغبة أم المستنصر — خوفا من سطوتها — دافعاً لباقي الفرق الأخرى كي تثور على هذا الوضع الشاذ . بيد أن الأتراك كانوا أسبق في التعبير عن شعورهم بالسخط ازاء ذلك . ونتج عن هذا أن الفتن العسكرية التي بدأت تشهدها البلاد منذ ذلك الحين قد دارت في معظمها بين الأتراك والعبيد السودان . وكان النصر فيها حليفا للأتراك حتى تمكنوا في سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨/٦٧ م) من اجلاء العبيد نهائيا

عن مراكز تجمعهم فى القاهرة وضواحيها ، الى صعيد مصر . كما قضى الأتراك كذلك على كل المحاولات التى بذلتها أم المستنصر من أجل تقوية مركز العبيد وجعل النصر فى صالحهم (٣٥١) . وتجدر الاشارة الى ان الهزائم المتتالية التى لحقت بطبقة العبيد السودان وانحسار نفوذهم الى صعيد مصر لم يكن يعنى ان وجودهم فى ديار مصر قد تلاشى ، ذلك أنهم استمروا مقيمين فى جنوب مصر فترة طويلة حاولوا خلالها تعويض الخسائر التى منوا بها بأعمال الشغب التى شاركوا فيها مع جيرانهم من القبائل العربية الضاربة بتلك المنطقة . مما كان له أكبر الضرر على سكان المنطقة والمناطق المجاورة (٣٥٢) .

وبخصوص الفرق العسكرية المغربية الموجودة فى الخدمة ، فاننا نلاحظ انهم تأخروا عن الاشتراك فى الأحداث ، كما انهم اتخذوا موقفا مغايرا لكل من العبيد والأتراك . فنراهم منذ سنة ٤٦١ هـ (٦٨ / ١٠٦٩ م) يحاربون فى صف الخلافة قادة الأتراك الذين سعوا فى الاستبداد بالأمر دون المستنصر ، أمثال : ناصر الدولة أبى على الحسين بن الحسن الحمدانى وأخويه (٣٥٣)، وتاج الملوك شادى ، وغيرهم (٣٥٤) . ويمكن لنا أن نفسر السر فى تغير موقف قادة المغاربة على هذا النحو بأنه يعزى الى وجود فرقة المصامدة التى لم يكن هناك شك فى أن أفرادها سيعملون لصالح الخلافة . فلم يشأ هؤلاء القادة أن يسحب البساط من تحت أقدامهم اذ هم خالفوا هذا الوضع . كما أن تأخرهم الى ذلك الحين انما كان انتظاراً لأوامر المستنصر ، اذ كانت المصادمات بين الأتراك والعبيد من قبيل الأمور التى لا دخل للمغاربة فيها .

وقد برزت أهمية الدور الذى لعبته الفرق العسكرية المغربية خلال هذه الفترة فى ان الخليفة المستنصر تمكن بواسطتهم ، وكذا بواسطة جماعة الأتراك الذين انشقوا على ناصر الدولة بن حمدان ،

وأيضا بإعداد من المتطوعين من عامة المصريين ، من الحاق الهزيمة بجموع ابن حمدان فى المعركة التى دارت بين الطرفين فى شوارع القاهرة ، أواخر سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) • واضطر ناصر الدولة بعدها الى الفرار الى ناحية البحيرة (٣٥٥) • وظهر أثر اشتراك المصامدة ـ هذه المرة ـ الى جانب الفرق المغربية الأخرى فى الدفاع عن حقوق الخلافة فى أن طائفة مثل كتامة اضطر أفرادها الى اظهار مواهبهم فى فنون القتال ضد ناصر الدولة بشكل جعل المستنصر بالله يعهد إلى أحدهم وهو الأمير سنان الدولة بن جابر الكتامى بتأمين منطقة الفسطاط ، من خلال منصبه كوال عليها ، ربما أثناء سير المعركة أو بعد ذلك بقليل (٣٥٦) •

كذلك كان هؤلاء المغاربة سببا فى الحفاظ على نفوذ الخليفة المستنصر قائما فى حدود العاصمة وضواحيها ، فى وقت تعرض فيه سلطان الخلافة الفاطمية ككل للخطر فى باقى نواحى مصر ، اذ كانت « لواتة قد ملكت الريف، والصعيد بأيدى العبيد » (٣٥٧)• وتفسير ذلك ان ناصر الدولة بن حمدان عندما هزمت قواته أمام التحالف الموالى للمستنصر (أواخر سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م) ، فر من القاهرة الى ناحية البحيرة واتخذها مركزا جديدا يعاود منه نشاطه المعادى للخلافة الفاطمية • فكأنه كان على يقين تام بأن هذه الناحية ، وكافة أراضى الجانب الغربى لمصر ، قد غدت بيئة مناسبة لتحقيق أهدافه • ولم لا وقد ساعده وجوده بالاسكندرية سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) ـ كحاكم على المدينة أيام قيام عرب بنى قرة بثورتهم على الحكومة الفاطمية (٣٥٨) ـ على أن يكون على دراية بأسباب التغير الاجتماعى فى هذه النواحى • اذ لا شك فى أن ناصر الدولة قد لاحظ آنذاك الكثرة العددية التى بدأت تتضح بين الجماعات البربرية المستقرة هناك ، كنتيجة طبيعية لبداية نزوح العناصر اللواتية والهوارية ـ القادمة من هجوم العرب على

اراضيهم — الى أراضى تلك الناحية · كما أنه ليس ببعيد أن يكون ثمة تقارب فى وجهات النظر قد نشأ بين ناصر الدولة والقيادات اللواتية التى بدأت تلمع منذ ذلك الحين ، مثل سليم اللواتى الذى لقب فيما بعد « بكبير أهل البحيرة » (٣٥٩) · ويرجع السبب فى حدوث هذا التقارب الى اشتراك الطرفين فى الحقد على الخلافة الفاطمية (٣٦٠) · ومن المؤكد أن التقدم الذى أحرزه الطرفان — بعد ذلك — على حساب الخلافة الفاطمية ، كل بأسلوبه الخاص ، قد ساعد على استمرار التقارب فى وجهات النظر فيما بينهما :

ففى حين تمكن ابن حمدان من تحقيق مركز متقدم فى العاصمة ونجح فى فرض آرائه على المستنصر ، على نحو ما رأينا ، كانت الأمور قد تمهدت كثيرا لهذه الجماعات البربرية — وبخاصة لواتة — فى قطاعات واسعة من أراضى الوجه البحرى · وثمة حادث له دلالته على ان اللواتيين قد صاروا انذاك قوة لها تأثيرها ، فقد حدث لأحد الوزراء الفاطميين أثناء فترة الصراع بين الأتراك والعبيد — وكان يدعى ابا سعد منصور بن أبى اليمن — أن تعرض لشغب الجند عليه مطالبين بأرزاقهم ، بعد أيام قلائل من توليته الوزارة . فما كان منه الا أن خرج فارا من العاصمة تاركا منصب الوزارة الى حيث تجمعات اللواتيين ، بحثا عن الأمان لنفسه (٣٦١) · ومن الأمور التى أعانت اللواتيين على تثبيت أقدامهم فى تلك الأنحاء الجديدة : كثرتهم العددية المضطردة ، واضطرار المستنصر — رغبة فى احتوائهم — الى الاعتراف بوجودهم كأمر واقع من خلال السماح لأعداد منهم بالعمل فى الجيش الفاطمى كعناصر نظامية أو غير ذلك ، كما سبق القول ·

وليس ادل على حدوث هذا التقارب بين ناصر الدولة وبين بربر لواتة من الاشارة الى أن طائفة من اللواتيين كانت ضمن البقايا الفارة مع ناصر الدولة الى ناحية البحيرة ، عقب هزيمته فى

القاهرة (٣٦٢) . وربما كان وجود هذه الطائفة اللواتية ضمن جموع ناصر الدولة فى العاصمة من الأمور التى شجعته على أن ينبذ الأتراك عنه ويسعى فى التخلص من قادتهم ، مثلما حاول مع سيف الدولة الدكز(٣٦٣) . بمعنى ان ميل ابن حمدان الى الأتراك فى صراعه مع المستنصر ، كان عملية مؤقتة أعقبها التخلى عنهم ، مما جعل الأخيرين ينحازون الى صف المستنصر .

وفى ضوء هذه الاعتبارات يمكن القول بأن خروج ناصر الدولة بن حمدان الى البحيرة عقب هزيمته فى القاهرة أمام قوات المستنصر ، لم يكن فرارا بل لجوءا الى بربر لواتة حلفائه . ثم انه شرع فى استمالة باقى سكان ناحية البحيرة من عرب سنبس وقيس ، فجعل اقامته فى أحيائهم وتزوج من بنى سنبس (٣٦٤) .

ثم تلا ذلك قيام ابن حمدان بدور عد من أكبر الصعوبات التى واجهت المستنصر طوال فترة حكمه بعد نجاحه فى استخدام اللواتيين — الذين كانوا ميالين الى المذهب السني — كعنصر ضغط على نفوذ الخلافة الفاطمية فى الوجه البحرى . وقد أعرب عن حقيقة نواياه فى هذا الصدد عندما بعث فى سنة ٤٦٢ هـ (٦٩ / ١٠٧٠ م) الى ألب ارسلان سلطان السلاجقة بالعراق (٤٥٥ — ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ — ١٠٧٢ م) رسولا من قبله يسأله ان يرسل اليه عسكرا ليقيم الدعوة العباسية فى مصر ، على أن تؤول الى ناصر الدولة السيادة على مصر . وقد رحب ألب ارسلان بذلك ، غير انه شغل بمحاربة الروم عن المسير الى مصر (٣٦٥) . هذا فى الوقت الذى قام فيه أربعون الف لواتيا — وقيل خمسون الفا — تحت قيادة ناصر الدولة بشن هجمات مدمرة على أراضى الوجه البحرى . وقد عدد ساويرس من الفظائع التى ارتكبوها الشيء الكثير ، من ذلك أنهم « ملكوا بلاد الريف كلها الشرقية والغربية ،

ونهبوها وأخربوها ، وقتلوا أهلها وهتكوا الحرم ، وذبحوا الأولاد على بطون امهاتهم وعلى ظهور آبائهم »(٣٦٦) .

وقد رد الخليفة المستنصر بالله على ذلك بأن جهز ثلاث حملات متتالية لمحاربة ناصر الدولة وحلفائه في أرض البحيرة . وكان طبيعيا أن تتألف هذه الحملات من ذات العناصر التي شاركت قبل ذلك في دفع ابن حمدان عن القاهرة ، وهي وحدات من الفرق العسكرية المغربية القائمة في الخدمة ، والأتراك المنشقين على ابن حمدان ، والمتطوعين المصريين . بيد أننا نلاحظ ان القيادة العليا لهذه الحملات الثلاث كانت لغير قادة المغاربة الموالين (٣٦٧) . فكأن هؤلاء المغاربة - وهم على ما يبدو كانوا يشكلون السواد الأعظم بين جنود هذه الحملات - قد نزلوا على رغبة المستنصر ولم يطالبوا بنصيبهم في القيادة ، امعانا في الطاعة وحتى لا يكونوا كالتي نقضت غزلها . وبالرغم من ذلك اوقع ابن حمدان الهزيمة بهذه الحملات الثلاثة وغنم منهم مغانم كثيرة ، لكثرة جموعه من ناحية ، والانشقاق الذي حدث بين قادة الحملات من ناحية أخرى بحيث « صار كل واحد منهم لا يتبع رأي الآخر ، وان كان فيه الصواب » (٣٦٨) . وقد أسفرت هزيمة جيوش الخلافة عن مزيد من التدهور في العاصمة وبدأ الخلف يدب بين الأتراك والمغاربة ، لاستياء الأخيرين من موقف القادة الأتراك الذي يبعث على الخزي . بينما تعاظم نفوذ ناصر الدولة حتى انه أقام الدعوة للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، في الاسكندرية ودمياط وجميع جهات الوجه البحري ، وحال دون وصول الأقوات الى العاصمة (٣٦٩) . الأمر الذي أدى الى تفاقم خطر المجاعات وندرة الاقوات رغم ان النيل قد بلغ حد الوفاء في هذه السنة (٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م) ، واضطر المستنصر معه للنزول على رغبة قادته - من الاتراك خاصة - في أمر الصلح مع ابن حمدان وقبل شروطه في ذلك (٣٧٠) .

ومن المناسب أن نشير هنـا الى أن نجاح هذه السياسـة الاقتصادية التي اتبعها ناصر الدولة ضد الخليفة المستنصر وسكان العاصمة ، انما يعزى الى حلفائه اللواتيين الذين احتكروا زراعـة الغلات في جهات الوجه البحرى ، ومنعوا الزراع المصريين من ذلك « فلم يقدر أحد (على أن) يزرع فيه غلة ، غيرهم • فحرثوا الغلات وامتنعوا عن بيعها ، الى أن عدمت من أرض مصر » (٣٧١) •

وثمة ملابسات اقترنت بأمر الصلح الذى عقد فى سـنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ / ١٠٧١ م) بين الخليفة المستنصر وناصر الدولة ابن حمدان • اذ كان الأتراك ـ على ما يبدو ـ أبرز من نادى بذلك، حتى أشـار المقريزى الى انهم هـم الذين صـالحوا ناصر الدولة (٣٧٢) • بينما لم تفصـح الرواية عن دور قـادة الفرق العسكرية المغربية فى هذا الأمر . فلعلهم كانوا يرون ضرورة استئناف القتال ومعارضـة فكرة الصلح لأنها فى الحقيقـة تعنى الرضوخ والاستسلام لابن حمدان • ثم ان المستنصر مال الى رأى الأتراك ، رغبـة في احتواء الأزمة فانحسمت بذلك مادة المناقشـة فى هذا المجال • ونعتقد ان ميل المستنصر لقبول الصلح قد فت فى عزائم القادة المغاربة بحيث صـار طبيعيا ان تتكاسـل اعداد منهم عن الاشتراك فى المعارك القادمة التي قد تتطلبها الظروف الراهنة •

وقد أسفر الصلح الذى عقد بين الطرفين على أن يظل ابن حمدان مقيما بالبحيرة ويحمل اليه مبلغ من المال ، ويكون تاج الملوك شادى نائبا عنه فى القاهرة ، فى مقابل تعهده بارسال الغلال الى القاهرة والفسطاط (٣٧٣) • وكان على ابن حمدان ـ كي تصل المؤن والأقوات الى القاهرة ـ أن يمارس ضغطا على حلفائه اللواتيين حتى يمتنعوا ـ ولو الى حين ـ عن احتكار الزراعة بأراضى الوجه البحرى •

ويبدو أن اللواتيين قبلوا ذلك على مضض ، وصاروا ينظرون الى ناصر الدولة بارتيـاب على انه يسـعى للتدخل فى شـئونهم الخاصة • الأمر الذى أثر على صفاء العلاقات بين الطرفين ، لاسيما ان الأحداث التاليـة أكدت هذه النظرة • اذ حـدث ان تعرض اللواتيون لأسقف مدينـة الاسـكندرية ، الذى اتخذه البطريرك خرسطودلوس (١٠٤٦ — ١٠٨٧ م / ٤٣٨ — ٤٨٠ هـ) نائبـاً له على الكنيسة هناك ، فقبضوا عليه وصادروا أمواله (٣٧٤) • ويشير ساويرس الى أن ناصر الدولة سعى بواسطة كاتبه النصرانى أبى الطيب بن يحنس (أو يؤانس) الزراوى ، فى الشفاعة لدى اللواتيين لاطلاق سراح نائب البطريرك ، مقابل فدية مالية مقدارها ثلاثة آلاف دينار ، يدفعها نصارى المنطقة (٣٧٥) • ولا شـك ان ابن حمدان فعل ذلك خوفا من أن يؤدى تصرف حلفائه اللواتيين الى استعداء نصارى مصر ، اذ كان عليه فى هذه الفترة أن يستغل هدوء الحال بينه وبين المستنصر ليعيد ترتيب أوراقه ويزيل الآثار الضارة التى أحدثتها هجمات اللواتيين على أرض الوجه البحرى •

وليس أدل على ذلك من اتخاذ ابن حمدان لأبى الطيب النصرانى كاتبا له • واذ كان اللواتيون قبلوا وساطة ناصر الدولة وكاتبه ، وأفرجوا عن الأسقف بعد حصولهم من أبى الطيب على الف دينار وتعهده بسداد باقى المبلغ (٣٧٦) ، الا انهم كرهوا تدخل أبى الطيب مرة ثانية من أجل العفو عن صارم الدولة بن جابر الكتامى — أخى الأمير سنان الدولة والى الفسطاط — الذى اعتقله اللواتيون أثناء هجومهم على مدينة طنتتا او طندتا (طنطا الحالية) (٣٧٧) • ورغم ان أبا الطيب قد ضغط على اللواتيين — هذه المرة — بدافع شخصى لا بصفته كاتب ابن حمدان ، اذ كان يراعى فى ذلك حرمة أخيـه سنان الدولة الذى عمل ابو الطيب كاتبا له وقت ان كان بالفسطاط • ورغم هذا أراد اللواتيون تلقين ناصر الدولة بن حمدان درسـا كى لا يتدخل ، هو او أحد خاصته ، بعد ذلك فى خاصة أمورهم •

فقتلوا صارم الدولة الكتامى ، ثم انهم فتكوا بأبى الطيب الزراوى اذ « وثب عليه موسى بن القرن ، أحدهم ، فضربه بسيفه وبادر اليه بقيتهم فقطعوه بسيوفهم » (٣٧٨) .

ولا شك ان ناصر الدولة بن حمدان قد أدرك حينئذ صعوبة العمل مع اللواتيين فى ظل هذه التطورات ، فكان عليه أن يركز جهوده لتأمين نفوذه بالعاصمة قبل أن يأتى يوم ينقلب عليه حلفاؤه ، ناهيك عن أن نفوذه بالعاصمة قد تعرض آنذاك للانهيار . فقد سعى نائبه تاج الملوك شادى فى الانقلاب عليه ، ومنع ارسال الأموال المقررة اليه ، واستبد بالأمور فى العاصمة . فاستاء ابن حمدان من ذلك وأخذ فى الاستعداد لشن هجوم على القاهرة — فى أوائل سنة ٤٦٤ هـ (أواخر ١٠٧١ م) — لقتال المنشقين عليه (٣٧٩) . ومما يؤكد أن العلاقات بين ناصر الدولة وحلفائه اللواتيين — آنذاك — لم تكن على ما يرام ، ان الجيش الذى صحبه عند مسيره الى القاهرة كان يتألف فى معظمه من عرب قيس وسنبس، أو كما قال المقريزى : « ... واتفق هو وجمائع العربان على المسير الى القاهرة » (٣٨٠) . ولا يعنى هذا ان التحالف بين ناصر الدولة واللواتيين كان قد انفض عراه ، بل يمكن القول بأن العلاقات بينهما كانت متوترة بعض الشىء نتيجة شعور كل طرف بفقد الثقة فى الطرف الآخر .

وفى أرض الجيزة تمكن ابن حمدان من القبض على تاج الملوك شادى ونفر من أنصاره الأتراك ، ثم واصل زحفه الى القاهرة عن طريق الفسطاط . الا انه فقد سيطرته على جنوده الذين أشاعوا النهب والسلب فى أحياء الفسطاط واشعلوا فيها النيران (٣٨١) . ولما استفحل أمرهم عول المستنصر على محاربتهم ، فانفذ اليهم فريقا من جنده كان يشتمل على «طائفة لهم قوة وفيهم منعة» حسبما يقول المقريزى (٣٨٢) . ودارت بين الفريقين عدة معارك انتهت

بهزيمة أتباع ابن حمدان ، وفراره ثانية الى ناحية البحيرة ، حيث أيقن انه لا مفر له من الاستعانة بجهود اللواتيين مرة أخـــرى . ونرجح أن ابن حمدان تعهد لقيادات لواتة بألا يعارضهم فيما يرونه مناسباً لأهوائهم حتى يستعيد ثقتهم ثانية . وكان لاشتراكهم معه أثره فى أن يجدد اقامة الدعوة للخليفة العباسى القائم بأمر الله فى أراضى الوجه البحرى كما أرسل الى بغداد يلتمس الخلع (٣٨٣) .

ومن المؤكد ان الأنباء التى سمعها ابن حمدان بعد ذلك عن تدهور الأحوال فى العاصمة قد شجعته على التفكير فى المسير اليها ثانية . اذ حـــدث فى ذلـــك الوقت (خـــلال سنة ٤٦٤ هـ / ٧١ ــ ١٠٧٢ م) أن نشبت الفتنة بين أهم قوتين فى جيش المستنصر ، وهم المغاربة والأتراك (٣٨٤) . وهو ما كان متوقعا بين الطرفين منذ أن شعر المغاربة بفقدان الثقة فى الأتراك اثر وضوح تقاعسهم عن نصرة الخلافة بشكل جعل المغاربة هم ضحايا حركة ابن حمدان . فابتداء ادى انشغال القادة الأتراك بالاختلاف فيما بينهم الى هزيمة الحملات الثلاثة التى ســـيرها المســـتنصر لقتال ابن حمدان فى البحيرة (سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م) . ثم ان ضغط الأتراك عـلى المستنصر بشأن عقد الصلح فى سنة ٤٦٣ هـ (٧٠ / ١٠٧١ م) مع ابن حمدان وقبول شروطه فى ذلك قد جعل تاج الملوك شادى ينوب عن ابن حمدان فى الاستبداد بالأمر فى العاصمـــة . وأخـــيرا ربما وقع تحت أيدى قادة المغاربة ما يفيد اتصال بعض الأتراك بابن حمدان وانهم يدعونه لغزو القاهرة الأمر الذى كان سببا فى حدوث هذه الفتنة بينهم وبين الأتراك . وخلال القتال الذى دار بين الفريقين فى منطقة كوم الريش ــ المجاورة للقاهرة ، وهى غير كوم شريك التى فى أرض البحيرة ــ لم يتمكن أى منهما من احراز النصر على الآخر ، فقط تعرض الجانبان لخسائر جمة حتى قيل ان مجموع من مات منهمـــا فى يوم واحد ١٢٠ ألف رجـــلا (٣٨٥) . وربما فت فى عضد الجميع وادى إلى تدهور جيش المستنصر ..

وعندئذ شرع ابن حمـدان فى المسير على رأس قواتـه الى القاهرة ، فدخـل الفسطاط فى شهر شـعبان من تلك السـنة (٤٦٤ هـ / مايو ١٠٧٢ م) ، وتغلب على حكم المدينة ، ثم انه آثر الانتظار قليلا حتى يتأكد من صحة الأنباء التى سمعها ٠ فلما تيقن عجز المستنصر عن مقاومته ، بعد أن انفضت عنه القوى التى كان يعتمد عليها ، قرر دخول القاهرة ، فدخلها خلال ذلك الشهر ٠ ثم كان من الطبيعى أن تتسم تصرفات ابن حمدان تجاه الخليفة المستنصر بالعدوانية المطلقة ، وقطع فى ذلك شوطا بعيداً (٣٨٦)٠ وساعد على ذلك غياب القوى المعارضة له عن الساحة : فقد مال كثير من الأتراك لمصالحته حتى ان شيخهم الدكز قبل مصاهرته وتزوج ابنته(٣٨٧) . أما المغاربة ــ فعلى الرغم من استحالة أن يكون قد حدث تعـاون بينهم وبين ابن حمدان أثنـاء اقامته بالقاهرة ــ الا ان خسائرهم أمام الأتراك منعتهم من القيام بعمل حاسم ضده ٠

غير أن ابن حمدان لم يهنأ بالانفراد بالأمر فى القاهرة طويلا ، اذ سرعان ما انقلب عليه قادة الأتراك بتدبير الدكز ، واتفق الجميع على قتـله ٠ وتم ذلك فى شهر شعبان من سنة ٤٦٥ هـ (مايو ١٠٧٣ م) وفتكوا بأفراد أسرة بن حمدان فى السنة ذاتها(٣٨٨) . وجدير بالذكر ما أشار اليه ابن تغرى بردى ــ ثانية ــ عن السكين المغربى المسمى باليافورت عند تصويره لحادث اغتيال ناصر الدولة ابن حمدان ، بقوله : « ... ومشى الدكز معه ، ثم تأخر عنه وضربه بيافورت كان معـه ، وهو سكين مغربى ، فى خاصرته ٠ وضربه كمشـتكين (غلام الدكز) فقطع رجليه ٠ فصـاح : فملتموها ٠ فحزوا رأسـه »(٣٨٩) .

ومن الملاحظ أن الفوضى والاضطرابات التى انتابت البلاد لم تنته بمقتل ناصر الدولة ، بل سرعان ما حل الدكز محل ناصر الدولة فى الاستبداد بالخليفة المستنصر الذى ضاق به وباتباعه

ذرعا • وفي غيبة المغاربة ـ من موالي الدولة ـ عن الساحة ، آيس المستنصر من ايجاد حل داخلي حاسم لهذه الأزمة • فاضطر في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٤ م) الى استدعاء نائبه على مدينة عكا بدر الجمالي ، الأرمني الأصل ، وأرسل اليه يطلب منه الحضور ليتولى تدبير شئون الدولة واصلاح ما فسد منها • وقد اشترط بدر كي يحضر ، أن يأتي ومعه قواته الخاصة من بني جلدته الأرمن • فوافق المستنصر بالله على طلبه(٣٩٠) . وكان ذلك بداية مرحلة جديدة في عمر الخلافة الفاطمية ، أو ما عرف بالعصر الفاطمي الثاني •

الهوامش

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٠ ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ (تحقيق د. الشيال ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، ١٩٦٧) ، ص ١١١ .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٤٦ . وراجع : د. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ١١١ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٣٥١ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٣٠٧ ، وابن تغرى بردى : جـ ٤ ، ص ٤٧ .

مع ملاحظة أن هناك خلطا بخصوص أصل هذه الفرقة . فالشائع أنهم من أهل برقة . حتى ان على مبارك (الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ ١ ، ص ٣٨) اشار الى أنهم من « قبيلة البرقية » . وقد جانب الصواب هذا الرأى ، لأنه من الثابت أن أهل برقة كانوا فى شغب دائم على الفاطميين منذ أن سقطت مدينتهم فى سنة ٣٠١ هـ (٩١٤ م) . فى حين اهتم الفاطميون بالمدينة واتخذوها قاعدة امامية تتجمع فيها جيوشهم المتجهة الى مصر . فكانت ترابط ببرقة ــ وبصفة دائمة ــ حامية فاطمية كبيرة العدد . وكان من الطبيعى أن يصطحب القائد جوهر معه الحامية الموجودة بالمدينة الى مصر ، وهى التى استقرت فى حارة البرقية ونسبت اليهم . كذلك اصطحب المعز لدين الله معه أيضا الفرقة العسكرية المقيمة ببرقة عند دخوله مصر . فدخلوا من الباب الذى عرف بباب البرقية ، واستقروا مع سابقيهم فى حارة البرقية . وهذا يفسر كثرة عددهم التى أشار اليها ابن تغرى بردى بقوله : « وكانوا جماعة كثيرة » . وقد استمرت هذه الفرقة الى أخريات أيام الفاطميين بعد أن تجددت دماؤها بعناصر أخرى أطلق عليها طائفة الأمراء البرقية التى برز منها ضرغام بن سوار اللخمى ، الذى ولى الوزارة فى مصر ، كما سنرى فى حينه .

(٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ، ص ٣٧ ، ٥٢ ٠

(٧) وقد زال هذان البابان ، وبنى أمير الجيوش بدر الجمالى (٤٦٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٤ - ١٠٩٤ م) بدلهما باب زويلة الكبير القائم الى اليوم ٠ وتسميه العامة بوابة المتولى حيث كان يجلس فى مدخله متولى حسبة القاهرة ٠ انظر : (ابن تغرى بردى : ص ٣٧ هامش تحقيق رقم ٦) ٠

(٨) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ط ١ ، القاهرة ١٩١٤ ، ص ١٩٧ ٠

(٩) وهم البلغار من عنصر السلاف سكان الأراضى البيزنطية التى خضعت لسلطان الفاطميين مثل صقلية ، وخدموا فى الجيش الفاطمى فى المغرب ٠ عن ذلك انظر : د٠ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جزآن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القـــاهرة ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ٠ وراجـع : د٠ على ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ١٧ - ٢٢ ٠

(١٠) المقريزى : الخطط جـ ٢ ، ص ٣١١ ٠

(١١) فتحى حافظ أحمد الحديدى : دراسات فى مدينة القاهرة ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٢ ٠

(١٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ ٠ وراجع : د٠ محمد كامل حسين ، فى أدب مصر الفاطمية ، سلسلة الألف كتاب (عدد ٤٥٥) ، ط ٢ ، دار الفكر العربى بالقاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ود٠ محمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٣ ، وهامش رقم ٣ ص ٥٣ - ٥٤ ، وص ٣٢٢ هامش رقم ١ ٠

(١٣) المقريزى : المصدر السابق والصفحة ٠

(١٤) نفسه والصفحة ٠

(١٥) نفسه : ص ٢٩٩ ٠ وهذه الحارة باقية الى اليوم ، وتسميها العامة « الباطنية » ويدل على موقعها شارع الباطنية وحارة الباطنية فى الجنوب الشرقى للجامع الأزهر بقسم الدرب الأحمر ٠ انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ، ص ٤٦ وهامش تحقيق رقم ٣ ٠

(١٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٩٢ ٠

(١٧) نفسه : ص ٣١٥ ٠ والحمزيون نسبة الى قرية حمزة من أحواز بجاية بالمغرب الأوسط وكانت فى الأصل عبارة عن سوق أسسه حمزة بن سليمان العلوى

عند دخوله المغرب • انظر : (البكرى : المغرب ، ص ٦٤ ـ ٦٥) • وقد اندرست هذه الحارة • أما حى الحمزاوى الموجود الآن ضمن أقسام منطقة الجمالية بالقاهرة . فينسب الى الخان الذى أنشأه حاتم الحمزاوى ، أحد أمراء السلطان سليم العثمانى عن ذلك انظر : (فتحى حافظ : دراسات فى مدينة القاهرة ، ص ١٤٨) •

(١٨) جعل جوهر فى هذا السور ثمانية أبواب ، بواقع بابين فى كل ضلع من أضلاعه الأربعة • وقد خلعت فرق الجيش الفاطمى أسماءها على كثير من أبواب السور ، مثل باب البرقية فى الضلع الشرقى ، وبابى زويلة فى الضلع الجنوبى ، وباب سعادة فى الضلع الغربى ـ على اسم القائد سعادة بن حيان الذى قدم مصر على رأس نجدة عسكرية فى شهر جمادى الآخرة سنة ٣٦٠ هـ (أبريل ٩٧١ م) • عنه انظر : (المقريزى : خطط ، جـ ٢ ، ص ٨١ •) •

ـ أما باقى أبواب السور فكانت فى أيام جوهر الصقلى على النحو التالى : بابى الفرج والنصر فى الضلع الشمالى ، وباب القراطين فى الضلع الشرقى ، وباب القنطرة فى الضلع الغربى • عن ذلك انظر : على مبارك : الخطط الجديدة • جـ ١ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ، وفتحى حافظ : دراسات ، ص ١٦ ـ ١٧ •

(١٩) على مبارك : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٧

(٢٠) فتحى حافظ : المرجع السابق ، ص ١٥ •

(٢١) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١١١ ، وهامش رقم (١) للمحقق

(٢٢) المصدر نفسه والصفحة •

(٢٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٣٤ •

(٢٤) وكان الخندق الشرقى أوله الجبل الأحمر ، والخندق الجنوبى يقع الى الشرق من قبر الامام الشافعى ، والخندق الغربى يشغل مكان شارع الخليج المصرى الآن • انظر : على مبارك : الخطط الجديدة ، جـ ١ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ •

(٢٥) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١١٩ •

(٢٦) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٣٠ •

(٢٧) نفسه ، ص ١٣٢ •

(٢٨) نفسه ، ص ١٤٣ •

(٢٩) نفسه : ص ١٣١ • وراجع : د• سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، جـ ١ ، فى مصر والشام ، ص ٩٧ ـ ٩٨ •

(٣٠) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، مجلد ٢ جـ ٢ ، ص ٨٨ ـ ٨٩ •

(٣١) المقريزى : اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ . وسيتضح فيما بعد أن هذا الاجراء مع حمزة كان سببا فى تماديه على السلطة الفاطمية أوائل عصر العزيز بالله .

(٣٢) المصدر نفسه والجزء : ص ١٠٩ .

(٣٣) نفسه : ص ١٢٠ .

(٣٤) ابن خلدون : العبر (طبعة بيروت) ، جـ ٦ ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ . وراجع : د. محمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب ، جـ ١ ، هامش رقم ٤ ص ١١٧ – ١١٨ .

(٣٥) د. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ١١١ و ١١٤ .

(٣٦) المرجع السابق : ص ٥٠٦ .

(٣٧) دلل د. لقبال (ص ٥٠١ – ٥٠٤) من خلال عدة استنتاجات وجيهة على أن جعفر بن فلاح كان « من بين الرعيل الأول للجيل الذى أشرف على تربيته المعز لدين الله وتكوينه من أبناء كتامة وشبابهم » .

(٣٨) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٢٠ و ١٨٦ .

(٣٩) المصدر نفسه والجزء ، ص ١١٨ . مع ملاحظة ان كان لجعفر أبناء آخرون ، مثل : أبى محمد ابراهيم الذى سيره الخليفة المعز لدين الله الى الشام اثر انسحاب القرامطة عن مصر فى شعبان سنة ٣٦٣ هـ (مايو ٩٧٤ م) وصار واليا على مدينة دمشق . (راجع : المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٠٦ وص ٢١٠ – ٢١٣ . وقارن : النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى ومراجعة د. عبد العزيز الأهوانى ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧ حيث جعله ابن تحت القائد جوهر الصقلى) . وكذلك أبى الحسن على وأبى تميم سليمان . اللذين لما أوائل عصر الحاكم بامر الله ، كما سنرى بعد قليل .

(٤٠) د. لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٠٢ .

(٤١) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٤٢) المصدران السابقان والأجزاء والصفحات .

(٤٣) أورد ابن القلانسى (ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م ، ص ٣١ – ٣٢) ترجمة وافية عن يعقوب بن كلس مؤداها انه يهودى من أهل بغداد ، أقام مدة

بالشام حيث اشتغل بالتجارة في مدينة الرملة وصار وكيلا للتجار بها • ثم دخل مصر زمن كافور الإخشيدي والتحق بخدمته ، فلما ظهرت كفاءته في نواحي الادارة والمال جعله كافور ينظرفي ديوانه الخاص • ثم أعلن ابن كلس اسلامه في شعبان سنة ٣٥٦ هـ (يولية ٩٦٧ م) رغبة في المزيد من النفوذ ، فأثار بذلك حقد الوزير ابن الفرات الذي صادر ممتلكاته وحبسه • ولما أطلق سراح ابن كلس خرج الى المغرب في شوال سنة ٣٥٧ هـ (سبتمبر ٩٦٨ م) ، ولحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي • فحظي عنده ، وكان من أكبر أسباب تحريض المعز على ارسال جوهر في حملته الى مصر • ثم ان ابن كلس صحب المعز الى مصر حيث أشرف على الادارة في عهده • وترقت به الحال زمن العزيز بالله الفاطمي حتى صار المسئول الأول عن كافة شئون مصر الى حين وفاته في ذي الحجة سنة ٣٨٠ هـ (مارس ٩٩١ م) • وانظر كذلك : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ ـ والصفحات التالية من هذا الفصل •

(٤٤) نسبته الى دنهاجة وقيل ديهاجة او دبهاجة من فروع كتامة (راجع : ابن خلدون : العبر (طبعة بيروت) ، جـ ٦ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢) • وقد ظهر خلال الدور المغربي للخلافة الفاطمية كوال على القيروان في سنة ٣٣٦ هـ (٩٦٧ م) حيث نجح في امتصاص حماس سكان المدينة واستعدادهم للثورة آنذاك • (انظر : د• محمد عبد المولى : القوى السنية ، جـ ١ ، ص ٥٣٥ وهامش رقم ١) • وقد انتهت حياته بمأساة جرت له في أيام الحاكم بأمر الله على ما سنرى بعد قليل •

(٤٥) عن ذلك انظر : ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ نشر وتصحيح هنري ماسيه ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ، ١٩١٩ ، ص ٤٥ ، والمقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ •

(٤٦) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٧ •

(٤٧) يوافق يوم العاشر من المحرم ذكرى حزن عند الشيعة .. اذ قتل الحسين ابن علي بن أبي طالب في مثل هذا اليوم من سنة ٦١ هـ (أكتوبر ٦٨١ م) في خلافة يزيد الأول بن معاوية (الأول) • عن ذلك انظر : المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٧٠ ـ ٧١ • بينما يوافق يوم ١٨ ذي الحجة ذكرى فرح عندهم لاعتقادهم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بايع عليا بن أبي طالب بالولاية من بعده ، في ذلك اليوم من سنة ١٠ هـ (مارس ٦٣٢ م) عند غدير خم ، وهو واد بين مكة والمدينة • عن ظروف ذلك اليوم والملابسات التي أحاطت به ونتجت عنه ، انظر : د• حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦٥١

وما بعدها . ود. محمد عبد المولى : القوى السنة ، ج ١ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ وهامش رقم ٥ .

(٤٨) القرامطة من الشيعة الاسماعيلية . انتشروا في بادىء أمرهم في بلاد ما بين النهرين جنوبي العراق ، وكونوا دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في منطقة الاحساء على الخليج العربي ، في فترة معاصرة لقيام الدولة الفاطمية في المغرب . ومن هناك قاموا بغارات على خراسان واليمن وكذلك على جنوب الشام الذي كان خاضعا للاخشيديين في مصر . وعن أسباب وتفاصيل هجومهم على المراكز الفاطمية في الشام ومصر ، انظر : النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ وص ٣٠٤ ـ ٣١٤ ، والمقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٨١ ـ ١٨٦ وص ٢٣٨ .

(٤٩) المقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

(٥٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٤٣ .

(٥١) نفسه : ص ١٤٥ .

(٥٢) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٤٥ ، والمقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٥٣) المصدران السابقان والصفحات .

(٥٤) المصدران السابقان والصفحات ، وخطط المقريزي : جـ ٢ ، ص ٥٣٨ - وراجع : د. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥١٢ .

(٥٥) وقد حدد ابن دقماق (الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزآن الرابع والخامس في مجلد واحد ، ط ١ ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٩ هـ) أماكن سكنى هؤلاء المغاربة بالفسطاط ، مما سبق الاشارة اليه .

(٥٦) ابن ميسر : ص ٤٦ ، والمقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٥٧) المقريزي : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٢٣ .

(٥٨) عن ظروف جنوب الشام ومنطقة فلسطين آنذاك ومسير حملة جوهر وما تبع ذلك من مخالفة كتامة له ، انظر : النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ، ص ٣١٤ ـ ٣١٦ ، والمقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٢ . وراجع : د. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٠٣ ، ود. محمد عبد المولى : بنو مرداس الكلابيون ، ص ١٣ وما بعدها ، وهامش رقم ٣ ص ٤١ .

(٥٩) د. لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٠٣ .

(٦٠) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ و ٢٤٤ .

(٦١) د. سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠٢ ، ود. ماجد : نظم الفاطميين ، جـ ١ ، ص ١٩٦ . وتجدر الاشارة الى أن مصطلح « المشارقة » قد درج أهل المغرب على اطلاقه على كل من دخل فى المذهب الشيعى بحسب أن أبا عبد الله الشيعى ـ داعى الفاطميين بالمغرب ـ كان من أهل المشرق . عن ذلك انظر : د. محمد عبد المولى : القوى السنية ، جـ ١ ، ص ١٢٦ وهامش رقم ٦ .

(٦٢) المقريزى : اتعاظ جـ ١ ، ص ٢٤٤ .

(٦٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٦٩ .

(٦٤) نفسه : ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٦٥) نفسه : ص ٢٤٥ . حيث يشير المقريزى الى أن العزيز قد بلغه « أن الناس من العامة يقولون : ما هذا التركى ! فأمر به فشهر (أى أخرجه فى موكب مشهور) فى أجمل حال . فلما رجع من تطوافه وهب له مالا جزيلا وخلع عليه وأمر الأولياء بأن يدعوه الى دورهم . فما منهم الا من أضافه » .

(٦٦) عندما شرع الخليفة المعز لدين الله فى المسير الى مصر ـ أواخر شهر شوال سنة ٣٦١ هـ (أغسطس ٩٧٢ م) ـ ترك حكم افريقية (أو المغرب الأدنى) ليوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى المعروف ببلكين أو بلقين . واستمرت ولاية افريقية حكما وراثيا فى بيت يوسف بن زيرى يستمد سلطانه الشرعى من خليفة مصر . حتى انفصل المغرب ـ بعد مراحل تدريجية ـ نهائيا عن مصر ، روحيا وسياسيا ، سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وحكم المعز بن باديس الصنهاجى على المغرب (٤٠٦ ـ ٤٥٤ هـ /١٠١٥ ـ ١٠٦٢ م) . عن ذلك انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ ، و ٢٤١ و ٢٧٧ ، والمقريزى : اتعاظ : جـ ١ ، ص ٩٩ . وراجع د. العبادى سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ١٩٣ ـ ٢٢٠ .

(٦٧) ابن عذارى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٨ . وربما أراد العزيز بالله كذلك أن يحتفظ بهؤلاء المشاهير من قادة صنهاجة كرهائن عنده فى مصر ليضمن حسن ولاء تابعه أبى الفتوح أمير افريقية ، الذى بدت نواياه فى الاستقلال عن سلطان الخلافة الفاطمية تظهر منذ ذلك الحين .

(٦٨) ابن عذارى : ص ٢٢٨ .

(٦٩) ناصر خسرو : سفر نامة (أو كتاب السفر) ، نقله الى العربية د. يحيى الخشاب ، مطبوعات جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ١٩٤٥ ، ص ٦٩ يقابل ٥٢ .

(٧٠) المقريزى : اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(٧١) ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د. حسين نصار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٤٦ — ٤٧ .

(٧٢) دور قبيلة كتامة فى تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٠٤ .

(٧٣) انظر ما سبق ص ١٦٦ هامش رقم ٤٥ .

(٧٤) المقريزى : اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٧٥) نفسه والجزء : ص ٢٦١ .

(٧٦) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص ١٠٦ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ١ ص ٢٧٢ . وراجع ، د. لقبال : ص ٤٩٩ .

(٧٧) انظر ما سبق ، ص ١٧١ ، هامش رقم ٦٤ .

(٧٨) المقريزى : اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٦٣ — ٢٦٥ .

(٧٩) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٨٠) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، واتعاظ ج ٢ تحقيق د. محمد حلمى محمد ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٥ و ١٧ .

(٨١) المقريزى : اتعاظ ج ١ (تحقيق د. الشيال) . ص ٢٧٢ .

(٨٢) المصدر السابق ، ج ٢ (تحقيق د. محمد حلمى) ، ص ٦ و ٢٩

(٨٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ ، والمقريزى : اتعاظ . ج ١ ، ص ٢٩١ ، وج ٢ ، ص ٥ و ١٢ و ١٣ .

(٨٤) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص ٤٧ .

(٨٥) المصدر نفسه : ص ١٠٥ .

(٨٦) د. محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٣ . حيث الاشارة الى أن العداء كان مستحكما بين ابن كلس والمغاربة ، وانهم تآمروا على قتله فاضطر الى استدعاء جيش الشام .

(٨٧) ابن حجر العسقلاني : رفع الاصر عن قضاة مصر ، بآخر كتاب الولاة والقضاة للكندي ، تحقيق ر. جيست ، ص ٥٩٢ • وعلى بن النعمان هذا احد افراد أسرة النعمان بن حيون التي احتكرت منصب القضاء والدعوة الفاطمية بمصر لأكثر من نصف قرن • كما سنبين فيما بعد •

(٨٨) ابن حجر : المصدر السابق ، ص ٥٩١ • وراجع هذه الرواية عند المقريزى (اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٤٧) حيث يشير الى أن ابن أبى المنهال – القاضى على مدينة المنصورية – هو الذي طلب من الخليفة العزيز بالله أن يحضر الى مصر بأهله وأولاده ، فوافق العزيز على ذلك •

(٨٩) ابن حجر : ص ٥٩١ – ٥٩٢ • والجلجولى ربما كانت نسبة الى دارة جلجل من ديار الضباب بنجد ، فيما يواجه ديار فزارة • عن ذلك انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان (طبعة دار صادر ، بيروت) ، المجلد الثانى ، ص ١٥٠ ، وربما كانت صفة بمعنى الجرىء ، خفيف الروح •

(٩٠) ابن حجر المصدر السابق والصفحة •

(٩١) د• سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٣٦ •

(٩٢) يشير المقريزى (اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤) الى وضوح سياسة بنى زيرى حكام المغرب فى الاستقلال عن سلطان الخلافة الفاطمية منذ أيام يوسف ابن زيرى نفسه (٣٦١ – ٣٧٣ هـ/٩٧٢ – ٩٨٤ م) الذى استنابه الخليفة المعز لدين الله على حكم المغرب ، وأن المعز رد على ذلك بشدة وحزم • وقد تأكد هذا الشعور من جديد أيام الخليفة العزيز بالله ، وامارة المنصور بن يوسف • وربما كان طلب العزيز احضار ألف من شجعان صنهاجة ، وذويهم – على نحو ما رأيناه – كنوع من ضمان حسن ولاء نائبه المنصور ، الى جانب ان العزيز قصد كذلك استنفار همم المغاربة بمصر ، كي يعودوا من جديد لاخلاصهم فى طاعة الفاطميين ، مثلما كانوا من قبل • (انظر : ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٣٨) •

(٩٣) تدخل ابن كلس فى عزل بعض القادة الأتراك عن حكم المدن الشامية الخاضعة للفاطميين ، وولى آخرين عوضا عنهم ، بسبب خصومات شخصية بينه وبينهم . مثال ذلك ما حدث بينه وبين القائد بكجور ، بلتكين فى مدينة دمشق فى شهر رجب سنة ٣٧٣ هـ (ديسمبر ٩٨٣ م) انظر : المقريزى : اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ ؛ ود• سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٣ •

(٩٤) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٦٢ •

(٩٥) المصدر نفسه والصفحة •

(٩٦) ابن منجب الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ، ١٩٢٣ ، ص ٢٣ — ٢٤ ؛ وراجع : د. حمدي المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ .

(٩٧) المقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٩٨) انظر ما سبق ، ص ١٦٨ وهامش رقم (٥٦) .

(٩٩) ابن منجب الصيرفي : الاشارة ، ص ٢٣ ، وراجع : د. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٠٨ .

(١٠٠) ابن حجر : رفع الاصر ، ص ٥٩٠ . ولاحظ ان ابن حجر يسميه « الحسن بن القاسم » .

(١٠١) المصدر نفسه والصفحة .

(١٠٢) المقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ . من ذلك أن ابن كلس — الى جانب استعادته لأمواله المصادرة مضافا اليها اعطيات أخرى كثيرة ، وعودة اسمه الى الظهور من جديد على الطراز — قد أعطى حق تملك ألف من غلمان المغاربة وخمسمائة فتى اخرين ، صاروا بمثابة حرس خاص به . وصار يطلق عليهم طائفة الوزيرية التي زاد عددها الى أربعة آلاف غلام استمروا الى ما بعد وفاة ابن كلس حيث أعتقهم العزيز بالله كرامة لوزيره (انظر في ذلك : المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٩) . ويعلق د. المناوي (الوزارة والوزراء ، ص ١٤٣) على حادثة الافراج عن ابن كلس وعودته الى الوزارة بأن العزيز بالله كان قد افتقد نصائحه وحسن سياسته للأمور .

(١٠٣) المقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ، وجعلهم ابن منجب (الاشارة ، ص ٢٣) أربعة باضافة شخص آخر يدعى الحسن بن تأييد الله .

(١٠٤) ابن منجب : ص ٢٤ . وراجع : د. لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

(١٠٥) ابن حجر : رفع الاصر ، ص ٥٩٣ .

(١٠٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩٤ .

(١٠٧) المقريزي : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ .

(١٠٨) عن الأشخاص الذين تعاقبوا على رئاسة الدواوين في مصر خلفا لابن كلس ، انظر : د. حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٤٢ — ٢٤٤ وملحق رقم (٣) الخاص بتركيب الوزراء وسني حكمهم بنفس المرجع ، ص ٣٠٥ .

مع ملاحظة ان العزيز بالله لم يطلق على أحدهم لقب « وزير » وانما « واسطة » دلالة على صغر شأنهم بالقياس لابن كلس .

(١٠٩) المقريزى : اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .

(١١٠) المصدر نفسه والصفحة .

(١١١) جعله ابن منجب (الإشارة ، ص ٢٥) فى دواوين مصر مع آخرين . بينما جعله ابن القلانسى (ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣) منفردا فى الاشراف على الدواوين . ورجح د. المناوى (الوزارة والوزراء ، ص ٢٤٤) أن العزيز بالله أشرك جماعة من المستخدمين فى الاشراف على دواوين مصر وكان الغالب عليهم عيسى بن نسطورس .

(١١٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣٣ . حيث الاشارة الى أن ابن نسطورس استناب عنه فى الشام يهوديا يدعى منشابن ابراهيم « فسلك مسلكه فى التوفر على اليهود ، وعيسى مع النصارى مثله ، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة » .

(١١٣ ، ١١٤) ابن القلانسى : المصدر نفسه والصفحة .

(١١٥) يلاحظ ان ابن عمار — وهو أبو محمد الحسن بن عمار بن على بن أبى الحسين الكلبى — ليس كتاميا وانما هو من قبيلة كلب العربية التى استقرت أعداد منها فى جزيرة صقلية . وكان منهم بنو أبى الحسين حكام الجزيرة من قبل الفاطميين . عن ذلك انظر : المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٥١ . ويعلق د. لقبال (دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢١ وهامش رقم ١) على تزعم ابن عمار لجموع كتامة فى مصر — رغم انه لم يكن كتاميا — بقوله : « انه (أى ابن عمار) كان يشترك مع الكتاميين فى الانتساب الى المغرب ، وفى وحدة الهدف تجاه عنصر المشارقة » .

(١١٦) انظر ما سبق : ص ١٦٢ وهامش رقم ٢٦ و ٢٧ .

(١١٧) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(١١٨) أورد ابن سعيد (النجوم الزاهرة ، ص ١٠٥ — ١٠٦) نص الحوار الذى دار بين ابن عمار وجوهر . ومؤداه أن جوهرا كان قد احتجز بعض الأسرى الأتراك من الكافورية والاخشيدية الذين قاوموا الفتح الفاطمى ، لحين عرضهم على المعز لدين الله فور حضوره الى مصر . وقد أبدى المعز اعجابا كبيرا بأحد هؤلاء الأسرى ، وصرح لجوهر — الذى دهش لمسلك المعز — بأنه « سيكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس ، يتفق له فتوحات عظيمة من بلاد كثيرة ، ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه احد منا مع غيره » .

(١١٩) تطلب الأمر بعض المجاملة من المغاربة في فور صياحهم بوفاة العزيز بالله وحضور الجميع للتعزية بالقصر .. فقام أحد أبناء الأمراء الكتاميين – وسط وجوم الحاضرين – وأنشد مرثية ، مطلعها :

انظر الى العلياء كيف تضام ومآتم الاحساب كيف تقام
خبرتني ركب الركاب ولم يدع للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الحاضرون ذلك ، وقاموا – بعد أن عقد ألسنتهم هول الموقف – فأنشد كل شخص ما عمل من مراثى . وعلق المقريزى (اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢٩٩) على ذلك بقوله : « وكان الصبى هو الذريعة الى ايراد ما أوردوه ، وكشف ما نزل بهم من المهابة والمخافة » .

(١٢٠) وهى رتبة فى معنى الوزارة . عنها انظر : د. حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٣٦ .

(١٢١) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٣ ، والمقريزى : اتعاظ : ج ٢ (تحقيق د. محمد حلمى محمد) ، ص ٤ . وراجع : د. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥١٤ .

(١٢٢) المصادر والمراجع السابقة والصفحات .

(١٢٣) تم الاتفاق على تحديد مبلغ ثمانية دنانير لكل مغربى فى كل دفعه . وزاد الحاكم على ذلك فى أول دفعة فزادت عشرين دينارا لكل ، على أساس أن هذا اليوم وافق مناسبة توليه الخلافة ، أو ما عرف « بالفضل » وهو المال الذى يمنح لرجال الدولة ، وخاصة الجنود فى المناسبات . انظر المقريزى : المصدر والجزء ، ص ٤ وهامش رقم (٥) للمحقق .

(١٢٤) ابن ميسر : ص ٥٢ – ٥٣ ، والمقريزى : المصدر والجزء ، ص ٤ .

(١٢٥) المقريزى : ص ٥ – ٦ .

(١٢٦) اختلفت الروايات فى تحديد عمر الحاكم بأمر الله عند توليته الخلافة . اذ قيل انه كان فى العاشرة وأشهرا (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤) وقيل فى الحادية عشرة وأشهرا (ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٣ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣) . وقيل فى الخامسة عشر (الروذراورى : ذيل كتاب تجارب الأمم ، ج ٣ ، طبعة هـ . ف . أمدروز ، مطبعة التمدن الصناعية ،

القاهرة ١٩١٦ ، ص ٢٢٢) . وقد اثبت د. عبد الله عبد المولى (بنوفردأس ، هامش رقم ٣٧ ص ٤٧ على متن ص ١٦) • ان رواية الروزروزى أكثر صحة ومنطقية •

(١٢٧) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٢٦ ، وابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٥ ـ ٦ ، والخطط جـ ٢ ، ص ٣٥١ •

(١٢٨) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٤ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٦ •

(١٢٩) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٧ • وقد شارك على بن جعفر ابن فلاح أخاه أبا تميم سليمان فى قيادة جيش الشام •

(١٣٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ٨ ـ ٩ •

(١٣١) نفسه : ص ٨ ، مع ملاحظة أن ابن منجب الصيرفى (الاشارة ، ص ٢٥ وهامش رقم ٢) يذكر أن الخليفة العزيز بالله هو الذى قتل ابن نسطورس شنقا على باب القصر • وقد رجح د• المناوى (الوزارة والوزراء ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥) رواية المقريزى السابقة •

(١٣٢) المصدر نفسه والجزء : ص ١٠ ـ ١١ •

(١٣٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ • واذا كان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله قد ولى أبا نصر بن عبدون النصرانى وساطته فى شهر صفر سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ولقبه بالكافى ، الا انه ما لبث ان عزله فى شهر المحرم سنة ٤٠١ هـ (أغسطس ١٠١٠ م) بتحريض من الحسين بن جوهر • على نحو ما سنبين فيما بعد •

(١٣٤) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٢ • وراجع د• لقبال دور قبيلة كتامة ص ٥١٦ •

(١٣٥) يقصد بالمطابخ الخاصة : الأماكن المعدة لاعداد طعام الخليفة والأسمطة التى تمد فى الاحتفالات العامة عن ذلك انظر : محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى للقلقشندى ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٣١٣ •

(١٣٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٥ ، المقريزى : أتعاظ : جـ ٢ ، ص ١١ ـ ١٢ • والخطط جـ ٢ ، ص ٣٥٢ • وراجع د• لقبال : ص ٥١٥ ـ ٥١٦ •

(١٣٧) ابن القلانسى : ص ٤٤ ؛ وراجع : د. الطاهر أحمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٦٠٦ مادة (وزغ) .

(١٣٨) ابن القلانسى : ص ٤٤ ــ ٤٥ حيث يعرف برجوان على أنه خصى أبيض من الصقالبة ، عمل فى القصر الفاطمى منذ أيام العزيز بالله ، ووصل الى مرتبة أستاذ ، أى كبير للخدم . وظهر طموح برجوان ، فكان أول من سلم على الحاكم بالخلافة بعد وفاة العزيز بالله . وقد رد الحاكم تدبير أمره الى برجوان « مربيه وحاضنه » فعهد اليه بأمر الحرم والقصور . ووصفه المقريزى (الخطط جـ ٢ ، ص ٣٠٦ بأنه « كان صقلبيا تاقت نفسه الى الولاية » .

(١٣٩) ابن القلانسى : ص ٤٥ .

(١٤٠) نفسه والصفحة .

(١٤١) نفسه : ص ٤٩ . وراجع : د. عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٣١ .

(١٤٢) ابن القلانسى : ص ٤٨ .

(١٤٣) نفسه ، ص ٤٨ ــ ٤٩ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٢ ــ ١٣ .

(١٤٤) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ (تحقيق د. الشيال ، ص ٢٥٦ ، حيث يشير ــ فى أحداث الشام سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) ــ الى أن جيشا بن الصمصامة قد صار شبه وال على مدينة دمشق بعد خاله أبى محمود ابراهيم ابن جعفر بن فلاح .

(١٤٥) ابن القلانسى : ص ٤٨ . وراجع : د. حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ص ٤٨ ، ود. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥١٧ ، ٥١٩ .

(١٤٦) المصدر نفسه : ص ٤٩ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٢ ــ ١٣ .

(١٤٧) المصدران السابقان والصفحات .

(١٤٨) بلغت مخصصات ابن عمار اليومية والشهرية ــ له ولآله وحرمه ــ ما مقداره « من اللحم والتوابل والفاكهة خمسمائة دينار فى كل شهر . مع ما كان له من الفاكهة ، وهو فى كل يوم سلة بدينار ، وعشرة أرطال شمع كل يوم وحمل ثلج عن يومين . انظر : ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٢٦ ــ ٢٧ ، وابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٥ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٣ ، والخطط : جـ ٢ ، ص ٣٥٢ .

(١٤٩) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٣ .

(١٥٠) ابن حجر : رفع الاصر ، ص ٥٩٤ .

(١٥١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٠ ، ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٢٧ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٤ .

(١٥٢) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٥ و ٨ .

(١٥٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٧ .

(١٥٤) نفسه : ص ٢١ ـ ٢٣ ، وابن حجر : رفع الاصر ، ص ٥٩٦ .

(١٥٥) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، والخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ وعن أحوال برجوان ابتداء ، وكيف انه كان يواصل العمل فى الدواوين ليلا ونهارا ويستشير من لهم الخبرة فى الأعمال الادارية ومدى نجاحه فى سياسته الخارجية مع الروم وفى الشام والمغرب ، ثم مدى تقصيره وانشغاله باللهو اخر امره . مما أدى الى تعطل الأعمال فى الدواوين ، ومدى استخفافه بالحاكم انظر : ابن القلانسى : ص ٥٤ ـ ٥٥ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ . وراجع : د. المناوى : الوزارة والوزراء ، صفحات ١٥٤ ، ١٨٨ و ١٩٧ و ١٩٨ .

(١٥٥م) انظر فى ذلك ما سبق : هامش رقم ١٢٦ ص ١٨٣ .

(١٥٦) ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، ص ٧٥ .

(١٥٧) ربما كان مرد هذا الاعتقاد عن عصر العزيز بالله الى اشتهاره بالعفو عن بعض خصومه . مثل القائد التركى افتكين ، رغم المتاعب التى أثارها امام الفاطميين بالشام . (انظر ما سبق : ص ١٧٠ وهامش ٦٢) ومثل الشاعر الحنبلى ابن بشر الدمشقى الذى هجاه شخصيا مع كبار رجال دولته ، ومع هذا عفا عنه العزيز بالله واغتم لما عرف بمصرعه (انظر فى ذلك : المقريزى : اتعاظ ، ج ١ ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨) .

(١٥٨) ابن القلانسى : ص ٥٥ ـ ٥٦ ، ابن منجب الصيرفى : ص ٢٧ ـ ٢٨ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢٥ ـ ٢٧ وراجع : د. المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٤٥ ويلاحظ ان د. لقبال :(دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢١ ، هامش رقم ٤) ينص على ان الحاكم بأمر الله ابتدأ بقتل الحسن بن عمار ثم أردف ببرجوان فى ذات السنة (٣٩٠ هـ /١٠٠٠ م) وهو ما يتعارض مع ما ذكرته النصوص السابقة .

(١٥٩) ابن القلانسى : ٥٦ . ابن ميسر : ص ٥٥ ـ ٥٦ . المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(١٦٠) ابن ميسر : ص ٥٥ ، والمقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(١٦١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٢٧ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣٦ والخطط ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(١٦٢) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(١٦٣) ابن منجب : ص ٢٨ ، والمقريزى : إتعاظ : ج ٢ ، ص ٢٩ . وراجع : د. المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٤٦ .

(١٦٤) ابن حجر : رفع الاصر ، ص ٥٩٧ .

(١٦٥) المقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(١٦٦) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(١٦٧) ابن حجر : رفع الاصر ، ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ .

(١٦٨) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٣١ ـ ٣٣ .

(١٦٩) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٠ ، والخطط المقريزية : ج ٢ ، ص ٣١١ .

(١٧٠) نفسه والجزء ، ص ٣٣ .

(١٧١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٢٨ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، والخطط ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(١٧٢) ابن منجب : ص ٢٨ والآية الكريمة التى وردت بنص هذا الخطاب من سورة هود ، آية رقم ٤٦ .

(١٧٣) حدث هذا عقب شفاء الحسين بن على من الجراح التى أصيب بها فى حادثة اعتداء أحد الأندلسيين عليه فى ٨ صفر سنة ٣٩١ هـ (يناير ١٠٠١ م) الأمر الذى سنعرض له بشىء من التفصيل عند الحديث عن دور الوافدين الى مصر من المغاربة والأندلسيين خلال هذا العصر . ويبدو أن الحاكم كان محتاجا لجهود الحسين بن على فى مجال نشر الدعوة الفاطمية فى سائر أنحاء الممتلكات الفاطمية ، مما جعله يغض الطرف عن الشائعات التى زاجت بين المصريين بأن هذا القاضى سيعزل أثر افتضاح سياسته فى الاستيلاء على الأموال المودعة فى ديوان القضاء . ورد الحاكم على ذلك بأن كتب بيده سجلا يؤكد فيه تثبيت الحسين فى منصب القضاء . عن ذلك انظر : المقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ٤٠ ـ ٤١ وص ٤٩ ـ ٥٠ ، وابن حجر : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ .

(١٧٤) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٢٨ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢٩ وص ٤٤ وص ٤٦ ، ود. المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٤٦ .

(١٧٥) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٤٧ وهامش رقم (١) • وقد أورد ابن عذارى المراكشى (البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٦) ذكر هذه المذبحة مما يعنى أن خبرها شاع فى أنحاء الممتلكات الفاطمية •

(١٧٦) د• لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢٢ •

(١٧٧) المقريزى : المصدر السابق والجزء والهامش ص ٤٧ •

(١٧٨) نفسه والجزء : ص ٤٤ •

(١٧٩) نفسه والجزء : ص ٤٧ •

(١٨٠) نفسه : ص ٤٩ •

(١٨١) ربما يعزى وجود طائفة ألصنهاجيين البربرية الى عصر العزيز بالله الذى فكر فى استقدام أعداد منهم الى مصر ، كما سبق القول (انظر ما سبق ص ١٧١) وعلى الرغم من أن أمير افريقية فى ذلك الوقت أبا الفتوح المنصور ابن يوسف بن بلكين قد رد معتذرا عن اجسابة طلب العزيز ، الا أننا نرجح انه أمر بترحيل أعداد أخرى من بربر صنهاجة من غير أفراد البيت الصنهاجى الحاكم •

والظاهر ان العزيز بالله قبل على مضض حضور هذه الجماعات الى مصر ، بدليل نص المصادر على أخبارهم أيام الحاكم • عن ذلك انظر : ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ •

(١٨٢) يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى بن سعيد ، ص ١٨٧ — ١٨٨ ، والمقريزى : أتعاظ : جـ ٢ ، ص ٥٥ — ٥٦ •

(١٨٣) انظر ما قيل عن عصر الحاكم بأمر الله ، على سبيل المثال ، ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، دار النشر الحديث ، القاهرة ١٩٣٧ ، ورد الدكتور عبد المنعم ماجد فى كتاب : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٥٩ •

(١٨٤) عن قصة الحاكم بأمر الله مع الحسين بن على ، انظر : المقريزى . اتعاظ ، جـ ٢ صفحات ٢٣ — ٢٤ و ٤٠ — ٤١ و ٤٩ — ٥٠ ، وابن حجر : رفع الاصر ، ص ٥٩٦ — ٥٩٩ •

(١٨٥) ابن حجر : ص ٥٩٩ •

(١٨٦) المصدر نفسه : ص ٦٠٤ ·

(١٨٧) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ·

(١٨٨) ابن حجر : ص ٦٠٠ . وكان أمرا طبيعيا ان يستخلف القضاة فى مصر الفاطمية نوابا لهم لمساعدتهم فى القيام بمهام المنصب · عن ذلك انظر : د· عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، ص ٢٣٣ ·

(١٨٩) المقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ٥٤ ــ ٥٥ ، والخطط : جزء ٢ ، ص ٣٢٣ ·

(١٩٠) سترد تفاصيل ثورة أبى ركوة بعد قليل ، عند الحديث عن الأوضاع الخاصة بالوافدين الى مصر من أهل المغرب والأندلس

(١٩١) ابن الأثير : الكامل (طبعة مصر ١٣٩٠ هـ) ، جـ ٩ ص ٧٤ ــ ٧٥ ، ابن خلدون العبر (طبعة بولاق) ، جـ ٤ ، ص ٥٨ ــ ٥٩ ، المقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ٦١ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢١٦ ــ ٢١٧ · وراجع : د· حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٠ ، ود سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٣ ، ود . لقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢٢ ود· عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ، ص ٥١ · ولاحظ اجماع هذه المصادر والمراجع على أن معظم الكتاميين من جنود هذه الحملة قد مالوا الى جانب ابى ركوة نكاية فى القائد التركى ينال الطويل الذى شارك فى اضطهاد زعماء المغاربة فى اعقاب هزيمة الحسن بن عمار امام برجوان ·

(١٩٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٧٤ ·

(١٩٣) وسيرد تفصيل الدور الذى قام به على بن فلاح عند الحديث عن التفاصيل الكاملة لثورة أبى ركوة بعد قليل ·

(١٩٤) يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى ، ص ١٩٧ ــ ١٩٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٩٨ ــ ١٩٩ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٧٣ والخطط : جـ ٢ ، ص ٣١٢ ــ ٣١٣ ·

(١٩٥) المقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ٨٠ · ولاحظ ما سبق عن دور هؤلاء الجواسيس فى امداد الحاكم بتقريرهم الذى تسبب فى حدوث مذبحة ٣٩٤ هـ ·

(١٩٦) عن ذلك انظر ما سبق ص : ١٨٥ وهامش رقم ١٣١ ، وص ١٩٩ هامش رقم ١٧٤ ·

(١٩٧) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٧٧ وص ٨٤ والخطط : جـ ٢ ، ص ٣١٢ ·

(١٩٨) المقريزى : اتعاظ ، حـ ٢ ، ص ٨٠ ٠

(١٩٩) المصدر نفسه والجزء : ص ٨٤ ، والخطط : جـ ٢ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣

(٢٠٠) يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى ، ص ١٩٨ ـ ١٦٩ ، وابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٠٠ ، والمقريزى : اتعاظ : جـ ٢ ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، والخطط : جـ ٢ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ ٠ وقد مر الحسين بن جوهر ـ فى طريقه الى البحيرة ـ على مدينة طنطا حيث ترك جملة من أمواله وديعة عند أحد المصريين ويدعى ابراهيم بن حسن بن الأحدب البزاز ٠ عن ذلك انظر ٠ المسبحى : اخبار مصر فى سنتين (٤١٤ و ٤١٥ هـ) ، تحقيق وليم ج ٠ ميلورد ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٣٠ ٠

(٢٠١) وضح حرص الحاكم على امتصاص حماس القيادات المغربية فى دولته ـ أثناء اعداده لمقتل الحسين وعبد العزيز ـ عندما أصدر عدة سجلات بالأمان لكل طائفة منهم ، وذلك عندما توجه بفرارهما الى جهة البحيرة فى شهر ذى القعدة سنة ٤٠٠ هـ (يونية ١٠١٠ م) ٠ وأمر بقراءة هذه السجلات فى القصر ٠ انظر : المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ٠

(٢٠٢) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٢٨ ، وابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ ، والمقريزى : اتعاظ : جـ ٢ ، صفحات ٧١ ـ ٧٤ و ٧٧ ـ ٧٨ ، ٨١ ـ ٨٧ ، والخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ وقد اردف الحاكم بقتل أولاد الحسين بن جوهر الثلاثة (وهم جعفر ، وأبو جعفر ، وثالث صغير يدعى جوهر) بعد أن قبض أعوانه عليهم بمدينة دمشق ، أثر فرارهم من مصر ، وحملت رؤوسهم الى مصر ٠ فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٣ هـ (أكتوبر ١٠١٢ م) ٠ عن ذلك انظر : يحيى بن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، والمقريزى ٠ الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ ٠

(٢٠٣) من أصل فارسى ٠ تولى الاشراف على بيت المال بمصر الفاطمية دون اتخاذه واسطة ٠ عنه انظر : ابن منجب : الاشارة ، ص ٣٩ ٠ وراجع د٠ المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٤٨ وملحق رقم (٢) ص ٢٩٨ ٠

(٢٠٤) عن هذه الوظيفة ومعناها انظر : القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، جـ ٣ ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٢ ، وراجع : د٠ محمد درويش البقلى : التعريف بمصطلحات القلقشندى ، ص ١٧١ ـ ١٧٣ ٠ حيث الاشارة الى أكثر من استخدام لهذه التسمية ٠

(٢٠٥) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٩٤ .

(٢٠٦) المصدر نفسه والجزء : ص ٩٣ . استمر على بن جعفر زماما على الكتاميين حتى صار واسطة للحاكم في سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) . فخلفه فى التقدمة على الكتاميين والنظر فى شئونهم سيف الدولة الحسين بن على بن دواس الكتامى ، الذى كان له شأن كبير فى حادثة مقتل الخليفة الحاكم بأمر الله ، كما سنرى .

(٢٠٧) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص ٦٦ والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٢٠٨) يحيى بن سعيد ، ص ٢٢٤ . وعن هذه الفتنه وما قيل عن دور الحاكم فيها ، انظر : محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص ١١٩ — ١٢٠ ، وورد د. ماجد : الحاكم بأمر الله المفترى عليه ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٢٠٩) ابن منجب : الاشارة ، ص ٣١ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١١٠ . وقد أورد ابن منجب قائمة بأسماء ثمانية اشخاص تولوا منصب الوساطة منذ أن عزل الحسين بن جوهر (شعبان سنة ٣٩٨ هـ / أبريل ١٠٠٨ م) وحتى تولية ابن فلاح . ووضح من أصولهم أنهم اما كانوا من أهل العراق أو فارس ، أو من نصارى مصر (الاشارة ، ص ٢٨ — ٣) وراجع : د. المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢٤٩ وملحق رقم (٢) ص ٢٩٧ الخاص بجنسيات الوزراء .

(٢١٠) عن ثورة حسان بن المفرج بالتفصيل ودور ابن فلاح فى اخمادها ، انظر : يحيى بن سعيد : ص ٢٠٧ ، وابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٢٤ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ص ٩٥ و ٩٨ . وراجع : د. سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٩ .

(٢١١) ابن منجب : ص ٣١ . وابن فلاح بهذا أول من تلقب « بوزير » بعد غيبة طويلة عن استعمال هـذا اللقب منذ وفاة ابن كلس وزير العزيز بالله (ذى الحجة سنة ٣٨٠ هـ = أبريل ٩٩١ م) .

(٢١٢) المصدر نفسه والصفحة . وقد ورد اسم ابن النابقية على انه قائد مغربى دون توضيح أكثر من ذلك . رغم أن ظاهر نسبته يدل على انه من أهل مدينة دابق من أعمال حلب بشمال الشام . فلعله عرف بذلك لاقامته بعض الوقت بمدينة دابق كاحد أفراد الحامية الفاطمية الموجودة هناك .

(٢١٣) نفسه والصفحة .

(٢١٤) الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١١٨ ، كذلك لظهوره في الاحداث التالية كزعيم طائفة الكتاميين .

(٢١٥) ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٢١٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ وراجع هذه المساجلة الطريفة والتعليق عليها ، عند : د. لقبال : دور قبيلة كتامة ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ .

(٢١٧) ابن منجب : الاشارة ، ص ٣١ ـ ٣٢ ، والمقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ١١٤ . وراجع : د. المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٥٠ .

(٢١٨) د. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .

(٢١٩) يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١١٨ ، ابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، ج ٤ ص ٦١ ، المقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ . وراجع : د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٦٧ ، وعنان : الحاكم ، ص ١٢٦ ـ ١٢٨ ، ود. ماجد : الحاكم المفترى عليه ، ص ١٦٩ ـ ١٧١ ، ود. لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ .

(٢٢٠) يحيى : ص ٢٣٨ . وربما كان اعتصام ابن دواس وأنصاره خوفا من غضب الحاكم عليهم ، قد تم في داره التي بالفسطاط ، عنها انظر : ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

(٢٢١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ١٨٧ .

(٢٢٢) ذكر يحيى بن سعيد (ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤) ان الذي قتل الحاكم سبعة نفر : عمد أربعة منهم الى مشاغلة الركابي المصاحب له ، بينما تولى الثلاثة الباقون قتله . بينما حدد ابن الأثير (الكامل ، ج ٩ ، ص ١١٨) أن النين فقط من عبيد ابن دواس هما اللذان قتلا الحاكم . وقد اتفق الجميع ومن اخذ عنهما من المؤرخين على أن قتلة الحاكم كانوا من أتباع الحسين بن دواس .

(٢٢٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١١٨ ، ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٦١ ، المقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ١١٧ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ، ص ١٨٧ .

(٢٢٤) يحيى : ص ٢٣٨ ؛ ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٤٩ ؛ ابن عذارى .. ج ١ ، ص ٢٧١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٦١ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وابن تغرى بردى : ج ٤ ، ص ١٨٩ .

(٢٢٥) ابن عذارى : ج ١ ، ص ٢٧١ ، والمقريزى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

(٢٢٦) وهؤلاء الأربعة هم : الشريف الكبير العجمى ، ونجيب الدولة الجرجرائى ، نسبة الى قرية جرجرايا بسواد العراق ، والشيخ العميد محسن ابن بدوس النصرانى ، والقائد الاسود معضاد الخادم . عنهم انظر : المقريزى : الخطط ج ٢ ، ص ٣٠ . وذكر أنهم قرروا منذ سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م) « ألا يدخل على الظاهر أحد غيرهم ، فكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرفون فى سائر أمور الدولة ، والظاهر مشغول بلذاته » . وراجع كذلك : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

(٢٢٧) وقد سيطر الجرجرائى على الدولة سيطرة تامة حتى وفاة الخليفة الظاهر فى منتصف شهر شعبان سنة ٤٢٧ هـ (يونية ١٠٣٦ م) فتولى أخذ البيعة لابنه الطفل (سبع سنوات) أبى تميم معد الذى لقب بالمستنصر بالله ، واستمر الجرجرائى ظاهر النفوذ حتى وفاته فى شهر رمضان سنة ٤٣٦ هـ (ابريل ١٠٤٥ م) . عن سجل تولية الجرجرائى أيام الظاهر ، انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٠ - ٨٣ . وراجع : ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٣٥ - ٣٧ ، ود. المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢٢٨) انظر فى ذلك ، مقدمة تحقيق كتاب أخبار مصر فى سنتين ، للمحقق وليم ج. ميلورد ، ص ٥ .

(٢٢٩) المسبحى : أخبار مصر فى سنتين ، ص ٣١ - ٣٢ وهامش رقم (٥) فى صفحة ٣١ للمحقق .

(٢٣٠) المصدر نفسه : ص ٥٠ ، والمقريزى : اتعاظ : ج ٢ ، ص ١٤١ .

(٢٣١) نفسه : ص ١٧٣ ، والمقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٥٢ و ١٥٦ .

(٢٣٢) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢٣٣) المسبحى : ص ٣٣ و ٣٥ ، والمقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٣٥ ولاحظ أن المقريزى ذكر أن اسمه « داود بن يعقوب » على سبيل الخطأ ، ثم عاد وذكره صحيحا فى صفحات ١٥١ و ١٦٥ من هذا الجزء .

(٢٣٤) المقريزي : المصدر السابق والجزء ، ص ١٥١ .

(٢٣٥) المسبحي : ص ٢٥٣ .

(٢٣٦) المصدر نفسه : ص ٢٠٣ . ربما هو ديوان الأزمة الذى استحدث خلال شهر ربيع الأول سنة ٤٠٣ هـ فى عهد الحاكم بأمر الله . انظر ما سبق ص ٢١٠ هامش رقم ٢٠٤ و ٢٠٥ .

(٢٣٧) نفسه والصفحة ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٢٣٨) المسبحى : ص ٢٠٤ .

(٢٣٩) نفسه والصفحة .

(٢٤٠) ومن أمثلة ذلك . أنظر : المسبحى : صفحات ٥٣ ، ٦١ — ٦٢ ، والمقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(٢٤١) المقريزى : المصدر والجزء ، ص ١٤٧ .

(٢٤٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٢٤٣) وقد أشار المسبحي (ص ٢٢٩) الى شخصية ثالثة من أسرة ابن كافى ، يدعى معتمد الدولة ، يبدو أنه كان عميدا لهذه الأسرة ، وقد توفى هذا الأخير فى يوم الأحد مستهل ذى القعدة سنة ٤١٥ هـ (يناير ١٠٢٥ م) .

(٢٤٤) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢٤٥) المسبحى : ص ٢٢٩ . والسوسنجردى نسبة الى سوسنجرد من قرى بغداد (راجع : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٩٨٤ ، المجلد الثالث ، ص ٢٨١) . وقد تصادف أن كان هذا التاجر يتاجر بامواله فيما بين مصر والمغرب .

(٢٤٦) المسبحى : ص ٢٢٩ .

(٢٤٧) نفسه : ص ١٩٠ والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢٤٨) عن ذلك بالتفصيل ، انظر : د. محمد عبد المولى : بنومرداس الكلابيون ص ٢٤ — ٢٥ .

(٢٤٩) المسبحى : ص ٤٠ — ٤١ ، والمقريزى : المصدر والجزء ، ص ١٣٧ .

(٢٥٠) أبو عيسى هذا كان عميدا لأسرته بنى يسوط الكتاميين الذين أشار ابن دقماق (الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٨ و ٥٣) الى دورهم التى سكنوها بالفسطاط . وقد توفى هو فى ٦ شوال سنة ٤١٥ هـ (ديسمبر ١٠٢٤ م) وصلى عليه الخليفة الظاهر . وسيلى الحديث عنه وبعض أفراد أسرته الذين لمعوا آنذاك ، عند الاشارة الى مساكنهم وبعض أحوالهم الاجتماعية فى الجزء الخاص بذلك . عنه انظر : المسبحى : ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٢٥١) المسبحي : ص ١٧١ ـ ١٧٢ ٠

(٢٥٢) نفســـه : ص ١٧٨ ـ ١٧٩ ، والمقريزى : اتعــاظ : جـ ٢ ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ٠

(٢٥٣) المصدران السابقان : صفحات ١٩٣ و ١٩٥ ، و ١٦٤ ـ ١٦٥ ٠

(٢٥٤) المصدران السابقان : صفحات ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، وص ١٦٩ ٠

(٢٥٥) المسبحي : ص ٢٠٦ ٠

(٢٥٦) نفسه : ص ٢٠٧ ، والمقريزى : المصدر السابق والصفحة ٠

(٢٥٧) المصدران السابقان : صفحات ٢١٠ ، وص ١٧٠ ٠

(٢٥٨) المقريزى : المصدر والجزء ص ١٧٧ ٠

(٢٥٩) المصدر نفسه والجزء : ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ٠ وراجع : د٠ حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ١٧٥ ٠

(٢٦٠) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ ٠

(٢٦١) المصدر نفسه والجزء : ص ٢٨١ ، ٢٩٠ ٠

(٢٦٢) عن ذلك انظر ما سبق : ص ١١٤ وهامشى رقم ٢٦ و ٣٧ ٠

(٢٦٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ ، صفحات ٢٤٩ و ٢٨١ و ٢٨٥ و ٢٩٠ ٠

(٢٦٤) راجع فى ذلك : د٠ محمد زغلول عبد الحميد : الأثر المغربى والأندلسى فى المجتمع السكندرى (المقال) ص ٢٢٧ ٠

(٢٦٥) وعن امثلة كثيرة لذلك ، انظر : المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، صفحات ٣٤ ـ ٣٥ ، ٥١ ـ ٥٢ و ٥٤ ٠

(٢٦٦) لاحظ أن اثنتين من حملات الفاطميين على مصر قد جاءتا عن طريق الواحات ، سنتى ٣١١ هـ (٩٢٣ م) و ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ٠

(٢٦٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٥ ٠

(٢٦٨) د٠ محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، ص ١١٥ ، ود٠ أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢٠٥ ، ود٠ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٥٢٢ ، ود٠ محمد عبد المولى : القوى السنية ، جـ ٢ ، ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨

(٢٦٩) أشار ابن حوقل (ص ١٥٤) الى اثنين من آل عبدون تعاقبا على حكم الواحات وقت زيارته (حوالى ٣٥٩ هـ) وهما : أبو الحسن مكبر بن عبد الصمد ابن عبدون ، الذى توفى قبل وجود ابن حوقل (ربما سنة ٣٥٥ هـ أثناء مقاومته للحملة الفاطمية على المنطقة ، انظر ما سبق ، ص ١٣٨ وهامش رقم ١٠٢) وعبدون ابن محمد بن عبدون الذى خلفه فى الحكم ٠

(٢٧٠) ابن حوقل : ص ١٥٤ ٠

(٢٧١) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ٠ وانظر ما سبق : ص ١٦٣ هامش رقم ٣١ ٠

(٢٧٢) ابن حوقل : ص ١٥٤ ٠ ووصف ابن حوقل لمصبح بن ميمون بانه « مغربى الأصل ، مولد بالواحات » يفيدنا كثيرا عند دراستنا لأحوال المغاربة الاجتماعية فى الفصل الخاص بذلك ٠

(٢٧٣) المقريزى : اتعاظ ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ٠ وراجع عن ثورة حمزة وأثرها على عصبيته الكتامية فى القاهرة ، ما سبق ص ١٧٠ و ١٧١ هامش ٦٤ ٠

(٢٧٤) من الملاحظ أن المصادر صمتت عن ذكر قائمة باسماء حكام الواحات طوال العصر الفاطمى ٠ وعليه فلا نعرف ان كان آل عبدون استمروا فى حكم المنطقة ، أم تولى غيرهم فى فترات لاحقة ٠ ونرجح ان كان هذا قد حدث ، ان الذين جاءوا بعدهم كانوا لواتيين أيضا استنادا الى اجماع الروايات على أن الغلبة العددية والمنعة فى هذ المنطقة كانت لهذه القبيلة البربرية ٠

(٢٧٥) عن سياسة الفاطميين فى تأمين جنوب الصعيد والتعامل مع البجة وعرب ربيعة المقيمين هناك ، انظر : د٠ عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٤٨ ٠

(٢٧٦) وهو ما سنبينه بعد قليل ٠

(٢٧٧) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٣٤ ـ ٣٥ وص ٥١ ـ ٥٢ ٠

(٢٧٨) وقد كانت ثورات بربر زناتة على الحكم الفاطمى بالمغرب تتسم بالخطورة دائما مثلما حدث أثناء ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى ٠ عن ذلك انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٦ ـ ٢٢٠ ٠ وراجع : د٠ سالم : تاريخ المغرب ، ص ٥٣٦ ـ ٥٤٥ ، ود٠ محمد عبد المولى : القوى السنية ، جـ ١ ، ص ٤٢٥ وما بعدها ٠ وقد ذكر ابن الأثير (الكامل ، جـ ٩ ، ص ٧٤) ان الحروب كانت مستمرة بين عرب بنى قرة وبربر زناتة ابان دخول أبى ركوة المنطقة ، فأصلح ذات بينهما ، واستمالهم الى صفه ٠

(٢٧٩) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٦٨ • ويبدو أن اجلاء عرب بنى قرة عن البحيرة لم يكن نهائيا حتى كان عصر المستنصر بالله عندما أجلاهم وزيره اليازورى نهائيا عن أرض البحيرة وأحل محلهم عرب بنى سنبس من فروع طيء ، وذلك فى سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١/٥٠ م) • عن ذلك انظر : ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ٢١٦ ، والمقريزى : البيان والاعراب ، ص ٨ ـ ٩ •

(٢٨٠) هو الأمير نصير الدولة أبو مناد باديس بن أبى الفتح بن أبى الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى • حكم ولاية افريقية ، أو المغرب الادنى ، من سنة ٣٨٦ هـ الى سنة ٤٠٦ هـ (٩٩٦ ـ ١٠١٤ م) • عنه انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤٧ وما بعدها •

(٢٨١) ابن عذارى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٥٩ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٩٩ • وتعد هذه الخطوة كذلك محاولة من جانب الحاكم بأمر الله لارضاء نائبه باديس • راجع د• سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ •

(٢٨٢) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٠٤ •

(٢٨٣) راجع : المسبحى : ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١١٠ و ١١٦ • وبصدد هجوم عرب بنى قرة على أرض الواحات بعد سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ، انظر : البكرى : المغرب ، ص ١٥ ـ ١٦ • ويبدو أنهم ركزوا هجماتهم منذ ذلك الحين على أرض الواحات بحيث أكد ساويرس (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، مجلد ٢ ج ٣ ، ص ١٨٤) أنهم صاروا حكاما على الواحات أثناء سنوات الشدة العظمى التى تخللت عصر المستنصر بالله الفاطمى ، كما سنرى فى حينه •

(٢٨٤) عن ذلك انظر : د• حسين مؤنس : مقدمة تحقيق كتاب رياض النفوس للمالكى ج ١ ، ص ١٦ م ـ ١٨ م ، د• محمود على مكى . التشيع فى الأندلس ، ص ١٢٠ وما بعدها ، ود• أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين تجاه المغرب والأندلس : ص ٢٠٦ وما بعدها ، د• السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٥٢٣ ـ ٥٣٢ • وراجع : د• محمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب ، ج ١ ، ص ٥٠٨ وما بعدها ، والباب الثالث من الجزء الثانى الذى يدور كله عن تفاصيل المقاومة السنية الأموية لانتشار النفوذ الشيعى •

(٢٨٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ •

(٢٨٦) المصدر نفسه والصفحة •

(٢٨٧) نفسه : ص ٩٨ – ٩٩ .

(٢٨٨) عن ذلك بالتفصيل ، انظر : د. عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله المفترى عليه ، ص ٧٨ .

(٢٨٩) حقيقة ان المغرب كان يحكمه بنو زيرى الصنهاجيون ، وهؤلاء كانوا شيعة بحكم تبعيتهم للفاطميين الا اننا نلاحظ أنهم مالوا – فيما بعد – الى اعتناق المذهب السنى المالكى أثناء انقلابهم على سادتهم الفاطميين : أيام حكم الأمير المعز بن باديس وخلافة المستنصر بالله الفاطمى . ويشير ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ص ١٧٨) الى أن أمير افريقية نصير الدولة باديس ابن أبى الفتح قد طلب من الحاكم بأمر الله أن يعدل عن اضطهاد المالكية المقيمين بمصر – من أهل المغرب – أثناء ثورة أبى ركوة . راجع : د. ماجد : الحاكم المفترى عليه ، ص ٨٩ .

(٢٩٠) ابن حجر : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ص ٥٩٦ ، نقلا عن المسبحى فى الأجزاء المفقودة من كتابه . ونلاحظ اختلافا طفيفا فى الروايتين : فأصل قول المسبحى أن هذا الحادث وقع فى اليوم الثانى من شهر المحرم سنة ٣٩٣ هـ (نوفمبر ١٠٠٢ م) . كما ان القاضى ابن النعمان – حسب تصوير المسبحى – قد تعرض لمحاولة اغتياله وهو راكع فى صلاة العصر . وهو تصوير قصد المسبحى – الشيعى – به أن يكسب عطف القراء مع القاضى . ونلاحظ ايضا أن ابن حجر – نقلا عن المسبحى كذلك – يصف المعتدى بأنه « مغربى اندلسى » . وهى ملاحظة هامة تدل على أن المجتمع المصرى لم يكن يفرق بين الوافدين الى مصر من ناحية الغرب : سواء كانوا من أهل شمال افريقية أو من شبه جزيرة الأندلس . وتبدو أهمية هذه الملاحظة فى دلالتها على أن هذه النظرة استمرت الى زمن ابن حجر (ق ٩ هـ/١٥ م) .

(٢٩١) المصدر نفسه والصفحة .

(٢٩٢) نفسه والصفحة .

(٢٩٣) سمى بذلك لركوة كان يحملها فى أسفاره على عادة الصوفية تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم . والركوة أبريق من الجلد . راجع : ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ، ص ٧٤ .

(٢٩٤) ابن الأثير : المصدر والجزء ، ص ٧٤ – ٧٥ ، ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ص ٢٥٧ ، ابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) جـ ٤ ، ص ٥٨ – ٥٩ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٦١ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ،

ص ٢١٦ ـ ٢١٧ • وراجع : محمد عبد الله عنان : الحاكم ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، د• حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٠ ، د• سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٣ ، ود• عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٤٩ ـ ٥٣ •

(٢٩٥) راجع ما سبق ، ص ٢٣١ هامش ٢٧٨ و ٢٧٩ •

(٢٩٦) يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى ، ص ١٨٨ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٧٤ •

(٢٩٧) يحيى : ص ١٨٩ • وراجع : د• ماجد : الحاكم المفترى عليه ، ص ١٥٨ •

(٢٩٨) يحيى : ١٨٩ ، وابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٤ •

(٢٩٩) يحيى : ص ١٨٩ •

(٣٠٠) نفسه والصفحة • وراجع : د• سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٣ ، ود• ماجد : الحاكم ، ص ١٥٩ ، ود• القوصى : تاريخ الكنوز ، ص ٥١ •

(٣٠١) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٤ • حيث الاشارة الى أن الحاكم عندما بلغته أنباء انتصارات أبى ركوة • « عظم عليه الأمر ، وأهمته نفسه وملكه • وعاود الاحسان الى الناس والكف عن أذاهم » • وقد لاحظنا من قبل انه تغاضى عن معاتبة الفرقة الكتامية التي تخاذلت فى قتال أبى ركوة •

(٣٠٢) المقريزى : أتعاظ ، ج ٢ ، ص ٦٧ •

(٣٠٣) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٥٨ ، والمقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٦٢ •

(٣٠٤) يحيى : ص ١٩٠ • هذا ، وان صحت هذه الرواية عن استخدام الأرمن فى مصر الفاطمية أيام الحاكم ، فانها تعد أول اشارة فى هذا الصدد • اذ من الشائع أن الأرمن بدأ استخدامهم كعنصر مميز فى الجيش الفاطمى منذ أيام الخليفة المستنصر بالله ، كما سنرى بعد ذلك •

(٣٠٥) المصدر السابق والصفحة ، والمقريزى : المصدر والجزء ، ص ٦٢ •

(٣٠٦) من أمثلة ذلك ما حدث عند تروجة وكوم شريك من أعمال البحيرة • انظر : يحيى ص ١٩٠ ، وابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٥ • وراجع : د• القوصى : تاريخ الكنوز ، ص ٥٢ •

(٣٠٧) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٥ •

(٣٠٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ ٠

(٣٠٩) هو الفضل بن عبد الله بن صالح ، قائد القواد ٠ من الأمراء الذين كانوا يسيرون فى ركاب العزيز بالله وأصبح من القادة الكبار على زمن الحاكم ٠ وقد هجاه الشاعر الحسن بن بشر الدمشقى وعاب عليه علو شأنه مع بقائه على نصرانيته ٠ عن ذلك انظر : المقريزى : اتعاظ جـ ١ ، ص ٢٩٨ ٠

(٣١٠) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٧٥ ٠

(٣١١) يحيى : ص ١٩١ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٧٥ ، وابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، جـ ٤ ، ص ٥٨ ، وراجع : عنان ، الحاكم ، ص ١٠٧ ، ود٠ لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢٣ وهامش رقم (٤) ٠

ـ ورغم أهمية هذا الدور الذى لعبه على بن جعفر ، وما تبع ذلك من صموده بقواته ثانية على الضفة الغربية لنهر النيل أمام الفسطاط ، والأسلوب الحازم الذى اتبعه من أجل رفع الروح المعنوية لسكان العاصمة حينما أمر بعدم نقل ضحايا معركته الى الفسطاط خشيه اثارة الخوف بين العامة وسائر الجنود المرابطين فى القاهرة والفسطاط (راجع : المقريزى اتعاظ ، جـ ٢ . ص ٦٣) ٠ ورغم كل هذا ، فقد بدا ذلك من قبيل المهام الفرعية التى أسندها له الحاكم ، فى حين كانت الأضواء مسلطة على الفضل بن صالح باعتباره القائد العام لجيش الخلافة ٠ ورغم ان امكانات على بن جعفر ـ كقائد عام لجيش الشام قبل استدعاء الحاكم له ـ كانت تؤهله لأن يتبوأ مركز الفضل بن صالح ، الا أن الحاكم لم ير ذلك مناسبا خشية ان تتكرر فعلة الفرقة الكتامية ، التى تخاذلت فى قتال أبى ركوة عند مدينة برقة ٠

(٣١٢) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٧٥ ٠

(٣١٣) يحيى : ص ١٩١ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٧٥ ـ ٧٦ ، ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٢٥٨ ، ابن خلدون : جـ ٤ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ، المقريزى : اتعاظ : جـ ٢ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ ، والخطط ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ ، وابن تغرى بردى : جـ ٤ ، ص ٢١٧ ٠ وراجع د٠ العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ ، ود٠ ماجد : الحاكم المفترى عليه ، ص ١٦١ ٠ وعن تفاصيل فرار أبى ركوة الى النوبة وعلاقة عرب ربيعة أو بنى الكنوز بالقبض عليه وتسليمه للفضل بن صالح ، انظر : د٠ القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ٠

(٣١٤) عن ذلك انظر : ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٧ وما بعدها ، وراجع : د٠ سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٤٧ وما بعدها ٠

(٣١٥) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، والمقريزى : اتعاظ ج ١ · ص ٢٥٣ مع ملاحظة أن اسم هذين الأميرين قد ورد هكذا دون توضيح أكثر من ذلك ·

(٣١٦) راجع ما سبق : ص ١٧٣ هامش ٦٧ و ٦٨ ·

(٣١٧) راجع : لمؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، تحقيق بروفنسال ، صفحات ٣ ـ ١١ و ١٤ ، وابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق د· حسين مؤنس ، ج ١ ، هامش رقم (١) ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، والسلاوى الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ٨٤ ـ ٨٦ ، وعنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، المجلد الثانى ، ط ٤ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٩ ·

(٣١٨) مجهول : نبذ تاريخية ، ص ٩ و ١٤ و ١٩ · ومن الملاحظ أن الحرب التى خاضها الحسن بن كنون ضد الجيش الأموى بالمغرب الأقصى انتهت بهزيمته ثم مقتله وتشتيت أتباعه فى سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) · وانتهت بذلك سلالة البيت الادريسى فى حكم المغرب الأقصى ، اذ كان الحسن آخرهم · وراجع : د· العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٢ ·

(٣١٩) كان جعفر وأخوه يحيى من كبار أعوان الدولة الفاطمية بالمغرب ، حتى ان المعز لدين الله عرض على جعفر حكم ولاية افريقية باسم الفاطميين عند رحيله الى مصر · ولكن جعفر اشترط ان يكون شبه مستقل فى ولايته · فرفض المعز ذلك وجعل بدله يوسف بن زيرى الصنهاجى · وقد أثار هذا التصرف غضب جعفر ففر هاربا الى الأندلس هو وأخوه يحيى حيث خدما فى بلاط الدولة الأموية ، واستعان المنصور بن أبى عامر بجعفر فى التخلص من بعض خصومه ، ثم قتله بعد ذلك ، الأمر الذى جعل يحيى يفر الى مصر ، عن ذلك انظر : (ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، و ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، ود· العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٤ و ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦) · ويشير ابن الأبار (الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٣٠٦) الى أن الخليفة الفاطمى العزيز بالله أكرم وفادة يحيى بن على فى مصر بعد أن بلغته كلمات الاعتذار والندم التى قالها يحيى عن تفريطه فى حق الفاطميين ، وقت ان كان فى حبس المنصور بقرطبة ·

(٣٢٠) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣٤ ·

(٣٢١) دعانا الى وصف اقامة هؤلاء الوافدين بمصر بأنها هامشية ، أن الروايات التى أشارت الى قدومهم مصر ثم خروجهم عنها قد خلت من نسبة عمل معين الى أحدهم أثناء وجوده بالبلاد ·

(٣٢٢) عن الفارق بين الوزارتين وبيان مدى أهمية وزارة التفويض ، انظر : الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ ، ص ٢٤ ــ ٢٦ ، وابن خلدون : المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٦٦٥ ــ ٦٧١ ، والقلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٨٢ ــ ٤٨٣ .

(٣٢٣) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ ــ ١٨٥ .

(٣٢٤) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٩٠ ــ ١٩١ . وسبب ارتفاع مكانة التسترى أن والدة المستنصر كانت جارية له قبل ان يتحظاها الخليفة الظاهر وينجب منها المستنصر .

(٣٢٥) من الوزراء الفاطميين الذين خلفوا الجرجرائى الى وزارة اليازورى ، انظر : ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٣٧ ــ ٣٩ ، ود. المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٥٤ ــ ٢٥٧ .

(٣٢٦) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ١ ــ ٢ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ ــ ١٩٦ .

(٣٢٧) المقريزى : المصدر والجزء ، ص ١٩٥ .

(٣٢٨) من الغريب ان نظرة الخلافة الفاطمية زمن المستنصر بالله استمرت تجاه الفرق العسكرية المغربية على أنهم من الضرورى ان يكونوا على نفس القوة والمنعة التى كانوا عليها منذ ابتداء الدولة . رغم ما رأيناه من مواقف بدرت من الخلفاء الفاطميين السابقين أدت الى عكس ذلك ، خاصة أيام الحاكم بأمر الله وما فعلته أدارة الظاهر لاعزاز دين الله بهم .

(٣٢٩) قبيلة مصمودة أمة عظيمة من فرع البربر البرانس انتشرت فروعها ذات الكثافة العددية الكبيرة فى نواحى المغرب الأقصى . وقدر لبعض هذه الفروع أن تؤسس دولا حاكمة لعبت دورا هاما فى تاريخ المغرب عامة ، مثل الموحدين . عن ذلك انظر ابن خلدون : العبر (طبعة بيروت) ، جـ ٦ ، ص ٤٢٧ وما بعدها .

(٣٣٠) ناصر خسرو : سفر نامة ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، ص ٤٦ . حيث الاشارة الى أن عددهم قارب الاثنى عشر ألف رجلا .

(٣٣١) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

(٣٣٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ . وقد اندرست هذه الحارة فيما بعد . أما موقعها الآن فالى الغرب من جامع المؤيد بالمتولى . راجع : فتحى حافظ : دراسات فى مدينة القاهرة ، ص ٢٢ .

(٣٣٣) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣٣٤) انظر التعريف بهذه العناصر الجديدة عند : د٠ ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ، ص ٢٠٠ ٠

(٣٣٥) واليازورى نسبة الى قرية يازور من أعمال الرملة ٠ عن نشأته وحياته قبل توليه الوزارة ، انظر : ابن منجب الصيرفى : الاشارة ، ص ٤٠ ـ ٤٥ ، د٠ حمدى المناوى : الوزارة ، ص ٢٥٧ ٠

(٣٣٦) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ و ٢٢٦ و ٢٤٤ ٠ وعن سياسة اليازورى الاقتصادية ، انظر : د٠ المناوى ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ٠

(٣٣٧) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ ٠ ويجعل المقريزى (اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢١٤) سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) بداية انفصال المعز ابن باديس عن الفاطميين ، وارجع السبب الى كراهة المعز لشخص اليازورى ٠ وراجع كذلك : د٠ العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢١٨

(٣٣٨) عن ذلك انظر : السجلات المستنصرية ، تقديم وتحقيق د٠ عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٤ ، سجل رقم ٥ ، ص ٤٢ ـ ٤٥ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١١ ـ ٢١٢ ، وابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، وابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، ج ٤ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ ٠ وراجع د٠ محمد عبد المولى (بنو مرداس ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ وهامش رقم ٥٨ ص ١٢٨) حيث التاكيد على أن الوزير أبا البركات الجرجرائى ـ وليس اليازورى ـ هو الذى استن سياسة استخدام عرب هلال وسليم فى اخماد ثورة المعز بن باديس ٠ ويؤيد صحة هذا الرأى اشارة المقريزى (اتعاظ ج ٢ ، ص ٢١٦) الى أن الأمر صدر الى عرب هلال وسليم بالتحرك من صعيد مصر الى المغرب فى سنة ٤٤١ هـ (١٠٤٩ م) ، أى قبل وزارة اليازورى ٠

(٣٣٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٢ ٠

(٣٤٠) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ ٠ وراجع د٠ العبادى : سياسة الفاطميين ، ص ٢١٩ ٠

(٣٤١) راجع فى ذلك : د٠ ماجد : الامام المستنصر بالله الفاطمى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٦٦١ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ٠

(٣٤٢) د· العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، ود· ماجد : الامام المستنصر ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ، ود· سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، ود· سالم · تاريخ المغرب ، ص ٥٧١ ـ ٥٨٧ ، ود· مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٤٧ ـ ١٥٠ · وقد كانت هلال هى الغالبة على هذه الهجرة · ومن أفخاذها الشهيره ، الاثبج ورياح وعدى وزغبة وقرة وربيعة · ومن فصائل الأثبج : مقدم والعاصم ودريد · ومن رياح : مرداس · ومن زغبة : عروة · عن ذلك انظر : د محمد عبد المولى : بنو مرداس ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ وهامش ٦٢ ص ١٢٩ والملحق الأول بآخر الكتاب المذكور ·

(٣٤٣) ابن منجب : الاشارة ، ص ٤٢ ـ ٤٣ ، وابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٦ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١٦ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ·

(٣٤٤) ومن الملاحظ أن اليازورى عمل على اجلاء عرب بنى قره نهائيا عن أرض البحيرة ، الى ناحية برقة وأحل محلهم عرب بنى سنبس الطائيين ، الذين استقروا فى تلك المنطقة حتى قيام دولة المماليك فى حكم مصر · عن ذلك انظر : المقريزى : البيان والاعراب ، تحقيق د· عبد المجيد عابدين ، ص ٧ ـ ١٠ ·

(٣٤٥) وقد عزل اليازورى بعد أن كثرت الشائعات المغرضة عنه · ودخلت البلاد بعده فى طور من الفتن ، بحيث كانت اضطرابات البحيرة وما جاورها نتيجة لاهتزاز الأمور فى العاصمة · وهو ما ستلى الاشارة اليه بعد قليل ·

(٣٤٦) عن ذلك انظر : السجلات المستنصرية ، رقم ٥٦ ، ٥٧ ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٧ ، والمقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٧٩ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٢ ·

(٣٤٧) ومما يعزز وجهة النظر تلك ما أشار اليه عبد الواحد المراكشى (المعجب ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) عن لجوء أعداد من سكان مدينة القيروان الى مصر ، اثر استيلاء العرب على تلك المدينة ·

(٣٤٨) راجع فى ذلك : القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٣ ، ص ١٦٨ و ١٧٢ ـ ١٧٥ ، والمقريزى : البيان والاعراب ، ص ٥٣ ـ ٥٦ و ٦١ وسنجد فيما بعد أن هذه التحركات البربرية الى دلتا مصر وصعيدها قد

أسفرت عن استقرار جماعات من لواتة وهوارة في بعض نواحي محافظة الشرقية وكذلك في الجيزة ، حيث قدر لهم ان يشاركوا في الأحداث التالية ٠

(٣٤٩) قبض المستنصر بالله على اليازورى فى اول محرم سنة ٤٥٠ هـ (٢٨ فبراير سنة ١٠٥٨ م) بتهمه الاتصال بطغرلبك سلطان السلاجقة في العراق ، وحثه على غزو مصر ، وربما بدافع من سنيته لأن البازوري كان حنفى المذهب وقتله فى ٢٢ صفر (١٩ أبريل) السنة نفسها ٠ انظر : ابن منجب ، الاشارة ، ص ٤٥ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ ٠ وراجع : د٠ المناوى ؛ الوزارة والوزراء ، ص ٢٥٧ ٠

(٣٥٠) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، مجلد ٢ جـ ٣ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٤ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ١٤ ، والمقريزى : اغاثة الأمة بكشف الغمة قام على نشره د٠ محمد مصطفى زيادة ود٠ جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٧) ص ٢٢ ـ ٢٧ ، واتعاظ الحنفا ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ وما بعدها ، والخطط ، جـ ١ ص ٦٢٩ ـ ٦٣٤ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٧ ـ ١٩ ٠

(٣٥١) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ، والمقريزى : أتعاظ : جـ ٢ ، صفحات ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ٠

(٣٥٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٨١ ٠ حيث الاشارة الى أن ثورات العبيد السودان بصعيد مصر قد استمرت حتى حضور بدر الجمالى الى مصر ٠

(٣٥٣) وهم من بقايا أسرة الحمدانيين العرب الذين كانوا يحكمون فى حلب بشمال الشام وفى الموصل من بلاد الجزيرة ٠ وقد انتقلوا الى مصر كلاجئين أو منفيين حيث اعتمد الخلفاء الفاطميون ابتداء من الحاكم بأمر الله على أفراد منهم فى تولى بعض المناصب بالشام ٠ عن ذلك انظر : د٠ ماجد : الامام المستنصر ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ، ود٠ محمد عبد المولى : بنومرداس ، ص ٩٨ ، وهامش رقم ٤٣ ص ١٢٥ ، وص ١٥٥ هامش رقم ٦٠ ص ١٦٨ ٠

(٣٥٤) عد المقريزى (اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ ، والخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٧) أسماء عشرة قادة من الثائرين الأتراك ٠

(٣٥٥) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ١٩ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٤ ٠ ويؤكد ابن تغرى بردى أن تعاونا وثيقا قد حدث بين الفرق العسكرية المغربية وفريق الأتراك المنشقين على ابن حمدان ، فى العمل لصالح الخلافة الفاطمية ٠

(٣٥٦) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة ، مجلد ٢ جـ ٣ ، ص ١٨٤ . ونستنتج من وصف ساويرس (المصدر نفسه والجزء ، ص ١٧٨) لسنان الدولة الكتامى بان نصارى الفسطاط كانوا يحبونه ، ان هذا القائد بذل جهده فى تجميع الأنصار من بين الأهالى لنجدة الخليفة . وربما كان لمقتل أخيه صارم الدولة ابن جابر بايدى اللواتيين فى ناحية طنطا (كما سنرى بعد قليل) علاقة بالأمر .

(٣٥٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(٣٥٨) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ — ٢١٩ . وراجع ما سبق ، ص ٢٥٢ وهامش رقم ٣٤٤ .

(٣٥٩) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٢٤ ، والمقريزى : خطط ، جـ ٢ ، ص ٨٠ ، ولاحظ ان المقريزى يسميه « سليمان » .

(٣٦٠) وضح لنا منذ قليل أسباب ميل الجماعات البربرية التى استقرت فى نواحى برقة والبحيرة سـواء الوافدة حديثا أم الأقدم ، الى معاداة الخلافة الفاطمية (انظر ما سبق ص ٢٥٣) . بينما ذكر . ماجد (الامام المستنصر) ص ١٧٤) أن أسباب معاداة ابن حمدان للفاطميين ترجع الى رغبته فى الانتقام لسقوط أسرته من حكم امارة حلب على أيديهم . وعن تفاصيل استيلاء الفاطميين على امارة حلب ، انظر : (د. محمد عبد المولى : بنومرداس ، ص ١٩ — ٢٤) .

(٣٦١) ابن منجب : الاشـارة ، ص ٥٤ . ويشير د. المناوى (الوزارة والوزراء ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧) الى أن أبا سعد هذا قد ولى الوزارة خلال أيام من أخريات سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) .

(٣٦٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ . وراجع : د. سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٨٧ .

(٣٦٣) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٥ ، ص ١٤ .

(٣٦٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ١٩ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٣٦٥) المصدران السابقان والصفحات .

(٣٦٦) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، مجلد ٢ جـ ٣ ، ص ١٨٣ و ٣٠٢ .

(٣٦٧) المصدر نفسه والصفحات . حيث الاشارة الى ان قيادة هذه الحملات

الثلاثة كانت في يد ناصر الجيوش بن أسد الدولة بلدكوش (أو بلدكوز) ، ونجاح الدولة بغرا ، التركيين ، وأحد النصارى ويدعى ابن زنبور . كذلك يشير ساويرس الى أن هذه الحملات ضمت بعض العبيد السودان بقيادة الأستاذ عزيز الدولة . وهو أمر مستغرب ، اذ من المعروف عن هؤلاء العبيد انهم استمروا مصدر شغب على الدولة بنواحي الصعيد الى وقت حضور بدر الجمالي ، كما سنرى بعد قليل . وراجع كذلك : المقريزي : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ . وانظر : د. ماجد : الامام المستنصر ، ص ١٧٦ ، ود. سرور : الدولة الفاطمية وسياستها الداخلية ، ص ١٠٥ .

(٣٦٨) ساويرس : تاريخ البطاركة ، مجلد ٢ جـ ٣ ، ص ١٨٣ ، والمقريزي : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .

(٣٦٩) المصدران السابقان والصفحات .

(٣٧٠) المقريزي : المصدر والجزء ، ص ٣٠٥ .

(٣٧١) ساويرس : المصدر والجزء ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٣٧٢) المقريزي : المصدر السابق والصفحة .

(٣٧٣) نفسه : ص ٣٠٥ ، وراجع : د. سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٣٧٤) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة ، مجلد ٢ جـ ٣ ، ص ١٨٣ . ويلاحظ أن ساويرس يذكر أن اللواتيين قبضوا على البطريرك ذاته . بينما يشير د. يعقوب جرجس ود. زاهر رياض (موجز تاريخ بطاركة الاسكندرية ، دار برادي للطباعة القاهرة ١٩٦٩ ، الجزء الثاني ، ص ٢٤) . عند ترجمتهما لهذا البطريرك : الى انه كان قد انتقل الى القاهره قبل ذلك بعدة سنوات ، وجعل كنيسة المعلقة بالفسطاط مركزا له ، وعين أسقفا للاسكندرية وجعله وكيلا عنه للكرازه المرقسية . ويؤكد د. جرجس ان المتاعب التى صادفها هذا البطريرك انما كانت من ناحية الجنود الأتراك الذين « هجموا على المعلقة حيث وجدوا البطريرك فأهانوه » . وذلك أثناء صراعهم مع العبيد السودان .

(٣٧٥ ، ٣٧٦) ساويرس : المصدر السابق والصفحة . وراجع : د. ماجد : الامام المستنصر ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ . حيث اعتمد رواية ساويرس عن أن البطريرك خرسطو دلوس هو الذى تعرض لمضايقات اللواتيين .

(٣٧٧) ساويرس : المصدر والجزء ، ص ١٨٤ .

(٣٧٨) نفسه والصفحة .

(٣٧٩) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٣٨٠) المصدر نفسه والصفحة .

(٣٨١) نفسه والصفحة .

(٣٨٢) نفسه والصفحة . ونلاحظ أن هذا الوصف ينطبق، اما على الكتاميين او المصامدة بيد أن أسلوب التجهيل الذى استخدمه المقريزى ينطبق أكثر على المصامدة حديثى العهد فى مصر .

(٣٨٣) نفسه والصفحة . وراجع : د. سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠٦ .

(٣٨٤) د . عبد المنعم ماجد : الامام المستنصر ، ص ١٧٦ ، ود . لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٢٩

(٣٨٥) المرجعان السابقان والصفحات .

(٣٨٦) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ . حيث الاشارة الى أن ناصر الدولة حجر على المستنصر وصادر أمواله ، فيما عدا نفقة شهرية أطلقها له يبلغ مقدارها مائة دينار فقط . وقبض على أم المستنصر وتشدد فى معاقبتها ، وشرع فى اقامة الخطبة للخليفة القائم العباسى فى القاهرة والفسطاط .

(٣٨٧) المصدر نفسه والصفحة وهامش رقم (٣) للمحقق . ود. ماجد : الإمام المستنصر ، ص ١٧٨ .

(٣٨٨) المصدر نفسه : ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٣٨٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٢١ . وكانت المرة الأولى التى أشار فيها الى استخدام السكين المعروف بالبافورت ، عند حديثه عن مصرع الخليفة الحاكم بأمر الله .

(٣٩٠) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٢ ، ص ٣١١ .

الفصـل الـرابع

« المغـاربة والأندلسـيون فى مصـر
فى العصـر الفـاطمى الثـانى »
(٤٦٧ ـ ٥٦٧ هـ / ١٠٧٤ ـ ١١٧١ م)

(أ) فى النصف الثانى من خلافة المستنصر بالله ووزارة بدر الجمالى.

(ب) أيام الخليفة المستعلى بالله ووزيره الأفضل •

(جـ) أيـام الخليفة الآمر ووزرائه •

(د) أيام الخليفة الحافظ ووزرائه •

(هـ) الفترة الأخيرة من عمر الخلافة الفاطمية •

(و) سقوط الخلافة الفاطمية وردود الفعل المغربية •

تمكن بدر الجمالى من الحضور الى مصر بطريق البحر ، فى شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٦ هـ (فبراير ١٠٧٤ م) ، ومعه مائة مركب تقل قواته الخاصــة . وفور وصــولهم الساحل المصرى ، نزلوا بدمياط حيث طلب بدر من تجار المدينة المال اللازم لمواصلة سيره الى العاصمة . فكان أول من تقدم له يد المساعدة وقــام بأمر ضيافته وما يحتاج اليه من المؤن والغلال ، سليم اللواتى « كبير أهل البحيرة وأكثرهم مالا وأوسعهم حالا » . ولم يكتف ســليم بذلك بل « أمده بالطرقات حتى قدم قليوب ، فنزل بها » (١) .

ولنا على هذا التصرف من جانب سليم اللواتى عدة ملاحظات منهــا :

ـ ان سليم اللواتى كان فى ذلك الوقت بمثابة الزعيم الأول لجموع اللواتيين المنتشرين فى الوجه البحرى ، والمسئول عن وضع السياسة العامة لاتباعه .

ـ ان وصفه بأنه كبير أهل البحيرة والشخص الأكثر يسارا فيها ، ثم ظهوره على تلك الحال فى دمياط ، وقيامه بامداد بــدر الجمالى وجنوده بحاجتهم من الأموال والغلال ، لما يؤكد أنه كان متملكا فعلا ـ بواسطة أتباعه اللواتيين ـ لناصية الأمور فى الوجه البحرى ، شرقه وغربه . وان وسيلتهــم فى ذلك كانت تتمثل فى شن الهجمات على أراضى الدلتا الزراعية واحتكار مزروعاتهــا ، كما سبق أن رأينا .

ـ ان اللواتيين كانوا يرغبون فى استمرار لعب هذا الدور الذى عاد عليهم بمكاسب شخصية لا حصر لها ، وذلك لسنوات

أخرى قادمة . فكان عليهم أن يضمنوا تحالف هذا القائد الجديد معهم ، مثلما كان الحال مع ابن حمدان ، بعد ما وضح لهم مدى قوة شكيمته باجترائه على اقتحام أهوال البحر المتوسط رغم أن الوقت كان شتاء (٢) . ولهذا كانت المبادرة السخية التى قام بها زعيمهم سليم مع بدر .

ـ ان بدر الجمالى ، ولاشك ، كان يعلم تماما ـ من خلال رسالة المستنصر اليه ـ مدى الخطر فى تفوق نفوذ هؤلاء اللواتيين فى الوجه البحرى . بيد أنه كان مضطرا لمسايرة زعيمهم سليم ، كى يتمكن هو وجنوده من اجتياز أراضى الدلتا والوصول الى العاصمة بسلام .

ـ وأخيرا فان انتهاء مظاهر الترحيب ، وبالأحرى الحماية ، التى ابداها سليم لبدر الجمالى عند مدينة قليوب ، لما يوحى بأن هذه المدينة كانت تمثل الحد الجنوبى لانتشار نفوذ اللواتيين فى أرض الوجه البحرى أثناء سنوات الفتنة .

وبنفس الطريقة التى اتبعها مع اللواتيين وزعيمهم سليم ، شرع بدر الجمالى كذلك فى التودد الى قادة الأتراك الذين طغى نفوذهم على الخليفة المستنصر فى العاصمة ، وتعمد أن يذكر المستنصر ـ أمامهم ـ بالسوء « وخدعهم بما أبداه من المحبة لهم وكثرة التملق » . ثم انه نجح فى تدبير مذبحة جماعية لهؤلاء القادة وسط مظاهر الود والمجاملة ، وتمكن من استئصال شأفتهم من العاصمة وضواحيها ، اذ فر من قدر له النجاة الى خارج مصر (٣) . وفى حين تعقب بدر الجمالى باقى الأتراك بالقتل والتشريد ، نجده لم يقدم على الحاق الأذى بطوائف المغاربة من موالى الدولة . ويبدو أن ذلك كان بتزكية خاصة من المستنصر الذى قدر لهم بقاءهم على طاعته وقت انفضاض الآخرين . غير أن ذلك لا يعنى انه شرع فى الاعتماد عليهم بشأن تطهير نواحى مصر من

كافة المفسدين ، اذ كان اعتماد بدر الجمالي - بالدرجة الأولى - على جنوده الأرمن . مما ترتب عليه أن صار هؤلاء المغاربة منذ ذلك الحين يحتلون المكانة الثانية بين طوائف الجيش الفاطمي .

وما ان فرغ بدر الجمالي من اعادة الأمور الى نصابهـا في العاصمة ، حتى بدأ يوجه عنايته الى بقية الأقاليم . فاتجه أولا في سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٥/٧٤ م) نحو الوجه البحري حيث أمضى تلك السنة والتي تلتها في مهاجمة مراكز تجمع اللواتيين هناك . وقد وسع بدر دائرة حروبه في هذه الجبهة حتى شملت كل أراضي الوجه البحري من الاسكندرية والبحيرة الى دمياط والشرقية . وتمكن خـلال هذه المعـارك من الحـاق هزائم متعددة بجموع اللواتيين هنا وهناك ، وأسرف في قتلهم حتى قيل انه « قتل من أهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان ، الى غير ذلك من أهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية » . وممن قتل في هذه الحروب سليم اللواتي وولده (٤) . واعقب ذلك قيام بدر الجمالي بمصادرة ما انتزعه اللواتيون من ممتلكات الفلاحين المصريين ، وأعادها الى أصحابها ، مصلح الحال هنالك (٥) .

وتجدر الاشارة الى أن حملات بدر المظفرة على مراكز تجمع اللواتيين في الوجه البحري لم يكن الغرض منها ابادة هذه العناصر جميعها ، بل مجرد كسر شوكتهم والقضاء على تسلطهم الذي وضح في سلوكهم تجـاه الخلافة . لذلك كان من الطبيعي ان يستمر وجودهم في ذات الأراضي عقب انصراف بدر الجمالي . ولكن في شكل شراذم متفرقة هنا وهناك . والدليل على ذلك اسـتمرار مشاركتهم في الأحداث التي تخللت عهود الخلفاء الفاطميين الذين جاءوا بعد المستنصر . وزاد الأمر أهميـة ، ظهور بعض الأفراد اللواتيين ضمن علية القوم في الفترة الأخيرة من وزارة بدر الجمالي نفسه ، وأيام ابنه الأفضل الذي ولي الوزارة بعده ، كما سنبين .

وبعد أن اطمأن بدر الجمالي على أن الأمور قد أخذت صورتها الطبيعية في الوجه البحرى سار في سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) الى الصعيد ، حيث كان العبيد السودان وجماعة من عرب جهينة والثعالبة والجعافرة يواصلون اغاراتهم هناك . فانقض عليهم وافنى أكثرهم وغنم منهم مغانم كثيرة • ثم واصل زحفه الى مدينة أسوان وقضى على نفوذ عرب ربيعة (أو الكنوز) المتزايد في تلك الناحية . واعاد بذلك هيبة الخلافة الفاطمية على جميع بلاد الوجه القبلى حتى اسوان (٦) .

ولاشك أن بدر الجمالي قد لاحظ ـ قبل مغادرته مدينة أسوان عائدا الى القاهرة ـ ان منطقة الواحات بحاجة هى الأخرى الى سياسته الاصلاحية ، كى يتمم بذلك جهوده في تأمين حدود مصر الجنوبية بشكل نهائى . وحقيقة الأمر ان أحوال الواحات كانت قد أخذت في التدهور بشكل واضح قبل ذلك بسنوات ليست بالقليلة • يدلنا على ذلك اشارة البكرى الى تعرض هذه المنطقة لغزوة ناجحة قام بها عرب بنى قرة ، فيما بعد سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) (٧) . وخلال سنوات الشدة العظمى ، يمكن القول بأن اقتصاديات الواحات قد تأثرت كثيراً باغارات العبيد السودان وعرب جهينة والثعالبة والجعافرة على أنحاء الصعيد ، وذلك بحكم قرب المنطقة من الصعيد . هذا في الوقت الذى أكد فيه ساويرس ان حكم الواحات قد بات معقودا ـ اثناء الشدة ـ لأحد المتغلبين على الاقليم من أمراء عرب بنى قرة ، وكان يدعى عدة الدولة مقرب ابن ماضى (٨) . مما يعنى أن تغلب البيوتات اللواتية على حكم الواحات قد انتهى منذ زمن • والى جانب ذلك استمرت اغارات عرب سليم ـ من مناطق سكناهم الجديدة بصحراء برقة وطرابلس ـ على اقليم الواحات • وهؤلاء كانوا يستغلون نزولهم الى أرض الواحات ـ في فصل الصيف على ما يبدو ـ ويحصلون

عنوة على احتياجاتهم من تمر المنطقـة ، كمـا كانوا يتحكمون فى الممرات المؤدية الى الواحات « فيقطعون بها الطريق على من ارادها ، او من خرج منها »(٩) .

كل ذلك يجعلنا نرجح أن بدر الجمالى اسـتغل وجـوده بالقرب من اقليم الواحات ليعمل على اصلاح الأوضاع فيه · وكانت الوسيلة التى ارتآها بدر ـ على ما يبدو ـ مناسبة لذلك أن يجعل حكم المنطقة تحت التبعية المباشرة للحكومة الفاطمية · ومن المؤكد انه أرسل حامية من جنده لترابط فى الواحات ، واختار لها قائداً من قبله يتصرف في شئون المنطقة وفقا للأوامر التى تصدر اليه من القاهرة · بمعنى ان كافة الشئون الداخليـة لاقليم الواحات صارت منذ ذلك الحين تدار بمعرفة وتدبير الوزراء الفاطميين فى القاهرة . أو كما قال ابن دقماق ـ فى معرض حديثه عن الواحات ـ انها « صارت مضافة الى مصر » بعد أن « كانت فى القديم مملكة قائمة بنفسها وكان لصاحب مصر على صاحبها قطيعة » (١٠) . واقرب الأمثلة على ذلك : اهتمـام الوزير الفـاطمى المـأمون بن البطائحى ـ الذى سيلى الحديث عنه ـ بانشـاء مسـجد كبير بالواحات ، بعد ان وصلته تقارير عن حاجة المنطقة لمسجد جامع بها · وقد افتتح هذا المسجد ـ الذى عرف بجامع الواحـات ـ للصلاة فى شهر شوال من سنة ٥١٧ هـ (دسمبر ١١٢٣ م(١١) . وسنرى فيما بعد امثلة اخرى لاستمرار ادارة شئون الحكم فى الواحات من قبل الحكومة المصرية فى العاصمة خلال عصـور الأيوبيين والمماليك .

ولم تلبث جهود بدر الجمالى أن آتت ثمارها بحيث عادت البلاد ـــ من جديد ـــ تنعم بالهدوء خلال الفترة المتبقية من وزارته . باستثناء حادث شغب قام به عرب قيس وسليم وفزارة ، فى شهر رجب من سنة ٤٦٩ هـ (يناير ١٠٧٧ م) بناحية البحيرة ، مستغلين

غياب بدر في أسوان • وقد تمكن بدر الجمالي من معالجة أمرهم « وقتلهم وطرد باقيهم الى برقة » (١٢) • كذلك حاول الأوحد — الابن الاكبر لبدر الجمالي — الخروج على أبيه بمدينة الاسكندرية في سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) • وربما كان انتزاء الأوحد بناحية الاسكندرية مدعاة للقول بانه حاول اجتذاب العناصر الساخطة من بربر لواتة ومن على شاكلتهم ، المقيمين بجوار المدينة ، معتمدا على انهم سينضمون اليه رغبة في الانتقام لما حل بهم على يد والده • الا أن بقاءه بمدينة الاسكندرية وتحصنه داخل أسوارها ، وعدم الاشارة الى امتداد ثورته خارج نطاقها يدل على انهم لم ينضموا اليه بسبب حاجتهم لفرصة يلتقطون فيها أنفاسهم • وعلى أية حال ، فان أمير الجيوش — وهو أحد الألقاب العديدة التي نعت الخليفة المستنصر بها وزيره بدر — تمكن من القضاء على ثورة ابنه في ذات السنة ، وعاقب أهل المدينة بغرامات مالية سخرها لبناء الجامع المعروف في الاسكندرية بجامع العطارين(١٣) •

واستمر بدر الجمالي قابضا على السلطة بيد من حديد الى حين وفاته في شهر ذي القعدة من سنة ٤٨٧ هـ (نوفمبر ١٠٩٤ م) ، فخلفه ابنه الأفضل في منصب الوزارة والهيمنة على شئون الدولة من دون الخليفة المستنصر • وتكفي الاشارة الى أن الأفضل انتهز فرصة وفاة المستنصر في ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هـ (ديسمبر ١٠٩٤) وأقدم على تحويل الخلافة الى أصغر أبناء المستنصر ، أبي القاسم أحمد ، ولقبه بالمستعلي بالله (٤٨٧ — ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ — ١١٠١ م) بدلا من نزار الابن الأكبر للمستنصر • الأمر الذي أدى الى انقسام اتباع المذهب الفاطمي الشيعي الى نزارية يؤيدون نزار ، ومستعلية يؤيدون المستعلي الخليفة القائم في الحكم(١٤) •

وفيما يختص بأثر هذه الخطوة على تطور الأحداث في مصر ، فان نزار لم يعترف بسياسة الأمر الواقع التي فرضها الأفضل

عليه وعلى باقى أفراد أسرة المستنصر · وخرج مغاضبا ، هو وأخوه الأمير عبد الله ، الى الاسكندرية حيث استمالا واليها ناصر الدولة أفتكين التركى أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالى ·

وان يكون النصير الأول لنزار بن المستنصر أمام سلطان الافضل فى القاهرة وقت صدور قرار تولية المستعلى ، وثالث الثلاثة فى رحلة الذهاب الى الاسكندرية ، واكبر الأعوان ساعة المواجهة ضد قوات الأفضل على أبواب المدينة حتى اشتداد المحنة على نزار ووضوح مدى الخطر فى استمرار التعنت والمقاومة : هو الامير اللواتى محمود بن مصال اللكى ، الذى ترجع أصوله الى قرية لك من أعمال برقة(١٥) ، كل ذلك لما يتطلب القاء الضوء على هذا التطور الجديد من نوعه فى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر ·

يقول ابن ميسر فى وصف ذلك : « ··· فاجتمع الأفضل بعد موت المستنصر والأمراء والخواص ، وخوفهم من نزار واشار عليهم بولاية أخيه الصغير أبى القاسم أحمد (بن المستنصر) · فرضوا بذلك ما خلا محمود بن مصال الملكى (وهو خطأ والصحيح اللكى كما فى باقى الروايات) ، فان نزار وعده بالوزارة والتقدمة على الجيوش مكان الأفضل · فلما علم ابن مصال الحال ، اعلم نزارا بما تقدم · وبادر الأفضل باخراج أبى القاسم أحمد وبايعه بالخلافة ·· وبادر نزار وأخوه عبد الله وابن مصال الملكى (اللكى) الى الاسكندرية · وكان الوالى بها ناصر الدولة أفتكين التركى أحد مماليك أمير الجيوش بدر ، وعرفوه الحال ووعدوه بالوزارة ، فبايعه هو وأهل الاسكندرية »(١٦) ·

ـ وأول ما يلفت الانتباه أن محمود بن مصال كان معروفا ضمن الأمراء والخواص قبيل وفاة المستنصر ، وبرزت أهميته من خلال حضوره اجتماع الأفضل بكبار رجال الدولة · فلعله كان

يمثل بعض العناصر اللواتية من المغامرين الذين اتيحت لهم الفرصة فتسللوا الى العاصمة طمعاً فى شغل بعض المناصب التى تدر عليهم عائدا ثابتا ، وذلك بموجب قرار المستنصر الخاص بالسماح للواتيين بالعمل فى الجيش الفاطمى(١٧) .

ـــ ثم ان رفض ابن مصال قرار الأفضل بتنحية نزار بن المستنصر عن الخلافة فور سماعه له ، واسراعه بتبليغ نزار بمضمون الاجتماع ، يدل على وجود تفاهم مسبق بين نزار وابن مصال قبيل وفاة المستنصر . وهو ما تأكد من خلال الاشارة الى الوعد الذى كان نزار قد أعطاه لابن مصال بأن يجعله فى الوزارة وامرة الجيوش بدلا من الأفضل عند صيرورة الخلافة الى نزار . ويبدو ان خلفية هذا التقارب بين الاثنين ترجع الى وقت وفاة بدر الجمالى حينما ظهر بوضوح ميل القادة الارمن للاستبداد بالأمر ، ووصل الحال الى أنهم ضغطوا على المستنصر بالله كى يتم تعيين الأفضل فى الوزارة تنفيذاً لرغبة سيدهم بدر الجمالى . وكانت الوسيلة التى اتبعوها لارغام المستنصر على ذلك من الجراة بحيث أثارت الشعور بالاستياء واضطر المستنصر معها للاذعان لطلبهم (١٨) . ولا شك ان نزارا ـــ وهو لم يزل بعد وليا للعهد ـــ قد أدرك حينئذ أن الارمن أشد خطراً على الدولة من العناصر الأخرى ، وصار ينظر الى الأفضل باعتباره مفروضا على الخلافة ، وعبر فى أكثر من مناسبة عن كراهيته له(١٩) . والجديد فى هذا ان اختيار نزار للعناصر التى ستصلح ـ فى اعتقاده الخاص ـ بديلا عن الأرمن ومقدمهم الأفضل بن بدر الجمالى ، لم يكن منصبا على قادة الفرق العسكرية من المغاربة الباقين فى الخدمة ، بل اقتصر هذا الاختيار على الشخصيات اللواتية الموجودة فى العاصمة . ولهذا كان الاتفاق الذى أبرمه مع محمود بن مصال ، على أن يتولى الأخير الوزارة اذا ما تم لنزار الأمر وصار خليفة بعد أبيه .

وقد كان ما رأيناه من مبادرة الأفضل بتنحية نزار عن الخلافه ، وفرار الأخير هو واخوه الأمير عبد الله ومحمود بن مصال اللكى الى ناحية الاسكندرية ، حيث استمالوا واليها ناصر الدولة افتكين الى جانبهم • ولم يلبث الافضل أن خرج على رأس جنوده فى شهر المحرم من سنة ٤٨٨ هـ (يناير ١٠٩٥ م) لقتالهم • الا ان الهزيمة سرعان ما لحقت به وبجنوده ، فاضطر الى الانسحاب عائداً الى القاهرة(٢٠) • ولا شك ان النصر الذى أحرزه نزار جعل حركته مطمعا لكل مغامر يريد الكسب السريع • وهنا برز دور ابن مصال فى جذب أعداد ـ وصفت بانها لا حصر لها ـ من اللواتيين المنتشرين حول الاسكندرية ، هذا الى جانب من انضم اليهم من طوائف العربان والسودان • حتي قيل ان عدة جيش نزار زادت على ثلاثين الف فارس وراجل(٢١) • وتشجع نزار على التقدم بجموعه تلك نحو العاصمة ، ووصلوا الى المكان المعروف بكوم الريش ـ القريب من القاهرة ـ « وهم مصرون على الفساد مستمرون على البغي والفساد » • وذلك حسبما وصفهم كاتب الوثيقة الرسمية التى أرخت لهذه الحركة بلسان حال الخليفة المستعلى الفاطمى(٢٢) •

على اننا نلاحظ ان هذه الوثيقة قد أغفلت ذكر اسم محمود بن مصال اللكى ضمن قادة هذه الحملة ، وأشارت الى أن نزار وناصر الدولة أفتكين هما اللذان شرعا فى مهاجمة القاهرة(٢٣) • ونستنتج من هذا ان الاتفاق بين الزعماء الثلاثة جرى على أن يتولى نزار وأفتكين قيادة الحملة ، بينما يبقى ابن مصال فى الاسكندرية ليحمى ظهريهما ويحافظ على استمرار وصول الامدادات لهما ويؤمن انسحابهما وعودتهما الى الاسكندرية فى حالة الفشل •

وعلى الجانب الآخر شرع الأفضل فى أعادة ترتيب صفوفه ، اثر انسحابه من الاسكندرية • ومن المؤكد انه فكر ـ آنذاك ـ

في الاعتماد على الفرق العسكرية المغربية المرابطة في العاصمة ، والتي كان قادتها ، الى ذلك الحين أشبه بالمتفرجين . ويبدو أن الافضل لوح بأنه انما يدافع عن حق الخليفه الشرعي ، القائم في الحكم ، وهو ما جعلهم يشتركون معه في صد هجوم نزار وافتكين على القاهرة • وكان ذلك سببا في فشـــل مشروع غزو القاهرة ، وانسـحاب نزار وافتكين وجموعهما بصـــورة غير منتظمة الى الاسكندرية • ثم عمل الافضل على استغلال هذا الموقف ، فسار على رأس قواته في أثرهما وانزل بهما الهزيمـــة عنـد ظاهر الاسكندرية ، واضطر نزار وافتكين الى دخول المـــدينة والتحصن بأسوارها فنزل الأفضل على المدينة وحاصرها حصـــارا شديدا وضرب أسوارها بالأحجار واللهب • وقد بـرز أثنـــاء ذلك دور الكتاميين كمنصر فعال في جيش الأفضل(٢٤) . ولم يكتف الأفضل بهذا بل كاتب أنصار نزار يعدهم ويمنيهم كيما ينفضوا عنه • • وحتى هذه اللحظة ، كان ابن مصـــــال متعاونا — للغاية — مع نزار ، ولم يستجب لمكاتبـات الأفضـــل • غير انه لما رأى جدية الأفضل في القتال واشتداده في محاصرة المدينة ، التي أوشكت على السقوط ، جمع ماله وفر الى جهة المغرب في ثلاثين قطعة بحرية يريد بلدته لك ببرقة ، وذلك في شهر ذى الحجة من هذه السنة (ديسمبر ١٠٩٥ م) • وتظهر لنا خطورة المكانة التي كان يشغلها ابن مصال في جيش نزار عندما نلاحظ أنه فور هروبه انهارت قوى نزار وافتكين وقررا الاستسلام للأفضـــــل . وهكذا انتهت ثورة نزار بن المستنصر بالفشل الذريع(٢٥) .

ويهمنا هنا الموقف الذى اتخذه كل من المستعلى بالله ووزيره الأفضل من محمود بن مصال بعد ذلك مباشرة . ففي حين كـــان القتل من نصيب نزار وافتكين ، راحت كتب الأفضل — ربما بتأثير المستعلى — تنهال على ابن مصال أثناء وجوده ببلدته لك ، تعلن الأمان له والاســتعداد لغفران ما بدر منه . والغريب أن هـــذا

الشعور كان صادقا ، حتى ان ابن مصال عندما عاد الى القاهرة بعد ذلك كان كل الذى ناله من عقاب انه « لزم داره مدة ، ثم رضى عنه الأفضل وكرمه »(٢٦) . كذلك نلاحظ أن الخليفة المستعلى لم يعمد الى التصريح باسم ابن مصال ضمن القادة الثائرين مع نزار ، وذلك فى السجلين الرسميين اللذين أمر بكتابتهما تخليدا لذكرى انتصار الخلافة على هذه الفتنة ، وما ذلك الا حرصاً منه — على ما يبدو — على عدم ذيوع اسم ابن مصال فى الآفاق على انه عاص للخلافة(٢٧) .

فربما كان ذلك تعبيرا عن شعور الادارة الفاطمية بامكان حدوث تعاون مثمر بينها وبين هذه العناصر اللواتية . وعلى أية حال ، فان هذا الجو الودى الذى اختص به محمود بن مصال اللكى ، قد ساعد على اشتهار أسماء بعض أفراد أسرته فى الفترة التى تلت خلافة المستعلى بالله ، كما سنرى .

واذا كان الأمر قد تم على هذا النحو مع ابن مصال ، فعلى النقيض من ذلك اقدم الأفضل على نفى أسرة مغربية — عربية — شهيرة عارض افرادها فى مسألة تنحية نزار بن المستنصر عن الخلافة ، وهى أسرة بنى عبد القوى التى ينتهى نسبها الى ذرية بنى الأغلب التميميين حكام ولاية افريقية قبل قيام الدولة الفاطمية . وكان أفراد هذه الأسرة قد احتكروا العمل فى مجال الدعوة الفاطمية وجمع التبرعات للمذهب أو ما عرف بالنجاوى . وجالس كثير منهم الخلفاء الفاطميين حتى صاروا يعرفون ببنى الجليس . فانتقل بعضهم الى الأندلس ، وأقام البعض الآخر فى المغرب(٢٨) .

ولا يعنى هذا ان الأفضل تنكر للجماعات المغربية العاملة فى خدمة الدولة ، فقد راينا انه اشرك اعدادا منهم فى القضاء على ثورة نزار . كما أن المقريزى يشير الى اتخاذ الأفضل أعدادا من المصامدة كحرس خاص لأحد أبواب القصر الفاطمى المعروف بباب

الخوخة(٢٩) . ويبدو أنه حرص على توحيد العناصر المغربيــة جميعها بما فيهم اللواتيين — حديثى العهد فى الخدمـــة — تحت قيادته ، مع تطهير الجبهة الداخليه من المناوئين ، حتى يتمكن من تسخير كافة طاقات الدولة لصد الخطر الصليبى الداهم فى ارض الشام . وقد اكد ابن الاثير على أن الأفضل نجح كذلك فى استمالة بعض المغاربة الوافدين الى مصر فى طريق الحج — للاشتراك فى الحملات التى أعدها لقتال الصليبيين بالشام . واشار فى ذلك الى اشتراك أحد أمراء المرابطين (الذين قامت دولتهم بالمغرب الأقصى فى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فى الوقعة التى جرت بين الجيش المصرى والصليبيين عند مدينة عسقلان فى شهر رمضان من سنة ٤٩٢ هـ (يولية / اغسطس ١٠٩٩ م)(٣٠) .

واستمر الأفضل قابضا على زمام الأمور حتى وفاة الخليفة المستعلى بالله فى شهر صفر سنة ٤٩٥ هـ (نوفمبر ١١٠١ م) ، فتولى اخذ البيعة لأبى على المنصور بن المستعلى ، وهو حينئذ طفل صغير (٥ سنوات) ونعته بالآمر بأحكام الله (٤٩٥ — ٥٢٤ هـ ١١٠١ — ١١٣٠ م) .. مما ساعد الأفضل على أن يستمــر فى الاستبداد بشئون الدولة الى حين وفاته ، قتيلا فى آخر شهــر رمضان سنة ٥١٥ هـ (ديسمبر ١٠٢١ م) بأيدى جماعــة مــن النزارية ، وقيل أن الخليفة الآمر رتب له من قتله(٣١) .

ولا يخفى علينا أن فترة حكم الخليفــة الآمر ووزارة الأفضل هى التى شهدت تحول جماعات الحجاج والدارســين المغاربــة والأندلسيين بمصر الى أسلوب المعارضة الايجابية فى تعاملهم مــع السلطة الفاطمية . وهو ما تجلى فى الدور الذى قام به العــالم الفقيه أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى (نزيل الاسكندرية منذ سنة ٤٩٥ هـ حتى وفاته فى سنة ٥٢٠ هـ / ١١٠٢ — ١١٢٦ م)

الذى جاهر بمعارضة الفاطميين فى أدق تفاصيل المذهب الفاطمى وفى نظم الحكم الخاصة بهم ، كما سنبين فيما بعد(٣٢) . ووضح كذلك فى ممارسات بعض تلاميذه ومعاصريه ، وعلى رأسهم الفقيه السوسى أبو عبد الله محمد بن تومرت المعروف بالمهدى (٤٨٥ - ٥٢٤ هـ / ١٠٩٢ - ١١٣٠ م) صاحب الباع الطويل فى اقامة دولة الموحدين فى نواحى المغرب الاقصى منذ سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م)(٣٣) . اذ تصادف وجوده فى الاسكندرية حوالى سنة ٥١٠ هـ (١١١٧/١٦م) فى ختام رحلته العلمية قبل أن يرجع الى موطنه اقليم السوس فى جبال اطلس . فأقام بالمدينة وحرص على حضور مجلس علم أبى بكر الطرطوشى . ولا شك ان هذه اللقاءات ساعدت على نضج الشعور الثورى فى داخل ابن تومرت ، اذ من المعروف عنه أنه نصب من نفسه مدافعا عن حقوق الاسلام التى رأى انها على وشك الضياع فى المشرق — فى ظل الخلافتين الهرمتين العباسية والفاطمية — وفى المغرب فى ظل حكم المرابطين(٣٤) . وأدى ذلك الى ان ابن تومرت شرع فى مهاجمة الأوضاع السائدة فى مدينة الاسكندرية بكل شدة وعنف « وجرت له بها وقائع فى معنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أفضت به الى أن نفاه متولى الاسكندرية من البلاد ، فركب البحر »(٣٥) . بيد أن ابن تومرت لم يخرج من مصر — فى شهر ذى الحجة من سنة ٥١١ هـ (مارس ١١١٨ م) — عائداً الى المغرب(٣٦) ، الا بعد أن ترك بها جماعة من انصاره ومعتنقى مبادئه . وقد قدر البيذق عددهم بواحد وخمسين رجلا ، وذكر أسماءهم فرداً فرداً(٣٧) .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الأعوان لم يكونوا جميعا من المغاربة — كما يتضح من أسمائهم التى حددها البيذق — الا أن تأثرهم الشديد بأفكار أستاذهم ابن تومرت جعلهم مصدر قلق للدولة الفاطمية فى أخريات أيامها ، بما روجوه عن قرب استيلاء الموحدين

ــ بعد أن قامت دولتهم بالمغرب الأقصي فى سة ٥١٥ هـ (١١٢١م) ــ على مصر . لدرجة جعلت الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيك ــ الذى وزر من سنــــة ٥٤٩ هـ الى سنــــة ٥٥٦ هـ (١١٥٤ ــ ١١٦١ م) ــ « يتوقع ان يأخذ ابن عبد المؤمن (الخليفة الموحدى) البلاد من يديه »(٣٨) . وجدير بالذكر أن هذه العصبة من أنصار ابن تومرت بالديار المصريه استمروا مصدر قلاقــل فى مصر الى ما بعد قيام الدولة الأيوبية فى الحكم كما سنرى فى حينه .

وعقب مقتل الأفضل بن بدر الجمــالى ، تولى المامــون بن البطائحى الوزارة للخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله . ويمكن القول بأن المامون ــ خلال فترة وزارته (٥١٥ ــ ٥١٩ هـ / ١١٢١ ــ ١١٢٥ م) ــ قد انتهج سياسة متوازنة تجاه الأفراد والجماعات التى تشكل من مجموعها التيارات المغربية الثلاثة الموجودة بمصر . ومما يذكر له فى هذا الصدد .. موقفه المعتدل من جماعات العلماء وطلاب العلم والحجاج الوافــدين الى مصر من أهــل المغــرب والأندلس ، وخاصة الفقيه ابى بكر الطرطوشى . مما ساعد على اشتهار اسماء اخرى لبعضهم ، لمعت فى الحياة العلمية بمصر اثناء وجوده فى الوزارة(٣٩) .

ويذكر للمامون كذلك أنه سعى فى تعزيز وجود الطوائف المغربية من موالى الدولة ، فأقدم فى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) على تعيين واحد منهم ــ هو أبو الحجاج يوسف بن أيــوب بن اسماعيــل المغربى ــ فى منصب قاضى قضاة الديار المصرية ، وكلفه بالاشراف على شئون القضاء والخطابة والصلاة وديوان الاحبــاس ودور الضرب بسائر أعمال المملكة . ونعته بالقاضى جلال الملك تــاج الأحكام ، بعد أن كان فى قضاء الغربية(٤٠) . بيد أن اختصــاص الوزير المامون بطائفة المصامدة كان أكبر ، اذ يشير المقريزى الى

أن المأمون اصطفى مقدمهم عبد الله المصمودى « فقدمه ، ونوه بذكره ، وسلم اليه أبوابه للمبيت عليها . واضاف اليه جماعه من أصحابه » . ثم انه أمر بانشاء حارة للمصامدة ، وعهد الى اخذ قادتهم ، المدعو أبو بكر المصمودى بمتابعة ذلك ، وسير معه المهندسين وعدد البناء(٤١) . ورغم انه لم يرد تاريخا محددا للبدء بانشاء هذه الحارة ، بل اقتصر القول على انها اختطت « بعد سنة خمس عشرة وخمسمائة (١١٢١ م) »(٤٢) . الا اننا نرجح أن ذلك حدث فى خلال شهور سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) ، كرد فعل لما بدر من بربر لواتة بناحية البحيرة فى تلك السنة . اذ شغبت طائفة منهم فى هذه الناحية وامتد شغبهم — آنذاك — الى مدينة الاسكندرية وأعمالها . فسير المأمون لقتالهم جيشا بقيادة أخيه نظام الدين أبى تراب حيدرة الملقب بالمؤتمن « فكسرهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وكسب خيولهم وأموالهم » ، وأجبر زعماءهم على الاستسلام ، وألزمهم بدفع مبلغ ٣٠ الف دينار مقابل العفو عنهم(٤٣) . واذا كان هذا سببا كافيا لابعاد الشخصيات اللواتية الموجودة بالعاصمة عن دائرة اصطفاء المأمون ، فاننا — فى الحقيقة — لا ندرى السر وراء اختصاص المصامدة دون باقى الرفاق القدامى أمثال الكتاميين والبرقيين بهذه المكانة التى صارت لهم أيام المأمون . ويمكن القول بان المأمون ربما اختارهم ليكونوا فرقة خاصة به ، يأتمرون بأمره ، ويكونون عونا له وقت الحاجة ، لاسيما وانه سعى فى الاستبداد بالحكم دون الخليفة الآمر ، ونسبت اليه فى هذا المجال أمور كثيرة(٤٤) .

وقد رد الخليفة الآمر باحكام الله على ذلك بأن قبض على وزيره المأمون ، وجماعة من اهله وخواصه ، واعتقلهم فى أوائل شهر رمضان سنة ٥١٩ هـ(أكتوبر ١١٢٥ م) ، وباشر شئون الحكم بنفسه بمساعدة بعض الموظفين . واستمر الآمر بغير وزراء

حتى وفاته قتيلا بايدى جماعة من النزارية ، فى شهر ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (أكتوبر ١١٣٠ م) . فتولى الخلافة من بعده الأمير ابو الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم محمد بن المستنصر ، وتلقب بالحافظ لدين الله (٥٢٤ هـ ـ ٥٤٤ هـ/١١٣٠ ـ ١١٤٩ م)(٤٥) .

تميزت خلافة الحافظ بانها كانت عبارة عن صـــراع متصل فيما بينه وبين وزرائه ، نتيجة لمبالغتهم فى الاستبداد بشئون الحكم ، فى حين ســـعى الحافظ فى تقوية قبضته على حسابهم . فقد حدث هذا الصـــدام مع ابى على احمد بن الأفضل بن بدر الجمالى ، المعروف بكتيفات (الذى تولى الوزارة من ١٥ ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ الى ١٦ محرم سنة ٥٢٦ هـ = أكتوبر ١١٣٠ ـــ ديسمبر ١١٣١ م)(٤٦) وابى الفتح يانس الأرمنى (وزر عقب مقتل كتيفات واستمر حتى ٢٦ ذى الحجة سنة ٥٢٦ هـ ـ نوفمبر ١١٣٢م)(٤٧) . ثم تكرر مع رضوان بن الولخشى (تولى الوزارة فى ١١ جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ واستمر حتى ١٤ شوال ٥٣٣ هـ ـــ فبراير ١١٣٧ ـ يونية ١١٣٩ م)(٤٨) . ولم يستثن من ذلك الا بهرام الأرمنى (وزر فى ١١ جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ هـ حتى خلعه رضوان ابن الولخشى فى ١١ جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ ـ أبريل ١١٣٥ ـ فبراير ١١٣٧ م) الذى لم يؤخذ عليـــه شىء غير كونه نصرانيـــا فقط(٤٩) .

أما عن الوجود المغربى فى مصر ـــ بصـــفة عامة ـــ فقد عبر عن نفســـه فى أحداث هذه الفترة من خلال عدة ملاحظات ، نجملها فيما يلى :

١ ـــ أن الفرق المغربية ـــ من موالى الدولة ـــ قد استمرت على الطاعة لشخص الخليفة الحافظ اثناء صـــراعه مع وزرائه . ويبرز فى هذا المجال الجنود الكتاميون ، حتى ان ابن خلدون يشير الى انهم كانوا أساس التحالف المعادى ـــ الذى تزعمه ابو الفتح

يانس الأرمنى ـ ضد الوزير أبى على أحمد بن الأفضل . وانهم اشـــتركوا فى تدبير حادثة اغتياله التى تمت فى ١٦ محرم ســـنة ٥٢٦ هـ (ديسمبر ١١٣١ م) ، وأخرجوا الحافظ من معتقله وجددوا له البيعة بالخلافة(٥٠) . ودأب بعضهم على النهوض بعبء المناصب التى اسندت اليهم أثناء وزارة أبى الفتح يانس ، مثل ابن شعلة الكتامى والى الفسطاط(٥١) .

كذلك وضح دور بعض الشخصيات اللواتية حديثة العهد فى خدمة الدولة ، ومن هؤلاء : الأمير المفضـــل نجم الدين سليم بن محمد بن مصـــال اللكى ـ وقيل أبو الفضائل بن مصـــال(٥٢) ـ الذى عهد اليه الحافظ بقيادة جيش الخلافة لردع تمرد الوزير المخلوع رضوان بن الولخشى بنواحى الصعيد ، وذلـــك فى أوائل سنة ٥٣٤ هـ (أواخر سنة ١١٣٩ م) . وقد نجح ابن مصال فى اقناع رضوان بالتخلى عن افكاره الثورية ، واعطاه امانا ـــ كان الحافظ قد كتبه له ـــ وعاد به الى القاهرة فى شهر ربيع الآخـــر من تلك السنة (نوفمبر ١١٣٩ م) ، حيث اعتقله الحافظ ولم يف بعهد الأمان الذى قطعه على نفسه(٥٣) . ونلاحظ انه بينما ظل رضوان حبيســـا فى معتقله بسجن القصر ، أشار المقريزى الى ان ابن مصال كوفىء بتعيينه وزيراً للحافظ فى ذات السنة(٥٤) . وهو ما لم يحدث من قبل .

وثمة اشـــارة أخرى الى قائد آخر هو سلمان بن يونس ـــ وقيل بن مؤنس ـ اللواتى ، الذى سيره الخليفة الحافظ على رأس حملة الى صعيد مصر للقضـــاء على ثورة أحد الأتراك ، ويدعى الأمير بختيار الذى ثار طالبا الوزارة لنفســـه فى تلك الناحية . وخلال المعركة التى دارت بين الجانبين تمكن ســـلمان من هزيمة بختيار وأعوانه وطارده « حتى اخذه اسيرا وقتله وصلبه » ، وذلك خلال سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م)(٥٥) .

٢ ــ بيد أن وجود الشــخصيات اللواتية السابقة فى خدمة الدولة ، واخلاصهم على النحو الذى جعل أحدهم يصير وزيرا للخليفة الحافظ ، لم يمنع العناصر اللواتية الأخرى ــ ســكان الصحراء الغربية ــ من الاستمرار فى عمليات الشغب بصفة تكاد تكون منتظمة . اذ تكرر ذلك منهم أكثر من مرة أثناء خلافة الحافظ ، وخاصة فى الفترة من سنة ٥٣١ هـ (١١٣٧ م) وحتى سنة ٥٤٣ هـ ١١٤٨ م) . وكانت أخطر ثوراتهم تلك التى قاموا بها فى سنتى ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) و٥٤٢ هـ (١١٤٧ م). ففى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) ثار بربر لواتة بناحية البحيرة ، بزعامة محمد بن رافع اللواتى . وساعد على خطورة هذه الحركة أنها ضمت « طائفة كبيرة من العربان » . ويبدو أنهم راحوا يشنون الغارات على الأراضى الزراعية المجاورة ، ويمارسون هوايتهم التقليدية فى احتكار الغلات ويمنعوا وصــولها الى العاصـــمة بحيث أدى ذلك الى ندرة الأقوات وغلاء الأســـعار بها . فدفع ذلك بوالى البحيرة ــ وهو يومئذ طلائع بن رزيك الذى ولى الوزارة فيما بعد ــ الى حربهم « فكسرهم وقتل أميرهم محمد بن رافع »(٥٦) . وقد كان لانتصــار ابن رزيك على اللواتيين اثر طيب فى القاهرة ، اذ راح الشـــعراء ينظمون فى ذلك قصــائد عديدة ، منها ما قاله الشاعر الخطيب المفيد أبو القاسم هبة الله بن بدر المعروف بابن الصياد :

أضــحت لواتة شرداً من باســه
فلديهم ســعة الفضــاء مضــيق
لم يضـــربوا طنبا لخــوفهم ، فهــم
مثــل الوعول اذا حــواها النيــق
ان غاب فيهم وجهــه ، فخيـــاله
ليلا كما هو فى النهــار طــروق(٥٧) ..

وحدث فى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) أن تمكن رضـــوان بن الولخشى ـ الوزير المخــلوع ـ من الفرار من حبســـه بالقصر ، بعد ان نقب الجدار ، وعبر النيل الى أرض الجيزة . وهناك استطاع أن يضم اليه فرقة لاباس بها من « لواتة وعدة من الأجناد » . ثم عاد بهم الى القاهرة حيث انتصـــر على جيش أعده له الخليفة الحافظ عند جامع ابن طولون ، وشـــرع فى حصـــار القصر . وارســـل رضوان الى الحافظ يطلب منه الأموال كى ينفق فيمن معه . وهنا يشير ابن الأثير الى أن معظم أتباع رضوان انفضوا عنه بمجـــرد حصـــولهم على نصـــيبهـــم من الأمـــوال (٥٨) . بمعنى أن مســـاعدة اللـــواتيين لـــه انمـــا كـــانت للحصـــول عـــلى الأمـــوال فقـــط . فسهـــل ذلـــك عـــلى الخليفة الحافظ ان يدس عليه من قتلـــه . ويلاحـــظ ان الحـــافظ قـــد استعان فى ذلك ببعض الجنود الســـودان ، مما يوحى بأنه قد أدرك أن اســـتعانة رضـــوان بالمغاربة من بربر لواتة ، قد قطع عليه ـــ أى على الحافظ ـــ الفرصـــة فى الاســـتعانة بفريق المغاربة الموالين للدولة فى تنفيذ هذا الأمر ، على أساس استحالة أنهم سيخلصون فى حرب بنى عمومتهم . وعلى أية حال فان فتنة رضـــوان أخمدته بمقتله فى ذات السنة(٥٩) .

وفى أعقاب ذلك مباشـــرة ، وبالتحديد فى شـــهر صفر من سنة ٥٤٣ هـ (يونية ١١٤٨م) ، حدثت ثورة فى أرض البحيرة وبرقة نتيجة انضـــمام اللواتيين لأحد المطالبين بعرش الخلافة الفاطمية ، وكان قد قدم الى هذه الناحية من المغرب « وادعى انه ابن نزار » . فسير الحـــافظ حملة للقضـــاء عليه وعلى حلفائه ، الا أن الدائرة دارت على جيش الخلافة . ولم يجد الحافظ غير استخدام سلاح المال للايقاع بين هذا الثائر واللواتيين حلفائه ، فسير اليهم عسكراً ثانيا ، ودس الى مقدمى لواتة مالا جزيلا ليقتلوا ابن نزار ، فقبلوا المال وقتلوا المذكور ، وبعثوا برأسه الى الحافظ . وذلك فى صفر .

وعادت العساكر فى ثانى ربيع الأول (من تلك السنة / يونية — يولية ١١٤٨ م) »(٦٠) .

ومما يلفت الانتباه أن الفترة التى كثف اللواتيون خلالها نشاطهم على حساب الدولة الفاطمية ، هى ذاتها التى شهدت سطوع نجم بعض القادة اللواتيين فى سماء العاصمة ، حتى صار أحدهم وزيرا . فهل كان ذلك تعبيرا عن ثقة هذه العناصر المشاغبة فى امكان سكوت الحكومة الفاطمية عن أحداث الشغب التى راحوا يثيرونها ، فضلا عن تعاونها معهم ، بعد أن غلب عليها أفراد من بنى جلدتهم ؟ وقد يدعو الى اثبات هذه العلاقة بين الطرفين ان الخليفة الحافظ صرف نجم الدين بن مصال عن الوزارة ، فى أعقاب القضاء على فتنة رضوان نهائيا سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م)(٦١) .

غير أننا فى الحقيقة لا نجد ما يدعو لعقد هذه المقارنة ، ويمكن احتساب ذلك من قبيل المصادفة . على أساس تباعد ما بين وجهتى النظر اللواتيتين : فقد ظهر القادة اللواتيون العاملون فى الخدمة فى صورة الحريصين على الدولة والنظام ، بينما ظهر الطرف الآخر على النقيض من ذلك . أما صرف ابن مصال عن الوزارة — فى أعقاب مقتل رضوان — فان ذلك كان متعلقا بما عاناه الخليفة الحافظ من وزرائه جملة ، بحيث صار على يقين من ضرورة أن يباشر شئون الحكم بمفرده دون الاعتماد على وزراء آخرين ، وهو ما حدث فعلا الى آخر خلافته . والدليل على ذلك أن ذكرى ابن مصال استمرت طيبة فى نفس الخليفة الحافظ ، حتى انه اوصى قبل وفاته بتعيينه فى الوزارة ، كما سنرى بعد قليل .

٣ — وفيما يتعلق بالوافدين الى مصر من أهل المغرب والأندلس ومشاركتهم فى الأحداث أثناء خلافة الحافظ لدين الله ،

فيمكن القول بأنهم صـــاروا يعبرون عن وجهة النظر المالكية فى مصر . أو بعبارة أخرى ، صار هؤلاء الوافدون بمثابة المتحدثين الرسميين بلســـان حال المذهب السنى المالكي فى مصر الفاطمية . وقد ظهر هذا واضحا فى أوائل حكم الخليفة الحافظ عندما اشـــتد الصـــراع بينه وبين وزيره أبى على أحمد بن الأفضل . فبعد أن قبض هذا الوزير على الحافظ واعتقله ، شـــرع فى توجيه الضربات المؤثرة للمذهب الفاطمى الشـــيعى الاســـماعيلى ، وكان منها : أن رتب أربعة قضـــاة ، اثنين منهم لمذهبى أهل السنة الأكثر انتشـارا آنذاك فى مصر (الشـــافعية والمالكية) ، وآخرين لمذهبى الشـــيعة (الامامية والاســـماعيلية) ، « فصـــار كل قاض يحكم بمذهبه ويورث بمذهبـــه » . وذلك فى ســـنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م)(٦٢) . ويعنينا فى هذا المقام القاضى الذى اختصه ابن الأفضـــل بالحكم وفق تعاليم المذهب المالكى ، فقد كان فقيها مغربيا من أهل افريقية يدعى أبا عبد الله محمد بن أبى محمد عبد المولى اللبنى — بن لبنة أو لبنى من قرى المهدية بتونس — ويعرف بابن اللبنى المغربى(٦٣) .

واذا كان هذا الأمر قد انتهى فور مقتل ابن الأفضـــل وخروج الحافظ من سجنه فى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣٢ م) ، الا انه دل دلالة واضحة على خطورة وضـــع هؤلاء الســـنة المالكيين من المغاربة والأندلسيين فى المجتمع المصـــرى . وقد دفع هذا بالخليفة الحافظ الى تكرار المحاولة مع ذوى الشان من فقهائهم ، أى ان يحـــاول استمالتهم — ومن وراءهم — الى صـــفوف الدولة بعرض وظائف الدولة الهامة عليهم . وهو ما حدث مع ابى العباس احمد بن عبد الله بن هشام ، اللخمى الفاسى — المعروف بابن الحطيئـــة (المتوفى بالفسطاط فى شهر المحرم سنة ٥٦٠ هـ/ديسمبر ١١٦٤ م) . فقد اختير هذا الفقيه لتولى منصـــب قاضى قضاة الديار المصرية ، فى شهر ذى القعدة من سنة ٥٣٣ هـ (يونية ١١٣٩ م) . واشترط عليه الخليفة الحافظ ان يلتزم فى احكامه بقواعد المذهب الرسمى

الدولة . الا ان ابن الحطيئة رفض هذا الشـــرط ، وامتنع عن قبول المنصب بكل مغرياته رغم أنه كان يعانى ضيقا فى الرزق(٦٤) .

والى جانب ذلك فقد ظهـــرت لبعض هؤلاء الوافدين أدوار اخرى فى بعض نواحى الاقتصاد وغيرها ، كما سنبين فى موضعه .

مما ســـبق يتضـــح لنا أن فترة حكم الخليفة الحافظ لدين الله ، وكذلك الفترة الأخيرة من خلافة الآمر بأحكام الله ، قد كونتا معاً ما يمكن تسميته بعصر تقوية الخلافة الفاطمية على حساب الوزراء الفاطميين . فقد رأينا أن الآمر بدأ هذه السياسة باغتيال وزيره الأفضل بن بدر الجمالى ثم المأمون ، واســـتمر بغير وزراء حتى نهاية عهده . ودخل الحافظ بعده فى صـــراع رهيب مع وزرائه خسر خلاله بعض الجولات ، ثم استقر له الأمـــر فى النهاية . الا انه بوفاة الخليفة الحافظ — فى شهر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ (أكتوبر ١١٤٩ م) — انتهت ســـريعا هذه الابتسامة المبتســـرة فى عمر الخلافة الفاطمية . فقد عادت الأمور بالنسبة للسياســـة الداخلية ونظم الحكم فى مصر الى ســـابق وضعها من حيث استبداد الوزراء بشئون الحكم . وزاد الأمر ســـوءا ان صار هؤلاء الوزراء يتلاعبون بالخلفاء الفاطميين كيفما شاءوا . وأدى ذلك الى اعتبار الفترة التى تلت وفاة الخليفة الحافظ وحتى انتهاء الوجود الفاطمى رســـميا فى مصر (سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١ م) مرحلة ركود واحتضار للخـــلافة الفاطمية . وتخللها تولية ثلاثة من الخلفاء الفاطميين ، هم : الظافر بأمر الله اسماعيل بن الحافظ (٥٤٤ هـ — ٥٤٩ هـ / ١١٤٩ — ١١٥٤ م) ، والفائز بنصـــر الله أبو القاسم عيسى بن الظافر (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ — ١١٦٠ م) والعاضـــد لدين الله أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ ، آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٥ — ٥٦٧هـ/ ١١٦٠ — ١١٧١م) . وقد كانوا كلهم صوراً باهتة لوزرائهم . والجديد فى هذه الفترة ان منصـــب الوزارة صار مطمعا لكل ذى شأن من عمال الأقاليم فى شتى انحاء مصر . بحيث

صـــار من المعتاد أن ينتزع أحد حكام النواحى الوزارة لنفسه من سابقه ، ثم ما يلبث أن يأتى آخر ليحل محله .

وبصـــدد اســـهامات المغاربة ، على اختلاف انتماءاتهم ، فى أحداث هـذه الفترة ، فقد كان من الطبيعى ـ وسـط هذا الجو المكفهر ــ أن تكون لهم أدوار معلومة :

وابتداء نجد الخليفة الحافظ لدين الله يحرص على أن يكفـل لابنه وخليفته فى الحكم ، الظافر بأمر الله ، بداية هادئة ، عندما اوصى باستيزار الأمير نجم الدين سليم بن محمد بن مصال اللكى . وأشـــار الى ذلك فى ذات الوصـــية التى تقضى فيها باســـتخلاف ابنه(٦٥) . الأمر الذى يؤكد ثقة الحافظ فى هذه الشخصية اللواتية الكبيرة . وقد التزم الظافر نصـيحة والده ، وكان أول قرار اتخذه كخليفة يقضى بتعيين ابن مصـــال فى الوزارة ، وذلك فى شـــهر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ (أكتوبر ١١٤٩ م) . وخوله كافة السـلطات كوزير سيف ، مثل قيادة الجيوش ، الى جانب اشرافه على شئون الادارة . ونعته بالسـيد الأجل ، الأفضـل ، أمير الجيوش(٦٦) .

بيد ان أبا الحســن على بن الســلار ــ والى الاسكندرية والبحيرة آنذاك ــ أبى الا ان يعكر صفو الهدوء الذى تمناه الحافظ للدولة من بعده . اذ انتهز وجود الوزير ابن مصـــال فى ناحية البهنســـاوية ــ من اعمال المنيا الآن ــ لمعالجة ثورة قام بها الجنود السـودان هناك(٦٧) ، فثار مطالبا بالوزارة لنفســـه ، وذلــك خلال شهر شعبان من ذات السنة (٥٤٤ هـ / ديسمبر ١١٤٩ م) . وخرج ابن الســـلار على رأس قواته الخاصة من الاسكندرية ، ووصل الى القاهرة قبل ان يدخلها الوزير ابن مصـــال الذى اتخذ طريق العودة الى العاصــمة بعد انتصـــاره على الســـودان . وأرســل ابن السلار الى الخليفة الظافر يطلب تعيينه فى الوزارة . ويشير اسامة بن منقذ ــ الذى عاصــر هذه الأحداث بمصر ــ

فى مذكراته الى أن الخليفة الظافر كره مسلك ابن السلار ، واعلن فى اجتماع عام حضره كبار رجال الدولة ، تأييده لابن مصال . غير أن مسارعتهم بالانضمام لابن السلار جعلت الظافر يرضخ للأمر الواقع ، ويوافق على عزل ابن مصال عن الوزارة . ثم انه عمل من ناحية أخرى على امداد ابن مصال بالأموال وأمره بتجنيد القوات اللازمة لحرب ابن السلار والقضاء عليه(٦٨) .

ولنا أن نتساءل عن دور قادة الفرق المغربية الموالين للدولة أثناء هذه الفتنة ، وهل كانوا ضمن المعارضين لوجود ابن مصال فى الوزارة ، وعلام يدل موقفهم المناوىء لابن مصال ، ان كان قد حدث ذلك ؟ . على أننا قبل الاجابة على ذلك نلاحظ ان رواية اسامة بن منقذ عن أحداث هذه الفتنة ، وكذا كل ما رواه عن أحداث السنوات العشر التى قدر له أن يعيشها فى مصر (منذ قدومه الى البلاد فى سنة ٥٣٩ هـ وحتى خروجه منها فى سنة ٥٤٩ هـ ـ ١١٤٤ ـ ١١٥٤ م) ؛ قد خلت تماما من ذكر اية دور لأفراد هذا الجيل المغربى القديم ، فيما عدا اللواتيين الذين عملوا فى بعض مناصب الدولة ، ووقع التصريح بأنهم ظهروا فى شكل مكثف منذ ذلك الحين والى سقوط الدولة الفاطمية ، بما يذكرنا بما كان عليه الكتاميون أوائل أيام الدولة الفاطمية . كذلك أكد عمارة اليمنى الذى عايش احداث سقوط الخلافة الفاطمية ـ ما قاله أسامة(٦٩) . ولعل السر فى اختفاء الكتاميين وبقية أفراد التيار المغربي القديم ـ من موالي الدولي ـ خلال أحداث هذه الفترة الهامة ، يرجع الى أنهم كانوا حصاد مواقفهم السابقة ، والتي كان آخرها وقوفهم الى جانب الخليفة الحافظ فى صراعه مع وزرائه .

وكان أن اتجه ابن مصال الى الجيزة(٧٠) ، حيث استنفر عصبيته اللواتية المقيمة هناك ، فنصروه ، واشتهر من قادتهم الذين وقفوا بجانبه : الأمير الماجد ، الذى وصف بانه كان نسيبا لابن

مصال ، وبدر بن رافع ، الذى وصف أكثر من مرة بانه كان مقدما للعربان ، بينما يبدو لنا انه كان أخا لمحمد بن رافع اللواتى الذى تزعم اللواتيين فى ثورة سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) سالفة الذكر(٧١). فى حين جعل ابن السلار جل اعتماده على قادة كبار ، صار لكل منهم فيما بعد دوى كبير ، امثال : طلائع بن رزيك — الذى كان عما تليل واليا على الاسكندرية والبحيرة ، ثم صارت له الوزارة كما سنرى بعد ذلك . كذلك ضمت صفوف ابن السلار شخصية مغربية من نسل بنى زيرى الصنهاجيين ، حكام افريقية ، هو الأمير ركن الدين عباس بن ابى الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، الذى وصف بانه ربيب ابن السلار(٧٢) .

واثر معارك عديدة دارت بين الطرفين ، كانت أخراها عند مدينة دلاص من اعمال البهنسا — وهى حاليا تتبع محافظة المنيا — لحقت الهزيمة بابن مصال ، وتفرقت جموعه بين قتيل أو فار . وقتل خلالها ابن مصال وبدر بن رافع ، كما أخذ الأمير الماجد — نسيب ابن مصال — أسيراً ثم ضربت عنقه . وكان الذى تولى تدبير جيوش ابن السلار وادارة عمليات القتال ، الأمير عباس الصنهاجى ، الذى عاد الى القاهرة يوم الاحد ٩ شوال سنة ٥٤٤ هـ (فبراير ١١٥٠ م) حاملا معه راس ابن مصال ، فطيف بها فى شوارع القاهرة والفسطاط . وتأكد فى هذا اليوم اقرار ابن السلار فى منصب الوزارة ، وتلقب بالعادل(٧٣) .

على أن العادل بن السلار لم يهنأ طويلا بمنصب الوزارة ، اذ ان الخليفة الظافر — الذى كره وجوده فى الوزارة — سعى فى التخلص منه عدة مرات ، ونجح اخيرا فى تحريض عباس الصنهاجى على قتله ، وذلك فى السادس من شهر المحرم سنة ٥٤٨ هـ (ابريل ١١٥٣ م) . وكان الذى تولى قتل ابن السلار الامير نصر بن عباس — والى الفسطاط — متعللا بالدخول الى قصر ابن السلار للسلام على

جدته بلارة . وقد كوفىء عباس على ذلك بأن ولاه الظـافر وزارته فى ١٢ محرم من تلك السنة(٧٤) .

وحتى ذلك الحين ، فالأمر ــ كما يبدو ــ كان عبارة عن صراع بين كبار القادة فى الدولة من أجل الوصول الى كرسى الوزارة ، ونجح الخليفة من آن لآخر فى التدخل من وراء حجاب بتحريض هذا ضد ذاك . الا أن الوزير عباس كسر هذه القاعـدة ، عندمـا اجترأ على قتل الخليفة الظافر ذاته ، بمساعدة ابنه نصر ، وذلك فى ليـلة الخميس آخر شهر المحرم من سـنة ٥٤٩ هـ (ابريـل ١١٥٤ م) . وقتل كذلك اخوة الخليفة : أبا الأمانة جبريل ، وأبا الحجاج يوسف ، وابن أخ لهما يدعى صالح بن حسن بن الحافظ ، بعد أن ادعى عباس عليهم انهم هم الذين قتلوا الخليفة . وأقام عباس فى الخلافة أصغر أبناء الظافر ، وهو الأمير عيسى ، الذى كان طفلا صغيرا آنذاك (خمس سنوات وأيام) ولقبه بالفائز بنصر الله(٧٥) .

وقد قيل في ذلك ان الخليفة الظافر كان على اتصال بنصر ابن عباس على نحو مناف للأخلاق ، وان عباساً استاء من ذلك ، فقبل نصيحة الأمير أسامة بن منقذ بقتل الخليفة حتى يمحو عنه ما يتحدث به الناس(٧٦) . الا اننا نلاحظ ان الظروف التى أحاطت بهذه الفترة ــ عامة ــ تدعونا الى القول بغير ذلك . فكثرة المكائد التى حيكت ضد الوزراء السابقين على عباس ، وشارك هو فى نسج بعضها ، قد أوحت له بأن الدور لا ريب آت عليه ، فدفعه ذلك الى محاولة تأمين وجوده فى الوزارة بشتى الوسائل . وبصـدد نظرته للخلافة الفاطمية ، فاننا نعتقد أن الدماء الصنهاجية التى كانت تسرى فى عروق عباس ــ بحكم انتسابه لبنى زيرى ــ قد فرضت عليه أمرين : أولهما : شعوره بعدم الانتماء للبيئة الفاطمية، رغم انه غدا المسـئول الأول ــ بعد الخليفـة ــ عن شـئونها .

وثانيهما : سنيته التي جعلته لا يقيم للدولة الفاطمية ولا لخليفتها وزنا(٧٧) . ومع وضوح الصورة فى مخيلة عباس ــ على هذا النحو ــ تأكد له ان الخليفة الظافر يتآمر عليه محاولا الاستعانة فى ذلك بابنه نصر(٧٨) . فكان عليه أن يبادر بالتخلص من هـذا الند القوى وأعنى به الظافر ، بصرف النظر عن كونه خليفة . وقد كان ما حدث .

وظن عباس أن الأمر قد صفا له ، الا أن فعلته أثارت شعورا عاما بالاستياء والسخط بين المصريين جميعا ، فشارك بعضهم فى الهجوم على أتباع الوزير فى الطرقات ، وصاروا يرجمونهم بالحجارة من نوافذ دورهم وانبعثت قوى المعارضة من داخل القصر ومن بين صفوف الجيش الفاطمي .

ففى داخل القصر ، أخذ رجال الحاشية فى اعمال الحيلة على عباس وتحريض الجند عليه . وكثر نحيب نساء الخليفة وعويلهن، وشرعن فى قص شعورهن وارسلنها مع رسائل استغاثة لأحد الولاة الفاطميين الأقوياء بناحية الصعيد ، وهو الوالى أبو الغارات طلائــع بن رزيك ــ شريك عباس السابق فى العمل لصالح ابن السلار ضد ابن مصال اللكى ، وحاكم الأشمونين والبهنسا ، وقيل متولى عمل منية ابن خصيب ، مدينة المنيا الآن(٧٩) . ويلاحـظ ان الذى تولى صياغة رسائل الاستغاثة الصادرة من القصر الفاطمى فى شكل قصائد شعرية الهبت حماس ابن رزيك وحثته على الاسراع بالحضور لنجدة الخلافة ، شخصية مغربية من كبار رجال الحاشية الفاطمية ، هو القاضى الجليس أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين بن الجباب ، الأغلبى السعدى التميمى ، نديم الخليفة الراحل(٨٠) . ويهمنا ما جاء فى احدى هذه القصائد من وصف عباس بالبربرى الجاهل ، وذلك فى قوله :

ولما ترامى البربرى بجهــــله
الى فتـــكة ما رامها قط رائــم

ركبت اليــه متن عزمتــك التى
بامثالها تلقى الخطوب العظـــائم (٨١)

أما على مستوى الجيش الفاطمى ، فقد دارت عدة مناوشات بين الفرق العسكرية ـ على اختلاف انتماءاتها ـ وبين القوات الخاصة بالوزير عباس . وصارت حارة البرقية بمثابة غرفة للعمليات ، منها تخرج السرايا واليها تعود . ولكن عباسا تمكن من كسب كل الجولات التى دارت حينئذ فى شوارع القاهرة ، وفكر فى احراق حارة البرقية « لانها مجمع دور الأجناد » . لولا أن اسامة بن منقذ نصحه بالامتناع عن ذلك خشية ان تأتى النيران على سائر الأحياء السكنية بالقاهرة ويؤدى ذلك ـ بالتالى ـ الى تعاظم الفتنة ضده(٨٢) . وفى ذلك الوقت بدأت سرايــا ابن رزيك تتقاطر على القاهرة ، فأخذ عباس فى الاستعداد للمقاومة ، وحاول جاهدا أن يتأكد من وقوف القادة والجنود ، سواء فى العاصمة أو الأقاليم ، الى جانبه أثناء صراعه المقبل مع ابن رزيك . وكان اللواتيون ـ سكان البحيرة ـ أيضا ممن حاول عباس معهم . الا أن محاولاته جميعها باءت بالفشل(٨٣) . عند ذلك أيقن عباس الا مقام له بالبلاد ، وشرع فى الاعداد للخروج من مصر سالكا طريق الشام . ورفض نصيحة أحد أتباعه بالذهاب الى الاسكندرية ، لاقتناعه بعدم جدوى ذلك . وأثناء خروجه ومن معه من مصر ، اعترضهم الصليبيون عند منطقة الحدود بين مصر وفلسطين وذلك بتحريض من عمة الفائز ، فقتلوا عباسا وأسروا ابنه نصر ، بينما نجا أسامة بن منقذ ، الذى كان معهم ، الى الشام(٨٤) .

ودخل طلائع بن رزيك القاهرة ، وكان أول ما قام به ان نقب عن الموضع الذى ورى فيه جثمان الخليفة الظافر ، فأخرجه وغسله وكفنه ، وحمله فى موكب جنزى مهيب الى القصر ، حيث صلى عليه الخليفة الفائز ، ودفن فى تربة القصر مع آبائه . وحمد له الفائز ذلك ، فخلع عليه خلع الوزارة ، ونعته بعدة ألقاب ، منها : السيد الأجل ، الملك الصالح ، ناصر الأمة ، كاشف الغمة ، أمير الجيوش. وذلك فى ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ هـ (يونية ١١٥٤ م)(٨٥) .

أما عن أهم الأحداث التى شهدتها فترة وزارة ابن رزيك ، فتتمثل فى وضوح أهمية الجنود والأمراء اللواتيين الذين انتظمتهم طائفة البرقية . ذلك أن ابن رزيك ابدى ميلا تجاه هذه الطائفة ، وعمد الى تجديد دمائها باستجلاب عناصر جديدة من ارض برقة . وفتح لهم باب الترقى فى الخدمة ، حتى صار منهم الأمراء . ولهذا قيل عنه انه « أنشأ فى وزارته أمراء يقال لهم البرقية » . واتخذ منهم حرسا خاصا به ، وجعلهم تحت قيادة أمير عربى كانت لابن رزيك فيه ثقة كبيرة ، هو القائد ابو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمى . ولكى يخلى لهم الطريق ، شرع ابن رزيك فى التخلص من قادة الدولة الآخرين ، بحجة الاشتباه فى انهم ساندوا الوزير السابق عباس(٨٦) .

وربما كان ميل ابن رزيك الى هذه العناصر اللواتية ، يرجع الى أيام كان واليا على الاسكندرية والبحيرة ، قبل سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) واشتراكه فى اخماد ثورتهم التى قاموا بها فى تلك السنة بزعامة محمد بن رافع اللواتى . اذ لا ريب أن ابن رزيك لمس عن قرب مدى الحيوية التى يتمتع بها اللواتيون والكثرة العددية التى تميزهم . وذلك مقابل ضمور واضمحلال فى قوى باقى العناصر المغربية الأخرى التى هى فى معية الدولة الفاطمية

بسبب تقادم الزمن عليهم وكثرة اشتراكهم فى الأحداث التى مرت بها الدولة • حتى اننا صرنا ــ بالكاد ــ نسمع عن دور هنا أو هناك لطائفة ــ كانت شهيرة ــ مثل الكتاميين • وكذلك المصامدة الذين انفتحوا على الدولة فى فترة معاصرة للتغلغل اللواتى الى قلب العاصمة ، فاننا نلاحظ أن قادتهم آووا الى الظل بعد مقتل الوزير المأمون بن البطائحى الذى كان آخر من تعهدهم بعنايته • ولعل ابن رزيك ــ كذلك ــ كان معجبا بالدور الذى لعبه اللواتيون ــ عصب الطائفة البرقية ــ أمام استبداد الوزير عباس ، والذى كانت نتيجته ان صارت حارتهم بالقاهرة آنذاك « مجمع دور الأجناد » .

وفى اطار هذه السياسة التشجيعية للطائفة البرقية يمكن القول بأنهم ــ ربما ــ كانوا يؤلفون الغالبية العظمى للحملة التى سيرها ابن رزيك فى شهر المحرم من سنة ٥٥٣ هـ (فبراير ١١٥٨م) لقتال الصليبيين عند عسقلان وغزة ، وكانت تتألف من أربعة آلاف جندى . اذ كان أبو الأشبال ضرغام ــ مقدم البرقية ــ قائدا عاما لتلك الحملة(٨٧) .

ووسط هذه المؤثرات الايجابية لتلك العناصر اللواتيـــة فى العاصمة ، نلمح خيطا رفيعا من أحداث الشغب التى شارك فيها اللواتيون المستقرون فى أرض البحيرة وما حول الاسكندرية وذلك فى سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩م) • اذ يشير المقريزى الى قيام والى الاسكندرية ــ آنذاك ــ طرخان بن سليط بن طـــريف بثورة على الوزير طلائع بن رزيك فى تلك السنة • وقد تمكن ابن رزيـــك من القضاء على هذه الثورة فى السنة التالية ٥٥٥هـ (١١٦٠م) بعد أن سير حملة بقيادة ابن أخته الأمير عز الدين حسام(٨٨) . ويلاحظ أن انضمام العناصر المشاغبة من لواته البحيرة الى هذه الثورة لم يؤثر على وضع الأمراء البرقيين الموجودين فى العاصمة ، وذلك لانتفاء الصلة بين الطرفين •

ومن ناحية أخرى قامت سياسة ابن رزيك على الاستبداد بالأمر دون الخليفة الفائز ، واستمر الحال على ذلك حتى توفى الفائز فى ١٧ رجب سنة ٥٥٥ هـ (يولية ١١٦٠ م) . فحرص ابن رزيك على اختيار اصغر أفراد الأسرة الفاطمية ، وهو الأمير أبو محمد عبد الله بن الامير يوسف بن الحافظ لتولى الخلافة ولقبه بالعاضد لدين الله ، عملا بنصيحة احد خاصته الذى قال له : « لا يكن عباس أحزم منك رايا حيث اختار الصغير وترك الكبير ، فاستبد بالأمر .. » ، « فاستقر العاضد اسما والصالح معنى » (٨٩) .. فلما ثقلت وطأة ابن رزيك على رجال الدولة واهل القصر ، سعت احدى عمات الخليفة فى قتله ، ورتبت الأمر مع عدد من العبيد السودان . فوقفوا له على دهاليز القصر ، والحقوا به جراحا بليغة توفى على اثرها فى يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ (سبتمبر ١١٦١ م) وذلك بعد ان عهد لابنه أبى شجاع رزيك بتولى الوزارة(٩٠) .

ولقد تميزت فترة وزارة رزيك بن الصالح طلائع بعظم نفوذ الأمراء البرقيين ومقدمهم ضرغام بن سوار اللخمى حتى صارت لهم الكلمة الاولى فى العاصمة . واشتهر منهم : صبح بن شاهنشاه ، وأسد الغازى ــ وقيل الغاوى ــ ، والظهير عز الدين مرتفع بن فحل المعروف بالجلواص (لعلها تحريفا لكلمة الجلواز بمعنى الشرطى) وعين الزمان ، وعلى بن الزبد(٩١) . واذا كان رزيك قد اتبع ــ فى ذلك ــ تعليمات والده ، الا ان المخالفة الوحيدة التى عصاه فيها اطاحت به وبحكمه ــ وذلك حينما اقدم على تعيين أحد اتباعه ويدعى الأمير نصير الدين بن الرفعه فى ولاية قوص ، أو الصعيد الأعلى ، بدلا من ابى شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر ، السعدى الذى بلغ شأنا كبيرا أيام الصالح طلائع حتى انه استوصى ابنه به خيرا وحذره من الحاق الأذى به(٩٢) . مما كان من

شاور الا ان جهر بالعصيان ، وخرج من قوص ، حيث تمكن من جمع قوة خاصة به اقتحم بها القاهرة فى ٢٢ محرم سنة ٥٥٨ هـ (يناير ١١٦٣م) ، واستولى على الوزراة بدلا من رزيك • ويصف المقريزى هذه المغامرة ، قائلا : « وكان شاور بن مجير السعدى لما بلغه ان الناصر رزيك عزله عن ولاية قوص وولى غيره ، اضطرب وخرج من قوص فى جماعة قليلة ، **فسار على طريق الواحات** فى البرارى ، حتى صار فى تروجة (قرية من أعمال البحيرة ، كانت تقع بالقرب من الاسكندرية) فاجتمع عليه الناس وقوى أمره وتزايد » • اما عن ردود الفعل التي حدثت فى العاصمة عند سماع هذه الانباء فيقول : « فكثر الارجاف بمسير شاور الى ان قرب من القاهرة • فأسرع ضرغام ونظراؤه من وجوه الأمراء ، وصاروا الى شاور . فأسقط فى يد العسكر الباقى مع بنى رزيك »(٩٣) .

ولنا على هذا النص بعض الملاحظات منها :

١ ـ أن شاور ـ وهو لم يزل بعد واليا على قوص ـ قد أدرك ان فرقته الخاصة والتى تتالف منها حامية الولاية ، لن تسعفه فى مغامرته الكبرى مام العناصر اللواتية الموجودة في العاصمة • هذا فضلا عن ان جنود الحامية ربما انفضوا عن شاور اثر وصول قرار عزله الأمر الذى سبب له ارتباكا • فهداه تفكيره الى الأستعاضة بذات الجنس الذى هو أساس قوة الوزير رزيك ، وأعنى بهم اللواتين . فكان خروجه فى جماعة صغيرة الى طريق الواحات علّه يجد ضالته بين العناصر اللواتية ذات المنعة بين سكان هذه الناحية •

٢ ـ الا ان ظنه خاب عندما وجد الجماعات المنتشرة فى الواحات اشبه ما تكون بشراذم متفرقة هنا وهناك ، يتباكى افرادها على أمجادهم التى ضاعت أثر سقوط حكم الأسرات اللواتية الارستقراطية ممن على شاكلة آل عبدون(٩٤) . ولعل شاور ـ

كذلك – خشى أن يدخل فى صدام مع النائب الفاطمى على حكم المنطقة(٩٥)، فآثر الخروج سريعا الى أرض البحيرة ، حيث عثر على بغيته ، اذ « اجتمع عليه الناس » فقوى أمره وتزايد .

٣ – ورغم ان كلمة « الناس » التى وردت ، تفيد التعميم وعدم تحديد قوة ما بأنها هى التى انضمت لشاور ، الا انه يمكن لنا حصر مدلولها فى : العشـــائر العربية الضـــارية فى أرض البحيرة ، وبخاصة عرب قيس الذين اختصهم عمارة بالذكر وأشار الى اشتداد بأسهم حوالى تلك الفترة(٩٦) . فمن المنطقى انهم بادروا بنصرة شاور لكونه عربيا مثلهم . كذلك ينسحب هذا المدلول على العناصر اللواتية سكان البحيرة وما حولها ، الذين كانوا بمثابة فرس الرهان فى هذه الآونة(٩٧) . اذ من الطبيعى ان يكون شاور قد استمالهم كى يضرب بهم طائفة البرقيين الذين هم آساس جيش رزيك . ولا ندهش من ميل هذه العناصر اللواتية الى جانب شاور فى صراعه المقبل مع الوزير رزيك وطائفة البرقيين انصاره . رغم ما يعنيه هذا من أنه سيكون صداما بين لواتيين هناولواتيين هناك فقد شاهدنا ذلك مرات عديدة من قبل .

٤ – وقد صح ما رمى اليه شاور ، اذ ترتب على مسـير اللواتيين – الى جانب عرب قيس – معه الى العاصمة ان تخاذل امراء الفرقة البرقيه عن نصرة رزيك – الوزير الشـــرعى وابن سيدهم طلائع – ومالوا الى بنى جلدتهم فى صفوف شاور . وهو ما يعد تفسيرا لهذا التغير المفاجىء من ناحية هذه الطائفة . وكان سببا فى فوز شاور بالوزارة دون مقاومة كبيرة ، فقد حدث خلـل فى معسكر رزيك بعد انسحاب الأمراء البرقية ، ادى الى الهزيمة السريعــة(٩٨) .

استقر شاور فى الوزارة ، منذ اليوم الأول لدخوله القاهرة (٢٢ محرم سنة ٥٥٨ هـ / يناير ١١٦٣م) وتلقب بأمير الجيوش وقبض على رزيك بن الصالح طلائع اثناء محاولته الفرار من القاهرة ، وأمر بحبسه . وقد حفظ شاور الجميل للأمراء البرقية ، فزاد فى تكرمتهم وعهد الى مقدمهم ضرغام بوظيفة صاحب الباب(٩٩) . الا أنه عمل — من ناحية اخرى — على مكافاة حلفائه عرب قيس واللواتيين الذين ساعدوه ، فحمل اليهم الأموال التى صادرها من ممتلكات بنى رزيك والتى قدرت بما يزيد على خمسمائة الف دينار ذهباً ، « حتى كثرت أموالهم ، وصاروا يكيلونها كيلا ، ويقولون : لفلان قدحان ذهبا ، ولفلان ثلاثة أقداح » . وازداد شاور فى محاباتهم حتى تغاضى عن محاسبتهم على عمليات الشغب التى راحوا يقومون بها على نطاق ضيق فى بعض أراضى الدلتا ، ذلك انه « اراد ان يكونوا له عضدا ورداء »(١٠٠) .

ويبدو أن الأمراء البرقية نقموا ذلك على شاور ، كما نقموا عليه أيضا أنه أطلق السبيل لأولاده : طى ، وشجاع ، والكامل ، فى الاستبداد بالأمر . فسعوا فى الانقلاب على شاور ، واتخذوا من حادثة مقتل الوزير السابق رزيك بن الصالح طلائع — والذى قتل فى محبسه بتدبير طى بن شاور — سببا للثورة عليه — وتزعم ضرغام حركة المعارضة(١٠١) . ولا شك ان تصرف ضرغام ، هذا يثير الدهشة ، اذ انه كان — بالأمس — ورفاقه سببا فى خلع رزيك من الوزارة ، ثم هو اليوم يتباكى على مقتله . كما أن عمارة يشير الى حادثه دلت على ان ضرغام كان متواطئا مع طى بن شاور فى قتل رزيك فيقول : « ... ثم دخلت (اى عمارة) قاعة السر من دار الوزارة ، وفيها طى بن شاور وضرغام وجماعة من الأمراء (البرقية) مثل عين الزمان ومرتفع الظهير . ورأس رزيك بن الصالح بين أيديهم فى طست . فما هو الا ان لمحته عينى فرددته

كمي على عيني ورجعت على عقبي . . فأمر طي من ردني فقلت : والله ما أدخل حتى تغيب الرأس عن عيني . فرفع الطست . وقال لي ضرغام لم رجعت ؟ قلت : بالامس وهو السلطان تتقلب في نعمته . قال : لو ظفر رزيك بأمير الجيوش (يعني بشاور) أو بنا (يقصد ضرغام بذلك نفسه والبرقية) ، ما ابقى علينا . قلت : لا خير في شيء يؤول بصاحبه من الدست الى الطست »(١٠٢) . فما السر وراء هذا التحول ؟ .

يبدو لنا – في الحقيقة – ان ضرغام قصد من ذلك القيام بمناورة شديدة الذكاء ، اذ انه إراد استغلال الموقف في تحقيق مجد شخصي وكسب تعاطف الرأي العام الذي ثار من اجل مصرع رزيك ، وهو أعزل حبيس . كما انه ، وهو الأهم ، اراد ان يسحب البساط من تحت أقدام امراء البرقية الذين حسدوه على المكانة الرفيعة التي غدا فيها في الأيام الأولى لوزارة شاور ، وصار العداء مستحكما فيما بينهم وبينه . ذلك ان البرقية كانوا قد كرهوا انفراد ضرغام بالنفوذ ، ومبالغته في الاعتماد على عصبيته العربية من اخوته وأهله ، دونهم(١٠٣) . وصاروا بذلك حزبين : ضرغام ومعه أهله واخوته حزب ، وباقي الأمراء البرقية بزعامة الظهير عز الدين مرتفع وعين الزمان ، وعلي بن الزبد ، حزب آخر . ويشير عمارة الى ان حزب ضرغام كان أظهر الحزبين « لأنه نائب الباب ، ولأنه من نفسه واخوته واصهاره في جيش عظيم »(١٠٤) . فعمد ضرغام الى المبادرة بكسب السبق قبل الحزب المنافس له ، وذلك بمجاهرته بالعداء لشاور وادعائه أنه يقصد الانتقام لمقتل رزيك الوزير الشرعي وابن سيده الصالح طلائع صاحب الفضل عليه وعلى طائفة الأمراء البرقية . وكان لضرغام ما أراد ، فضمن وقوف الأمراء البرقيه على الحياد ، ان لم يكن مسارعتهم بالانضمام اليه ضد شاور ، بعد شعورهم بالحرج

لتأخرهم عن المشاركة فى الانتقام لمقتل ابن سيدهم . وتمكن ضرغام بذلك من طرد شاور خارج القاهرة ، وقتل ولده طى ، وتولى الوزارة للخليفة العاضد ، وتلقب بالملك المنصور ، وذلك فى شهر رمضان من تلك السنة (٥٥٨ هـ / سبتمبر ١١٦٣ م)(١٠٥) .

وبدلا من ان يستغل ضرغام وجوده فى الوزارة ليصلح ما فسد بينه وبين الأمراء البرقيين ، خاصة وأنه صار معلوما ان شاور لن يسكت على خلعه من الوزارة ، نراه يقلب ظهر المجن لهم ويلحق بافرادهم قتلا من خلال مذبحه جماعية دبرها لهم فى ١٨ ربيع الأول سنة ٥٥٩ هـ (فبراير ١١٦٤م) . وقد راح ضحية ذلك من كبار قادة البرقيين : صبح بن شاهنشاه والظهير مرتفع الجلواص(١٠٦) ، وعين الزمان ، وعلى بن الزيد ، وأسد الغازى وأقاربهم وقيل ان عدد من قتلهم سبعين اميرا سوى اتباعهم(١٠٧) .

بيد ان ضرغام خسر بذلك مصدر قوته ، وساهم الى حد كبير فى ضياع هيبة الدولة اذ « كان ذلك أكبر الأسباب فى هلاكه وخروج دولة المصريين عن أصحابها . لأنه أضعف عسكر مصر بقتل الأمراء »(١٠٨) . ويعلق المقريزى على ذلك بقوله : « فذهبت لذلك رجال الدولة ، واختلت أحوالها ، وضعفت بذهاب أكابرها ، وفقد اصحاب الرأى والتدبير »(١٠٩) . فى حين كان شاور قد خرج الى الشام والتقى بالسلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بمدينة دمشق (التى استولى عليها فى سنة ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م) ، وعرض عليه ان يساعده فى صراعه مع ضرغام مقابل ان يحصل نور الدين محمود على ثلث ايراد مصر ، وتعهد شاور ان يكون بمثابة تابع له فى حكم البلاد . فسير نور الدين مع شاور قوة عسكرية من جيشه الى مصر ، وكان على قيادتها أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، الذى كان

شاباً صغيراً(١١٠) . فأسقط فى يد ضرغام ، ولم تسعفه قواته فى صد هجوم شاور والجيش الشامى وانتهى الأمر بهزيمته ومقتله فى آخر شهر جمادى الآخرة سنة ٥٥٩ هـ (مايو ١١٦٤) ، بعد ان قضى فى الوزارة ٩ أشهر فقط . وصار شاور بذلك وزيرا للمرة الثانية(١١١) .

وقد شهدت وزارة شاور — هذه المرة ، والتى استمرت ٤ سنوات وثمانية أشهر حتى مقتله فى ١٧ ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ (يناير ١١٦٩ م) — احداثا هامة ، خاصة فيما يتعلق بالوجود المغربى الذى عبر عن نفسه — من خلال تياراته الثلاثة — بطريقة مختلفة عما سبق ، ازاء التطورات التى تخللت هذه الفترة .

وابتداء نرى شاور ، وقد كشف القناع عن حقيقة نواياه الاستبدادية ورغبته فى التمكين لنفسه ولأولاده ، سواء بالوسائل المشروعة أم غير المشروعة . ويقول عمارة فى ذلك : « وفيها (أى فى وزارة شاور الثانية) تكشفت صفحاته وأحرقت لفحاته ، وأغرقت نفحاته » . فاطلق ايدى أولاده فى العبث بمراكز القادة والاعتداء على ممتلكاتهم حتى قيل : « ولم يرب أحد رجال الدولة مثلما رباهم الصالح (طلائع) ، ولا أفنى أعيانهم مثل ضرغام ، ولا أتلف أموالهم مثل آل شاور »(١١٢) . والأهم من ذلك أنه سعى فى نقض تحالفه مع نور الدين محمود ، وطرد القوة الشامية الموجودة بمصر وقائديها شيركوه وصلاح الدين واستبدل شاور بهم الصليبيين فى بيت المقدس مما أدى الى حدوث تنافس بين القوتين على امتلاك مصر . ونشبت من ثم عدة معارك فى الأراضى المصرية انتهت كما هو معروف بنجاح شيركوه قائد جيوش نور الدين ، وابن أخيه صلاح الدين فى كسب السباق ، ومقتل شاور ثم تولى شيركوه ، ومن بعده صلاح الدين ، الوزارة للخليفة الفاطمى العاضد(١١٣) :

وإذا كان هذا قد حدث ، فان نتيجة أخرى هامة ترتبت عن سياسة شاور تلك ، وتمثلت في ان شاور خسر تعاطف الرأى العام المصرى معه ، وانقلب الجميع ضده ، حتى حلفاؤه الذين أيدوه من قبل أثناء صراعه ضد رزيك بن الصالح طلائع وضد ضرغام ، ويشير عمارة — فى هذا الصدد — الى أسماء عدة قادة وقعوا فى صدام مع شـــاور ، وادى الأمر الى ان لقوا مصرعهـم ، منهم : الأمير يحيى بن الخياط ، الذى كان من خاصة بنى رزيك ، ثم مال مع شاور وساعده فى المرة الأولى التى ولى فيها الوزارة ، وقد تمكن شاور من القضاء على هذه الثورة بعد قليل من اندلاعها(١١٤) . الا أنه فوجىء بمالم يكن فى الحسبان ، وذلك عندما ثار عليه من أراد منهم « أن يكونوا له عضدا ورداء » وأعنى بهم اللواتيين سكان أرض البحيرة وما حولها ومعهم عرب قيس . حدث هذا بعد اخماد فتنة ابن الخياط بقليل(١١٥) .

وقد يتبادر الى الذهن أن ثورة هؤلاء الحلفاء كانت بسبب تأخر شاور عن ارسال الأموال المقررة لهم ، والتى اعتادوا منه ان تكون على نحو اكثر من المعقول ، الا ان تغير الظروف ، واشتعال الساحة المصرية بالغضب من سياسة شاور الموالية للصليبيين تجعلنا نرجح أن هؤلاء اللواتيين قاموا بثورتهم هذه المرة مشاركة منهم فى التعبير عن روح الغضب التى استشرت بين المصريين جميعا ضد شاور . والدليل على ذلك ميلهم — فيما بعد — للعمل مع أسد الدين شيركوه وصلاح الدين أثناء تطور عمليات القتال بينهما وبين حلف الصليبيين وشاور ، كما سنرى بعد قليل . وعلى أية حـــال فقد اضطر شاور لتسيير عدة حملات متتالية قبل ان يقضى على هذه الثورة تماما . مثل تلك التى أخرجها بقيادة أخيه ركن الاسلام نجم وابنه سليمان ثم الحملة التى قادها — فى اثرهما — ابنه الكامل ، حتى تمكن من كسر شوكتهم(١١٦) .

بيد أن حركة المعارضة ضد شاور والصليبيين اســتمرت قوية ، وتوكزت خلال سنة ٥٦٢ هـ (٦٦ / ١١٦٧ م) فى مدينة الاسكندرية التى مال أهلها لمساعدة شيركوه وصلاح الدين أثناء وجودهما على رأس الجيش الشامى فى اقليم مصر الوسطى • فقد كتب شيركوه الى أهالى الاسكندرية يستنجد بهم على الفرنج وشاور « فكتبوا اليه انهم يمدونه بالسلاح والحديد وجهزوا اليه خزانة من السلاح مع ابن أخت الفقية ابن عوف »(١١٧) . وبالنظر الى ما اعترى الاسكندرية من تطورات واكبت هذه الحركة نلاحظ ان السمة المغربية قد ظللت حركة المقاومة هذه منذ منشئها وحتى نهايتها • اذ لا ننسى ان الاسكندرية كانت تموج حينئذ ببحر زاخر من علماء السنة ، المالكية منهم بوجه خاص ، الذين وطدوا العزم ، ومنذ زمن ، على تسخير ما حصلوه من علوم الشرع فى مقاومة أهل الزيغ والبدع • فكيف وقد وصل الحال بشاور الى الجهر بممالأة الصليبيين أعداء الملة الاسلامية • ثم ان تزعم الاسكندرية لحركة المعارضة ــ هذه المرة ــ ليس بغريب ، وهذا السيل المتدفق من طلاب العلم والحجاج المغاربة والأندلسيين لم يزل يطرق أبـواب المدينة جيئة وذهابا • وما حال الاســكندرية أيام الطرطوشى وابن تومرت ببعيد . أما الفقيه المغربى الذى ترسم خطا سابقه الطرطوشى ، فى الجهر بمعارضة السلطة وأبدى فى ذلك همة كبيرة لا تقل عما أبداه صنوه الاسكندرى ابن عوف(١١٨) ، فهو الفقيه شمس الإسلام أبو القاسم بن مخلوف ، وقيل أبو القاسم مخلوف ، ابن عبد الله (وقيل بن على) بن عبد الله بن عبد الحق بن جارة ، المالكى ، المعروف بابن جارة المغربي الذى بلغ أوج نشاطه التعليمى فى مدينة الاسكندرية بين سنتى ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) و ٥٧٣ هـ (١١٧٧ م)(١١٩) . اى انه استمر مقيما بالاسكندرية الى ما بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الأيوبيين فى حكم مصر : وقد شارك هذا الفقيه وتلاميذه الذين تصادف مرورهم بالمدينة آنذاك ، زملاءه

المصريين ــ أسباس بمدرســة الاسكندرية السنية المالكية حينئذ(١٢٠) ــ فى تعبئة الرأى العــام فى المدينة ضــد شــاور وسياسته الخرقاء • ودفعوهم الى القيــام بنصرة شــيركوه وصلاح الدين • ولهذا صادفت رسالة الاستغاثة التى وجهها شيركوه الى أهالى الاسكندرية هوى فى نفوسهم • وردوا بتلك الرسالة التى كتبها شيخ المالكية بالمدينة فى ذلك الوقت ، ابن عوف الاسكندرى الى شيركوه •

وثمة تطور جديد نلحظه فى مدينة الاسكندرية أثناء هذه الثورة • اذ ان أهالى المدينة اتفقوا ــ فى ذات الوقت ، وقبيل وصول شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الى المدينة ــ على تعيين أحد القادة اللواتيين واليا عليهم دون الرجوع ــ بالطبع ــ لرأى الحكومة الفاطمية • وكان هذا القائد هو الأمير نجم الدين بن مصال اللكى سليل أسرة ابن مصال اللواتية الشهيرة ، والذى وصفه أبو شامة بقوله « وهو ابن أحد الوزراء المصريين (يعنى أيام الفاطميين) وكان قد لجأ الى الاسكندرية مستخفيا ، فظهر فى هذه الفتنة »(١٢١) • معنى ذلك ان ابن مصال هذا ، كان ابنا للوزير أبى الفتح نجم الدين سليم بن محمد بن مصال اللكى ، الذى لمع ذكره أيام الخليفتين الحافظ والظافر • اما عن الاعتبارات التى فى ضوئها اختار أهالى الاسكندرية هذا الأمير واليا عليهم ، فاما انهم فعلوا ذلك معه بوصفه أحد أحفاد الثائر الشهير محمود بن مصال رأس الأسرة والذى عرفته مدينة الاسكندرية مناضلا ضد استبداد الأفضل بن بدر الجمالى ، منذ ان لجأ اليهم هو ونزار بن المستنصر • واما ان أهالى المدينة اختاروه لكونه لواتيا ، كى يضمنوا بذلك تعاون اللواتيين المنتشرين حول المدينة معهم فى ثورتهم ضد شاور ، أو على الأقل لضمان حيدتهم • وهو ما حدث فعلا ، اذ لم يثبت ان عائقا ما ــ من ناحية اللواتيين ــ منع شيركوه وصلاح الدين ــ الحلفاء الجدد

للسكندريين – أثناء اجتيازهما أرض الفيوم والبحيرة فى الطريق الى الاسكندرية ·

وكذلك قدر لشخصية مغربيـــة ثالثـــة ان تشـــارك أهل الاسكندرية في مقاومة شاور والترحيب بشيركوه · ذلك هو قاضي المدينـــة الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن الجباب ، المعروف بالأشرف بن الجباب من أسرة بنى الجليس الأغلبيه ، العربية ، الأصل(١٢٢) والتى سبق الحديث عن أحد أفرادهـــا المدعو القاضي الجليس أبى المعالى عبد العزيز بن الجباب صاحب القصـــائد الشعرية التى الهبت حمـــاس ابن رزيك ضـــد الوزير السابق عباس الصنهاجي ·

غدت الاسكندرية بذلك ممهدة لاستقبال شيركوه وابن أخيه صلاح الدين فسارا اليها عبر أراضي الفيوم والبحيرة ، وســط مظاهر التأييد التى عبر عنها سكان هذه النواحي في شكل مؤن للجنود ومعلومات عن تحركات جيش شـــاور والصليبيين · حتى وصلاها فى أواخر شهر جمادى الآخرة ســـنة ٥٦٢ هـ (ابريل ١١٦٧ م) وذلك بهدف اتخاذها قاعدة لهما فى مصر(١٢٣) · ثم ان شيركوه أدرك الخطأ فى ان يقيم بكامل جنوده في الاسكندرية فيسهل ذلك على شاور والصليبيين ان يحصروه داخـــل المدينة ، فأمر ابن أخيه صلاح الدين بالبقاء فيها وترك معه جزءا صغيرا من جيشه وخرج شيركوه بباقى الجيش قاصدا طريق الصعيد حتى يعطى لنفسه الفرصة فى المناورة بكامل حريته · وقد حدث ما توقعه شـــيركوه اذ حضرت قوات الصليبيين وجنود شاور لحصـــار المدينة ، بعد خروجه بقليل(١٢٤) ·

وخلال مدة الحصـــار – التى بلغت ثلاثة أشـــهر – قدر لصلاح الدين أن يرى عن قرب اصدق ملاحم الصمود التى قام بها

أهل مدينة الاسكندرية ، وحسن بلاء قيادات المدينة فى الذود منه وعن القوة التى تركها معه شيركوه ، ورفضهم كافة الاغـــواءات التى مناهم بها شاور لخذل صلاح الدين(١٢٥) . مما كان له أكبر الأثر فى نفسه ، وصار للمدينة وسكانها مكانة خاصة عنـــده . وانعكس هذا بالتالى على جماعات العلماء والحجـــاج المغاربـــة والأندلسيين المقيمين بالاسكندرية ــ بوجه خاص ــ الذين تمتعوا بعطف واهتمام صلاح الدين بعد أن صار سلطانا على مصر(١٢٦) .

ولما علم شيركوه ــ الذى كان فى صعيد مصر ــ باشتداد الأمر على الاسكندرية ، حشد جموعا كثيرة من المتطوعين من أهـــالى البلاد التى مر بها ، ورحل عن قوص ، وسار نحو الاسكندرية لفك الحصار عنها فاضطر شاور لان يرفع الحصار عن المدينة وعـــاد بقواته الى القاهرة ، بعد أن راسل شيركوه فى أمر الصلح وعرض عليه مبلغا من المال كتعويض عن الخسائر التى لحقته ، على أن يرجع الى الشام . فأجابه شيركوه الى ذلك ، بشرط أن يخرج الفرنج أيضا من البلاد ، وتم الصلح على هذا الأساس . وفتحت المدينة ، وتسلمها عسكر شـــاور فى منتصف شـــهر شـــوال (يولية)(١٢٧) .

ولم يخرج صلاح الدين من الاسكندرية الا بعد أن استحلف شاورا بالا يتعرض لأهلها بسوء . غير أن شاور لم ينفذ وعده ، ودخل المدينة عاقدا النية على معاقبة الثائرين ، فاستتر نجم الدين ابن مصال منه ثم فر الى الشام ، بينما قبض على ابن الجبـــاب وعاقبه حتى افتداه أهله بمال جزيل(١٢٨) . وفر كذلك أحد القادة الثائرين ويدعى القاضى الرشيد بن الزبير ناظر المدينة ومتولى ديوانها الى ناحية رشيد ، فى حين اعتصم جماعة العلماء الذين شاركوا فى المقاومة فى منار الاسكندرية وارسل الفقيه ابن عوف طالبا العفو . فعفا شاور عنهم ، ثم اجتمع بهم فى شبه محاكمة وراح يعاتبهم على

ما فعلوا . وبينما سكت الجميع ، انبرى الفقيه أبو القاسم بن جارة في الحديث بشكل اثار أعجاب الحاضرين ، قائلا : « نحن نقاتل كل من جاء تحت الصليب ، كائنا من كان » . ولا شك أن هذه الاجابة كانت تعني الاشارة الصريحة الى شاور ، ورغم أنها تفيد استعداد هذه الجماعات المجاهدة دائما لقتاله ، الا ان شاور سكت عن الاجابة واكرمهم بعد ذلك اليوم(١٢٩) .

ثم تلا ذلك حدوث الجولة الأخيرة من الصراع بين نور الدين محمود بالشام ، والصليبيين ، ببيت المقدس ، على امتلاك مصر . وهي المرة التي نجح فيها شيركوه وابن أخيه صلاح الدين ، قادة الحملة النورية على مصر ، في طرد الصليبيين من البلاد ، وقتل شاور ، وتولى بدله شيركوه الوزارة للخليفة العاضد الفاطمي ، وتلقب بالملك المنصور أمير الجيوش . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ (يناير ١١٦٩ م)(١٣٠) . وسار شيركوه في عمله الجديد على سنة الوزراء الفاطميين السابقين ، فاستبد بالأمر دون العاضد وراح يستعمل أصحابه وثقاته على الأعمال ، وأقطع البلاد لعساكره . حتى مات فجأة بعد شهرين من توليه الوزارة (في شهر جمادي الآخرة / مارس) . فتولى بعده ابن أخيه صلاح الدين يوسف الوزارة ، وتلقب بالملك الناصر ، وذلك في يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ جمادي الآخرة (١٣١) . وكان ذلك بتدبير الخليفة العاضد ، الذي اعتقد أن فرصته في الحكم ستكون أفضل مع هذا الوزير صغير السن . غير أن اعتقاده خاب بفضل الهمة الكبيرة التي أبداها صلاح الدين في التوطيد لنفسه ولا تباعه على حساب العناصر الموالية للدولة الفاطمية ، وعلى حساب الخلافة ذاتها . حتى عندما جاء الوقت لاعلان سقوطها من على منابر المساجد في أول جمعة من شهر المحرم سنة ٥٦٧ هـ (سبتمبر ١١٧١ م) ، تم الأمر في هدوء .

وأهم ما نلاحظه فى الفترة التى تولى خلالها صلاح الدين الوزارة وشرع فى إتخاذ كافة الاجراءات التى تمهد له ولعصبيته فى حكم البلاد ، ان حاشية الخليفة العاضد — وجلهم من العبيد السودان — هم الذين نقموا على صلاح الدين ، وتآمروا على الاطاحة به ، مستعينين فى ذلك بالصليبيين ببيت المقدس . وتزعم ثورتهم الأستاذ صنيعة الملك مؤتمن الخلافة جوهر المشرف العام على شئون القصر الفاطمى . وقد انتهى الأمر بفشل مخططات العبيد ، بل نجح صلاح الدين فى كسر شوكتهم تماما ، وطاردتهم قواته حتى الجيزة ، ثم عبر اليهم شمس الدولة توران شاه ، أخو صلاح الدين وأبادهم بالسيف(١٣٢) . وهو ما يعنى أن الطوائف المغربية — من موالى الدولة — لم يعد لها وجود كقوة مؤثرة . هذا على الرغم من اشارة ابن تغرى بردى الى أن مخططات الخليفة العاضد فى التخلص من وزيره صلاح الدين ، كانت تعتمد الى حد كبير على من عنده « من العساكر الكتامية »(١٣٣) .

واذا كان ابن تغرى بردى يجعل هذه الرواية ضمن أحداث سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢/٧١ م) والتى أسقط صلاح الدين فى أول جمعة منها الخطبة للخليفة العاضد فانه ربما أراد التنويه بذلك الى أن العاضد — لما ثقلت عليه وطأة صلاح الدين وبان له عزمه الجدى على اضعاف الدولة والقضاء عليها نهائيا — صار يبحث حوله عن العناصر التى ستكون عونا له عند اقدامه على طرد صلاح الدين وعصبته . وأن يرد فى ذهن العاضد اسم الكتاميين على وجه التحديد لما يدل على أنه لم يجد حوله القوة التى سيكون عليها المعول فى ذلك . فعاش فترة من أحلام اليقظة عن عودة الكتاميين مرة أخرى الى سابق عهدهم وأنهم سيعيدون للخلافة امجادها ، تماما كما كان عليه الحال فى الأيام الأولى لنشأة الدولة الفاطمية فى المغرب ، وبعد انتقالها الى مصر .

ونعتقد ، اذا ما صحت رواية ابن تغرى بردى ، أن العاضد تصور حينئذ أن هذا الشتات من الكتاميين ــ الذين تكالبوا منذ زمن على رعاية مصالحهم الخاصة فى الضياع التى منحت لهم فى أراضى الريف ، وتعجب د. لقبال من تركزها فى نواحى محافظة الغربية(١٣٤) ، تاركين الفرصة لاخوانهم المصامدة. ومن بعدهم اللواتيين الذين انتظمتهم طائفة الأمراء البرقية ، فى شغل الفراغ الذى نشأ فى الدولة نتيجة لغيابهم ــ (ان العاضد تصور أنهم) هم الذين سيصنع بهم المعجزة . وعلى أية حال ، فلم يقدر للعاضد أن يرى أفكاره تخرج الى حيز التنفيذ ، اذ سرعان ما سقط فريسة لمرض الموت . حتى انه لم يعلم بنبأ حذف اسمه من الخطبة والدعاء بدله للخليفة العباسى المستضىء بأمر الله أبى محمد الحسن (٥٦٦ ــ ٥٧٥ هـ = ١١٧٠ ــ ١١٨٠ م). وآثر أهل القصر الا يزعجوه بهذا الخبر حتى لا يعجل بوفاته . فمات بعد ذلك بيومين فى مساء الأحد ٩ محرم سنة ٥٦٧ هـ (١٢ سبتمبر ١١٧١ م) وطويت بموته صفحة الدولة الفاطمية(١٣٥) .

وبعد ، فماذا كان أثر هذه الخطوة الهامة التى اتخذها صلاح الدين الأيوبى باعلانه سقوط الدولة ، وقيام إسرته الأيوبية فى حكم مصر ، على الأفراد والجماعات التى تشكلت من مجموعهم التيارات المغربية الثلاثة الموجودة بمصر ؟ أو بمعنى آخر : ماذا كانت ردود الفعل الخاصة بأفراد وجماعات كل تيار من التيارات المغربية الثلاثة ــ الموجودة بمصر ــ ازاء اعلان سقوط الدولة الفاطمية وقيام الأيوبيين فى حكم مصر ؟

كان من الطبيعى أن تختلف ردود الفعل بالنسبة لأفراد وجماعات كل تيار ــ من هذه التيارات المغربية الثلاثة ــ على حدة أمام هذا الحدث الهام . وذلك طبقا لاختلاف الأساليب التى اتبعوها

جنبا مع خلفاء الدولة المنصرمة . وقد شاهدنا ذلك كله طوال الرحلة التي قطعناها مع الدولة الفاطمية في مصر . وعليه فسان عناصر الاجابة على هذا التساؤل تتلخص في الآتي :

— ان جماعات الوافدين الى مصر من اهل المغرب والأندلس في طريق الحج وتحصيل العلم وممارسة بعض الحرف الاخرى ، كانوا مؤيدين للخطوة التى اتخذها صلاح الدين ، اذا كانوا يرون في ذلك نجاحا لما كانوا يبغونه ليس فقط منذ انتقال الفاطميين الى مصر بل أيضا منذ قيام الدولة ذاتها في المغرب . ولم يقتصر الأمر على مجرد التأييد ، بل شارك بعضهم في انجاحها بشكل ايجابى . واقرب مثال على ذلك : موقفهم الرائع وقت حصار شاور والصليبيين لمدينة الاسكندرية ، وقدر لصلاح الدين آنذاك أن يــرى صــدق مشاعرهم . كذلك قدر لأحدهم ، وهو أبو يحيى اليسع بن حــزم الغافقى ، الأندلسى(١٣٦) ، أن يساهم بجهد مباشر في انجاح مخطط صلاح الدين . فيشير المقريزى الى ان صلاح الدين عزم فى خلال شهر ذى الحجه من سنة ٥٦٦ هـ (أغسطس ١١٧١ م) على اسقاط اسم العاضد الفاطمى من الخطبة بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط واعلان الدعوة بدلا منه للخليفة العباسى ببغداد ، وذلك قبل موعدها الرسمى الذى تمت فيه . وتؤكد الرواية على أنه بينما امتنع الخطباء بالفسطاط عن ذلك خوفا على أنفسهم من غلاة الشيعة الفاطميين ، تقدم أبو يحيى هذا « فصعد المنبر مستعدا من الحديد بما يدفع عن نفسه أن اراده أحد بسوء . فخطب ودعا للخليفة أبى محمد الحسن المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين ، وذكر نسبه الى العباس »(١٣٧) . وعلى الرغم من أن هذه الرواية تخالف ما اتفق عليه بشأن موعد الخطبة ، وشخصية الخطيب(١٣٨) ، الا اننا نعدها بمثابة تجربة نهائية لما ستكون عليه الخطبة الرسمية . لاسيما أن هذه المحاولة سبقتها أخرى تمت في مدينة الاسكندرية(١٣٩) .

ـ ان الجماعات المغربية المنتشرة فى صحراء مصر الغربيـة ومعظمهم من بربر لواتة قد أيدوا كذلك سياسة صلاح الدين الرامية الى القضاء على الدولة الفاطمية ، وذلك بحكم انتمائهم للمذهب السنى . وقد رجحنا انهم عبروا عن ذلك من خلال ثورتهم التى قاموا بها ، وعرب قيس ، ضد شاور . كذلك فى عدم اعتراضهم مسير شيركوه وصلاح الدين الى الاسكندرية عبر اراضيهـم ، وامدادهما وجنودهما بالمؤن والأخبـار عن تحركات جيش شـاور والصليبيين . أما عن صدق مزاعم هؤلاء **القلب** دائما فانها تحتاج لأدلة أكثر من ذلك ، لا تتوفر الا بالقاء مزيد من الضوء على أحوالهم اثناء العصر الأيوبى وسياستهم فى التعامل مع صلاح الدين وخلفائه الأيوبيين .

ـ هذا فى حين كان من الطبيعى أن يمثل أفراد وجماعـات التيار المغربى الأخير ، واعنى بهم الفرق العسكرية المغربية مـن موالى الدولة جانب الصمود والتصدى لمحاولة صلاح الدين اسقاط الخلافة الفاطمية ، وذلك بحكم كونهم اساس الوجود الفاطمى وعمود سنامه فى مصر . بيد أن عوامل الزمن أبت ـ كما رأينا ـ الا أن يقوم بذلك طوائف اخرى غيرهم ممن كانوا على شاكلتهم فى الانتفاع من وراء الفاطميين . وقد رأينا أن حركة المعارضة الوحيدة التى قامت فى وجه صلاح الدين ـ اثناء توليه الوزارة ـ قام بها العبيد السودان الذين فشلوا فى تحقيق مأربهم . نفس الشىء نلحظـه بالنسبة للمؤامرة التى حيكت ضد صـلاح الدين سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤/٧٣ م) وقصد القائمون بها القضاء على حكم صلاح الدين وأسرته ، وارجاع الأمر لأبناء العاضد الفاطمى . فقيادات هذه الفتنة ـ فى معظمهم ـ لم يكونوا من الشخصيات المغربيـة باستثناء الجليس بن عبد القوى ، سليل أسرة بنى الجليس المغربية الذى كان ـ قبل أن يعزله صلاح الدين ـ قاضيا للقضاة وداعيا للدعاة

ايام الخليفة العاضد . وحتي فى هذا ، فان تصاريف القدر حكمت بأن تكون نهاية هذه المؤامرة التي حاكها هؤلاء المنتفعون ، على ايدى جماعة كان منهم الأمير نجم الدين بن مصال الصديق الوفى للنظام الجديد منذ حصار شاور للاسكندرية ، والذى يمكن القول بانه كان منتميا فى يوم ما الى الدولة الفاطمية(١٤٠) . ولا شك فى أن هذا كله يعنى أن نفوذ الأفراد والجماعات من المغاربة الذين اندرجوا تحت لواء الفاطميين كان قد تلاشى منذ زمن ، ثم كان بسقوط الدولة الفاطمية وقيام حكم الأيوبيين فى مصر بمثابة القضاء نهائيا على فرص عودتهم كقوى مؤثرة ، أو حتى غير مؤثرة . اذ من الطبيعى أن آية نظام جديد لا بد وان يقوم انصاره على حساب المؤيدين للنظام السابق .

الهـوامش

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٢٤ ، المقريزى : اتعـاظ ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ، والخطط ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

(٢) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣١١ — حيث الاشارة الى الآثار المعنوية المرتفعة التى ترتبت على هذه المغامرة البحرية الجريئة التى قام بها بدر الجمالى .

(٣) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٢ .

(٤) السجلات المستنصرية : سجل رقم ٥٦ ، ص ١٨٣ـ — ١٨٥ ، ورقم ٥٧ ، ص ١٨٧ — ١٨٨ ، ابن منجب : الاشارة ، ص ٥٥ — ٥٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٢٤ المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣١٤ ، والخطط ، ج ٢ ص ٨٠ — ٨١ و ٣٤٤ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٥) ابن تغرى بردى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣ .

(٦) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣١٦ . وراجع : د. سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠٩ ، ود. الفوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ١٥ — ١٦ .

(٨) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة ، مجلد ٢ ج ٣ ، ص ١٨٤ .

(٩) انظر فى ذلك لمؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد ، مطبوعات جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٥٠ . وقارن : ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ١٣ .

(١٠) انظر فى ذلك : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٥ ، ص ١١ ، وقد افترضنا ان بدر الجمالى هو أول من استن هذه السياسة الجديدة بالنسبة لأسلوب الحكم فى الواحات ، لأنه كان أول قائد فاطمى يتوغل فى جنوب مصر وهو موكل بارجاع هيبة الدولة على تلك الأنحاء ٠

(١١) المصدر نفسه : والجزء ، ص ١٤ ٠ وسيلى الحديث عن مسجد الواحات والدوافع وراء انشائه فى الفصل الخاص بالعلوم والفنون من التسم الحضارى ٠

(١٢) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٢٥ ٠

(١٣) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣٢١ ٠ وراجع : د٠ سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ٠

(١٤) المصـــدر الســـابق : ج ٣ (تحقيق د٠ محمد حلمى محمد) ، ص ١١ ـ ١٢ ٠

(١٥) يشير ابن الأبار (التكملة لكتاب الصلة ، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٦ ، ج ٢ ، ص ٢٥٨) الى أنه كان بالأندلس حصن آخر يعرف بحصن لك من أعمال قرطبة ٠ وهو غير وادى لكة بكورة شدونة فى جنوب غرب الأندلس ٠

(١٦) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٣٥ ، وراجع هذا النص مختصرا ، عند : المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٢ ـ ١٣ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ٠

(١٧) راجع ما سبق : ص ٢٥٣ وهامش رقم ٣٤٧ ٠

(١٨) المقريزى : اتعاظ ، ج ٢ ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ٠ وقد وصل ببعض القادة الأرمن الى أن شهروا السيوف فى وجه المستنصر « ولم يبق الا وقوع الشر »

(١٩) من ذلك ان نزار خرج ذات يوم من بعض أماكن القصر ، فوجد الأفضل ، وقد دخل من الباب وهو راكب ٠ فصاح به : « انزل يا أرمنى يا نجس » ٠ راجع : المقريزى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢ ٠ وانظر د٠ جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٤٩ ٠

(٢٠) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٣٦ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٤ ٠

(٢١ ، ٢٢) السجلات المستنصرية : سجل رقم (٤٣) ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ وهذا السجل وكذا رقم (٣٥) مما أمر بكتابتهما الخليفة المستعلى بالله تسجيلا لذكرى انتصار وزيره الأفضل على نزار وأعوانه ٠

(٢٣) المصدر نفسه : سجل رقم (٤٣) ، ص ١٤٨ ٠

(٢٤) وليس أدل من اشارة كاتب السجل رقم (٤٣) ، ص ١٤٩ من أن الأفضل قد « أحكم فى تلك المهلة من العدد والآلات ، والكتاميين والمنجنيقات ، ما لم يجتمع مثله فى عسكر من العساكر ولا تهيأ مثله فى العصور الغوابر » ٠

(٢٥) ابن ميسر : ص ٣٦ ـ ٣٧ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٥ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٥ ٠ وراجع : د٠ سرور الدولة الفاطمية ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ، ود٠ سالم : تاريخ الاسكندرية :ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ٠

(٢٦) المصادر والمراجع السابقة والصفحات ٠

(٢٧) راجع فى ذلك السجلين رقم ٣٥ و ٤٣ ٠

(٢٨) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ، ص ٤٧ ، ٥٦ ، والخطط ، ج ٢ ، ص ٩٦ ٠ وراجع : د٠ ماجد : الامام المستنصر ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ ٠ ٠ ويلاحظ أن بعض أفراد فرع بنى الجليس الذين أقاموا بالمغرب ، قد عادوا الى مصر فى الفترة المتأخرة من عمر الخلافة الفاطمية ٠ وشاركوا فى بعض الأحداث الهامة ٠ واستمروا على وجاهتهم حتى قيام الدولة الايوبيه فى حكم مصر ، كما سنرى فى حينه ٠

(٢٩) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ٠ كذلك يشير فى موضع آخر (ص ٢٠٢) الى أن المصامدة كانوا على رأس الفرق العسكرية التى خرجت فى استعراض عام للجيش الفاطمى ، (سنة ٥١٠ هـ /١١١٦ م) ٠

(٣٠) انظر فى ذلك : ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٥ ٠ وراجع : د٠ أحمد مختار العبادى : دور المغاربة فى الحروب الصليبية فى المشرق العربى ،

مقال في ندوة الحضارة الاسلامية ، مؤسسة شباب الجامعه ، الاسكندرية ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ٠

وقد أورد الرحالة الأندلسي ابن جبير أمثلة كثيرة على ذلك ، مما سبق الاشارة اليها في العصر الأيوبي ، ثم بعد ذلك في العصر المملوكي ٠

(٣١) المقريزي : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٧ ـ ٣١ وص ٦٠ وما بعدها ٠

(٣٢) ستلي ترجمة هذا الفقيه ودوره بشيء من التفصيل في صفحات الفصل الثقافي ٠

(٣٣) عن أخباره ، انظر : أبا بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق : أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تصحيح ونشر ليفي بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٩٩ ـ ١٠٧ ، والسلاوي الناصري : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، وراجع : د٠ سعد زغلول عبد الحميد : محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس ، محاضرة القيت في جامعة بيروت العربية ، مطبوعات جامعة بيروت ١٩٧٣ ٠

(٣٤) د٠ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٥ ٠

(٣٥) المراكشي : المعجب ، ص ٩٩ ٠

(٣٦) المقريزي : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٥٦ ٠

(٣٧) البيذق : ص ٣٠ ـ ٣٢ ٠ وقد كان معظم هؤلاء من المصريين ، اذ كان منهم : السكندري ، والفسطاطي ، والقليوبي والدمياطي من الوجه البحري ، والاخميمي ، والاسناوي ، والقاوي ، والقنائي ، من الوجه القبلي ٠ كما كان من بينهم : اليمني والدمشقي ٠

(٣٨) أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزآن بمجلد واحد ، مطبعة وادي النيل بمصر سنة ١٢٨٧ هـ ـ ١٢٨٨ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ ٠ وابن عبد المؤمن هذا الذي ورد اسمه بالنص ، ربما كان أبا محمد عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي ، الخليفة الأول للموحدين الذي حكم من سنة ٥٢٤ هـ الى سنة ٥٥٨ هـ (١١٣٠ ـ ١١٦٣ م) أي كان معاصرا للصالح طلائع ٠

(٣٩) وهو ما سنلمسه بوضوح عند الحديث عن تلك الفترة في الفصل الثقافي :

(٤٠) المقريزي : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٩٣ • وقد استمر أبو الحجاج المغربي في هذا المنصب حتى وفاته في سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) راجع (المصدر نفسه والجزء ، ص ١١٩) • ومن الملاحظ أن وصف المقريزي له بانه كان « مغربي أندلسي » انما يدل على ان المصريين – حتى زمن المقريزي (ق ٩ هـ/١٥ م) – لم يكونوا يفرقون بين الوافدين الى مصر من ناحية الغرب ، بشكل عام • وهو أمر شاهدناه قبل ذلك عند ذكر حادثة اعتداء الأندلسي على قاضي القضاة الحسين ابن النعمان : أيام الحاكم بأمر الله • (راجع ما سبق ص ٢٣٦ و ٢٣٧ وهامش رقم ٢٩١) • وتبدو أهمية وجود أبي الحجاج هذا في منصب القضاء في مصر الفاطمية ، في أنها جاءت بعد فترة انقطاع ، لم يل خلالها أحد المغاربة ، من موالي الدولة ، هذا المنصب • وبالتحديد منذ أن عزل الحاكم قاضيه عبد العزيز النعمان ، باستثناء ولاية القاسم بن عبد العزيز بن النعمان أيام الظاهر والمستنصر ، كما سنبين فيما بعد •

(٤١) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ • ويوضح المقريزي موقع حارة المصامدة بانه كان على يسار الخارج من باب الحديد ، أي بعيدا عن حارات القاهرة المحيطة بالجامع الأزهر • وأرجع السبب في ذلك الى ارتفاع الكثافة السكانية في القاهرة آنذاك •

(٤٢) المصدر نفسه والصفحة •

(٤٣) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٦٣ ، المقريزي : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٩٧ – ٩٨ •

(٤٤) المقريزي : المصدر السابق والجزء ، ص ١١٠ • وقيل في ذلك ان المأمون فكر في أن يضع سما للخليفة الآمر ، كي ينقل الخلافة في غير عقبه ، وانه الحق الأذى ببعض خاصة الخليفة •

(٤٥) المقريزي : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١١٠ و ١١٥ • وراجع : د• المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٧٢ – ٢٧٥ •

(٤٦) تولى كتيفات الوزارة بعد ان نادى به الجنود الأرمن • وقد وصل به استبداده الى حد أنه قبض على الخليفة الحافظ وسجنه ، وأعلن الدعوة للامام

المنتظر ، وفقا لتعاليم مذهب الشيعه الاماميه • وأبطل الدعوه الاسماعيلية ، وكاد أن يقضى على الدولة ، لولا انه قتل • وأخرج الحافظ من معتقله وأعيد للخلافة ، عن ذلك أنظر : ابن خلدون : العبر (طبعة بولاق) ، جـ ٤ ، ص ٧٢ ، والمقريزى : اتعاظ : جـ ٣ ، ص ١٣٨ ـ ١٤٣ • وراجع : د• المناوى الوزارة والوزراء ، ص ٢٧٧ •

(٤٧) وزريانس بعد مقتل أحمد بن الأفضل • وكان مولى ارمينيا لباديس الصنهاجى ، أحد أفراد الأسرة الحاكمة فى افريقية ، وأهداه الى الأفضل بن بدر الجمالى • فترقى فى خدمته حتى ولى الوزارة • ثم ساءت علاقته بالحافظ الذى دبر عليه من قتله بالسم • ولما مات يانس لم يستوزر الحافظ أحدا حتى شهر جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ هـ (أبريل ١١٣٥ م) • عن ذلك انظر : ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٧٥ ـ ٧٦ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ ـ ١٤٦ • وراجع : د• المناوى : ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ •

(٤٨) وزر رضوان بن الولخشى بعد أن تغلب على بهرام الأرمنى • وكان أول وزير يحمل لقب ملك ضمن ألقابه التقليدية • وخلال الصراع الذى دار بينه وبين الخليفة الحافظ تمكن الأخير من تحريض ابن السلار وباقى القادة والجنود ضده • ففر رضوان الى عسقلان ، ثم عاد بعد ذلك وأثار القلاقل فى وجه الدولة الفاطمية حتى قتل فى شهر ذى القعدة سنة ٥٤٢ هـ (مارس / أبريل ١١٤٨ م) • عن ذلك انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠ ، والمقريزى اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ ـ ١٧١ •

(٤٩) تم تشر الروايات الى حدوث ضغائن بين بهرام الأرمنى وبين الخليفة الحافظ طوال وجوده بالوزارة • فقد عاب عليه المصريون أنه نصرانى ، وانه سمح لأبناء ملته بالظهور والانتشار على حساب المصريين • وكان ذلك سببا فى هياج العامة وقادة الدولة ضده • وتزعم رضوان بن الولخشى الثورة ضده وتمكن من طرده ، وتولى هو الوزارة بدله • عن ذلك انظر : ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، مجلد ١ جـ ٣ ، ص ٢٨ ـ ٣١ ، والمقريزى : اتعاظ جـ ٣ ، ص ١٥٥ ـ ١٦١ •

(٥٠) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٧٢ •

(٥١) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، حيث الاشارة الى قيام ابن شملة الكتامى بالقبض على أحد مثيرى الشغب فى منطقة القرافة بالفسطاط •

(٥٢) ابن الأثير : الكامل : جـ ١١ ص ٢٠ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ، وابن خلدون : جـ ٤ ، ص ٧٣ • وهو ـ كما يبدو ـ أحد أفراد أسرة محمود بن مصال اللكى ، الذى لمع أثناء حادثة انشقاق نزار بن المستنصر • ونلاحظ أنه بينما اتفقت المصادر السابقة على تسمية اللكى هذا بالأمير أبى الفضائل ابن مصال ، انفرد المقريزى (اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١٧٣) بذكر اسمه ولقبه كاملا بما يتفق واسم ولقب الوزير أبى الفتح نجم الدين سليم بن محمد بن مصال اللكى ، الذى عهد اليه الخليفة الحافظ بالوزارة بعد فتنة رضوان ، كما سنلاحظ فى السياق •

(٥٣) المصادر السابقة والأجزاء والصفحات •

(٥٤) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١٧٤ • ويشير د. المناوى (الوزارة ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١) الى أن وزارة ابن مصال اللكى هذه قد استمرت الى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) • ولم يكن ابن مصال فيها وزير سيف ، بل كان مجرد منفذ لتعليمات الخليفة الحافظ فى شئون الحكم • وذلك استنادا لقول ابن الأثير (الكامل : جـ ١١ ، ص ٢٠) وابن خلدون (جـ ٤ ، ص ٧٣) والمقريزى فى موضع آخر (المصدر نفسه والجزء ص ١٤٨) بأن الحافظ لم يستوزر أحد بعد رضوان •

(٥٥) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٨٦ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١٨١ •

(٥٦) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٨٦ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ •

(٥٧) عن ذلك انظر : العماد الأصفهانى : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الخاص بشعراء مصر ، فى جزئين ، نشر أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التاليف والنشر القاهرة ، ١٩٥١ ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، **والطنب : الحبال التى تشد بها الخيام ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل وأضيقه •**

(٥٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠ •

(٥٩) راجع فى ذلك : ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة : مجلد ٣ جـ ١ ، ص ٤٢ ، وابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٨٧ ، وابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٧٣ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ •

(٦٠) ابن ميسر : ص ٨٨ • وراجع أحداث هذه الثورة عند : المقريزى • اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٨٦ •

(٦١) د• المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨١ •

(٦٢) المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٤٢ •

(٦٣) المصدر نفسه والصفحة • وانظر كذلك ص ١٧٢ (المصدر نفسه) حيث الاشارة الى أن ابن اللبنى عمل ـ أثر صرفه عن هذا المذهب ـ فى الاشراف على قطاع الأحوال الشخصية أو ما عرف بعقود الأنكحة •

(٦٤) انظر عنه : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، نشر وتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، فى ستة أجزاء ، ط ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، ترجمة رقم ٦٨ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٧٢ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٧٠ ، والسيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٤٥٣ •

(٦٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٧٤ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٩٣ ، والخطط ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ •

(٦٦) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٨٩ • وانظر هناك التعريف اللطيف بابن مصال على انه نشأ عصاميا بسيطا ثم صار من كبار رجال الدولة ، تماما مثل الأمير محمود بن مصال رأس أسرة بنى مصال اللواتيين وقارن : المقريزى ، اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٩٨ • وراجع : د• المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ •

(٦٧) ابن الأثير : ج ١١ ، ص ٥٨ ، ابن ميسر : ص ٨٩ ، والمقريزى ، اتعاظ ج ٣ ، ص ١٩٦ •

(٦٨) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، أو حياة أسامة ، حرره فيليب حتى ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ١٩٣٠ ، ص ٧ • ويعد أسامة شاهد عيان على أحداث هذه الفترة ، اذ انه كان قريب الصلة من الخليفتين الحافظ والظافر • وقد أكد رواية أسامة جمع من المؤرخين ، منهم (ساويرس تاريخ

بطاركة الكنيسة ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ٤٣ ــ ٤٤ ، وابن ميسر : ص ٨٩ وابن خلدون : ج ٤ ، ص ٧٤ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧ وابن تغرى بردى : ج ٥ ، ص ٢٩٥) ٠ بينما صمت ابن الأثير (الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٧ ــ ٥٨) عن ذكر أية دور للخليفة الظافر فى هذا الصراع مكتفيا بالاشارة الى أن ابن السلار خالف ابن مصال « وصار وزيرا » ٠

ونلاحظ ان د٠ حسن ابراهيم حسن (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٨١ ــ ١٨٢ ، وتاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٢ ، ج ٤ ، ص ١٨٤) قد جعل الوزارة لابن السلار منذ البداية ، ويشير الى أن ابن مصال قد نازعه بتحريض من الخليفة الظافر ، وذلك فى قوله : « ٠٠ وابتدأ هذا الشاب الأرعن (يعنى الخليفة الظافر) حكمه بطرد الوزير ابن السلار ٠٠ وجعل فى الوزارة نجم الدين بن مصال الذى كان مكروها من الأهلين » ؟ الأمر الذى يخالف السياق العام للأحداث والاجماع سابق الذكر ٠

(٦٩) وفد عمارة اليمنى الى مصر فى شـــهر ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ (مايو ١١٥٥ م) برسالة من أمير الحرمين قاسم بن هاشم بن فليتة الى الخليفة الظافر ٠ وقدر له أن يشاهد ــ عن قرب ــ تصاعد الأحداث الى وقت سقوط الخلافة الفاطمية وقيام صلاح الدين فى الحكم ٠ وشارك أيضا الشيعة فى القيام بمحاولة ارجاع الدولة الفاطمية ثانية ٠ الا أن أمرهم افتضح وقبض عليه ضمن قادة التآمر واعدم ، وذلك فى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤/٧٣ م) كمـــا سنرى فى حينه ٠ وقد ترك عمارة مؤلفا هاما عن أحداث هذه الفترة بعنوان : النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ، حققه هرتويج درنبرج بمدينة شالون الفرنسية ، فى سنة ١٨٩٧ م ٠

(٧٠) ابن ميسر : ص ٨٩ ، ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٧٤ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٩٧ ، ابن تغرى بردى : ج ٥ ، ص ٢٩٥ ــ وقد أكدوا كلهم أن ابن مصـــــال قد سار الى طريق الصعيد ثم عبر النيل الى الجيزة ٠ بينما أشار أسامة (الاعتبار ، ص ٧ ــ ٨) الى أن ابن مصال سار الى أرض الحوف الشرقى ، التى تقابل اليوم أراضى القسم الشرقى للدلتا ٠ وان صدق ما قاله أسامة ، يكون دليلا على أن الوجود اللواتى ــ آنذاك ــ استمر مؤثرا فى معظم ديار مصر حتى الضفة الشرقية لنهر النيل ودلتاه ٠

(٧١) ابن ميسر : ص ٨٩ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ١٩٧ ٠

(٧٢) ابن الأثير : ج ١١ ، ص ٥٨ ، ابن ميسر ، ص ٨٩ ، ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٧٤ ، والمقريزى : المصدر السابق والصفحة ٠ وقصة وجود عباس الصنهاجى بمصر ترجع الى سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥ م) حينما تولى الامير على بن يحيى ابن تميم بن المعز حكم ولاية افريقية (٥٠٩ ـ ٥١٥ هـ /١١١٥ ـ ١١٢١ م) فقد أخرج هذا الأمير أخاه أبا الفتوح ـ والد عباس ـ من افريقية ٠ فسار الى مصر ومعه زوجته وابنة عمه بلارة ابنة القاسم بن تميم ، وولده عباس الذى كان طفلا رضيعا ٠ ونزل أبو الفتوح بمدينة الاسكندرية حيث أقام بها مدة يسيرة وتوفى ٠ ويبدو أن ظروف العيش ضاقت بعباس وأمه ، حتى اضطر الى تعلم حرفة الخياطة ، وصار خياطا حسنا ٠ ثم ما لبثت بلارة ـ أمه ـ أن تزوجت بابن السلار ، الذى ضم عباسا اليه وتعهده بالتربية ، وسعى فى توليته الغربية ، وقت ان كان ابن السلار واليا على البحيرة والاسكندرية ٠ وبهذا صار عباس من أكبر أعوان ابن السلار أثناء صراعه مع الوزير ابن مصال ٠ عن ذلك انظر : (ابن الأثير : ج ١١ ، ص ٥٨ ، ٧٥ ، ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، ابن خلدون : ج ٤ ،ص ٧٤ ، ابن تغرى بردى : ج ٥ ، ص ٢٩٦) ٠

(٧٣) أسامة : الاعتبار ص ٨ ، ساويرس : مجلد ٣ ج ١ ، ص ٤٤ ، ابن ميسر : ص ٨٩ ـ ٩٠ ، ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٧٤ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ، ابن تغرى بردى : ج ٥ ، ص ٢٩٨ ٠

(٧٤) أسامة : ص ١٨ ـ ١٩ ، ابن الأثير : ج ١١ ، ص ٧٥ ، ابن ميسر : ص ٩٢ ، ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ٠ ويلاحظ اجماع الروايات السابقة على اتهام أسامة بن منقذ بالتواطؤ مع عباس فى مؤامرة قتل ابن السلار ٠ بينما فند د٠ حسن عبد العال (أسامة بن منقذ ، حياته وآثاره ، فى جزئين ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ج ١ ، ص ١٠٥) هذا الزعم ، وأكد من ناحية أخرى أن عباسا تصرف فى هذا الأمر بوازع من الخليفة الظافر ٠ ونحن نميل الى هذا الرأى ٠

(٧٥) أسامة : ص ١٩ ـ ٢٠ ، ساويرس : مجلد ٣ ج ١ ، ص ٤٤ ـ ٤٦ ، ابن الأثير : ج ١١ ، ص ٧٨ ، ابن ميسر : ص ٩٢ ـ ٩٣ ، ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٧٥ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ و ٢١٣ ـ ٢١٥ ، وابن تغرى بردى : ج ٥ ، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ٠

(٧٦) المصادر السابقة والصفحات .

(٧٧) د. سهام أبو زيد : الدعوة الاسماعيلية ومدى نجاحها في مصر ، رسالة دكتوراة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٧ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ . حيث الاشارة الى أن اهتمام الوزير عباس « بعمل دعوة سنية » كان السبب في انقلاب الخليفة الظافر عليه ومحاولته قتله .

(٧٨) وقد أشار أسامة (الاعتبار ، ص ١٩ - ٢٠) الى أنه كان مقيما عند نصر بن عباس ساعة قدوم رسول الخليفة الظافر ومكاشفته له في أمر التخلص من أبيه .

(٧٩) أسامة : ص ٢٢ ، ابن الأثير : ج ١١ ، ص ٧٨ ، ابن ميسر : ص ٩٣ - ٩٤ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ، وابن تغرى بردى : ج ٥ ، ص ٢٩٢ .

(٨٠) وهو من نسل أسرة بنى الجليس التى نفاها الأفضل بن بدر الجمالى الى المغرب . ثم عاد الى مصر وجالس الخليفة الظافر . وتوفى سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) . عنه انظر : العماد الأصفهانى : خريدة القصر ، ج ١ ، ص ١٨٩ - ١٩٠ ، وابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، (تحقيق د. حسين نصار) ، ص ٢٥٤ و ٢٥٧ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٣٢٩ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، ص ٥ ، ص ٢٩٢ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٦٣ .

(٨١) انظر هذه القصيدة وغيرهـا ، عند : العماد : الخريدة ، ج ١ ، ص ١٩٠ - ١٩١ ، وابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٨٢) أسامة : ص ٢٣ .

(٨٣) نفسه : ص ٢٤ - ٢٥ .

(٨٤) نفسه : ص ٢٥ - ٢٧ ، ابن الأثير : ج ١١ ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ابن ميسر : ص ٩٣ - ٩٤ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ وص ٢٢٠ والخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ، وابن تغرى بردى : ج ٥ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ . أما نصر بن عباس فقد أرسـل الى القاهرة حبيسـا في قفص حديد حيث قتل وصلب على باب زويلة ، ثم أحرقت جثته .

(٨٥) المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ـ ٢ ٨ ٠

(٨٦) المقريزى : الخطط ، ح ٢ ، ص ٣٠٧ ٠ ويلاحظ أن وصف المقريزى لابن رزيك بأنه « أنشأ فى وزارته أمراء ٠٠ » يدل على أنه استجلبهم حديثا من موطنهم ببرقة لينضموا الى اخوانهم القدامى أساس فرقة البرقية القديمة . اذ من المعروف أن فرقة البرقية بصفة عامة قديمة قدم الوجود الفاطمى فى مصر ٠ أما عن قائمة الضحايا الذين قتلهم ابن رزيك من باقى قادة الدولة ، فكان منهم : تاج الملوك قايماز ، وفتوح الأخرس ، وابن غالب ، والأوحد بن تميم ٠ عنهم انظر : اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٢١ ٠

(٨٧) ابن ميسر : ص ٩٧ ، المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ ٠

(٨٨) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٦ و ٢٣٨ ٠ حيث الاشارة الى أن طرخان « جمع العربان وغيرهم وخلع طاعة الصالح » ٠ فاما أن يكون اللواتيون قد اندرجوا تحت كلمة العربان ، على عادة المقريزى فى اطلاق هذه الكلمة على عامة السكان المنتشرين فى اقليم البحيرة وما جاورها أو كانوا هم الذين عناهم بكلمة « وغيرهم » وراجع : د٠ سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ٠

(٨٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٠٣ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ٠

(٩٠) المقريزى : المصدر والجزء ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨ ٠

(٩١) عنهم انظر : عمارة اليمنى : النكت العصرية ، حيث تحدث عنهم فى أكثر من موضع وسرد مواقف شخصية حدثت له مع بعضهم ، وذلك فى صفحات ٣٥ و ٦٦ و ٧٤ و ١٤٠ ـ ١٤٢ و ١٤٤ ـ ١٤٦ ٠ وراجع : المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ و ٢٦٠ هامش رقم (٣) للمحقق والخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ٠ وانظر عن معنى الجلواز : د٠ الطاهر أحمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٥٢٣ (مادة جلوز) ٠

(٩٢) المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ والأمير شاور عربى من نسل ابى ذؤيب عبد الله والد السيدة حليمة السعدية مرضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جزء ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٩ ، ترجمة رقم (٢٦٩) ٠ وهو بذلك أول وزير عربى العرق ، قدر له ان يلى

الوزارة الفاطمية من وزراء السيوف ، حسبما لاحظ د· الماوى (الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٨) ·

(٩٣) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٥٨ · وقد ورد وصف هذه المغامرة بايجاز شديد عند : عمارة : النكت ، ص ٦٧ ــ ٦٨ ، وابن خلكان : وفيات ، الترجمة السابقة ·

(٩٤) وقد لاحظنا من قبل ان معالم التدهور قد تفشت فى منطقة الواحات ، سواء فى نظم الحكم أم فى الاقتصاد ، فى فترة معاصرة للفتح الفاطمى لمصر ، نتيجة للمتاعب التى عانتها المنطقة قبل ذلك (انظر ما سبق ، ص ٢٢٩ وهامش رقم ٢٧٢) وتأكد هذا الاضمحلال في حكم الأسرات اللواتية في الواحات في الفترة السابقة على أحداث الشدة العظمى وخلالها (انظر أيضا ما سبق ص ٣٠٨ هوامش ٧ و ٨ و ٩) ·

(٩٥) وذلك وفقا لنظام التبعية المباشرة لحكومة القاهرة الفاطمية الذى وجدنا ان بدر الجمالى قد فرضه على منطقة الواحات · (انظر ما سبق صفحة ٣٠٨ ــ ٣٠٩ · وهامش رقم ١٠) ·

(٩٦) عمارة : النكت ، ص ٧٨ · وانظر فى ذلك المقريزى (الخطط ، جـ ١ ص ٤٢٣) حيث الحديث عن كورة بنى نصر التى كانت تشغل الأراضى الممتدة الى الشرق والغرب من القسم الشمالى لفرع رشيد فى الدلتا وأرض البحيرة وكذا الجزيرة التى كانت بوسط مجرى هذا الفرع ، المعروفة كذلك بجزيرة بنى نصر نسبه الى عرب بنى نصر من فروع قيس · وهم الذين أضيروا من اغارات اللواتيين على اراضيهم خلال سنوات الشدة العظمى ، كما سنبين فى الفصل الاجتماعى · وعن عرب قيس واستقرارهم ابان الفتح الإسلامى لمصر فى أرض الحوض الشرقى ، انظر : (د· عبد الله خورشيد البرى القبائل العربية فى مصر ، ص ١٠٠ ــ ١١٢) ·

(٩٧) عمارة : ص ٧٨ ·

(٩٨) وراجع أيضا : عمارة : ص ٧٣ حيث الاشارة الى أن اخوة الوزير رزيك واقاربه اضطروا لخوض الحرب بأنفسهم ضد شاور ·

(٩٩) وهى وظيفة هامة تلى الوزارة مباشرة ، حتى عرفت بالوزارة الصغرى ، عن مهام صاحب الباب ، انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ صفحة ٤٨٣ · وانظر محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات القلقشندى ص ٢١٢ و ٣٦٠ ·

(١٠٠) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(١٠١) أبو شامة : كتاب الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٦٥ ، والمقريزى : الخطط صفحه ٦٣٤ .

(١٠٢) عمارة : ص ٦٦ - ٧٧ .

(١٠٣) وقد سبقت الاشارة الى أن ضرغام كان عربيا من قبيلة لخم ، وان تزعمه لطائفة البرقية كان بقرار من الصالح طلائع بن رزيك (انظر ما سبق ص ٣٣٣ هامش ٨٦) .

(١٠٤) عمارة : ص ٦٨ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٠ .

(١٠٥) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة ، مجلد ٢ جـ ١ ، ص ٥٠ - ٥١ ، ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة ، ص ٩٣ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٦١ .

(١٠٦) يشير عمارة (ص ١٤٠) والمقريزى (اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ ، والخطط جزء ٢ ، ص ٣٠٧ الى أن الأمير الظهير عز الدين مرتفع المعروف بالجلواص أو الجلواز بمعنى الشرطى قد تولى نيابة الاسكندرية وانه ثار فيها على ضرغام طلبا للوزارة . وان ضرغام سير اليه جيشا بقيادة اخيه ملهم الذى لم يتمكن من الانتصار عليه الا بمساعدة عرب بنى سنبس المقيمين بالمدينة . وعاد به أسيرا الى القاهرة حيث ضربت عنقه وصلب على باب زويلة .

(١٠٧) عمارة : ص ٧٤ ، أبو شامة : جـ ١ ، ص ١٦٥ ، المقريزى : اتعاظ جزء ٣ ، ص ٢٦٤ ، والخطط ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ وصفحة ٣٠٧ .

(١٠٨) بو شامة : جـ ١ ، ص ١٦٥ .

(١٠٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ .

(١١٠) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ ، ساويرس : تاريخ البطاركة ، مجلد ٣ جـ ١ ، ص ٥١ - ٥٢ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ - ٢٧١ ، والخطط ، جـ ١ صفحة ٦٣٤ - ٦٢٥ .

(١١١) المصادر السابقة والصفحات .

(١١٢) عمارة : النكت ، ص ٧٨ و ٨٨ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، صفحة ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ٠

(١١٣) عن ذلك راجع : ابو شامة : كتاب الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ وجمال الدين بن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ صفحات ٢٧٣ ـ ٢٧٥ و ٢٨٢ ـ ٢٨٥ و ٢٩٤ ـ ٣٠١ والخطط : جـ ١ ، ص ٣٢٦ ٠

(١١٤) عمارة : ص ٧٨ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٩ و ٢٩٠ ٠

(١١٥) عمارة : ص ٧٨ ٠

(١١٦) المصدر نفسه والصفحة ٠

(١١٧) أبو شامة : جـ ١ ، ص ١٦٨ ، المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، صفحة ٢٨٣ ٠ وسيرد توا تعريف بالفقيه ابن عوف ، الذى ورد اسمه بالنص ٠

(١١٨) والفقيه ابن عوف هذا هو أبو طاهر اسماعيل بن مكى بن اسماعيل ابن عوف ، الزهرى ، الاسكندرى ٠ ينتهى نسبه الى عبد الرحمن بن عوف الصحابى الجليل ، شيخ المالكية فى مدينة الاسكندرية طوال القرن السادس الهجرى (١٢ م) دون منازع ٠ فقد ولد فى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) وتوفى سنه ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) عن ست وتسعين سنة ٠ وكان ابن عوف ربيبا للشيخ الطرطوشى ، اذ قيل ان خالته كانت زوجة الطرطوشى ٠ فنشأ ابن عوف فى كنف الشيخ وتفقه عليه ٠ وكان ابن عوف أستاذا للعديد من المغاربة والأندلسيين عن ذلك انظر : ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، صفحات متفرقة من الجزء الثانى ٠ وراجع : ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، وبهامشه كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ص ٩٥ ـ ٩٦ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ، ص ١٠٠ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، صفحة ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ٠ وراجع الفصل الخاص بابن عوف عند : د٠ جمال الدين الشيال : اعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ، ص ١١٢ ـ ١٢٥ ٠

(١١٩) عن الفقيه ابن جارة ودوره فى أحداث هذه الثورة ، أنظر : المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ولاحظ ان السيوطى (حسن المحاضرة ، جـ ١ ،

ص ٤٥٣) • يسميه : أبا القاسم بن مخلوف المغربى ثم الاسكندرى على سبيل الاختصار ودون تحديد لأى بلاد المغرب تسب الشيخ • كما انه أخطأ في ذكر تاريخ وفاته ، فجعله فى سنة ٥١٣ هـ (٣٨ / ١١٣٩ م) • ولقد لوحظ هذا الخطأ بالرجوع الى ابن الأبار (التكملة ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ ترجمة رقم ١٣٧٤ ، وصفحة ٥٥٢ ترجمة رقم ١٤٩٤ ، وص ٦٢٤ ترجمة رقم ١٦٣٢) حيث الاشارة الى أن أبا القاسم بن جارة درس بمدينة الاسكندرية لأبى عبد الله محمد بن خلف السجلماسى فى سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) ، ولكل من أبى عبد الله محمد بن أحمد البلنسى وأبى عبد الله محمد بن على الأندى من عمل بلنسية بالأندلس فى شهر ذى القعدة من سنة ٥٧٢ هـ (مايو ١١٧٧ م) وخلال سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٧ م) •

(١٢٠) عن تلاميذ هذا العالم الجليل من المغاربة والأندلسيين ، ومعاصريه من علماء المالكية بالاسكندرية انظر فيما بعد فى الفصل الثقافى •

(١٢١) أبو شامة : كتاب الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٦٨ ، والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٨٣ • أما عن أسباب اختفاء نجم الدين فى مدينة الاسكندرية فربما كانت ترجع الى أيام المحنة التى تعرض لهـا والده على يد ابن السلار (شعبان سنة ٥٤٤ هـ / ديسمبر ١١٤٩ م) • أو الى أيام المحنة التى تعرض لها الأمراء البرقية على يد ضرغام (ربيع الأول سنة ٥٥٩ هـ / فبراير ١١٦٤ م) وترجح أن المرة الثانية هى التى اضطر على أثرها نجم الدين بن مصـال هذا للفرار من القاهرة والاختفاء فى الاسكندرية وذلك لأنه من غير المعقول ان يطول استتاره بالمدينة قرابة العشرين عاما منذ محنة والده ، بغير مشاركة منه فى الأحداث التى توالت بعد ذلك خاصة عندما سعى ضرغام فى الانتقام من زملائه البرقية • ثم أن الخليفة الظافر ـ الذى مال لوالده أثناء صراعه مع ابن السلار ـ لا ريب انه كان سببا فى حماية الابن ضد محاولات ابن السلار للانتقام منه • ثم جاء الصالح طلائع بن رزيك وأبدى اهتماما بطائفة البرقية فكان نجم الدين هذا من هؤلاء الأمراء الذين اشتهروا خلال وزارته ووزارة ابنه رزيك ، حتى كانت محنة البرقية على يد ضرغام •

(١٢٢) هو القاضى الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الجباب ، التميمى السعدى ، الأغلبى ، ولد سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) وتوفى سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٦/٩٥ م) واستمر قاضيا على مدينة الاسكندرية مدة ٢٨ سنة حتى أدركته الوفاة وهو قاض • عنه انظر : المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول من القسم الأول ص ١٣٩ وعن دوره

فى أحداث الاسكندرية ضد شاور ، انظر المقريزى اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ والخطط ، ج ١ صفحة ٣٢٦ ٠

(١٢٣) أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، المقريزى : اتعاظ ج ٣ ، ص ٢٨٤ ٠ وقد طرحنا جانبا تصوير المقريزى للطريقة التى كان شيركوه يحصل بها على المؤن والامدادات من الأراضى التى سلكها حتى وصل الاسكندرية ، اذ يقول « ثم ان شيركوه سار باصحابه على طريق الفيوم الى الاسكندرية وانتهب البحيرة ، وأخذ عسكره غلالها ومواشيها » ٠ وذلك لأن الموقف بالنسبة لشيركوه لم يكن يتطلب كسب عداء سكان النواحى التى هو وجنوده بمثابة أقلية غريبة فيها ، اذ كان فى تعنت شاور والصليبيين الكفاية ٠ ثم ان هؤلاء السكان ، ومنهم اللواتيون وعرب قيس وغيرهم ، لم يكونوا ليسمحوا لشيركوه ولا لجنوده بالحصول على متطلباتهم بالعنف ٠

(١٢٤) المصدران السابقان والصفحات ٠

(١٢٥) أبو شامة : المصدر نفسه والصفحة ٠ حيث يشير الى المتاعب التى عاناها أهل الاسكندرية ومقتل العديد منهم دفاعا عن صلاح الدين والقوة التى معه ، والتى كانت الى جانب ضآلة عددها ، تحوى العديد « ممن به مرض ، أو جراح أو ضعف » ٠

(١٢٦) سترد تفاصيل ذلك عند الحديث عنهم فى العصر الأيوبى ٠

(١٢٧) د٠ سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ٢٠٠ ٠

(١٢٨) أبو شامة : ج ١ ، ص ٩٦٩ ، والمقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ ، والخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ٠ وقد أدرك ابن مصال هذا مجدا كبيرا فى مصر أوائل أيام الأيوبيين ، خاصة فى أحداث الفتنة الكبرى ٠ واستمر على ذلك حتى وفاته فى شهر جمادى الأولى سنة ٥٧٤ هـ (أكتوبر ١١٧٨ م) ٠ فحزن عليه صلاح كثيرا ورثاه بقوله : « لا يخلف الدهر لى صديقا مثله بعده » وأجرى ما كان له جميعه لولده وحفظ عهده ٠ راجع : (أبو شامة : المصدر السابق ، الجزء الثانى ، ص ٥) ٠

(١٢٩) المقريزى : اتعاظ ، ج ٣ ، ص ٢٨٥ — ٢٩٦ ، والخطط ، جزء ١ صفحة ٣٢٦ ٠

(١٣٠) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٢٩١ ـ ٣٠٢ · حيث استعراض عام لتفاصيل الوقائع الحربية التى دارت بين جيشى شيركوه وحلف الصليبيين وشاور ، وتخللها اقدام شاور على حريق الفسطاط فى شهر صفر من تلك السنة (نوفمبر ١١٦٨ م) · ثم تتابع السرد حتى مقتل شاور واستيزار شيركوه ·

(١٣١) المصدر نفسه الجزء ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٨ ·

(١٣٢) ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة (تحقيق د· حسين نصار) صفحة ١٨٤ والمقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٣١١ ـ ٣١٣ · وقد حدثت هذه الفتنة التى عرفت بوقعة العبيد فى سنة ٥٦٤ هـ (٦٨ / ١١٦٩ م) ·

(١٣٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٧ وراجع : د· لقبال : دور قبيلة كتامة ، ص ٥٣١ ـ ٥٣٢ ·

(١٣٤) د· لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٣٥ وهامش رقم (٥) بالصفحة ذاتها ·

(١٣٥) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ·

(١٣٦) هو العالم المقرىء الحافظ النسابة أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم ابن عبد الله بن اليسع الغافقى ، الأندلسى الجيانى · سكن الاسكندرية مدة واقرأ بها ، ثم رحل الى الفسطاط أثناء وزارة صلاح الدين على ما يبدو · وقد حظى باكرام صلاح الدين أيام وزارته ثم أيام سلطنته · وكان الى جانب اتقانه لعلوم القرآن ، فقيها مشاورا ، محدثا نسابة وله مؤلف فى تاريخ المغرب لم يصلنا ، واستمر مقيما بالفسطاط حتى توفى فى شهر رجب من سنة ٥٧٥ هـ (ديسمبر ١١٧٩ م) عنه انظر : السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٩٦ وستلى اشارة عنه فى الفصل الثقافى ·

(١٣٧) المقريزى : اتعاظ ، جـ ٣ ، ص ٣٢٣ ·

(١٣٨) يشير المقريزى (المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧) وابن تغرى بردى (النجوم ، جـ ٥ صفحة ٣٥٥ ـ ٣٥٦) الى أن الخطيب الذى تولى ذلك رسميا انما هو رجل أعجمى عرف بالأمير العالم ، وقيل انه كان شريفا عباسيا ·

(١٣٩) د· سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ٢٣٧ ·

(١٤٠) راجع تفاصيل هذه المؤامرة التى كان ضمن قادتها ، الى جانب الجليس ابن عبد القوى : عمارة اليمنى ، والقاضى المفضل بن كامل ، والعوريس متولى النظر ، وعبد الصمد الكاتب • عند : (ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ، ص ١٦١ — ١٦٢ ، وابو شامة : كتاب الروضتين ، جـ ١ صفحة ٢٢٠ وابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ص ٨٠ — ٨١) مع ملاحظة ان ابن مصال — الذى قيل عنه انه شارك ، ضمن جماعة آخرين ، فى كشف سر المؤامرة واطلاع صلاح الدين على تفاصيلها — هو ذاته الذى كان حاكما على مدينة الاسكندرية وقت وجود صلاح الدين بها ، وقام بجهد لا بأس به فى مقاومة حصار شاور والصليبيين للمدينة •

فهرست عام للجزء الأول من كتاب :

المغاربة والأندلسيون فى مصر الاسلامية
من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى
(٢١ — ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ — ١١٧١ م)

الجزء الأول : الدراسة السياسية

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
ـ المقدمة	٧ — ٣٤
ـ المدخل	٣٥ — ٥٨
القسم الأول : الدراسة السياسية	٥٩ — ٣٧١
ـ الباب الأول :	
من عصر الولاة حتى نهاية الحكم الاخشيدى	٦١ — ١٥٢
الفصل الأول :	
فى عصر الولاة	٦٣ — ١٠٠
الفصل الثانى :	
فى عصر الدولتين الطولونية والاخشيدية	١٠١ — ١٥٢

الموضوع	الصفحة
ـ الباب الثانى	
فى العصر الفاطمى	١٥٣ ـــ ٣٧١
الفصل الثالث :	
فى العصر الفاطمي الأول	١٥٥ ـــ ٣٠٢
الفصل الرابع :	
فى العصر الفاطمى الثانى	٣٠٣ ـــ ٣٧١
ـ الفهرست	٣٧٢ ـــ ـــ

فهرست تحليلى لأبواب وفصول الدراسة

الجزء الأول الدراسة السياسية

المغاربة والأندلسيون فى مصر الاسلامية
(من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى)
(٢١ ــ ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ ــ ١١٧١ م)

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة
ــ **المقدمة** : اهمية الموضوع مع عرض وتحليل لمصادر البحث ومراجعه	٧ ــ ٣٢
ــ الهوامش	٣٣ ــ ٣٤
ــ **المدخل** :	
ــ الوجود المغربى فى مصر واسبابه : .	٣٥ ــ ٥٢
ــ **اولا** : التعريف بالمغرب (اقسامه وسكانه)	٣٧
ــ **ثانيا** : ماهية الوجود المغربى فى مصر	٤٢
ــ **ثالثا** : اسباب الوجود المغربى فى مصر	٤٥
ــ **رابعا** : تاريخ الوجود المغربى فى مصر : ــ قبل الفتح الاسلامى مراحله الزمنية	٤٩
ــ الهوامش	٥٣ ــ ٥٨

الموضوع	الصفحة

— الباب الأول :

المغاربة والأندلسيون فى مصر (من عصـــر الولاة حتى نهـــاية الحكم الاخشيدى) . . . . ٦١ — ١٥٢

الفصل الأول :

فى عصر الولاة : . . . . ٦٣ — ١٠٠

— تمهيد ٦٥

— المغاربة المنتشرون فى صحراء مصـــر الغربية : . . . . ٦٦ — ٧٤

١ — أيام الفتـــح ونزوعهم نحـــو الاستقلال ٦٦

٢ — الفكر الخارجى فى مصر ورسوخه بينهم ٦٨

— المغاربة الوافدون : . . . . . ٧٤ — ٨٨

١ — مراســـلة ابى الخطاب الاباضى للقاضى غوث ٧٥

٢ — مراســـلة الامام عبد الوهاب الرستمى لشعيب المصـــرى . ٧٥

٣ — رسالة الامام ادريس الأول الى المصريين ٧٧

٤ — غزاة البحر الأندلســـيون فى الاسكندرية ٧٧

الموضوع	الصفحة
٥ ـ اثر قيام دولة الأغالبة بافريقية على الوافدين الى مصر .	٨٦
ـ فى البحيرة	٨٨
ـ الهوامش	٩٠ ـ ١٠٠
الفصل الثانى :	
فى عصر الدولتين الطولونية والاخشيدية	١٠١ ـ ١٥٢
ـ **اولا** : خلال حكم الطولونيين : . . .	١٠٣ ـ ١١٠
١ ـ أيام احمد بن طولون . . .	١٠٣
٢ ـ فى عهد خلفائه	١٠٧
ـ **ثانيا** : من الطولونيين الى الاخشيديين :	١١٠ ـ ١٢٣
١ ـ حملات الفاطميين على مصر .	١١٠
٢ ـ تدهور احوال مصر ودور حبشى ابن احمد ورفاقه المغاربة . .	١١٩
ـ **ثالثا** : خلال حكم الاخشيديين	١٢٤ ـ ١٣٩
١ ـ أيام محمد بن طغج الاخشيد	١٢٤
٢ ـ فى عهد خلفائه	١٣٢
ـ الهوامش	١٤٠ ـ ١٥٢

الباب الثانى :

في العصر الفاطمى . . . . ١٥٣ — ٣٧١

الفصل الثالث :

المغاربة والأندلسيون فى مصر فى العصر
الفاطمى الأول . . . . ١٥٥ — ٣٠٢

— تمهيد ١٥٧

(أ) المغاربة من موالى الدولة : . ١٥٨ — ٢٢٦

— فى أعقاب الفتح الفاطمى وعصر
المعز لدين الله ١٥٨

— ايام العزيز بالله ١٦٩

— ايام الحاكم بأمر الله ١٨٢

— ايام الظاهر لاعزاز دين الله . . ٢١٦

(ب) المغاربة المستقرون فى نواحى
غرب مصر . . . . . . ٢٢٦ — ٢٣٢

(ﺣ) المغاربة والأندلسيون الوافدون ٢٣٣ — ٢٤٥

(د) المغاربة والأندلسيون فى النصف
الأول من خلافة المستنصر بالله ٢٤٦ — ٢٦٥

— اوائل خلافة المستنصر ووزارة
الجرجرائى ٢٤٦

— من وفاة الجرجرائى الى وزارة
اليازورى ٢٤٧

— اثناء وزارة اليازورى ٢٤٩
— أثناء الشدة العظمى ٢٥٤
— الهوامش . . . . ٢٦٦ — ٣٠٢

الفصل الرابع :

المغاربة والأندلسيون فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى . . . . ٣٠٣ — ٣٧٦

(أ) فى النصف الثانى من خلافة المستنصر بالله ووزارة بدر الجمالى ٣٠٥

(ب) أيام الخليفة المستعلى بالله ووزيره الأفضل ٣١٠

(حـ) أيام الخليفة الآمر ووزرائه ٣١٦

(د) أيام الخليفة الحافظ ووزرائه . . . ٣٢٠

(هـ) الفترة الأخيرة من عمر الخلافة الفاطمية ٣٢٦

(و) سقوط الخلافة الفاطمية وردود الفعل المغربية ٣٤٨

— الهوامش . . . . ٣٥٣ — ٣٧١

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.

٢ ـ على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٧)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٢ - نظرات في تاريخ مصر،
جمال بدوي، ١٩٨٨
٢٣ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني
جـ٢ ، إمام التصوف في مصر: الشعراني ،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .
٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩ .
٢٥ - المجتمع الإسلامي والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى،
١٩٨٩ .
٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل علي، ١٩٨٩ .
٢٧ - فتح العرب لمصر جـ١ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .
٢٨ - فتح العرب لمصر جـ٢ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .
٢٩ - مصر في عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩ .
٣٠ - الموظفون في مصر في عهد محمد علي ،
د . حلمي أحمد شلبي، ١٩٨٩ .
٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية
. شكري القاضي، ١٩٨٩ .
٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٢
لمعي المطيعي، ١٩٨٩ .
٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقي: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومي، ١٩٨٩ .
٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .
٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبدالحميد توفيق زكي، ١٩٩٠ .
٣٦ - المجتمع الإسلامي والغرب جـ ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .
٣٧ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠ .
٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني ،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .
٣٩ - قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠ .
٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د . عبدالمنعم الدسوقي الجميعي، ١٩٩٠ .
٤١ - محمد فريد: الموقف والمأساة- رؤية عصرية ،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .
٤٢ - تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠ .
٤٣ - رحلة في عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠ .
٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني ،
د . محمد عفيفي، ١٩٩١ .
٤٥ - الحروب الصليبية جـ ١ ،
تأليف : وليم الصوري، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشي، ١٩٩١ .
٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة: د . عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١ .

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصري الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .

٤٨ ـ الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .

٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩)،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦-١٩٥٤)،
د . سهير إسكندر، ١٩٩٣ .

٥١ ـ تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، في إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٢ ـ مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على ذهني، ١٩٩٢ .

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢

٥٤ ـ الأقباط في مصر في العصر العثماني،
د . محمد عفيفي، ١٩٩٢ .

٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢،
تأليف : وليم الصوري، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشي، ١٩٩٢ .

٥٦ ـ المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٢

٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٣ .

٥٨ ـ أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة،
د . إبراهيم عبدالله المسلمي، ١٩٩٣ .

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية في مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .

٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٣ .

٦١ ـ تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،
لمعي المطيعي، ١٩٩٣ .

٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .

٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .

٦٦ ـ المرأة في مصر في العصر الفاطمي،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .

٦٧ ـ مساعي السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، في إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣،
تأليف : وليم الصوري
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشي، ١٩٩٣

٦٩ ـ نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف: أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤.
٧١ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ـ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
٧٢ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨ـ٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.
٧٣ـ تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.
٧٤ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.
٧٥ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د. سلام شافعى محمود، ١٩٩٥.
٧٦ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.
٧٧ـ الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف: وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٤.
٧٨ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ـ١٨٩٩)،
نسمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.
٧٩ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دى يونج، ترجمة: عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥.
٨٠ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ـ١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.
٨١ـ تاريخ الصحافة والسياسة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزى ميخائيل، ١٩٩٥.
٨٢ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.
٨٣ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.
٨٤ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.
٨٥ـ تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ـ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥.
٨٦ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ـ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥.
٨٧ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ـ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٥.
٨٨ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥.
٨٩ـ تاريخ المواني المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.
٩٠ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.
٩١ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.
٩٢ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ـ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ ـ قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومي عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني ـ الروماني) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحي، أ. د. فاروق القاضي، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافي، اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره
د. علي بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية في مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧.
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو، ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومي اسماعيل الشربيني.

١١١ ـ مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢
د. البيومي إسماعيل الشربيني.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقي
د. محمد محمد الجوادي.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي
تأليف أحمد رشدي صالح

١١٥ ـ مذكراتي في نصف قرن جـ ٣.
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء في مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرازق ابراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية في مصر والشام
د. البيومي اسماعيل الشربيني
١١٩ ـ النقابات في مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصري الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوي
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوي
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم .
١٢٨ ـ معارك صحفية،
بقلم/ جمال بدوي.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره في تطور الذهن المصري) (١٨٧٦-١٩٤٣).
د. وجدي محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ المسابقات الغنائية في مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢م.
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمرو.
١٣٢ ـ دار المندوب السامي في مصر جـ١
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٣ ـ دار المندوب السامي في مصر جـ٢.
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني للدارندلي.
بقلم/ عزت حسن أفندي الدارندلي
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغني.
١٣٥ ـ اليهود في مصر المملوكية
(في ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي
د. محمد عبد الغني الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ / ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.
طارق عبد العاطي غنيم بيومي
١٤١ ـ وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك.
لطفي أحمد نصار
١٤٢ ـ مذكراتي في نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق . م
د. منيرة محمد الهمشري

١٤٤ ـ كشوف مصر الأفريقية في عهد الخديوي اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف

١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشري

١٤٦ ـ المرأة في مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق

١٤٧ ـ حسن البنا متى.. كيف .. ولماذا؟
د. رفعت السعيد

١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزي
ترجمة / نسيم مجلي

١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية
في القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطي

١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال

١٥١ ـ جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة
السيد يوسف

١٥٢ـ الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية
(٦٤٨ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ـ ١٥١٧م)
د. محاسن محمد الوقاد

١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزوري

١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزوري

١٥٥ـ عصر محمد علي ونهضة مصر في القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق

١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
في العصر الإسلامي
د. سمير يحيى الجمال

١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
في العصر الإسلامي والحديث
د. سمير يحيى الجمال

١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية في مصر
(٦٤٨ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغني الأشقر

١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش

١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثاني
د. محمد فريد حشيش

١٦١ـ السيف والنار في السودان
تأليف / سلاطين باشا

١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام

١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوي

١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان

١٦٥ـ التعليم والتغير الاجتماعي في مصر
(في القرن التاسع عشر)
سامي سليمان محمد السهم

١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسي (صفحة من تاريخ مصر)
السيد يوسف

١٦٧ ـ الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. سامي علي محمد عبدالله

١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسري عبد الغني

١٦٩ـ مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفي علي محمد عبد الله

١٧٠ـ القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدي عبد الرشيد بحر

١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية في مصر القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت

١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الثاني
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق م
د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره في الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل

١٧٦ ـ الملاحة النيلية في مصر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان

١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم

١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر
د. سحر علي حنفي

١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٢٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد

١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان

١٨١ ـ الحروب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشي

١٨٢ ـ الحروب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشي

١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفي جمعة

١٨٤ ـ المنوفية في القرن الثامن عشر
يامي عبد المنعم محاريق

١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري
د. أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٦ ـ العقائد الدينية في مصر الاسلامية (بين الاسلام والتصوف)
د. أحمد صبحي منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ١
د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ٢
د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م
عرفه عبده علي

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق ١٩٥١ ـ ١٩٦٣ م .
د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي .

١٩١ ـ اليهود في مصر العثمانية حتى اوائل القرن التاسع عشر جـ ١
د. محسن علي شومان

١٩٢ ـ اليهود في مصر العثمانية حتى اوائل القرن التاسع عشر جـ ٢
د. محسن علي شومان

١٩٣ ـ الامام محمد عبده (بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي) .
د. عبد الله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الالات الموسيقية الشعبية المصرية
د. فتحي الصنفاوي

١٩٥ ـ مجتمع افريقيا في عصر الولاة
د. نريمان عبد الكريم احمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الري في مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبد العظيم محمد سعودي

١٩٧ ـ القدس الخالدة
د. عبد الحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الايوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية .
د. عادل عبد الحافظ حمزه

١٩٩ ـ المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية
د. بهاء الدين ابراهيم

٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور
(اعمال الندوة التي اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة ، بالاشتراك مع كلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية من ٢٢ ـ ٢٣ ابريل ١٩٩٨) .
اعداد / د. عبد العظيم

٢٠١ ـ امـارة الحـج فى مصر العثمانيـة
(٩٢٣ ـ ١٢١٣ هـ/١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م)
سميرة فهمى على عمر

٢٠٢ ـ المندوبون الساميون فى مصر
د٠ ماجدة محمد حمود

٢٠٣ ـ الصراع الدولي على عـدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب

٢٠٤ ـ العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥ـ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى

٢٠٥ ـ تاريخ الغربية واعمالها فى العصر الاسلامى
(٢١ ـ ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١ م)
السيد محمد أحمد عطا

٢٠٦ ـ مصر للمصريين ج ٩
سليم خليل النقاش

٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس
د٠ سعيد عبد الفتاح عاشور

٢٠٨ ـ الدور المصرى والعـربى فى حرب تحرير الكويت ج ١
لواء / د٠ كمال أحمد عامر

٢٠٩ ـ الدور المصرى والعـربى فى حرب تحرير الكويت ج٢
لواء / د٠ كمال أحمد عامر

٢١٠ ـ قبرص والحروب الصليبيـة
د٠ سعيد عبد الفتاح عاشور

٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د٠ عليـة عبـد السـميع الجنزورى

٢١٢ ـ العامة فى مصر فى العصر الأيوبى
(٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠ م)
شلبى ابراهيم الجعيدى

٢١٣ ـ الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثـرها السـياسى والاقتصـادى والاجتماعى (٦٤٨ هـ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ـ١٥١٧م)
عثمان على محمد عطا

٢١٤ ـ الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى
د٠ عليـة عبـد السـميع الجنزورى

٢١٥ ـ الفتح الاسلامى لمدينة كابول (٣١هـ/ ٦٥١م)
د٠ اصلاح عبد الحميد ريحان

٢١٦ ـ الراسمالية الأجنبية فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٥٧)
الجزء الأول
د٠ فرغلى تسن هريدى

٢١٧ ـ العيب فى الذات الملكية (١٨٨٢ ـ ١٩٥٢)
د٠ سيد عشماوى

٢١٨ ـ اقليم الغربية فى عصر الأيوبيين والمماليك (٥٦٧ ـ ٩٢٣هـ / ١١٧١ ـ ١٥١٧م)
د٠ السيد محمد احمد عطا

٢١٩ ـ ثورة ١٩١٩ فى ضوء مذكرات سعد زغلول (١٩٥٣ ـ ١٩٦١) ٠
د٠ عبد العظيم رمضان

٢٢٠ ـ التنظيمات السياسية لثورة يوليو
د٠ حمادة حسنى أحمد محمد

٢٢١ ـ حرب النهر
ونستون تشرشل ٠ ترجمة عز الدين محمود

٢٢٢ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق٠م الجزء الأول
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٣ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق٠م٠ ، جـ ٢
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٤ ـ الدور الوطنى للكنيسة المصرية عبر العصور
(اعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة)
اعداد وتقديم أ٠د٠ عبد العظيم رمضان

٢٢٥ ـ مصر ودول حوض النيل
د٠ سيد محمد موسى حمد

٢٢٦ ـ السخرة فى حفر قناة السويس
د٠ عبد العزيز محمد الشناوى

٢٢٧ ـ العلاقات المصرية العثمانية على عهد الاحتلال البريطانى (١٨٨٢ ـ ١٩١٤)
د٠ أمل محمد فهمى

٢٢٨ ـ تاريخ العالم الاسلامى ، الجزء الأول
د٠ حسن حبشى

٢٢٩ ـ ذيل وليم الصورى
ترجمة د٠ حسن حبشى

٢٣٠ ـ تاريخ الجيش المصرى فى عصور ما قبل التاريخ
د٠ عز الدين اسماعيل أحمد

٢٣١ ـ الشوام فى مصر منذ الفتح العثمانى حتى أوائل القرن ١٩
د٠ سمير عبد المقصود السيد

٢٣٢ ـ الراسمالية الاجنبية فى مصر ج ٢
فرغلى على تسن هريدى

٢٣٣ ـ الفيلم التاريخى فى مصر
محمود قاسم

٢٣٤ ـ العلاقات المصرية الاثيوبية ج ١
د٠ انتونى سوريال عبد السيد

٢٣٥ ـ العلاقات المصرية الاثيوبية ج ٢
د٠ انتونى سوريال عبد السيد

٢٣٦ ـ مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق٠م٠
د٠ احمد محمد عبد الحليم مراز

٢٣٧ ـ حكومة مصر عبر العصور (اعمال لجنة التاريخ والاثار بالمجلس الاعلى للثقافة من ٢٢ الى ٢٣ ابريل)
اعداد/د٠ عبد العظيم رمضان

٢٣٨ ـ الوليد بن عبد الملك ٨٦ ـ ٩٦هـ / ٧٠٥ ـ ٧١٥م
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ٠

٢٣٩ ـ عبد العزيز بن مروان
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ٠

٢٤٠ ـ هنرى كوربيل ٠ الاسطورة والوجه الاخر
د٠ حسين كفافى ٠

٢٤١ ـ تجار القاهرة فى القرنين السادس عشر والسابع عشر
د٠ سليمان محمد حسين ٠

٢٤٢ ـ عصر محمد على دراسة وثائقية
د٠ عبد المنعم ابراهيم الجميعى ٠

٢٤٣ ـ محمد حسين هيكل ودوره فى السياسة المصرية ١٨٨٨ ـ ١٩٥٦ م
مصطفى الغريب محمد

٢٤٤ ـ المغاربة والاندلسيون فى مصر الاسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى
ج ١ ـ الدراسة السياسية
د٠ أحمد عبد اللطيف حنفى محمد

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤١٩٢/ ٢٠٠٥

ISBN -- 977 -- 01 -- 9508 -- 1

هذا الكتاب المهم عن «المغاربة والأندلسيون فى مصر الإسلامية»، للدكتور أحمد عبداللطيف حنفى محمد، وهو فى الأصل رسالة علمية حصل بها صاحبها على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة طنطا.

وقد تعرض الباحث للفظ المغرب فى العصر الإسلامى، وهو اللفظ الذى كان يطلق على الجناح الغربى لدولة الإسلام بالمقابلة بالشرق، ويشمل كل ما يلى مصر غربًا حتى المحيط الأطلسى.

ولطول الرسالة رأينا نشرها فى جزءين، الجزء الأول وتعرض لدراسة الدور السياسى للمغاربة والأندلسيون فى مصر، من عصر الولاة حتى نهاية الحكم الأخشيدى، ثم طوال العصر الفاطمى. بينما عنى الجزء الثانى بمعالجة دورهم فى مناحى الحضارة الأخرى بمصر.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٧٥ قرشاً